ESCAPING FROM HOUDINI




# الهروب من هوديني



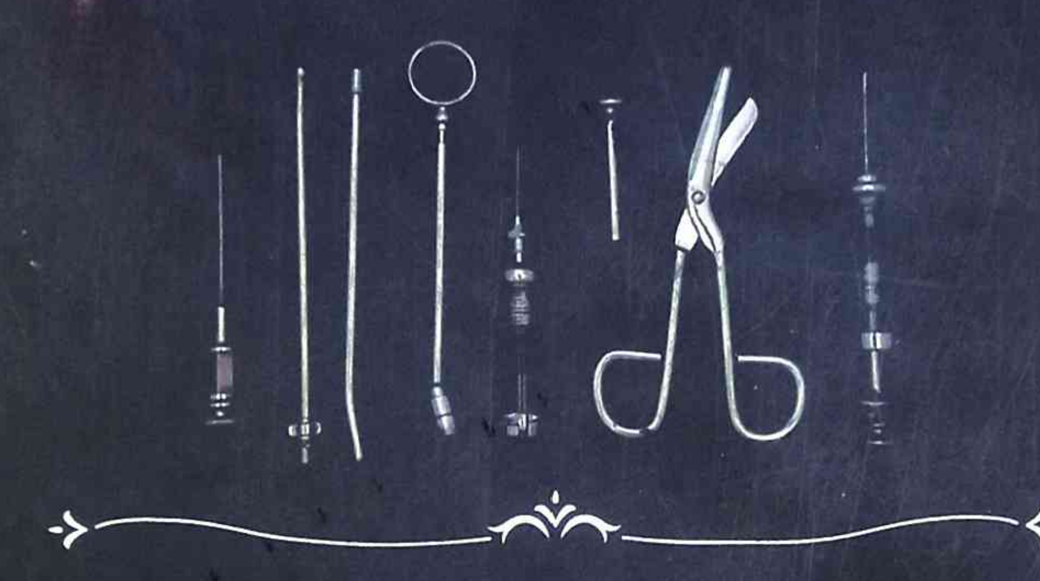

كيري مانسكالكو

ترجمها للعربية

د. أثير أسعد جعفر



KERRI MANISCALCO



تُسافر أودري روز إلى نيويورك مع شريكها في التحقيقات توماس كريسويل لحلّ لغز جرائم دموية أخرى، فيبدآن رحلةً لسبعة أيام عبر الأطلسي، على متن الباخرة الفخمة إتروريا. هُناك يتعرّفان على مجموعة من فنّاني سيرك مُتنقل، يقودُهم شابٌّ واسع الدهاء، ومن ضمنهم فنّان موهوب بشكلٍ استثنائي في الهروب من القيود وتحدّي الموت.

ثم تبدأ فجأةً سلسلة من جرائم القتل الوحشيّة التي تُرعب الركاب، حيث لا مفر منها إلا مياه المحيط، وتتزايدِ العلامات المُشيرة إلى تأثير السيرك عليها. هل ستتمكن أودري روز برفقة توماس من كشف الغموض الذي يلفّ هذه الجرائم قبل الوصول إلى أميركا؟ وهل ستنجو هي وأحبابُها من هذه الرحلة الجهنميّة في النهاية؟





ISBN:978-9922-628-56-2



DAR ASHUR
PRINTING, PUBLISHING
AND DISTRIBUTION
دار آشور للطباعة والنشر والتوزيع

آشور
بغداد - شارع المتنبي

## كيري مانسكالكو

# الهروب من هوديني

ترجمها للعربية

## أثير أسعد جعفر



**الهروب من هوديني**

كيري مانسكالكو

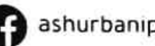
ترجمة: د. أثير أسعد جعفر

الطبعة الأولى: 2024





العراق-بغداد-شارع المتنبي


ashurbanipal.bookstore


ashurbanipal_books


darashurbanipal@gmail.com

+964 770 656 5807

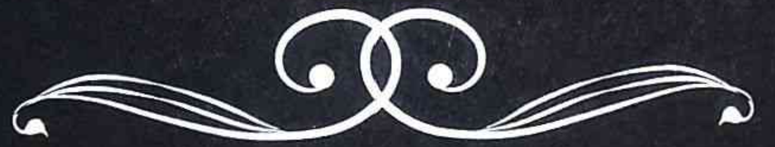


الرقم الدولي (ISBN)

978-9922-628-56-2

إلى أولئك الذين يؤمنون بسحر الأحلام.

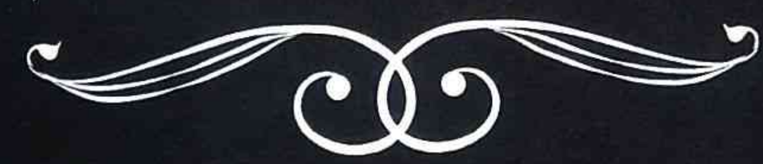
كلّ شيءٍ مُمكن.



"الجّحيمُ خالٍ وكلّ الشّياطين هُنا."

العاصفة - الفصل 1 المشهد 2

وليم شكسبير





# 1
# كرنفال ضوء القمر

## الباخرة إترووريا - ليفربول، إنجلترا
## 1 يناير 1889

بدأ أوّل مساء في العام الجديد على متن الباخرة إترووريا[1] مثل قصةٍ خيالية، في علامةٍ أولى على كابوسٍ يلوح في الأفق مُنتظرًا فرصته للانقضاض، كما يفعل معظم الأشرار.

تجاهلتُ وخزات القلق خلال استعداد سفينتنا لمغادرة الميناء أمام عالم الخيال الجميل الذي غمرَنا. لقد كانت بداية عام جديد وفصل جديد، فرصة رائعة لترك أحداث الماضي المُظلمة والمضيّ قدُمًا نحو المستقبل المشرق، مستقبلٌ قد يحمل قريبًا ليلة زفاف.

أخذتُ نفسًا ثابتًا ونظرتُ إلى خشبة المسرح وسط صالة الطعام الكبيرة، حيث تلألأت ستائر مخمليّة ثقيلة - ذات لون أزرق داكن قريب للسواد - بجواهر صغيرة تلمع كلما عكسَت الضوء، بينما التفّ فنّانو العروض الهوائية بأجسادٍ مُرصّعةٍ بالألماس على حبالٍ فضيّة، كعناكبَ جميلة تدور حول شبكاتها التي وقعتُ أسيرةً لها.

---

1- الباخرة إترووريا: باخرة حقيقية فاخرة أبحرَت عبر الأطلسي في أواخر القرن التاسع عشر وكانت آخر باخرة مجهّزة بأشرعةٍ مُساعدة بالإضافة إلى المحرك البخاريّ الرئيسي. (المُترجم)

في حين انتشرَت الموائد المستديرة على الأرض مثل مجاميع النجوم في السماء، وقد ازدهرَت أغطيتُها ناصعة البياض بزهور ملوّنة بالبنفسجيّ والكريميّ والأزرق.

كان من بين مزايا الإترووريا للرفاهية احتواؤها على بيتٍ زجاجيّ، هبّت منه روائح الياسمين والخزامى وعدّة عطور ليلية أخرى، جذّابة وخطيرة مثل فنّاني العروض المُقنّعين الذين حلّقوا فوقنا. كانوا يتقافزون بسلاسة من أرجوحةٍ إلى أخرى، دون أدنى خوف من السقوط قبل التقاط الحبل التالي.

"تلك الشرائط الطويلة في أزيائهم تجعلهم يبدون مثل الشّهب، أليس كذلك؟ أحبّ الحصول على فستان يحوي أكبر عدد ممكن من الجواهر في يوم من الأيام." تنهّدت الآنسة بريسكوت، ابنة كبير القضاة الجالس عبر الطاولة. ذكّرَتني بابنة عمتي ليزا بشعرها الكراميلي وعينيها البُنّيتين الماكرتين. وضعَت كأسها من الشمبانيا وهي تنحني عن قرب، خافضةً صوتها إلى همسة تآمر: "هل سمعتِ عن أسطورة مفيستوفيليس يا آنسة وادزوورث؟"

رفعتُ بصري عن المشهد المُذهل فوقي مرةً أخرى وهززتُ رأسي. "لا أستطيع قول ذلك. هل هي مصدر إلهام عرض الليلة؟"

"أظنّ أنّ الوقت قد حان لِقصّة." تنحنح الكابتن نوروود، قبطان إترووريا الفخور لافتًا انتباه مائدتنا، بما في ذلك آل بريسكوت والعمّ جوناثان، والسيدة هارفي، والسيّد توماس كريسويل الساحر اللعوب، الذي امتلك قلبي ببراعة مثل أيّ لاعب ورقٍ ماهر يربح الدست تلو الآخر في لعبته المُفضّلة.

قضيتُ أنا وتوماس - مع عمّي بالطبع - يومين مُرهِقين في

السفر من بوخارست إلى ليفربول للصعود على متن الإتروريا قبل انطلاقها إلى نيويورك. لقد وجدنا طرقًا إبداعية لسرقة القُبلات في رحلتنا، ومرّ كل لقاء سريّ عبر ذهني لا إراديًا: يداي في شعره البُنّي الغامق، وشفتاه وهُما تُشعلان النيران على بشرتي...

نكزَتني الآنسة بريسكوت برفق تحت الطاولة مُعيدةً انتباهي إلى المحادثة.

قال الكابتن نوروود: "... إذا قُمنا بتصديق الأساطير بالطبع، فقد سُمّي مفيستوفيليس على اسم شخصية من الفولكلور الألماني، وهو شيطانٌ في خدمة إبليس، معروف بسرقة أرواح الفاسدين، مليءٌ بالسحر والخداع، ويُصادف أنه رجل استعراض مُذهل. انظروا إلى بطاقات التاروت التي صنعها للطاولات. كلّ بطاقة تُمثّل أحد فنّاني عروضه." قال ذلك وهو يحمل مجموعة رائعة من البطاقات المرسومة باليد، ثم استطرد: "أضمنُ لكم قضاء أسبوع من السحر والغموض الذي لا يُضاهى. ستحمل كل ليلة عرضًا كرنفاليًا جديدًا لم يسبق له مثيل، وستغدو هذه السفينة أسطورةً من الأساطير. تذكّروا كلماتي هذه. قريبًا تستضيف كل سفينةٍ فاخرة وسائل ترفيه مماثلة، لتكون بداية حقبة جديدة من السفر عبر البحار."

رفعتُ حاجبي أمام نبرته الوقورة لأقول: "هل تعني أنّكَ استأجرتَ شيطانًا لِتسليتنا وأنّ ذلك سيصبح موضةً يا كابتن؟"

غصّ توماس بكأس مائه، وابتسمَت لي الآنسة بريسكوت بخُبث قبل أن تسأل بعينين بريئتين: "هل توجد كنيسة أو مذبح على سطح السفينة؟ ماذا نفعل إذا سُرِقَت أرواحنا سيّدي؟"

رفع القبطان كتفه مُستمتعًا بالوضع. "عليكم الانتظار لمعرفة

ذلـك، ولـن يكـون الانتظـار طويـلًا." عـاد انتباهـه إلـى الكبـار عندمـا قفـزَت الآنسـة بريسـكوت مـن مقعدهـا لتُفاجئنـي وتنـال نظـرة اسـتنكار مـن والدهـا. "هـل لنـا بتلميـح صغيـر مـن فضلـك؟"

ربمـا كان ذلـك مـن فعـلِ شـيطاني الداخلـي، لكننـي لـم أسـتطع مقاومـة التكلّـم: "أكـره أن تجتاحنـي الهسـتيريا التـي تدفعنـي لتـرك السـفينة. لسـنا بعيديـن عـن المينـاء أليـس كذلـك؟ ربمـا أقـوم بالسـباحة..."

رمشَـت عينـا الآنسـة بريسـكوت ببـطءٍ موافقـة. "هـذا صحيـح كابتـن. فـي الواقـع، أشـعر بشـيء مـن تعاويـذ الإغمـاء فـي هـذه اللحظـة بالـذات! هـل تظـنّ أنـه مفيسـتوفيليس؟" سـألَت بنبـرة متصاعـدة. "هـل تعمـل خدعـه عـن بُعـد؟ يـا تـرى كـم عـدد الذيـن يُمكنـه التأثيـر فيهـم فـي آنٍ واحـد."

نظـرتُ إليهـا وأنـا أتّكـئ كأنّنـي أفحصُهـا حقًـا. "تبديـن شـاحبةً بعـض الشـيء آنسـة بريسـكوت. هـل تشـعرين أنّ روحـكِ مرتبطـة بجسـدك؟"

زفـرَ تومـاس لكنـه لـم يجـرؤ علـى مقاطعـة هـذا العـرض الجديـد. كنـتُ أرتـدي فسـتان السـهرة الحريـريّ الأزرق وقفّازاتـي السـوداء التـي امتـدت فـوق مرفقـيّ، مـع جواهـر متلألئـة غطّـت أعلـى صـدري. لقـد شـعرتُ أننـي لا أقـلُّ إبهـارًا عـن البهلوانييـن الذيـن كانـوا يطيـرون فوقنـا.

لفّـت الآنسـة بريسـكوت يديهـا ذات القفّـازات حـول حنجرتهـا وعيناهـا تتّسـعان. "أتعلميـن، أشـعرُ حقًـا بشـيء غريـب، كأنّنـي أخـفّ وزنًـا." تمايلَـت علـى قدميهـا ثـم اسـتقرّت. "هـل يجـب أن نطلـب النشـادر يـا كابتـن؟"

"لا أعتقـد أنـه ضـروري." قـال مُستنشـقًا بعمـق، بأسـفٍ أكيـد علـى جمعنـا معًـا. "أؤكـد لكـم أنّ مفيسـتوفيليس خاصّتنـا غيـر مـؤذ. إنـه مجـرد

رجل يتظاهر بأنه شريرٌ أسطوريّ، ولا شيء أكثر من ذلك."

"أقسمُ أنّ روحي تضعُف. هل هذا ظاهر للعيان؟ هل أبدو أكثر شفافيّة؟" اتسعت عيناها إلى حجم الصحون تقريبًا وهي ترتمي على مقعدها وتنظر حولها. "أتساءل عمّا إذا كان هناك مُصوّر أرواح على متن السفينة. سمعتُ أنه يمكنهم التقاط مثل هذه الأمور في فيلم التصوير. ملابسي لا تزال عليّ، أليس كذلك؟"

"لحد الآن." عضضتُ شفتي محاولةً إبعاد الابتسامة عن صوتي ووجهي، لا سيّما وأنّ السيدة بريسكوت بدَت على وشك الانفجار غضبًا بسبب تصرّف ابنتها. "يجدر بنا قياس وزنكِ الآن لتسجيل أيّ فرقٍ محتمل."

كفّ عمّي عن حديثه مع توماس وهو يهز رأسه بخفّة، لكن قبل أن يتمكن من التعليق سارعَ إليه أحد المُرافقين ليُسلّمه برقية. قرأها وفتل طرفَي شاربه الشاحب قبل أن يطوي الورقة ويرمقني بنظرةٍ غامضة.

"إذا سمحتُم لي." وقف عمّي. "يجب أن أهتمّ بهذا الأمر فورًا."

لمعَت عينا الآنسة بريسكوت وهي تقول: "لا بد أنّ عملًا جنائيًا سريًا قد بلغ عمّك. لقد قرأتُ قصصًا في الصحف عن تحقيقاتكم في جرائم قتل السفّاح. هل قمتِ أنتِ والسيد كريسويل حقًا بمنع مصّاص دماء في رومانيا من قتل الملك والملكة؟"

هززتُ رأسي. "ماذا؟ هل كانوا يكتبون عني وعن توماس في الصحف؟"

"بلى." رشفَت الآنسة بريسكوت الشمبانيا من كأسها وعيناها تتبعان عمّي في طريقه إلى الخارج. "معظم الناس في لندن كانوا

يتهامسون عنكِ وعن السيّد كريسويل الأنيق خاصّتك."

أربكَني وضع الشهرة الذي آلَت إليه حياتي.

"عفوًا، سأخرج لاستنشاق بعض الهواء."

نهضتُ وأنا أفكر في اللحاق بعمّي عندما ربّتَت السيدة هارفي على يديّ. "أنا متأكدة من أن كل شيء على ما يرام عزيزتي." أومأت نحو المنصة. "العرض على وشك البدء."

تطايرَت أعمدة الدخان حول الستائر الحبريّة، وكانت رائحتها قوية بما يكفي لإثارة بعض نوبات السعال في أنحاء الصالة. شعرتُ بلسعةٍ في أنفي لكنها كانت إزعاجًا بسيطًا مقارنةً بسرعة نبضاتي الآن. ربما كان ذلك بسبب خروج عمّي السريع، أو أخبار شُهرتنا أنا وتوماس في الطبّ الجنائيّ، أو ترقّب عرض الليلة، وربّما الثلاثة معًا.

"سيّداتي وسادتي." تردّد صوتٌ ذكوريّ عميق من كل مكان حولنا دفعةً واحدة، مُجبرًا الحاضرين على الالتواء في مقاعدهم. حتى أنا مددتُ رأسي والتفتُّ باحثةً عن صاحب ذلك الصوت. لا بدّ من أنه قد صمّم آليةً ما لوضع نفسه في جميع أرجاء الغرفة. "مرحبًا بكم في العرض."

سرَت همهمات في الصالة مع تلاشي صدى تلك الكلمات القليلة، وفي الصمت الذي تلاها دقّت صفيحات الصَنج بخفّة، قبل أن تتصاعد للذروة عند رفع الخدم لأغطية أطباقنا، كاشفين عن وجبةٍ تليق بالملوك. بدا أن لا أحد قد لاحظ شرائح الفيليه المغطاة بصلصة الفطر، أو البطاطس المقلية التي تم ترتيبها في كومة كبيرة. لم يعد جوعنا للطعام، بل لسماع ذلك الصوت الغامض مرةً أخرى.

نظرتُ إلى توماس وابتسمت. كان يتحرّك في مقعده كأنّه يجلس على صفيحة فحم مُلتهب.

"هل أنتَ متوتّر؟" همستُ خلال نزول فنّاني العروض الهوائية برشاقة واحدًا تلو الآخر.

"مِن هذا العرض الذي يفتخر بالتسبّب في اضطرابات القلب؟" قام بالتلويح بلائحة العرض المخططة بالأبيض والأسود. "كلا، على الإطلاق. لا أطيق الانتظار حتى ينفجر قلبي، هذا سوف يبعث بعض الحيويّة في أمسية الأحد الرتيبة هذه يا وادزوورث."

قبل أن أتمكن من الرد دقّت طبول ليظهر رجلٌ مُقنّع وسط سحابة من الدخان في منتصف المسرح. كان يرتدي سترةً طويلة بلون الأوردة المفتوحة وقميصًا وبنطالًا بالأسود المُعتم، بينما زيّنَت حافات قبعته شرائط قرمزيّة وفضّية، وغطّى قناعه المزخرف الصقيل كل شيء من أنفه إلى أعلى وجهه. كان فمه مائلًا في متعةٍ شريرة وهو محطّ اهتمام ودهشة كلّ عينٍ في الصالة.

قفز الرجال في مقاعدهم، وفُتِحت مراوح النساء اليدوية في صوتٍ أشبه برفرفة مئة طائر. كان الأمر مُقلقًا، رؤية رجل يتجسد أمامهم هكذا وسط العاصفة التي تدور حوله. وصلَت مسامعي همساتٌ تدّعي أنه وريث الشيطان، أو الشيطان نفسه كما قال والد الآنسة بريسكوت، وكدتُ أقلب عينيّ. تمنّيتُ أن تكون أحكامه أفضل فيما يخص عمله كرئيس قضاة. من الواضح أنّ المُقنّع كان سيّد الحلبة[1].

"اسمحوا لي بأن أعرّفكم بنفسي." انحنى الرجل المُقنّع،

1- سيّد الحلبة: الشخص المسؤول عن إدارة السيرك وتنظيم أعماله. (المُترجم)

وبدا المكر في عينيه وهو يعتدل ببطء. "أنا مفيستوفيليس، دليلكم إلى الغرائب والروائع. كلّ ليلةٍ ستختار عجلة الحظ مَن يُمتعكم، ويُمكنكم كذلك زيارة فنّاني العروض بعد انتهاء العرض الرئيسي والانغماس في أيّ عمل من أعمالنا. من مُبتلعي اللهب إلى مُروّضي الأسود والعرّافين ورماة السكاكين، تحقيق رغباتكم غايتنا. مع ذلك أحذّرُكم من صفقات أنصاف الليالي، لأنّ أخذ مصيركَ بين يديكَ أمرٌ لا تُحمد عُقباه."

تململ الجالسون، ربّما في تساؤل عن نوع الصفقات التي قد يعقدونها، وإلى أيّ مدى قد ينحدرون في ابتغاء المتعة وهُم بعيدون عن عيون المجتمع الساهرة.

همسَ المُقنّع: "قد تبدو حيلنا حلوةً لكنها ليسَت حلوى! هل أنتَ شجاعٌ بما يكفي للنجاة؟ ربما تكون شخصًا جديدًا يفقدُ قلبه ورأسه في العرض الليليّ خاصّتي. أنتَ فقط مَن يُقرّر، وحتى ذلك الحين؟"

طاف مفيستوفيليس على خشبة المسرح، مثل حيوان محبوسٍ في قفص ينتظر فرصة الهجوم. خفقَ قلبي بعنف، وباتَ لديّ انطباع بأنّنا كنا جميعًا فرائس في أفضل ملابسنا، وإن لم نتوخّ الحذر فسوف يلتهمنا عرضهُ الغامض.

"هذه الليلة هي الأولى من بين سبع ليالٍ ستُبهَرون فيها،" رفعَ سيّد الحلبة ذراعيه وحلّقت دزينة من الحمائم البيضاء من أكمامه إلى الدعامات الخشبية فوقه. انطلقَت عدّة صيحات حماس من بين الحضور، وكانت السيدة هارفي والآنسة بريسكوت من بينهم.

"وتُرعَبون." تابعَ بغلاظةٍ خفيفة في صوته، وفي رمشة عين لم

تعد ربطة عنقه مصنوعة من القماش، بل ثعبانًا متلويًا يلتف حول رقبته. أمسك مفيستوفيليس حلقه، وتحوّلَ وجهه البرونزيّ إلى الأرجوانيّ الغامق تحت قناعه المزخرف. توقّفَت أنفاسي عندما انحنى مُختنقًا، يلهث باحثًا عن الهواء.

كدتُ أقفز واقفةً، على اعتبار أنّنا كنا نشهد موت هذا الرجل، لكنني أجبرتُ نفسي على التنفّس والتفكير لجمع الحقائق مثلما يفعل العلماء. كان هذا مجرد عرض، ولا شيء آخر. بالتأكيد لن يموت أحد. جاء تنفّسي في شهقاتٍ قصيرة لا علاقة لها بمشدّ ثوبي الرائع. كان ذلك مثيرًا ومروّعًا للغاية، وقد كرهتُه تقريبًا بقدر ما أحببته. لقد عشقتُ ذلك أكثر مما أجرؤ للاعتراف به. "يا إلهي." تمتمت الآنسة بريسكوت عندما جثا على ركبتيه، وانقلبت عيناه إلى الوراء حتى صارتا بياضًا تامًا. حبستُ أنفاسي وعجزتُ عن التخلص من التوتّر. لا بدّ أن هذه خدعة. صاحت الآنسة بريسكوت: "ليساعده أحدكم! إنه يحتضر!"

"اجلسي أوليفيا!" همست السيدة بريسكوت بقسوة. "أنتَ لا تحرجين نفسكِ فحسب، بل تُحرجيننا أنا ووالدك أيضًا."

قبل أن يقوم شخص بمساعدة سيّد الحلبة، قام بانتزاع الثعبان وشهق الهواء كما لو كان مغمورًا في المُحيط الذي سافرنا عبره. تراجعتُ إلى الوراء بارتخاء، وضحك توماس لكنني لم أستطع رفع بصري عن المُقنّع على خشبة المسرح.

رفع مفيستوفيليس نفسه إلى وضعية الوقوف وترنّح قليلاً، ثم حمل الأفعى ببطء فوق رأسه. انعكس ضوء الثريّات على قناعه جاعلًا نصف وجهه يتلوّن بالأحمر البرتقاليّ الغاضب. ربما كان

غاضبًا فقد اختبرنا ووجدَنا عاجزين. كنّا أشبه بوحوشٍ مُتأنّقة، ونحن نواصل عشاءنا الفاخر بينما كان يناضل من أجل حياته، كل ذلك من أجل الترفيه فقط.

دارَ في حلقةٍ لمرّتين ثم اختفى الثعبان المتلوّي فجأة. اندفعتُ إلى الأمام بدهشة بينما انحنى سيّد الحلبة الفخور للجمهور مرةً أخرى، ويداه لا تحملان شيئًا. تصاعد هدير التصفيق.

"كيف بحقّ الربّ؟" تمتمت. لم يكن هناك صندوق أو أي مكان يُخفي فيه الثعبان، وتمنّيتُ بصدق ألّا يجد طريقًا إلى طاولتنا؛ فمن المؤكد أن توماس سيُغمى عليه.

"قد تقعون أيضًا..." قال وهو يقوم بقفزة عكسيّة على خشبة المسرح، وقبعته ثابتة في مكانها دون أن يلمسها. "... في الحبّ." دفع مفيستوفيليس القبعة لتهبط متدحرجةً على ذراعه كبهلوان فوق أرجوحة، ومثل أي رجل استعراض محترف قام بعرضها لنا لنتمكن من رؤية أنها قبعة عادية، وإن كانت مبهرجة بعض الشيء. بمجرّد أن أكمل دورةً كاملة حول المسرح ألقى بها في الهواء، ثم التقطها مرة أخرى بحركةٍ من معصمه. شاهدتُه دون أن أرمش وهو يرفع ذراعه ليُخرج دزينةً من الورود ذات اللون الحبريّ الأزرق. بدَت قبعته عادية تمامًا، وكنتُ على شبه يقين من ذلك.

"أحذّركم مرة أخرى، لا تتعلّقوا كثيرًا." دوى صوت مفيستوفيليس لدرجة أنّني شعرتُ بصداه في صدري. "نحنُ نفتخر بأعمالٍ تتحدى الموت، لكن لا أحد يفلت من قبضته إلى الأبد. هل ستشهد هذه الليلة نهاية أحدٍ ما؟ هل ستفقدون قلوبكم؟ أو ربّما..." ابتسم ابتسامةً عريضة من فوق كتفه أمام الجمهور. "تفقدون عقولكم."

أضاءَ ضوءٌ كاشف دميةً مطليّة بشكل مهرّج، لم تكن موجودة قبل الآن، وقام سيّد الحلبة برمي خنجر نحوها عبر المسرح في حركة رشيقة. طارَ النصل والمقبض ليغوص في عنق الدمية بصوتٍ أسكتَ الجمهور. للحظةٍ عصيبة لم يحدث شيء، وبدا كلّ شيء ساكنًا. جلسنا هناك ننتظر ونحن نتنفس بصعوبة. ظلّ جسد الدمية ثابتًا بعناد على اللوح التي تم وضعها عليه. مرّت لحظة أخرى ثم هتف مفيستوفيليس: "حسنًا، هذا لن يُجدي نفعًا." أخذَ يضرب الأرض بقدميه. "جميعًا... احذوا حذوي!"

أطاعهُ الحاضرون ببطء في البداية، قبل أن تتحوّل صالة الطعام إلى حلبة اهتزاز مجنونة. اهتزت الأطباق وتبعثرت الأدوات الفضّية عبر الطاولات، وسكبَت الكؤوس نبيذها على البياضات باهظة الثمن، حتى بدت الطاولات كأنّها مسرح جريمة. قررتُ أخيرًا التخلّي عن تحفظّي ورحتُ أضرب الأرض، ثم قلّدني توماس بتعبيرٍ حائر على وجهه. ترددَ وقع الضربات في كل خليةٍ من جسمي، واندفع دمي في نسقٍ معها. كان الأمر ذا وحشية حيوانية، ومع ذلك كان مثيرًا. لم أستطع تصديق أن ذلك العدد من اللوردات والسيّدات والركاب من أرقى الطبقات قد انجرفوا في تيار المُتعة والصخب ذاك.

ضربَت السيدة هارفي المنضدة بقبضتيها ذات القفازات، مُضيفةً حماسًا جديدًا إلى الصوت الذي يخفق في أذنيّ، وفعلَت الآنسة بريسكوت الشيء ذاته. بعدها ارتطم رأس الدمية بالأرض، وتدحرج نحو حذاء سيّد الحلبة اللامع، لكن الضربات استمرت، إذ لم يبدُ أحدٌ مستعدًا للتخلي عن إيقاع الشيطان بعد أن بدأ. كان مفيستوفيليس قائد هذه السمفونية الشريرة، وأخذَت يداه تضرب الهواء عندما

وصلـت الضربـات إلـى ذروتهـا.

"هـدوء!" صـرخَ بصـوتٍ عـلا فـوق كل شـيء آخـر، وتوقـف الضـرب فـورًا كأنّ محـرّك تلـك الدمـى قـد قطـع خيوطهـا. وقـف بعـض الجمهـور يهتفـون، بينمـا قـام بضعـة رجـال يرتـدون قبعـات حريريـة بالصفيـر بصـوتٍ عـال. نهضَـت الآنسـة بريسـكوت مـن مقعدهـا بوجـهٍ محمـرّ وعينيـن لامعتيـن دون تأثّـرٍ بنظـرات والديهـا المسـتنكرة.

"برافو!" نادَت وهي تُصفّق. "قلتُ برافو!"

حـدّقَ مفيسـتوفيليس فـي رأس الدميـة المقطـوع بتعبيـرٍ عميـق، كمـا لـو كان يسـتعيد ذكـرى تطـارده، ذكـرى سـيئة لـم يسـتطع قـطّ الخـلاص منهـا بغـضّ النظـر عـن المسـافة التـي قطعهـا. تخيّلـتُ اختـلاف الباطـن عـن الظاهـر فـي كل مـا يتعلـق بـه، كمـا هـو الحـال مـع خُدعـه المُتقنـة. لِدهشـتي، حمـلَ رأس الدميـة وركلـه فـي الهـواء حيـث انفجـر فـي ألعـاب ناريـة مُصغّـرة، تناثـرَت مثـل النجـوم المتسـاقطة واحترقـت قبـل أن تصـل إلـى الأرضيّـة المكسـوة بالبـلاط الأسـود والأبيـض. عـمّ الصمـت بيننـا جميعًـا مـن جديـد.

"أتسـاءل مـرةً أخـرى، مـا الـذي سـتفقده قبـل انتهـاء هـذا الأسـبوع؟ قلبـك؟ عقلـك؟" قـال ووجهـه مغطّـى بالظـلال، بينمـا خفـتَ ضـوء الثريّـات ببطء قبـل أن ينطفـئ تمامًـا. "قـد تفقـد حياتـك وروحـك بالـذات فـي هـذا العـرض السـحريّ العائـم."

شـهقتُ ورفعـتُ يـديّ ذات القفّـازات أمامـي لكننـي لـم أسـتطع رؤيـة شـيء منهـا. اشـتدّت دقـات قلبـي وأنـا ألقـي نظـرةً فـي العتمـة المطلقـة، بافتتـانٍ ممـزوج برُعـب مـن أيّ وحـش كامـنٍ فيهـا. بـدا أننـي لسـتُ الوحيـدة التـي أثارهـا ذلـك، فقـد سـرَت موجـاتٌ مـن الهمهمـات

المُتحمّسة في الظلام. كان الوعد بالموت مُغريًا بنفس قدر الوعد بالوقوع في الحبّ، إن لم يكن أكثر. يا لنا من مخلوقات عجيبة، نتوقُ إلى الخطر والغموض أكثر من النهايات السعيدة. تابعَ بصوتٍ يُداعب المسامع في الظلام: "الآن استمتعوا بأمسيةٍ مليئة بالسحر والشيطنة والفوضى." تبلّلت راحتا يديّ واندفعتُ إلى الأمام، مُنتظرةً كلمةً أخرى أو جزءًا آخر من تلك السريالية، وسرعان ما لبّى مفيستوفيليس رغبتي قائلاً: "ركاب إترووريا الكرام... من فضلكم اغمروا حواسّكم في أعظم عرض عبر البحار. مرحبًا بكم في عرض مفيستوفيليس الليليّ الرائع، المشهور بكرنفال ضوء القمر!" عادَت الأضواء ولذعَ سطوعها الأعين، وبعد لحظات قفزَت السيدة هارفي مبتعدةً عن طاولتنا بوجهٍ شاحب مثل شبح. نهضَ توماس ليُمسك بها لكنّها رفعَت يدها المُرتجفة. تابعتُ نظراتها وعضضتُ لساني بقوةٍ كافية لتذوّق طعم دمي. كانت الآنسة بريسكوت - الشابة التي صفّقَت فرحًا قبل لحظات - ملقاةً على وجهها للأسفل وسط بركة من الدماء، مع حوالي دزينة سكاكين مغروسة بعمق في ظهرها المغطّى بالمخمل. حدّقتُ فيها، مُنتظرةً أن تتحرّك أو تقوم، أو ترفع رأسها لتضحك علينا بعد أن خدعَتنا بأدائها، لكن هذا كان وهمًا من صُنع خيالي. كانت الآنسة بريسكوت ميتةً حقًا.



# 2
# من الأحلام إلى الكوابيس

## صالة الطعام، الباخرة إتروريا
## 1 يناير 1889

للحظةٍ لم أسمع سوى الطنين المتزايد في أذني. ربما كان توماس ينادي باسمي، لكنني لم أستطع التركيز على شيء سوى إجبار نفسي على التنفّس. كنتُ بحاجة إلى العقلانيّة وتحليل الموقف، لكن مشاعري لم تستعدّ للامتثال. لقد درستُ الموتى، لكن الجلوس بجانب شخص قُتل للتوّ أمرٌ خارج حدود استيعابي.

كان المكان يدور بي وأنا واقفة، وباتَ كل شيء ساخنًا فجأة. حاولتُ إقناع نفسي أنّ ذلك حلمٌ فظيع، حين انطلقَت صرخةً مدوّية من حنجرة السيدة بريسكوت لتجذب نحونا مئاتٍ من العيون، فأيقنتُ حينها أنّ الأمر حقيقيّ.

شهقَ الجالسون على باقي الطاولات، لكن تعابيرهم لم توحي بالرفض بل بالانبهار، وهم يسترقون النظر إلى الشابة الغارقة في دمائها بعشر سكاكين طعام على طول عمودها الفقريّ. رمشتُ ببطء ناظرةً نحو الأشخاص الذين بدأوا في التصفيق، وأخذَت معدتي تتلوى حتى صدمَتني الحقيقة: لقد ظنّوا هذا جزءًا من العرض! بالنسبة لمعظم الموجودين في الصالة كان قتل الآنسة بريسكوت

إحدى فقرات عرض العشاء، وهو "عرض رائع" وفقًا لرجل على مائدةٍ مجاورة لنا.

نهض توماس من مقعده واهتمامه موزعٌ بيني وبين مرافقته المُنتحبة، بينما كان يبحث في نفس الوقت عن مصادر خطر حولنا. رغبتُ في مساعدته وفي القيام بشيءٍ مُفيد لكنني لم أستطع إيقاف الطنين الحاد في أذني أو الضباب الذي غمرَ أفكاري. بدا أنّ كل شيء يتحرك ببطء، كل شيء ما عدا قلبي الذي دقّ أضلاعي في ضرباتٍ ناريّة محمومة. كانت تلك ضربات تحذير، تحثّني على التحرّك بسرعة وتتوسّل إليّ بالفرار.

"أوليفيا!" أمسكَت السيدة بريسكوت بجسد ابنتها والدموع تتساقط على فستانها المخملي. "استيقظي... انهضي!"

لطّخَ الدم مفرش المائدة وصدر ثوب السيدة بريسكوت بلونٍ مُظلم مثل أحاسيسي المضطربة. كانت الآنسة بريسكوت ميتة، لم أتمكن من فهم ذلك ولا التحكم بمشاعري. كيف يُمكن لهذا أن يحصل؟

قفزَ الكابتن نوروود فجأةً من مقعده صارخًا بأوامر لم أتمكن من سماعها وسط الطنين المستمر في رأسي. أخيرًا جذبَت الحركة حول الطاولة نظري بعيدًا عن السكاكين والدم، لقد جرى اصطحاب الحاضرين إلى الخارج، رغم أنّ أجواء المتعة لم تخفت في الغرفة. لم يقلق أحدٌ بما يكفي، باستثناء قلّة من شاغلي الطاولات المُجاورة. حدّقتُ في المشهد المُرعب متسائلةً كيف يُمكن لأيّ شخص أن يعتبره مجرد خدعة. كانت هناك الكثير مِنَ الدماء!

"وادزورث؟" لمس توماس كوعي وجبينه مجعّد. حدّقتُ فيه

دون أن أرى شيئًا منه حقًا. كانت شابةً مفعمة بالحيوية، وهي ترقد ميتةً بجانبي الآن؛ لم يعد العالم منطقيًا. "رغمَ وحشيّة الأمر، تخيّليه مسألةً حسابيّة."

انحنى توماس حتى قابلتُ نظراته وتعابيره المتوتّرة كما تخيّلتُها. لم يكن هذا سهلاً بالنسبة له أيضًا، وإذا كان بإمكانه الظهور بمثل هذا البرود فيمكنني ذلك أيضًا. انتشلتُ نفسي من الرعب واندفعتُ إلى جانب السيدة بريسكوت لأمسك يديها برفق. كان ذلك من أجل تهدئتها والحفاظ على مسرح الجريمة في نفس الوقت. وسط مشاعري العاصفة تمسّكتُ بحقيقةٍ واحدة: هُنالك قاتلٌ على متن هذه السفينة، وكنا بحاجة إلى عزل القرائن بسرعة. يجب أن نحافظ على وضع الجثة قدر الإمكان رغم بشاعتها.

قلتُ بأقصى ما استطعتُ من لطف: "تعالي."

"أوليفيا!" صرخَت السيدة بريسكوت. "انهضي!"

قاطعَ السيد بريسكوت صراخ زوجته: "انظري إليّ يا روث. انظري إلى وجهي فقط." أوقفَت نبرة صوته الهستيريا المُتزايدة لديها، فاستقامت رغم ارتجاف شفتيها. "اذهبي إلى جناحنا واطلبي من فارلي أن يعطيكِ بعض البراندي الدافئ. سأرسل الدكتور آردن في الحال."

هممتُ بالذهاب معها عندما هبطَت يدٌ دافئة على كتفي. **كان** توماس يضغطهُ بلطف وعيناهُ البُنّيتان الذهبيّتان تتفحّصاني. "**سأرافق** السيدة بريسكوت والسيدة هارفي إلى غرفهم، ثم أجلب **عمّك.**"

لم يسأل عن وضعي خلال بقائي مع الجثة؛ إذ كان يثقُ **في أنني** سأتدبّر الأمر. حدّقتُ فيه للحظة أخرى، وهدّأت ثقتهُ بي **أعصابي**

المُهتاجة ومخاوفي. أومأتُ له وأنا آخذ نفسًا عميقًا قبل أن أواجه الطاولة. كان القبطان نوروود يُحدّق في ورقة لعب مُثبّتة على ظهر الآنسة بريسكوت لم ألاحظها، في وسط عمودها الفقري. ارتجفت. مَن رمى السكين قامَ بتثبيت الورقة عبر النصل أولًا، في تحذيرٍ محتمل أو إشارة من نوعٍ ما.

قلت: "أحتاج إلى ترك هذه المنطقة كما هي بالضبط يا كابتن." عدتُ إلى شهور التدريب على الطبّ الجنائيّ بينما رافقَ توماس المرأتين للخارج. سيكون عمّي فخورًا، لقد لملمتُ مشاعري مثل عيّناتٍ تنتظر تشريحها لاحقًا. "يجب أيضًا استجواب كلّ شخص في هذه الصالة."

ابتلع نوروود ريقه بصعوبة وتركيزه يعود إلى السكاكين في ظهر الآنسة بريسكوت وورقة اللّعب. "كانت الأنوار مُطفأة آنسة وادزورث، أشكُّ في أنّ أحدًا قد شاهدَ أيّ شيء."

تقتُ إلى ضربه على رأسه عقب هذه الملاحظة الواضحة. لقد تم إطفاء الأنوار لفترة وجيزة فقط، ربما لاحظَ أحدهم سلوكًا مشبوهًا قبل ذلك. قلتُ له بأفضل نبرة مُتسلّطة لديّ: "أطِعني يا سيّدي." ضغطَ القبطان على فكّه: كان تلقّي الأوامر من رجل يختلف تمامًا عن تلقّيها من فتاةٍ في السابعة عشر من العمر. أهملتُ انزعاجي منه لأجل الفتاة المقتولة أمامنا وأضفتُ لإقناع القبطان: "عمّي خبيرٌ في دراسة مسرح الجريمة، وهذه نصيحتُه."

مرّرَ يده على وجهه. لم يكن الموت في الليلة الأولى لكرنفال ضوء القمر يُبشّر بأيّ خير لخططهِ المستقبليّة. "حسنًا. سأرسل أفرادًا من طاقمي إلى غُرف الجميع هذه الليلة."

في إثر إشارةٍ من القبطان اقتحمَ الصالة جيشٌ يرتدي أفرادهُ ملابس أنيقة، قاموا بمرافقة ركّاب الدرجة الأولى إلى الخارج بقدر ما استطاعوا من الهدوء. ألقى بعض الضيوف نظراتٍ قلقة نحونا، لكن معظمهم كانوا يتحدّثون بحماس عن مدى واقعيّة الأداء وواقعيّة الدماء، ويتساءلون عن كيفيّة نجاح سيّد الحلبة في جعل السكاكين الموجودة في ظهر الفتاة تبدو حقيقيّةً للغاية. لم يقل الكابتن نوروود شيئًا لتأكيد أو نفي هذه النظريات، بل وقفَ بوجهٍ عبوس وهو يُلقي على الركّاب تحيّة المساء.

عندما خلَت الغرفة شعرتُ بوخزاتِ قلق في ظهري. استدرتُ لأتفاجأ برؤية مفيستوفيليس وهو ينظر من خشبة المسرح، بتعبيرٍ تستحيل قراءته من خلف قناعه. لكن على عكس الآخرين لم يكن اهتمامه مُنصبًّا على الفتاة المقتولة بل كان يُراقبني. شعرتُ بثُقل نظراته عليّ، وتساءلتُ عمّا قد رآه أو عرفه. سرتُ خطوةً في اتجاهه، عازمةً على طرح هذه الأسئلة والمزيد، لكنه تلاشى في الظلّ واختفى.

ذكّرَتني الغرفة التي خُصّصَت لنا لغرض تشريح الآنسة بريسكوت بكهفٍ رطب. كنّا في عُمق أحشاء الإتروريا، ولقُربنا من نظام التدفئة كان المكان دافئًا بشكلٍ غير مُريح وأخذَت الأضواء تومض كثيرًا، كأنّ السفينة نفسها متوتّرة بشأن القادم من الأحداث السوداويّة. امتننتُ لوجود أجهزة تجميد على متن الباخرة، فلن نُبقي الجثة في هذه الحُجرة لوقتٍ طويل، لئلّا تنتفخ بالتعفّن بين عشيةٍ وضحاها وتجتذب الحشرات.

دغدغَت القشعريرة بشرَتي رغم حرارة الجوّ. مهما كافحتُ للنسيان لم أستطع التخلّص من ذكريات مختبرٍ شرّير من الماضي،

حيث لا تزال أصوات التروس والأجهزة تتسلّل إلى كوابيسي في بعض الليالي. لقد قلّت الأحلام السيئة عمّا كانت عليه خلال الأسابيع الماضية، لكنها طاردَتني من وقتٍ لآخر، في تذكيرٍ مؤلم بكلّ ما مررتُ به خلال خريف الرّعب.

تجاهلتُ هسهسة البخار المُنبعث من أنبوب مكشوف، لأركز على عمّي جوناثان وهو يطوي أكمام قميصه ويشرع في الاغتسال بالصابون الكاربوليّ. عندما انتهى من ذلك تجوّلتُ حول طاولة الفحص لأنثر نشارة الخشب، التي تمتصّ الدم وأيّة سوائل أخرى قد تتسرّب إلى الأرض. كانت تلك الطقوس جزءًا ضروريًا من عملنا، وتُساعد في إبقاء قلوبنا وعقولنا صافية، وفقًا لعمّي.

"قبل أن أزيل السكاكين من الجثة أريدُ تدوين التفاصيل المادّية."
كانت نغمة عمّي بنفس برودة المشارط المعدنية التي فرشتُها على صينيّة. "الطول والوزن وما إلى ذلك. أودري روز، أحتاجُ إلى -"

سلّمتُه مئزره، ثم ربطتُ مئزري حول خصري. لم أقُم بتغيير فستان المساء، وذكّرَني تلاصق الحرير الفاخر مع جلد المئزر البسيط في تلك اللحظة بمدى تناقضات الحياة وتقلّباتها. لم يخطر على بال الآنسة بريسكوت هذا الصباح أنّها عند المساء ستكون مستلقية على وجهها على طاولة الفحص، وهي مطعونة بسكاكين تبدأ من قاعدة جمجمتها حتى أسفل ظهرها.

التقطَ توماس دفترًا وأومأ نحوي بتعبير حازم. كنّا أنا وهو على درايةٍ جيدة بأدوارنا التعيسة، بعد تدريباتنا العديدة عليها في أكثر من بلد. بدا أنّ الموت يتبعنا أينما ذهبنا، وكنا أشبه بالبخلاء الطمّاعين، نقوم بحفظ البيانات مُستفيدين إلى حدٍّ ما من المآسي. كنتُ أقدّم

المُلاحظات العلميّة وهو يُسجّلها.

بحثتُ داخل الحقيبة الطبّية الجلديّة الخاصة بعمّي حتى وجدتُ شريط القياس، ومددتُه من قمة الرأس حتّى أخمص القدمين بذهنٍ مستقرّ من المهمّة المألوفة. ليسَ الآن الوقت المناسب للتفكير في كل الأشياء التي تاقَت الآنسة بريسكوت إلى القيام بها في حياتها، لقد حان وقت دراسة جثتها بحثًا عن أدلّة. لم أؤمن بالانتقام، لكن من الصعب التقاعس عن نيل العدالة لها.

"المتوفّاة امرأةٌ تدعى الآنسة أوليفيا بريسكوت، يبلغ عمرها ثمانية عشر عامًا، وطولها حوالي مئة وخمسة وستين سنتيمترًا." قلتُ قبل أن أتوقف ريثما يدوّن توماس المعلومات، ثم نظرَ لأعلى مُشيرًا لي بالمُتابعة. "أقدّرُ وزنها بحدود ثمانية واربعين كيلوغرامًا."

"جيّد." قام العمّ بترتيب المشارط ومناشير العظام والمقصّات التي أحتاجها للفحص الداخليّ. "سبب الوفاة؟"

رفعتُ بصري عن الجثة. "عذرًا سيّدي، لكن هناك ما يقرب من عشر سكاكين بارزة من ظهرها. أليس سبب وفاتها واضحًا نوعًا ما؟ أنا متأكدة من أن إحدى السكاكين أو أكثر قد اخترقت قلبها أو رئتيها، أو قطعَت حبلها الشوكيّ."

وجّهَ عمّي عينيه الخضراوين بحدّة نحوي وقاومتُ الرغبة في الانكماش. من الواضح أنّني نسيتُ درسًا مهمًا. "بصفتنا فاحِصين جنائيّين لا يُمكننا غلق سبل البحث الأخرى هكذا. ماذا علّمتُكِ بشأن الوثوق فقط بما ترَين؟"

لم يكن ذلك التوبيخ بالغ السوء، لكنّ وجهي ظلّ مُلتهبًا تحت نظراته. "أنتَ محقّ... أعتقدُ أنّه من الممكن أن تكون السكاكين

مسمومة، أو أنّ الآنسة بريسكوت قد قُتلت بوسائل أخرى وكانت السكاكين مصدر إلهاء فقط. لقد ماتَت بسرعةٍ وهدوءٍ واضحَين."

"حسنًا." أومأ العمّ. "من الضروري إبقاء عواطفنا ونظريّاتنا تحت السيطرة في أثناء تشريح الجثة، وإلا فإنّنا نُخاطر بتحريف النتائج التي نتوصّل إليها، أو قد تدفعنا المشاعر نحو نوبةٍ عصبيّة، مثل عمّتكِ أميليا."

أغمض العمّ عينيه وتولّدَ لديّ انطباع قويّ أنه لم يرغب في التحدّث عنها. قطبتُ جبيني قائلةً: "العمّة أميليا؟ ما الذي أزعجَها؟ هل أبي بخير؟"

تلت سؤالي فترة صمت طويلة وبدا عمّي في حيرةٍ من أمره. أمسكتُ بشريط القياس في يدي وأنا أعلم أن أيّ خبرٍ يلزم كلّ هذا الوقت لقولهِ لا يُمكن أن يكون جيدًا. أخيرًا رمقَ عمّي توماس بنظرةٍ وعضّ شفتيه، كأنه غير واثق من رغبته في سماع تلميذه الآخر لما سيقوله، ثم تنهّد.

"يبدو أنّ ليزا مفقودة."

"مفقودة؟ لا يُمكن أن يكون ذلك صحيحًا." عاد الطّنين الحادّ في رأسي فجأةً، وخطوتُ خطوة بعيدًا عن الجثة لكي لا أقع عليها. "لقد تلقّيتُ رسالةً منها في الأسبوع الماضي." أغلقتُ فمي مُحاولةً تذكّر تاريخ رسالة ابنة عمّتي دون جدوى، لكنّها لم تحوي شيئًا خارجًا عن المألوف. كانت سعيدة وتلتقي سرًّا مع شابٍّ ما، ولا ضرر في تلك المُغازلات البريئة. "من المؤكد أنّ العمة أميليا تبالغ في ردّة فعلها. ربّما تكون ليزا قد..."

لم ألاحظ أنّ توماس قد وقف، لكنهُ لفتَ انتباهي عبر الغرفة

الصغيرة. إذا هربَت ليزا مع ذلك الشابّ الذي كتبَت عنه آخر مرة فسوف تكون تلك الضربة القاضية على عائلتنا وسُمعتنا. لا عجب أنّ عمّي قد تردّد في الحديث أمام توماس.

فركَ عمّي صدغَيه. "أخشى أنّ هذه الأخبار قد أتت من والدِك، لأنّ أميليا في نوبة حُزن ولم تغادر غرفها منذ أكثر من أسبوع. لقد خرجَت ليزا في مساء أحد الأيام ولم تعد إلى المنزل بعدها... والدُكِ يخشى احتمال كونها ميتة."

"ميتة؟! كلا -" شعرتُ بمعدتي تسقط بين ركبتيّ وبتُّ على وشك التقيؤ. هرعتُ خارجةً من الغرفة بِصمت، دون رغبةٍ في رؤية خيبة الأمل في عيون عمّي بعد انفجار مشاعري من الصندوق الذي حبستُها فيه.

***

لذتُ بعباءتي وأنا أراقبُ غروب الشمس في الأفق من سطح ممشى السفينة البارد، مُحوّلًا موجات المحيط الداكنة المضطربة إلى لون الدم المتخثّر. بدا صوتُ الماء الثابت الذي يضرب بدن السفينة كنداء السايرين[1] وهي تستدرج ضحاياها، واعدةً أنّ كل شيء سيكون على ما يرام إذا تحلّى المرء بالإيمان ليقفزَ داخل مملكتها تحت المياه.

"أين رميتِ بنفسكِ هذه المرّة يا ابنة عمّتي؟" تنهّدت **لتختلط** أنفاسي الدافئة بنسيم المُحيط البارد. ارتطمَت الأمواج **بجانب** السفينة، حزينةً وقلقة، ربّما في محاولاتٍ لإعادتنا دفعًا **إلى إنجلترا،**

1 - السايرين: (في الأساطير الإغريقية) نساء أو مخلوقات مُجنّحة تُطلق نداءاتٍ عالية لاجتذاب البحارة ومن ثم قتلهم. (المُترجم)

إلى حيث تسنح لي فرصة - وإن كانت ضئيلة - للعثور على ليزا. يا لسُرعة تحوّل الأحلام إلى كوابيس.

لقد رفضتُ الرضوخ لحقيقة أنّني عالقة في البحر ولا حولَ لي لمُساعدة مَن أحبُّهم. لم أصدّق أنّ أبي تركَني أغادِر إنجلترا دون إخباري بأنّ ابنة عمّتي مفقودة. كنتُ أظنّ أنّنا تجاوزنا أمر الإفراط في حمايتي بعد سماحه لي بدراسة الطبّ الجنائي في رومانيا، لكن من الواضح أنّني كنتُ على خطأ. ليسَ ذلك ذنبي، لكنّني شعرتُ حقًا بخُذلاني للآنسة بريسكوت، والآن ليزا...

أقسمتُ بصوتٍ عالٍ: "لن أفشل مرة أخرى." كان هناك حاجزٌ واحد لن أتخطّاهُ أبدًا، وهو القتل. إذا سلبتُ أيّ شخص من حياته فلن يجعلني ذلك أفضل من القتلة الذين حاربتُهم. همسَ صوتٌ قاسٍ في رأسي بأنني في الحقيقة لم أردعهم قطّ، بل جمعتُ فقط الأدلة من الدم والعظام، وحاولتُ الاستفادة منها قبل ازدياد عدد الجثث. لكي أوقفَ قاتلًا بالفعل يجب أن أصبحَ واحدةً منهم.

نظرتُ إلى قوارب النجاة المُعلّقة على جدار الممشى، مُتسائلةً عن امتلاكي القوة الكافية لإنزال أحدها والتجذيف عائدةً إلى إنجلترا. ضغطتُ على أسناني وأنا أواجه الماء، حيث لدغَ الملح ورذاذ البحر أنفي واشتدّ الهواء القارس ليغمر وجهي ويُوقظني من خيالاتي غير المنطقيّة.

فُتِحَ بابٌ من ورائي كاشفًا عن ظلٍّ طويل القامة أمام الضوء، وخلفهُ ضجيج العمّال الذين كانوا يُنظّفون الصالة بعد العرض الافتتاحي الرهيب. وقفَ هناك مُحاطًا بالظلال من كل جانب ولم أتمكّن من تمييز ملامحه، لكنني عرفتُ من اضطراب قلبي الغريزيّ

أنّهُ توماس. اقتربَ من السياج حيثُ وقفت، فلاحظتُ رسالةً في جيب معطفه. تساءلتُ عمّا إذا كانت من والدي، وإن كانَ قد أخبرَ كلّ مَن على متن هذه السفينة باستثنائي. إذا أصابَ أحدهم ليزا بسوء كنتُ سأقتُله، ببطء. كدتُ أبتسم، لأنّ الفكرة لم تُزعجني ولو قليلًا.

قال توماس بنبرة إثارة، بطريقته المُعتادة في انتشالي من ظُلماتي: "لو لم أعرفكِ جيّدًا يا عزيزتي وادزورث لظننتُ أنّكِ على وشك تنفيذ عرض هروب[1] خاصّ بك. هل أساعدُك؟" حدّق في ملابسه وعبسَ قليلًا. "لقد تركتُ معطفي المُطرّز برسم التنّين في لندن، وهذا تقليديّ بعض الشيء. لا أبدو فيه 'أنيق الكرنفال'."

"في الواقع، كنتُ أفكّر في القتل."

"ليس قتلي كما آمل." انحنى على السياج ونظر إليّ جانبيًّا. "رغم أنّني وسيم بما يكفي في هذه البدلة. إذا حان وقت الرحيل فأفضّلُ الرحيل بأناقة. فقط تأكّدي من الحفاظ على وجهي سليمًا، أريدُ أن أفتنَكِ في جنازتي."

كدتُ أتأوه. "هذا كلامٌ سيّء، بالنظر إلى الأحداث الأخيرة." دفعتُه بمرفقي وهو يتنهّد. "ما زلتَ اختياري الأوحد يا كريسويل، حتى مع عيوبك."

"إنه ذكائي، أليس كذلك؟" واجهني توماس وبدأ برسم ابتسامة على شفتيه. "لا يُمكنكِ تحمّل الابتعاد عنه. بصراحة أنا متفاجئ لأنّكِ لم تُبلغي عمّكِ بالاتفاق الذي جرى بيننا، لأنه خبرٌ يجب أن تحبّين نشره."

---

1- عرض هروب: عرضٌ فنّي سحريّ يقوم فيه الفنان بتنفيذ هروب مُستحيل ظاهريًا من الموت أمام الجمهور. (المُترجم)

كان هنـاك سـؤالٌ فـي عينيـه لكنني عـدتُ بسـرعة للنظـر إلـى المُحيط، مُتظاهـرةً بعـدم مُلاحظـة ذلـك. بـدت النجـوم فـي كامـل سـطوعها الليلـة، متلألئـة وبرّاقـة عبـر موجـات البحـر. ذكّرَنـي منظرهـا باللوحة التي رسـمها لـي تومـاس فـي الأسـبوع الماضـي: زهـرة الأوركيـد التـي ضمّـت الكـون بأسـره داخـل بتلاتهـا. أدهشَـني كيـف يسـتمرّ العالـم فـي مسـاره بغـضّ النظـر عـن كمّيـة الدمـار التـي حدثَـت. تسـاءلتُ عـن مشـاعر السـيدة بريسـكوت حينَهـا، وإن كانـت قـد شـربَت البرانـدي أو كانـت تطفـو فـي مـكانٍ مـا بيـن الأحـلام والكوابيـس. ربّمـا يجـب أن أحـذو حذوهـا.

شـعرتُ أنّ تومـاس يتفحّصنـي لكنّنـي لـم أرغـب بإخفـاء تعابيـر وجهـي كمـا اعتـدت. فتـحَ فمـه ثـم أغلقـه، ليدفعنـي للتسـاؤل عمّـا أراد قولـه. ربمـا سئم مـن خـوض نفـس النقـاش. لـم أرغـب فـي إخبـار أحـد عـن خطوبتنـا الرسـمية قبـل أن نتحـدث مـع والـدي. رأى تومـاس ذلـك تـردّدًا مـن جانبـي، وهـو أمـرٌ سـخيف لدرجـة أننـي لـم أعتـرف بوجـوده علـى الإطـلاق. ببسـاطة لـم نملـك متسـعًا مـن الوقـت لزيـارة أبـي وإبلاغه بنوايانـا خـلال رحلتنـا العاجلـة إلـى السـفينة، رغمًـا عـن رغباتـي. كلّ شـيءٍ فـيَّ تـاقَ للعيش مـع تومـاس إلـى الأبـد، وبعـد كلّ مـا مررنـا بـه فـي الشـهر الماضـي اعتقـدتُ أنـه سـيعلم ذلـك علـم اليقيـن.

بعـد لحظـةٍ لـفّ ذراعـه حـول كتفـي وجذبَنـي بالقـرب منـه، فـي أمـان جسـده، لأنّنـا كنـا لوحدنـا علـى سـطح السـفينة البـارد. اسـترخيتُ فـي أحضانـه فـي راحـة دفئـه وعطـر الكولونيـا خاصتـه.

"لا أستطيع وعدكِ بأنّ كل شيء سيكون على ما يرام أودري روز."

تنهّـدت. "هـذه إحـدى المـرّات التـي يكـون الكـذب فيهـا مطلوبًـا يـا تومـاس. أدركُ تمامًـا كـم الأمـور رهيبـة، لكنّـي أودّ التظاهـر بخـلاف

ذلك... على الأقل لبضع لحظات."

قالَ مُحوّلًا أفكاره: "صحيح. ما أعنيه هو أنّني أعدُك بالوقوف إلى جانبك أمام كل ما قد يواجهنا. ستكونين البطلة بلا شك، لكنّي سأبدو جميلًا بجانبك، وهذا ما يهمّ حقًا."

"صدقًا؟"

تراجعَ مُتظاهرًا بالتعرّض للإهانة. "لا يُمكنك الحصول على كلّ شيء، بطلة وجميلة كذلك؟ هذه إحدى المرّات التي يكون فيها الكذب مطلوبًا يا وادزورث."

"أليس لديكَ -" لمسَ شفتَيّ بشفتَيه ونسيتُ مخاوفي، كما كان يرغب. بدأت القُبلة بتردّد وعذوبة، في إلهاءٍ وطمأنة بحدّ ذاتها، لكنّها سرعان ما ازدادَت عُمقًا وإلحاحًا. لففتُ ذراعيّ حول رقبته لأقرّبه وأضيع بين إيقاع البحر وقُبلتنا. كان بمقدوره إضرام النار في داخلي حتى في أبرد الأماكن، وقلقتُ من أن تلتهمني تلك النيران بالكامل ذات يوم. سرعان ما قامَ بقطع القُبلة، وفي أوقاتٍ كهذه فكّرتُ أنه مُحقّ: يجب أن نُعلن نوايانا للعالم ونتزوج على الفور، وبعدها نُمارس التقبيل كلّما رغبنا فيه.

"هل يُمكنني قول ما لا يُفترَض بي قوله؟" سأل بنبرةٍ جادة وسحبتُ نفسًا عميقًا، فاعترافهُ بالتردّد يعني أنّني بالتأكيد لن أرغب في سماع ذلك. قُلت: "لقد قطعنا وعدًا بعدم الكذب على بعضنا البعض."

"حسنًا، ها هي الحقائق." تفحّصَني مرةً أخرى بتعبيرٍ **رقيق**. "لا شيء يُمكن القيام به من هنا بشأن ليزا. يُمكننا اتخاذ **الترتيبات** اللازمة للعودة إلى لندن بمجرد وصولنا إلى أميركا، لكن **في الوقت**

الحالي لدينا مشكلة حقيقيّة تتمثّل بوجود قاتل على متن سفينتنا. قد تكون حادثة القتل مُنفردة، لكنني أشكّ في أنّها ستبقى كذلك."

سارَت قشعريرة على ذراعي. لم تكن استنتاجات توماس خاطئة يومًا ما. إذا كان يعتقد أنّنا سنشهد المزيد من جرائم القتل فهي مسألة وقت قبل العثور على الجثث.

"ماذا تقترح أن نفعل؟" سألتُه وأنا أفرك أكمامي بيديّ.

"سعيدٌ لأنّكِ سألت، كنتُ أفكّر في هذا لبعض الوقت."

"و؟"

"أنا أؤيّد فكرة الاختباء في غُرفتكِ لبقيّة الأسبوع." بدَت ابتسامة على شفتيه وأنا أرفع حاجبي. "سنشرب ونتبادل القُبل، ونُمارس بعض المُحرّمات حتى نصل إلى نيويورك." تنهّدَ حالمًا. "يجب أن تعترفي أنّ ذلك سيجعلنا في مأمن من القاتل، وفي سعادةٍ خياليّة، وكلا الخيارين أفضل بكثير من الوقوف فوق الجثث."

قلبتُ عينيّ. "أو يُمكننا إنهاء تشريح الجثة لنرَ ما نجدهُ فيها."

"خيارٌ أقلّ متعة وأكثر شجاعة، كما هو الحال معكِ دائمًا يا وادزورث. لكن عمّكِ يرغب في استئناف التشريح غدًا، بناءً على طلب القبطان." زفرَ ولمحتُ قلقًا في عينيه. "لقد تمّ تكليفي بمُرافقتكِ إلى الفراش، وهي مهمّة صعبة لكنّني سآخذها على محمل الجدّ، أؤكدُ لكِ ذلك."

هززتُ رأسي. لقد سحبَني توماس من أعمق مخاوفي وأعادَ لي تركيزي... وفوق ذلك كان قادرًا على سرقة قُبلةٍ أخرى. لم أستطع إنكار مدى جاذبيّة أساليبه ونحن نسير يدًا بيد في طريقنا إلى نهاية الممشى.



# 3
# الآس السُباتي

## غرفة أودري روز - الباخرة إتروريا
## 1 يناير 1889

قامَت إحدى العاملات بضفر شعري، وساعدَتني في ارتداء ثوب نوم قطني بأكمام مزينة بالدانتيل دون أن تنبس ببنت شفة. رغمَ أنّ غالبية الركاب اعتقدوا أنّ مقتل الآنسة بريسكوت كان عرضًا مُتقَنًا فقد بدا أنّ معظم أفراد طاقم السفينة يحبسون أنفاسهم طوال الوقت، في خوفٍ من وقوع كابوسٍ آخر قريبًا.

فورَ رحيلها أطلقتُ تنهيدة تعب ونظرتُ حولي. لقد تمّ تجهيز غرفة نومي الجميلة بمنضدةٍ من الرخام، وأخرى خشبيّة للزينة، مع طاولة صغيرة وكراسي وخزانة ملابس كانت ستُسعد الملك لويس شخصيًا بزخارفها الذهبيّة الدقيقة. مع ذلك لم تنجح البراغي الكبيرة والفولاذ المُحيط بالنافذة الصغيرة في إخفاء حقيقة المكان، وتسرّبَت قشعريرة برد من بين شقوق غطاء فخامة المظهر. لم تكن سفينتنا الفاخرة سوى سجنٍ عائم.

ارتديتُ زوجًا من الجوارب السميكة واستلقيتُ على سريري، مع أنّ النوم كان أبعد شيء عن عقلي بوجود كل تلك الأفكار الدائرة

فيه. التقطتُ بطاقة الآس السباتي التي وجدتُها عالقةً في جسد الآنسة بريسكوت وفحصتُها.

ترى ما علاقتُها بجريمة القتل هذه؟ فكّرتُ في بضع إجاباتٍ مُحتملة، أبرزها يتعلّق بالحيل السحريّة.

كانت ألعاب الخفّة شيئًا لم أفكّر فيه من قبل، رغم أنّني رأيتُ سحرة الشوارع وهم يتلاعبون بورق اللعب في لندن. لا بدّ أنّهم تدرّبوا لساعاتٍ طويلة لكي تجري الخدعة بتلك السلاسة، إذ كانت ألاعيبهم مستحيلة الكشف للعين غير المُدرَّبة. أمرٌ لا يختلف كثيرًا عن عمل أيّ قاتلٍ ماكر.

مسرح الجريمة مليءٌ بنوعه الخاص من ألعاب الخفّة، فقد حاول القتلة اختلاق المشاهد والتلاعب بها لإخفاء نواياهم الحقيقيّة وهويّاتهم. كان مفيستوفيليس موهوبًا في فنّ التضليل، وهذه حقيقة لا تُنكر. لقد جعلَ المرء ينظر باتجاه حينما توجّبَ عليه النظر بالاتجاه المُعاكس، ولو لم يكن على خشبة المسرح عندما قُتِلت الآنسة بريسكوت لكان المتّهم الرئيسيّ.

نهضتُ وقلبي يخفق بعد أن فهمتُ أخيرًا افتتاني الزائد بعرض سيّد الحلبة الشابّ. كنتُ أرغب في تعلّم مهاراته الفريدة تلك، فاستخدامُ هذا الجزء من عقلي وأنا أضع نفسي داخل أذهان المجرمين والقتلة سيكون مُفيدًا للغاية. أزعجَتني فكرةٌ دارَت في أطراف عقلي، فكرةٌ ضبابيّة بعيدة قد يكون من المستحيل تنفيذها. إذا كان بإمكاني تضليل توماس كريسويل، وجعله يُصدّق المستحيل - أنّ مشاعري نحوه قد تغيّرَت - عندها سأعرف على وجه اليقين أنّني بتُّ خبيرةً في هذا الفنّ...

بعد أن تخلّيتُ عن تلك الخطّة، عدّلتُ وضعي بين وساداتي وقلّبتُ ورقة الآس السباتي باحثةً عن أيّ دليل. لقد تم طعنها من الوسط وتلطّخت بالدم الجاف، لكن الجزء الخلفي كان له تصميم مثيرٌ للاهتمام حقًا. غرابٌ غامقٌ كالحبر، يفتح جناحيه أمام قمرٍ فضّي، وقد التفّت الكروم والأشواك بشكلٍ معقّد حول حافات البطاقة بضرباتٍ سوداء كثيفة.

أمّا في منتصف الأعلى والأسفل فقد رُسِم رقم ثمانية مزدوج على الجانبين، متداخلَين مع بعضهما.

تجنّبتُ لمس المكان الذي مزّقتهُ السكين، في حالة إنكارٍ لمقتل الآنسة بريسكوت وهي بجانبي وأنا بلا حولٍ ولا قوّة. فقط لو لم يقُم عمّي...

جفلتُ في إثر طرقةٍ خفيفة على الباب الذي يربط بين غرفتي وغرفة مُرافقتي، وصحوتُ من اجترار الأفكار. رفعتُ نفسي لأضع البطاقة على منضدتي ثمّ لففتُ رداءًا مطرّزًا بزهور الأوركيد حولي. اقشعرّ بدني بملمس الحرير البارد والناعم كالسائل على أجزاء جسدي غير المُغطاة بثوب النوم.

"ادخُل."

"إنها أنا يا عزيزتي." فتحَت السيدة هارفي الباب، بصينيّة شاي صغيرة وازنَتها على وركها الواسع. "فكّرتُ أنّ شيئًا دافئًا سينفعُك. أحضرتُ أيضًا دواء السفر خاصّتي، في حال رغبتِ في شيءٍ أكثر دفئًا."

ابتسمتُ مستذكرةً التسمية الذكيّة التي أطلقَتها على مشروبها الروحيّ خلال سفرنا إلى رومانيا الشهر الماضي. تأرجحَت قنّينتها

ذات النقوش على الصينيّة، وكانت رائحة الكحول الحادة قد وصلَت إلى حيث جلست، وقرّرت أنّه فعلًا سيُدفئني بسرعة لكنه قد يحفر ثقبًا في معدتي خلال ذلك.

"الشاي يفي بالغرض الآن، شكرًا." ذهبتُ للانضمام إليها على الطاولة الصغيرة، لكنها أوقفَتني بهزّ رأسها بقوة. صبّت لي الشاي ثم رافقَتني نحو السرير قبل أن تدفع الكوب الساخن في يدي. فاحت رائحة البرغموت والورد فورًا في الهواء لتبعث فيَّ الراحة. "شكرًا لك."

"آه يا صغيرتي." جلسَت بجانبي وهي تأخذ جرعةً سخيّة من دوائها. "لا داعٍ لشُكري، كنتُ شخصيًا بحاجةٍ إلى صُحبة. هذا يجعل شرب دواء السفر أسهل." نظرَت إلى ورقة اللعب على منضدة السرير خاصّتي. "ترمز إلى الثراء."

سألتُها: "عفوًا؟"

"لقد عملَ زوجي في شبابه في قراءة الطالع عبر أوراق اللعب، وهكذا التقينا." بانَ الحزن على وجهها. "لقد كان سيئًا للغاية في ذلك، رحمه الربّ، رغم أنه كان موهوبًا جدًا في مجالات أخرى."

"كيف حالكِ الآن؟" سألتُها لأغيّر الموضوع، إذ لم أرغب في معرفة المواهب التي ذكَرتها. "لقد كان يومًا حافلًا."

قالت عائدةً إلى الحاضر: "لا أعرف كيف تُحافظان أنتِ وتوماس على العقل اللازم للقيام بعملِكما، لكنّني فخورةٌ بكما. أنتُما ثنائيٌّ رائع في التدريب المهنيّ وفي الأمور الأخرى. هل أفصحَ توماس عن نواياه؟"

قرّبتُ وجهي من كوب الشاي، على أمل أن يبدو احمراره بسبب

البخار المُتصاعد. "بلى... حسنًا، أعتقدُ أنه يرغب في التحدّث مع والدي في هذا الشأن."

"إنه ليس شابًا تقليديًا. ليُساعده الربّ، أمامه الكثير ليتعلّمه عن أساليبه في التصرّف لكن قلبه نقيّ." تناولَت السيدة هارفي رشفةً أخرى وهو تنظر إليّ عبر نظّاراتها. "ستُسعِدينه جدًا يا أودري روز، والأهمّ من ذلك أنّهُ سيُسعدكِ للغاية في المقابل." مسحَت دمعةً في طرف عينها. "هذا ليسَ لائقًا... لكن، تفضّلي."

دون قول المزيد سلّمَتني ورقةً مطويّة، لم يكن عليها اسم أو مغلّف. نظرتُ إليها سائلةً: "ما هذه؟"

أخذَت السيّدة هارفي قنّينتها واتجهَت نحو الباب رافعةً كتفها. "لا أعرفُ ما تعنيه يا عزيزتي. أنا امرأةٌ عجوز مرّت لتقول مساء الخير. أنامُ مثل الموتى، لذا عليكِ الصراخ إن احتجتِني، ولن أسمع إن تمّ فتح بابك أو غلقه."

غمزَت لي قبل أن تُغلق باب جناحنا لتتركني فاغرة الفاه. من الواضح أنها لم تكن غافلةً عن مُغازلات توماس في الشهر الماضي كما بدَت. لم أتعِب نفسي في التفكير بكيفيّة إقناع توماس لها للمُشاركة في مُخطّطه الجديد، بل فتحتُ الورقة مباشرةً لأرى رسالةً قصيرة بخطٍّ أنيق لم أميّز صاحبه حتى قرأتُ الكلمات:

"من فضلكِ، أرجو أن تُقابليني على الجانب الأيمن من **مُقدّمة** السفينة عند منتصف الليل، لوحدِك."

اشتدّت نبضات قلبي على الطلب المكتوب في **سطرٍ صغير** واحد.

لم تكن هذه المرة الأولى التي يطلب فيها توماس **أن نلتقي في**

مكان ما في وقتٍ غير لائق بدون مُرافق، لكن هذه المرّة لم نكن في مدرسةٍ داخليّة خالية في معظم الوقت في رومانيا، بعيدًا عن عيون الفضوليّين. إذا تمّ الإمساك بنا لوحدنا هنا - بين أفراد الطبقة الراقية - فسوف أُعتبَر فتاةً رخيصة وستتحطّم سُمعتي. في المقابل، ربّما يكون توماس قد توصّلَ لنظريةٍ جديدة أو اكتشف دليلًا آخر يكشف عن قاتل الآنسة بريسكوت. احتارَ فضولي التعيس بين الاحتمالات الواردة.

حدّقتُ في الرسالة للحظةٍ أخرى وعضضتُ شفتي، مُتفاجئةً من طلب توماس لأحد المُرافقين كتابة مثل هذه الرسالة الشخصيّة. يُمكنني التظاهر بأنّني لم أستلمها قطّ، وبهذا أفعل الشيء المهذّب واللائق المتوقّع مني، لكن هذا الخيار كان مُملًّا للغاية. تخيّلتُ شفتَي توماس على شفتيّ ويداه داخل شعري الداكن، وأنفاسنا تأتي في شهقاتٍ قصيرة بينما كانت يداه تتحرّكان ببطء عليّ لتستكشفاني وتُثيراني. لقد تقتُ لِلمساته بغضّ النظر عن كل شيء.

نظرتُ إلى الساعة الصغيرة على منضدتي، كان الوقت حوالي منتصف الليل.

ألقيتُ نظرةً أخرى على ردائي الحريريّ وثوب النوم المزيّن بالدانتيل، لم يكن لديّ وقتٌ كافٍ لتغيير الملابس والذهاب إلى الجانب الأيمن من السفينة دون أن يفتضح أمري.

مع ذلك فالخروج في ثيابي الحاليّة قد يتسبّب في أزمةٍ قلبيّة لأيّ شخص آخر قد يراني في منتصف الليل، وبدَت تلك بالضبط إحدى خطط توماس المُنحرفة التقليديّة.

"الوغد." ابتسمتُ وأنا ألبس عباءتي الشتويّة، ثمّ أخذتُ مشرطًا

من حقيبتي الطبّية للشعور ببعض الأمان، وتمنّيتُ لنفسي حظًا سعيدًا قبل أن أتسلّل خارجةً من باب غرفتي.

***

خلال ساعات النهار كانت الإترووريا تزخر بمظاهر الرفاهية والسفر البعيد، بصواريها الضخمة ومداخن البخار الكبيرة خاصّتها. كان يجري تلميع أرضيّاتها الخشبية وصقلها حتى تتلألأ أشعة الشمس عليها مثل الماس، بينما أعطى السقف المُغطّي للممشى إضافةً جميلة إلى الممر اللؤلؤي لركّاب الدرجة الأولى. في الليل بدَت نفس تلك التفاصيل مسكونةً وخطيرة. كان السقف المتدلّي أشبه بفمٍ مفتوح في انتظار التهام ضيوفه، ونفس الأرضيات اللامعة تُذكّرني الآن بلسانٍ يسيل منه اللّعاب. كما بدَت قوارب النجاة المثبّتة على الجدار أماكن مثاليّة للاختباء من الأشرعة الضخمة، التي التفّت كأنّها أجنحة لمخلوقات بحريّة عملاقة تصطاد اللحوم الطازجة. أضف إلى ذلك نفث المداخن والضباب الحائم حول السياج، وعندها قد يكون أيّ شيء كامنًا يتربّص هناك، أو بالأحرى أيّ شخص.

"هذه حماقة." همستُ وشددتُ عباءتي ذات الفرو بقوّة لأقاوم القشعريرة. لو لم تكن الآنسة بريسكوت قد قُتِلَت لألقيتُ اللوم بالكامل على مخيّلتي الواسعة في تحويل السفينة إلى مخلوقٍ مُخيف، لكن يُمكن حقًا أن يكون هُناك شيءٌ يختبئ في الظلّ، مُنتظرًا غرس مخالبه في ظهري. قرّرتُ فجأةً أنّني لا أحبّ السفر عبر البحار مطلقًا.

من الأفضل لتوماس أن يختار مكانًا أكثر منطقيّة للقاءاتنا السرّية المستقبلية، حبّذا أن يكون في غرفة مُغلقة بالقرب من مدفأة، بعيدًا

عن الممرّات الفارغة والمياه المُتلاطمة. اصطكّت أسناني وأنا أسرع الخطى عبر الممشى، مُحاولةً الانتباه إلى أيّ شيء يبدو في غير محلّه، رغم صعوبة معرفة ذلك على وجه الدقّة لأنّني لم أسافر على متن سفينة مُشابهة من قبل.

ضربَت الرياح الممر المكشوف بصوت عواءٍ تحذيريّ منخفض وصرَّت الحبال. بدا كلّ صوت جديد كإبرةٍ تخترق عروقي، وأمسكتُ بالمشرط بإحكام دون رغبة في طعن أيّ شخص بالخطأ. لقد احتجتُ إلى كبح جماح مشاعري وإلّا قد أؤذي شخصًا ما، وأوّلهم توماس.

أبطأتُ خطواتي عندما اقتربتُ من مقدمة السفينة. لم أرَ خطيبي المستقبليّ لكن من المفترض أنهُ قد وصل. جاهدتُ للنظر حول المصاطب والكراسي التي تم تثبيتُها على الأرض. كان من الصعب رؤية شيء عدا الصور الظلّية تحت السماء المغطاة بالغيوم، أمّا فوانيس الممشى فكانت إمّا مُطفأة وإمّا ذات ضوء قصير المدى. قلّ خوفي بعد تأكّدي من عدم وجود أحدٍ يُلاحقني.

"توماس؟" همستُ وأنا أقترب نحو المقدّمة. في هذا الجزء من السفينة كانت الرياح بلا رحمة، فضممتُ ذقني إلى صدري رغمَ أنّ ذلك لم يُساعد كثيرًا. إن لم يظهر توماس قريبًا سوف...

حينَها مشى صَوبي، صورةٌ ظلّية في هيئة بشريّ، وتسارعَ نبضي.

"هل كان هذا المكان الدراميّ ضروريًا حقًا يا كريسويل؟"

توقفَ على بُعد أقدامٍ قليلة من حيثُ وقفتُ مُرتجفة، وقلبتُ عينيّ بينما كان يتفحّصني قبل تفقّد ما حولنا. لم يقترب مني أكثر فزادَ انزعاجي؛ لم تكن تلك هي التحية الدافئة التي تخيّلتُها وأنا أتسلّل في جوّ السفينة المتجمّد.

"حسنًا؟ أنا على وشك الاحتضار. ما الأمر العاجل الذي دفعَنا للّقاء هنا في هذه الساعة؟ هل لديكَ جديد عن الآنسة بريسكوت؟"

أمالَ رأسه جانبًا في لحظة تفكير، عندَها لاحظتُ انعكاسًا طفيفًا للضوء على وجهه. بدا أنّ جزءًا من ملامحه مغطى بـ... شهقت.

"آسفٌ لتخييب أملكِ يا آنسة، لكن اسمي ليس كريسويل."

اقترب مفيستوفيليس منّي في خطوةٍ مترددة. "رغمَ فضولي حول مُوافقة آنسة شابّة بمكانتكِ على مثل هذا اللقاء المُحرّم."

رفعتُ المشرط ولعنتُ يدي على ارتجافها، لِكشفها مدى خوفي.

"ما... ماذا تريد؟" بإمكاني أن أقسم أنّ الريح كانت تجري بمشيئته، وهي تُزمجر وتتخلّل كلّ منفذ في ملابسي لتشقّ طريقها إليّ. تقدّمَ مفيستوفيليس وعباءته ترفرف خلفه. لم أؤمن بمثل هذه الأشياء لكنه في هذه اللحظة بدا وريث الشيطان حقًا، كما ادعى كبير القضاة بريسكوت. "تـ- توقف، وإلّا أقسمُ أنّني سـ- سأقطعُ شريانك. أعرفُ بـ- بالضبط أين أضربُ يا سيّد."

لا أعرف ما توقّعتُ منه، لكنه فاجأني بضحكةٍ عالية قبل أن يخلع عباءته بتأنٍّ لكي لا يدفعني إلى الانقضاض عليه.

"على عكس ما تظنّين أنا لا أقومُ بما من شأنه قتل الشابّات. لو سمحتِ،" مدّ عباءته نحوي. "خُذي هذه. إنها مصنوعة من نسيج الأنغورا، أضمنُ لكِ أنّكِ لن تجدي ثوبًا آخر بمثل دفئها أو **نعومتها**."

أطبقتُ أسناني وأنا أنظرُ إلى العباءة، إذ لم أرغب في **قبول أي شكل** من أشكال المُساعدة من هذا الشابّ ذي المظهر الشرّير. **ابتسم** ببطء. "حسنًا. سأضعها على هذا الكرسي ويُمكنكِ أخذها **بنفسك**."

وضعَها بحذر ثم تراجع وهو ينحني بسُخرية. "عباءتك تنتظركِ أيتها السيدة الجذّابة."

"ماذا تـ- تُريد؟" كرّرتُ سؤالي وأنا أحمل سلاحي على أهبّة الاستعداد، لكنهُ عقدَ ذراعيه مُحدّقًا في الثوب. زفرتُ بصوتٍ عالٍ ثم رفعتُها لأرتديها. قاومتُ الرغبة في فرك خدي على نعومتها الفائقة، وفي غضون ثوانٍ انتشرَ الدفء في جسدي وخفّ ارتجافي. عاد للابتسامة الماكرة التي زالت بعد تلويحي بسلاحي نحوه مرةً أخرى. "أجِب على سؤالي وإلّا سأنصرف."

جلسَ على أقرب كرسي واضعًا إحدى رجليه فوق الأخرى، دون أن تبدو عليه أيٌّ من علامات البرد في سترته القرمزيّة تحت عواء الرياح المُستاءة. ربّما لم يكن بشريًا بالكامل، وهذا من شأنه تفسير موهبته العجيبة في الخدع السحريّة. لأوّل مرة انتبهتُ لقفّازاته: كلّ واحدة منها تحمل هلالًا مخيطًا على ظاهرها مع نجوم على مفاصل الأصابع. كانت رائعة.

"لديّ عرضٌ لك." بدأتُ أهزّ رأسي بالرفض لكنه رفعَ يده. "أعتقدُ أنّها ستكون صفقةً نافعةً للغاية. لقد رأيتُ تصرّفاتكِ خلال الحادث المؤسف هذا المساء، كنتِ تُحلّلين الأمر بهدوء وسط ذعر الآخرين. كنتِ تبحثين عن التفاصيل والأدلّة، وهذه مهارةٌ أنا في حاجةٍ إليها."

قلتُ ببرود: "نعم، من المؤسف جدًا العثور على حوالي دزينة من السكاكين في ظهر شخصٍ ما. كم أنتَ موهوب في تحويل جريمة قتل امرأةٍ شابة إلى مجرّد حادثٍ مؤسف، ثم تُحاول استخدامهُ لِصالحك. أنتَ مُقرف."

نظرَ إليّ من مقعده. "لُميني قدر ما تشائين، لكن تبقى هُناك حقيقة أنهُ أمرٌ مؤسف. هل ستشعُرين بتحسّن إذا ذرفتُ دمعة؟"

شعرتُ أنّ استفسارهُ كان صادقًا، كأنهُ فكّرَ فعلًا في استغلال هذه الفرصة لإظهار مهاراته في التمثيل. "لقد نلتُ كفايتي من التعاسة لهذه الليلة. اسمح لي –"

"جئتُ لتقديم إشرافي مُقابل مساعدتِك. بناءً على الفضول الذي أظهرتِه خلال العرض أعتقدُ أنّكِ ترغبين في تعلّم مهارات ألعاب الخفّة، كما أرغبُ في الحفاظ على شيءٍ عزيزٍ جدًا عليّ. يُمكنكِ مساعدتي في ذلك."

"لا رغبة لديّ في تعلّم خُدع يا سيّد."

قدّمَ نظرةً توحي بأنّني كاذبة. "لن تجدي مُعلمًا أفضل مني."

"لكن قد أجد واحدًا أقلّ غطرسة." أرغمتُ نفسي على التنفّس. لم أرغب حقًا في تعلّم السحر لكنهُ كان قريبًا من تخمين الحقيقة التي فضّلتُ إخفاءها. "على أيّة حال، آسفة لإخبارك بهذا سيّدي لكنّني لا أؤمن بالهراء الذي يُدعى السّحر. أنا عالمة، لذا لا تُهنّي بأدائكَ المسرحيّ الرخيص. لو كانت ادعاءات دجّاليك صحيحة بخصوص قراءة الطالع لَما تكبّدتَ هذا العناء."

"أدائي الرخيص؟" قفزَ من كرسيه لِيخطو بضع خطوات في اتجاهي. وقفتُ في مكاني أراقبهُ وهو يمدّ يده ببطء قبل أن يُخرِج بطاقةً من الفراغ الذي يفصل بيننا.

"السّحر عِلم. إنهُ ببساطة إظهارٌ للناس كيف أنّ المستحيل قابلٌ للتحقيق."

حدّقتُ في البطاقة، وخفقَ قلبي وهو يُمرّرها بين أصابعه. كان

من الصعب التأكّد في الضوء الخافت لكنّها بدَت مُشابهةً لورقة اللعب المميّزة التي لُصِقَت بجسد الآنسة بريسكوت. هممتُ برفع المشرط ثانيةً لكنّني لم أرغب في كشف التغيّر في موقفي. إمّا أنّ مفيستوفيليس وراء قتل الآنسة بريسكوت وإمّا شخصٌ له إمكانية الوصول إلى بطاقاته. رجّحتُ الاحتمال الثاني لوقوفه على خشبة المسرح وقت الجريمة.

كان يُراقبني عن كثب دون حواجز، وأمكنَني بسهولة رؤية لمعان الذكاء في عينيه. "هل تنكُرين جاذبيّة خفّة اليد أيضًا؟ هل تهتمّين فقط بنوع واحد من العلم، أم ترغبين في توسيع معرفتك؟"

"ألم تُحذّر بنفسِك من قبول صفقات منتصف الليل مع فنّانيك؟ على عكس ظنّك،" قلتُ مُعيدةً كلماته السابقة عليه. "لستُ على وشك ارتكاب حماقة. الآن إذا سمحتَ لي فقد تأخّر الوقت وكانت هذه مضيعةً لِوقتنا. ليلة سعيدة سيّدي."

مررتُ بجانبه دون أن أكلّف نفسي عناء النظر إليه عندما هتف: "تبقى صفقتُنا مُتاحة. لديّ شعور أنّكِ ستُعيدين التفكير فيها قريبًا جدًا. في النهاية ما القتل إلّا شكلٌ من أشكال ألعاب الخفّة، أليس كذلك؟"

أملتُ أنه لم يلاحظ تعثّر خطواتي وأنا أسرِع عبر الممشى المظلم، مُتجاهلةً القشعريرة التي سارَت على طول جذعي. القتل بالفعل شكلٌ من أشكال ألعاب الخفّة، وإذا كان القاتل موهوبًا بما فيه الكفاية فقد يُفلت من العقاب.



# 4
# وضعٌ شائك

## جناح آل بريسكوت – الباخرة إتروريا
## 2 يناير 1889

عبثتُ بأزرار اللؤلؤ على قفّازي بينما كان عمّي يدقّ باب كبير القضاة بقبضته. علَت أصواتٌ غامضة على الجانب الآخر لكنّها لم تكفّ عن الجدال، فانتظرَ عمّي بضع لحظات قبل أن يُعيد الطَّرق. لقد استيقظ قبلي ليُكمل تشريح الآنسة بريسكوت بمُفرده، تاركًا لي الكثير من الوقت للتفكير في أحداث اليوم الماضي برَويّة.

حدّقتُ بشرود في البراغي المُحيطة بالباب. بالكاد نمتُ خلال الليلة السابقة وواصلتُ التقلّب في الفراش حتى خلتُ أنّني سأجنّ، فبالإضافة إلى صفقة مفيستوفيليس الليلية الغريبة ومقتل الآنسة بريسكوت كان هناك عبء القلق المستمر بشأن ليزا. فكّرتُ في التوسّل للقبطان نوروود لكي يستدير بالسفينة عائدًا إلى إنجلترا، لكن بدلاً من ذلك كان عليّ التحمّل بانتظار مرور هذه الأيام البائسة. الصبرُ فضيلةٌ كريهة حقًا.

"هل سمعتِ شيئًا ممّا قُلت؟" لوّح توماس بيده أمام وجهي رافعًا إحدى زوايا فمه. "إنهُ أمرٌ رائع حينما تقومين بذلك."

"أقومُ بماذا؟ التفكير؟ آسفة." دفعتُ يده بعيدًا.

"لا داعٍ للأسف." ابتسم ابتسامةً عريضة. "تعلمين أنّني لا أمانع عندما تحلمين بي أحلام اليقظة."

نظرَ عمّي إلينا من فوق كتفه. "هل من المُمكن أن تتصرّفا بشكل لائق لخمس دقائق؟"

"لم أفعل شيئًا!" رفعتُ يديّ باحتجاج. "كنتُ أفكّر فقط في جريمة الليلة الماضية. لقد ذكرَت السيّدة هارفي شيئًا عن قراءة الطالع باستخدام ورق اللّعب، قد يستحق الأمر بعض التحقيق."

تمتمَ العمّ بشيءٍ بدا فظًّا ثم طرقَ الباب مرةً أخرى، فَخطا توماس نحوي وقال عبر تحريك شفاهِهِ دون صوت: "وماذا عن تخيّلكِ لي دون ملابس؟"

قبل أن أردّ عليه ردًّا وقحًا فُتِحَ الباب، وفي لحظةٍ اختفت الابتسامة اللّعوب عن وجه صديقي ليستبدلها بتعبيره البارد الذي كان يغمر ملامحه دومًا عند مُراقبة الناس. توقّعتُ رؤية كبير القضاة بريسكوت، لكن الذي استقبلَنا رجلٌ أقصر قامةً وأكثر بدانةً وصلعًا.

"يومٌ سعيد يا سادة،" قال الكلمات دون علامةٍ على أنهُ يعنيها فعلًا. "ويا سيّدة. بِمَ أساعدُكم؟"

قال عمّي: "أنا دكتور جوناثان وادزورث من لندن، وهذان مُتدرّباني السيّد توماس كريسويل والآنسة أودري روز وادزورث. لقد جئنا لمقابلة السيد بريسكوت. هُناك بعض الأسئلة التي نحتاج إلى إجابةٍ عنها بخصوص الأيام القليلة التي سبقَت مقتل ابنته. لن يأخذ الأمر سوى بضع دقائق من وقته."

دفعَ الرجل الممتلئ كتفيه إلى الخلف مُحاولًا النظر باستعلاء،

رغمَ أن عمّي كان أطول قامةً منه. "أخشى أنّ هذا غير مُمكن في الوقت الحالي. لقد قمتُ بإعطائه عقارًا لتهدئة أعصابه." مدّ يده نحونا. "أنا دكتور فيليب آردن."

تبادلتُ مع توماس رفع الحواجب. لم تجري العادة على إعطاء الرجال عقاقير مُهدّئة، في مفهومٍ مجتمعيّ أحمق يدّعي أنّ الرجال لا يمرّون بمثل هذه المشاعر، لكنّني اهتممتُ أكثر بالكذبة الواضحة. لقد سمعنا الرجلَين للتوّ وهُما يتجادلان خلف الباب المغلق.

أومأ عمّي قائلًا: "أيّة معلومةٍ يُقدّمها السيد بريسكوت ستفي بالغرض، حتى في وضعه الحالي."

قال الدكتور آردن وهو يُغلق الباب ببطء في وجوهنا: "أخشى أنني أصرّ على تأجيل المُقابلة، يحتاج الزوجان بريسكوت إلى وقت للتعامل مع فقدان ابنتهما الوحيدة المُفاجئ. لا بدّ أنّكم تفهمون الحاجة إلى هذا الأمر؟"

عضضتُ لساني. أرادَ جزءٌ مني التحدّث بحزم عن أهميّة كشف أيّة أدلة قبل أن تضيع في الذاكرة، مع ذلك كنتُ أعلم أنّ هذه وجهة نظر قاسية نظرًا للظروف. لقد قُتِلت ابنتهم الوحيدة بوحشيّة أمام أعينهم، وإن كانوا بحاجة إلى بعض الوقت للحزن فهذا أقلّ ما يُمكن تقديمه لهم.

سمعنا صرير فتح باب في الممرّ لكنّ أحدًا لم يخرج، فنظرتُ إلى توماس وحرّكتُ رأسي في اتجاه الصوت. خطا خطوةً نحو تلك الغرفة وتوقّف مومئًا برأسه: كان أحدهم يتنصّت. عاد ذهني إلى محادثة دكتور آردن وعمّي، على أمل أن تنتهي بسرعة.

رضخَ العمّ: "حسنًا، من فضلك بلّغهُ بزيارتي. سأعودُ ثانيةً في

وقـتٍ لاحـق مـن هـذا المسـاء."

قمـتُ بثنـي ركبتـيّ فـي تحيّـة انصـراف مهذّبـة، وقبـل أن يـردّ دكتـور آردن برفـع قبعتـه مشـيتُ بسـرعة فـي الممـرّ. كنـتُ علـى وشـك رفـع قبضتـي لقـرع البـاب عندمـا لاحظـتُ السـيدة بريسـكوت تُحـدّق بشـرود، بعينيـن مُحمرّتَيـن مـن حُـزن الفَقـد.

"سيّدة بريسكوت..." تحرّكتُ ببطء أمامها. "هل تحتاجين إلى–"

"لقـد أخبرتُـه أنّنـا يجـب أن نرفـض العـرض،" قالـت وعيناهـا مُعلّقتـان باتجـاه المُحيـط. "كبريـاؤه هـو مـا قضـى عليهـا."

شـعرتُ أنّ عمّـي وتومـاس يحومـان خلفـي فرفعـتُ يـدي لأوقفهُمـا. "مـا العـرض الـذي أقلقـكِ؟ هـل كان شـيئًا تلقّيتِـه قبـل الصعـود إلـى السـفينة؟"

حملقَـت فـي وجهـي كأنّهـا أدركَـت للتـوّ أنهـا لـم تكـن تتحـدّث مـع نفسـها. "رسـالة. لقـد تلقّينـا دعـوة، كمـا فعـل آل آردن." ضحكَـت بمـرارة. "ضيـوفٌ مُوقّريـن حقّـا! يسـتمتع روبـرت بتصديـق الصّحـف، وأنّ مكانتـه يطمـح إليهـا الكثيـرون. مـن المُحـال أن يُفـوّت أيّـة فرصـة للتباهـي بذلك. الغـرور خطيئـة."

ضغطـتُ عليهـا قائلـةً: "هـل يعـرف السـيّد بريسـكوت مَـن أرسـل الرسـالة؟ هـل يُمكننـي رؤيتهـا؟"

سـالَت دمعـة علـى خدّهـا وتلتهـا أخـرى، ثـم وجّهَـت انتباههـا إلـيّ بالكامـل لتُذيـب عواطفهـا قلبـي. "مـا نفـع ذلـك؟ لقـد رحلَـت أوليفيـا خاصّتـي."

تحـرّكَ تومـاس وأصابعـه تنقـر علـى جانبيـه. ذكّرَنـي بوضـع كلـب الصيـد الـذي شـمّ رائحـة طريـدة وعـزمَ علـى مطاردتهـا مهمـا كلّـف

الأمـر. حاولـتُ إمسـاكه بيـدي لكنـه أزاحَهـا بهـدوء.

"سَـيدة بريسـكوت، هـل لـي بإبـداء رأيـي؟" سـألها فأغمضـتُ عينـيّ؛ لـم تكـن مُراعـاة الغيـر مـن ضمـن صفـات تومـاس الحميـدة التـي أعرفها. "لقـد مـررتِ بمأسـاةٍ لا يُمكـن لمعظـم النـاس تخيّلهـا أو تحمّلهـا. مـع ذلـك هـا أنـتِ واقفـةٌ، حيّـةً تتنفّسـين، وهـو أصعـب شـيء تقومين بـه الآن. غالبًـا مـا يُعجَـب النـاس بالقـوّة البدنيّـة، لكنّنـي أعتقـد أنّ الأمـور البسـيطة التـي يقـوم بهـا المـرء بعـد وقـوع المأسـاة هـي التـي تميّـزه. لا دليـل علـى القـوّة أعظـم مـن الاسـتمرار فـي العيـش عندمـا لا ترغبيـن سـوى فـي الرقـود وتـرك العالـم يتلاشـى حولـك. قوّتُـك وإصـراركِ ضروريّـان الآن لمُسـاعدتنا فـي القبـض علـى مَـن فعـل هـذا بابنتِـك. لقـد رحلَـت الآنسـة أوليفيـا، لكـن مـا سـتفعلينهُ بعدهـا سـيخدم السـعي لتحقيـق العدالـة التـي تسـتحقّها."

أذهلَنـي كلامـه وأصبحـتُ عاجـزةً تمامًـا عـن التعقيـب. بـدَت السـيدة بريسـكوت بنفـس القـدر مـن الذهـول، لكنّهـا تحرّكـت بسـرعة لتختفـي داخـل غرفتهـا. وقفـتُ هنـاك بفـمٍ مفتـوح لا أعـرفُ تومـاس كريسـويل الـذي بقُربـي. ابتسـمَ ابتسـامةً سـريعة قائـلًا: "حيـاةٌ مليئـة بالمفاجـآت، أتذكُريـن يـا وادزورث؟"

"حقًـا." لـم أتخيّـل مسـتقبلًا لا يتضمّـن كشـف كل سـرّ مـن أسـراره. عـادَت السـيدة بريسـكوت أخيـرًا إلـى حيـث وقفنـا فـي المدخـل، وقالـت وهـي تنشـج: "تفضّلـوا، لأجـل أوليفيا."

أخـذَ تومـاس الخطـاب بعنايـةٍ فائقـة، وأمسـكهُ علـى صـدره. "سـنجد مَـن فعـل هـذا، سـيّدة بريسـكوت، وسـوف يدفـع الثمـن." نظـرتُ إلـى تومـاس وقـد أرسـلَت نبرتـه قشـعريرة علـى بشـرَتي. لـم أشـكّ للحظـة

في أنه سيُقاتل بكل ما يملك لحلّ هذه القضيّة.

ابتلعت السيدة بريسكوت ريقها بصعوبة. "إذا سمحتُم لي، أحتاجُ للاستلقاء مرةً أخرى."

ودّعناها وسرنا عائدين في الممشى، قبل أن ينظرَ عمّي إلينا بتعبيرٍ غامض. تساءلتُ عمّا إذا كان يُفكّر في العمّة أميليا، قلقًا من أنها قد تكون في حالةٍ مروّعة مُشابهة وقد تملّكها الذعر من اختفاء ليزا. غالبًا ما كُلّفنا بشقّ جثث الموتى للبحث عن أدلّة، لكنّ التحدّث مع الأحياء في أوقات الحُزن أصعب بكثير. يكاد يكون من المستحيل كبح العواطف والانفصال عن العمل الشنيع الذي يجب القيام به.

حالما ابتعدنا بما فيه الكفاية في ممشى السفينة توقّف توماس ليُسلّم لي الدعوة.

كان المُغلّف فاخرًا للغاية: الورقة باللون الأزرق اللامع والحروف بألوان الفضّة والذهب، كما تناثرَت نجومٌ صغيرة على حافّاتها. ذكّرَتني على الفور بكرنفال ضوء القمر، وفتحتُ الرسالة لأقرأ:

"الضيف المُوقّر العزيز،

ندعوكَ أنتَ وعائلتك بفخر لقضاء سبع ليالٍ من السحر والشيطنة والفوضى على متن الباخرة إتروريا مجانًا.

خُض تجربة كرنفال ضوء القمر، العرض الوحيد الذي يعتمد على بطاقات التاروت وعجلة الحظّ التي تُحدّد مصيرك.

يجب أن نذكر هذا التحذير الأخير: احذر من صفقات منتصف الليل، وإلا قد تفقد حياتك وروحك بالذات في هذا المهرجان السحريّ العائم...

إن استمتعتُم في هذه الرحلة المميّزة نرجو ترك كلمة طيّبة بشأننا

في نادي النبلاء خاصّتكم. دعمُكم لنا من أهمّ رغباتنا.

المُخلص، ____"

سأل عمّي: "ماذا تفهمان من هذا؟ كانطباعٍ أوّلي."

"من الصعب القول." أخذتُ نفسًا عميقًا وعقلي يُقلّب الكلمات. "من ناحيةٍ أفهمُ عدم ارتياح السيدة بريسكوت: لماذا السعي للحصول على توصيةٍ من قاضٍ؟ هنالك بالتأكيد أعضاء أكثر نفوذًا ضمن الطبقة الأرستقراطية ينفعون لهذا النوع من الأمور." فحصتُ الرسالة ثانيةً قبل تسليمها إلى توماس. "كنتُ سأفترض أنه من المستبعَد إرسالها من قبل شخصٍ مرتبط بالكرنفال. أيٌّ منهم يستطيع شراء تذاكر لأربعة ركّاب من الدرجة الأولى؟"

"لكن؟" حثّني توماس، وشعرتُ أنه توصّل إلى نفس الاستنتاج وكان يمنحني فرصة للتميّز.

"الكلام قريبٌ جدًا مما قاله مفيستوفيليس خلال العرض الافتتاحي." أشرتُ إلى السطر المقصود: "قد تفقد حياتك وروحك بالذات في هذا المهرجان السحريّ العائم. مَن اطلعَ على هذا الخطاب غير أفراد الكرنفال؟"

لوى العمّ شاربه. "ربما شخصٌ قد حضرَ الكرنفال من قبل. هذه ليست المرة الأولى التي يُقام فيها كرنفال ضوء القمر."

قلتُ بغير اقتناع: "هذا صحيح، مع ذلك لا يُفسّر رغبة القاتل في اتهام المهرجان. حتى الآن لا شهود على الجريمة، ولا دافع لاستهداف الآنسة بريسكوت، ولا سبب وجيه لرسم مثل هذا الوضع الشائك فقط لارتكاب جريمة قتل. لماذا لم ينتظر القاتل ببساطة حتى انطفاء الأضواء ليضرب ضربته ثم يعود بهدوء إلى حيث

خرج؟" سارَ توماس على سطح السفينة بخطواتٍ سريعة ودقيقة، كما تخيّلتُ أفكاره. توقفَ فجأة وانتقل إلى السياج، مُحدقًا في البحر اللامتناهي. تبادلنا النظر أنا وعمّي دون أن نجرؤ على مقاطعته وهو في خضمّ ذلك الجزء المُظلم الغريب من نفسه. بعد لحظاتٍ استدار جزئيًا نحونا ليقول:

"القاتل على الأرجح شخصٌ يستمتع برسم المشهد، ولا يحبّ ارتكاب أفعاله الشنيعة بهدوء. إنه يبتغي الدراما ورؤية الناس يرتعدون خوفًا. أنا..." دفعَت الريح خصلةً من الشعر على جبينه وهو يلتفتُ إلينا بتعبيرٍ قاس. "في المرة التالية سيكشف عن الضحية بطريقةٍ أعظم، بطريقةٍ لا يُمكن اعتبارها جزءًا من العرض. أينما كان القاتل الآن فهو يغلي غضبًا لأنّ أغلب الناس لم يُصِبهم الرّعب من عرضه الافتتاحي. عندما يضرب مجددًا سيصبح كل راكب على متن هذه السفينة حبيس خوفه. أنا واثقٌ من أنه ينوي تحويل هذه الرحلة إلى كابوسٍ خياليّ."

بعد لحظةٍ طويلة أشارَ عمّي إلينا بالانصراف. "كونا حذرَين في جميع الأوقات، كلاكما. آخر شيء نحتاجه هو المزيد من المتاعب لهذه العائلة."

***

تردّد تصريح توماس الرهيب في ذهني خلال ارتدائي للملابس استعدادًا لعرض المساء، وحينما انتهَت المُساعدة من تثبيت آخر دبّوس في شعري كانت معدتي قد انكمشت تمامًا. **إذا كان توماس مُحقًا - ولم أشكّ أبدًا في ذلك - فإنّ شخصًا آخر على وشك الموت.**

لقد طلبَ عمّي أن نكون على أهبّة الاستعداد، وقد عملتُ بنصيحته. اخترتُ ثوبي الحريريّ ذا اللون الأسود والأرجواني الداكن، وشعرتُ فيه كأنّني شبحٌ يُمكنه الاندماج بسهولة مع الظلال لمُراقبة صالة الطعام إن لزمَ الأمر. أخرجتُ قلادة أمّي ذات شكل القلب من صندوق المجوهرات وسلّمتُها إلى المُساعِدة، لأشعر بالراحة فورًا عندما استقرّ ثقلها على صدري.

فور مُغادرة المُساعِدة جلستُ على حافة كرسي لأفكّر في الحقائق. وفقًا للسيدة بريسكوت فقد تلقّى كلّ من كبير القضاة بريسكوت والدكتور آردن دعواتٍ لحضور كرنفال ضوء القمر، وتمّ دفع جميع النفقات دون الكشف عن هوية الفاعل. كانوا يعرفون بعضهم البعض خارج الباخرة إتروريا، لكنّني احتجتُ إلى مزيد من التحقيق في علاقتهم، وهذا الأمر صعب لأنّ الدكتور آردن شخصٌ منعزلٌ للغاية. لقد أصرّ على البقاء في غرفة السيد بريسكوت ورفضَ التحدّث مع أيّ شخص ليومٍ أو يومين على الأقل.

تركتُ هذا الخيط في الوقت الراهن لأركّز على ما كنتُ أعرفه بالفعل: لقد قُتِلت الآنسة بريسكوت فورَ انطفاء الأنوار، وتلك ليسَت صدفة.

القاتل كان يعرف بالضبط متى سيعمّ الظلام في صالة الطعام وانتظره لتنفيذ ضربته، وهو مؤشّرٌ آخر على وجود صلةٍ بينه وبين الكرنفال بشكلٍ ما، أو ربما يكون قد حضرَ البروفات. قررتُ التحدّث مع القبطان ثانيةً لمعرفة أسماء أفراد الطاقم المُناوبين.

ثم هُناك مسألة بطاقة الآس السباتي. علاقتها لا تزال غامضة بالقضية، وقد يكون هذا هو الهدف. ربّما لم تكن البطاقة أكثر من

إلهاء متعمّد، رغم أنّ أمر قراءة الطالع يستحقّ المزيد من البحث...

طرقَ شخصٌ على باب الغرفة المتصلة ليسحبني من أفكاري، فوقفتُ وأنا أعدّل مقدّمة ثوبي. "نعم؟"

كنتُ أتوقّع السيّدة هارفي التي ستُرافقني للعشاء، لكن بدلًا من ذلك دخلَ توماس بكل أريحيّة، كأنّ وجوده معي في غرفة نومي لوحدنا ليس عملًا فاضحًا بالمرّة. تمعّنتُ فيه من رأسه حتى أخمص قدميه، بدا في منتهى الوسامة ببدلتِه الأنيقة.

"أين السيدة هارفي؟" سألتُه بأملٍ وخشية من انضمامها إلينا. أبطأ توماس من خطاه وفحصَ وجهي كأنه يقرأ مشاعري، قبل أن ترتعش شفتاه بالقول: "في الصالة مع عمّك، في انتظارنا."

"كيف قمتَ -"

انقطعَت الكلمات حينما تقدّمَ ليأخذني بين ذراعيه. رأيتُ بعض المرح في عينيه لكنهما كانتا مُظلمتَين وعميقتَين بما يكفي لأغرق فيهما. شعرتُ بمرور دهر على آخر قُبلاتنا المسروقة، وكلّ عصبٍ في جسدي اهتاجَ مُترقّبًا. لقد رغبتُ فيه بشدّة.

مرّت إحدى يديه ببطء على ظهري فانقطعَت أنفاسي، ولمحتُ شيئًا في نظرته أفقدَني صوابي. لم يُخيّب أملي وقام بدفع وجهه نحو وجهي، بابتسامةٍ على شفاهه الرائعة وهو يرفع ذقني للأعلى.

"هل افتُتنتِ بي يا وادزورث؟"

أطبقتُ فمي على فمه دون ردّ. لم أكن قد خلعتُ قفّازي، لذا مرّرتُ أطراف أصابعي المكشوفة على بشرته واستجابَ بالمثل. غمرَت كلّ لمسةٍ منه حواسّي حتى باتَ كلّ ما أفكرُ فيه هو أين سيضع يديه بعدها، والأمل في أن تتبع شفتاه طريق أنامله الحذرة.

كان حبّهُ نقيًا لكنه مُسكرٌ وحلوٌ وقويّ. لن أملَّ أبدًا من لمسهِ ومن لمساتِه.

بدا أنّهُ أدركَ إحساسي بالضبط، وقام بتمرير يديه على كتفيّ ثمّ شعري، مُقتربًا ليضغطَ جسدَينا معًا. بإمكاني القسَم أنّ تيارًا كهربائيًا مرّ عبر كل نقطة اتصال بيننا. همسَ باسمي وهو يُمطرني بالقُبلات على عنقي ثمّ كتفي المكشوف، حتّى توقفَ حيثُ موضع القلادة. اجتاحَتني رغبةٌ أعظم من الخوف، فسحَبتُه من سترته نحو سريري بقلبٍ خافق.

مدّ توماس جسدي برفق على السرير وهو يحوم فوقي. قد يكون ذلك مُستحيلًا في الطبّ لكنّني أقسمتُ أنه إن لم يلمسني ثانيةً فسوف أنفجر. مرّر إبهامه على شفتي السفلية بنظراتٍ مُتأمّلة.

"أحبُّ عندما تنظرين إليّ هكذا."

تمعّنتُ في عينيه. "كيف؟"

"كأنّ من الممكن أن تحبّيني بنفس الطريقة الخارقة التي أحبّكِ بها."

انزلقَ آخر حبال ضبط النفس من قبضتي، فجذبتُه إلى أسفل حتى استقرّ وزنه عليّ، وكان شعور مُشاركة سريري معه لا يُصدّق. تتبّعتُ حافّات فكّه القويّة وتهتُ في عينيه الذهبيّتين قبل حمل فمي إلى فمه ثانيةً، وعندما لمس لسانه لساني كدتُ أفقد عقلي بالكامل.

كان تقبيله مُتعتي المُفضّلة، وقد استمتع بالتأكيد بتدليلي.

"ربما تكون على حقّ. يجب أن نتزوج على متن السفينة." قلتُ وأنا أتنفس بصعوبة، قد أكون مستعدةً لفعل ما هو أكثر من مجرّد تقبيله، خاصةً إذا استمرّ في لمسي بذلك الشكل. قبّلني بابتسامةٍ

أخرى ثم أعادَ انتباهه إلى عنقي.

كانت أسنانه تداعب بشرة رقبتي الرقيقة بينما انزلقَت يده إلى وركي. ليُساعدني القدّيسون! "هل تظنّ أنّ هناك كاهنًا على السفينة؟ لن يغضب أبي كثيرًا إن تزوّجنا دون علمه، وقد يوافق عمّي على أن يكون الشاهد... أو السيّدة هارفي."

تراجعَ توماس بما يكفي للنظر في عينيّ وعادَت ابتسامته الشريرة. "آنسة أودري روز وادزورث، يا ملكة روحي، أنتِ شيطانة! أترغبين في ضرب التقاليد عرض الحائط لمجرّد رغبتكِ في جسدي؟" وضعَ يده على قلبه. "أقسمُ أنّني لم أحبّكِ أكثر من الآن."

دبّ الدفء في وجهي. "أنتَ غير معقول."

"بل من غير المعقول أن تقاوميني." رفعَ نفسه عنّي بجهدٍ جهيد قبل أن يُساعدني على الوقوف على قدميّ. رأيتُ حاجةً في عينيه تُضاهي حاجتي، وتساءلتُ من منّا سيصاب بجنون الرغبة قبل الآخر. أبعدتُ نظري عنه نحو السرير، في محاولةٍ لابتكار طريقة تُعيد الزمن لبضع لحظات فقط.

"هل أخبرتُكِ من قبل عن منزلنا الريفيّ؟"

استغربتُ من التغيير المفاجئ في الموضوع. "لا أظنّ ذلك."

حرّكَ توماس يديه من معصميّ إلى ذراعيّ، ثم دفعهُما إلى أسفل حتى خصري.

جذبَ جسدي إليه لتغدو شفتاه قُرب شفتيّ، وحاربتُ من أجل كبح جماح نفسي. شعرتُ أنّني إذا قبّلتُه مرةً أخرى فسوف يخرج الوضع عن السيطرة، مع ذلك لم أكن واثقة من أنّني أردتُ فعل الأمر الصحيح.

همس: "فورَ زواجنا سآخذُكِ إلى هناك، ثم أقوم بمنح إجازة لجميع العاملين لتكون لدينا خصوصيةٌ مطلقة، بلا مزيد من التسلّل والخوف. عندما تنظرين إليّ كما تفعلين الآن تقترب أخلاقي بشكلٍ خطير من العدم، ولم أكن يومًا رجلًا شديد الورع يا وادزورث."

تجمّعَت الحرارة في صدري بعد ذلك الإعلان الصادم. اكتشفتُ أنني لا أطيق انتظار اليوم الذي نكفّ فيه عن كبح جماح أنفسنا.

"أنتَ حقًا وغد يا توماس كريسويل."

أجاب ضاحكًا: "بلى، لكن هذا اللمعان في عينيكِ يُشير إلى عشقكِ للفكرة، وأنا لا أحبّ شيئًا أكثر من إرضائك، لذا سأبذل قصارى جهدي لكي أكون الأسوأ."

"كم هذا رومانسيٌّ منك."

"ظننتُ ذلك أيضًا." نظرَ إلى ساعة منضدتي. "أخشى أنّ عمّك قد يقتل السيدة هارفي إن لم نُسرع. كان يُراقب السكاكين عندما غادرت، ولا أعتقدُ أنه كان يفكر في استخدام أيٍّ منها لتقطيع الفيليه خاصّته."

أبعدتُ نظراتي عن فمه، فقد حطّمَت أفكار جرائم القتل ما تبقى من الحرارة التي شعرتُ بها بيننا. تنهّدت قائلةً: "إذًا لنذهب لإنقاذ مُرافقينا."

ارتدى توماس سترته ثمّ خرج عبر غرفة السيدة هارفي. تفحّصتُ صورتي في المرآة، وقمتُ بتعديل بعض التواءات شعري الداكن اللاتي خرجنَ من موضعهنّ.

لمستُ شفتي وأملتُ ألّا تبدو متورّمة من القُبلات. لم أطِق الانتظار للكتابة إلى ليزا، فقد عشقَت هذا النوع من التفاصيل

الرومانسيّة. كانت ستُصاب بالصدمة والبهجة و... شهقتُ كمَن تلقّى لكمةً قاسية، لقد نسيتُ للحظة أنّها مفقودة! انحنيتُ لأضغط بيديّ على وسطي وأسحب نفسًا عميقًا مُحاولةً تهدئة أعصابي. لقد كنتُ مخلوقًا فظيعًا يلهثُ خلف رغباته، حتّى تشتّتَ انتباهي بالكامل بسبب شفاه توماس، ووعدتُ نفسي أن أتصرّف بشكلٍ أفضل خلال بقيّة الرحلة.

بعد لحظات طرقَ توماس بابي الخارجيّ مثل أيّ رجل محترم. تركتُ مخاوفي جانبًا وفتحتُ الباب لأمسكَ ذراعه. لقد كان مُحقًّا: لا شيء يُمكننا القيام به لأجل ليزا ونحن مُحاصرون على متن هذه السفينة، وفورَ وصولنا إلى أميركا سأقوم برسم خطةٍ أفضل.

"مستعدة؟" سأل توماس فأومأت. تحرّكنا بالسرعة التي سمحَ بها حذائي الحريري عبر الممرّ الداخلي المؤدي إلى الصالة. قُمنا بتسليم معاطفنا ووشاح توماس الحريريّ الأبيض إلى مضيّفة استقبال وسارَعنا إلى أسفل القاعة بخطى واثقة. توقّفتُ مُحدقةً في وردةٍ كان يرتديها، وقد ثبّتَها قرب عُروة قميصه. لم ألاحظها قبل أن أخلع سترته، بصراحة وقتَها لم أفكر في شيء خارج أحضانه.

التقت أعيُننا فغمز: "يبيعون زهورًا في بيت الدفيئة الخاص بالباخرة بسعرٍ باهظ للغاية. من الواضح أنّني قد فكّرتُ فيكِ خلال ارتدائي للملابس. لا تتردّدي في ردّ الجميل إليّ في أيّ وقت، لكن يتوجّب عليكِ القيام بذلك في الفعل المُعاكس للارتداء."

ماتَ ردّي الماكر على شفتيّ عندما فتحَ لنا الأبواب اثنان من الموظفين الأنيقين. كانت ثيمة الألوان نفسها: الأرضيّة بالأبيض والأسود والستائر الزرقاء الغامقة المتلألئة من الأمس، لكن الليلة

كانت هناك لمساتٌ فضّية وذهبية، ووُضِعت الأزهار والشمعدانات الكبيرة مع خيوطٍ من الخرز في وسط الموائد، كشلالاتٍ من الثروات الفائضة.

أمّا ما لفتَ انتباهي وانتباه معظم الحاضرين فهُم فنّانو العرض المُقنّعون وهُم يدخلون القاعة، مُتلاعبين بسيوفٍ فضّية كالهراوات مع انعكاس الأضواء على أنصالها. كانوا جيشًا من المؤدّين يرتدون ملابس المعركة. قد يستعمل أيٌّ منهم سلاحه على أحد ضيوف العشاء، والأسوأ من ذلك أنّ لدى كلّ منهم القدرة على تحويل هذا الحفل إلى حمّام دم. تعثّرَت خطواتي. لم أستطع تخيّل مشهدٍ يُرضي قاتلًا متعطشًا للدماء أكثر من ذلك، وتمنّيتُ أن أكون مخطئة.



# 5
# فارس السيوف

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 2 يناير 1889

"لا بـأس، خُـذي نفَسًـا." قادنـي تومـاس إلـى طاولتنـا وسـحبَ مقعـدي، علـى الرغـم مـن وجـود نـوادل علـى أهبـة الاسـتعداد لذلـك. شـحبَ بضعـةٌ منهـم، لكنهـم لـم يجـرؤوا علـى حرمـان تومـاس مـن المهمـة التـي كلّـف نفسـه بهـا. لفـتَ عـرض تومـاس النبيـل انتبـاه العـم جوناثـان إليـه. كان يحـدّق فيـه بتعبيـرٍ غامـض، ولا يعـرف سـوى الـربّ مـا يظنّـه عـن اهتمـام تومـاس الفائـق بـي. شـككتُ فـي قـدرة عمّـي علـى سـماع دقـات قلبـي، وقلقـتُ بجنـون مـن ظهـور عبـارة 'لقـد قمـتُ بتقبيـل تومـاس كريسـويل بمنتهـى الرّغبـة' فجـأةً علـى جبينـي. بانـت ابتسـامةٌ علـى أطـراف شـفتيه كمـا لـو أنـه قـد قـرأ الفكـرة مـن رأسـي. "أودري روز،" أومـأ برأسـه بينمـا جلـسَ مُرافقـي علـى المقعـد المجـاور لـه. "تومـاس. جئتُما في الوقت المناسب."

كانـت السـيدة هارفـي تجلـس علـى يمينـي - مقابـل عمّـي - حيـث أومـأت لـي مُوافقـة. "تبديـن جميلـةً يـا عزيزتـي، هـذا اللـون يُناسـبك للغايـة.

الباذنجانيّ خيارٌ رائع لأمسيات يناير الكئيبة! قد يخفي بعض الخطايا أيضًا."

جعّدتُ جبيني باستغراب، فأشارت إلى بقعةٍ خفيفة على فستانها الفاتح. بدَت أنها لِسائلٍ ما، رغم أنني لم أستطع التأكد من ذلك.

"شكرًا لك سيدة هارفي." وقبل أن أعلّق على فستانها الأنيق والمجوهرات الرائعة التي ارتدتها، خفتَت الأضواء. كان التواجد على متن سفينة مزوّدة بالكهرباء أمرًا ساحرًا، خاصةً حينما يتم استخدامها في مجال الإثارة والتشويق.

نظرتُ في أرجاء الغرفة، محاولةً ملاحظة أي شخص يبدو عليه التوتر، دون جدوى. لم يعلن الكابتن نوروود الحقيقة فيما يتعلّق بوفاة الآنسة بريسكوت، في الغالب من أجل مصلحته، ولكن أيضًا لأن آل بريسكوت طلبوا منه التكتّم. تجاذب الحاضرون الحديث بحماس على طاولاتهم، بينما استمر الرجال والنساء ذوي السيوف في أرجحة نصلهم، وكان كل شيء على ما يُرام بغرابة. ربما كان توماس على خطأ، ربما لن ينتهي عرض الليلة بموت أحدهم. رفعتُ كأسي وارتشفت، مُزيلةً آخر بقايا التوتّر من بدني.

تصاعد الدخان على طول الجزء السفلي من الستائر، منذرًا بلهبٍ مُتوارٍ عن الأنظار. بلّلت راحتا يديّ قفازاتي الشفافة. لقد حان الوقت. ألقيتُ نظرة خاطفة على عمّي، لكنه كان مشغولًا بعشائه. لقد قطع الفيليه بتركيزٍ فريد كان يحتفظ به عادةً للموتى الذين ندرسهم. بدا أنه لم يعتقد بوجود جريمة قتل أخرى هذا المساء، على الأقل ليس في هذا المكان.

"ركاب إتروريا المحترمون،" صاح سيّد الحلبة، وهو يظهر مرةً

أخرى خلف غطاء الدخان الكثيف. "مرحبًا بكم في الليلة الثانية من كرنفال ضوء القمر! لقد اختارت عجلة الحظ عرضًا غير عادي. من أجل متعة المشاهدة، هل لي أن أقدّم لكم أمسيةً مليئة بالإثارة والقشعريرات، ومن المحتمل جدًا... إراقة الدماء!"

دون سابق إنذار انسحبَت الستائر مثل اللحم المشقوق، كاشفةً عن شابةٍ مُقنّعة ترتدي مشدًّا من المخمل الأحمر وجوارب طويلة سوداء، ولا شيء غير ذلك. كان شعرها بلون القهوة والكراميل، مصففًا في حلقاتٍ أضافَت عدة بوصاتٍ إلى طولها. كانت في حمّالات الكورسيه خيوطٌ سوداء مطرّزة بأشرطة حمراء جميلة للغاية. تم اقتطاع القماش على شكل قلب تحت رقبتها، كاشفًا عن أعلى صدرها بفخر، بينما تشابكت أربطة بأشرطة سوداء حول عنقها. زيّنت جانبَي وركَيها قطعٌ سوداء مماثلة، وكانت ترتدي قناعًا مزخرفًا بلون داكن بدا كأنه زيتٌ متجمد. بدَت المُعادل الأنثوي لبدلة سيد الحلبة في زيّها الأحمر والأسود. علَت شهقةٌ جماعية حين رأى الجمهور المرأة المقنّعة ثم السيف الكبير اللامع في يديها. كان مقبض السيف تحفةً لا تقل جمالًا عن زي الفتاة، منحوتًا من معدنٍ أسود، يُشبه باقةً من الزهور البرية وأجنحة الطيور. بدا مثل نصلٍ خياليّ مصنوع في نيران سماويّة جامحة.

التقَت عينا الشابة من خلف القناع بعينيّ واتّسعتا... ماذا بحقّ السماء! غطّيت فمي مُحاولةً كتم شهقتي كأنّ سهمًا قد أصابني. لم يهمّ كيف ولماذا، لكنني علمتُ شيئًا علم اليقين: كانت الشابة على المسرح ابنة عمّتي المفقودة ليزا.

بلعتُ ريقي بصعوبة وتركيزي ثابتٌ عليها. حتى بوجود القناع

الـذي غطـى نصـف وجههـا كنـتُ أعـرف أنهـا هـي. دخـل سـيّد الحلبة إلـى المشـهد ليقطـع التواصـل بيننـا، وأعـدتُ كأسـي إلـى المائـدة بعنـف. تناثـر السـائل علـى مفـرش المائـدة، وقـام أحـد المرافقيـن المُتيقظيـن دائمًـا بتنظيـف الفوضـى بخفّـة. ليـزا! بالـكاد رمشـتُ عينـيّ، خشـيتُ أن تكـون شـبحًا كنـت قـد اسـتحضرتُه وقـد يختفـي بنفـس السـرعة.

"حاولـوا ألّا تفقـدوا قلوبكـم أو رؤوسـكم،" - لمعـت عينـا مفيسـتوفيليس - "وسـتحاول ليـزا الجميلـة أن تنجـو بينمـا يقـوم جيـان يـو العجيـب، الـذي لا يُقهـر، فـارس السـيوف المُتفـوّق، بنشـرها إلـى نصفيـن!"

هدرَ الجمهور في فرح، بينما ابتلعتُ رُعبي المتزايد.

"حسـنًا، هـذا تطـوّرٌ مثيـر للاهتمـام." همـس تومـاس فحدّقـتُ فيـه. لـم يفاجئنـي حماسـه، إذ كان يعشـق الألغـاز وفجـأةً أمسَـت الليلـة واحـدة مـن أعظـم الألغـاز علـى الإطـلاق.

"إذا كنتَ تقصد أنّ هذا فظيع تمامًا فعندئذٍ نعم، أوافقُك الرأي."

شـهقَ عمّـي بحـدّة وعرفـتُ أنـه تعـرّف علـى فـرد عائلتنـا الضـالّ أيضًـا. امتنعـتُ عـن النظـر إليـه لِعلمـي بمقـدار غضبـه. مـا فعلَتـهُ ليـزا أسـوأ بكثيـر مـن مجـرد الهـروب. ربمـا ليـس فـي نظـري أو فـي نظـر عمّـي، لكـن فـي نظـر المجتمـع قـد تُصنّـف كبائعـة هـوى.

تنحنـحَ مفيسـتوفيليس مشـيرًا لابنـة عمّتـي ببـدء العمـل. ابتسـمَت ليـزا بإغـراء للجمهـور ورفعَـت السـيف فـوق رأسـها، وهـي تتبختـر علـى المسـرح كمـا لـو أنهـا وُلِـدت للقيـام بذلـك. اشـتدّ نبضـي، كنـتُ مذهولـةً وفخـورةً معًـا.

قـال تومـاس وهـو يعقـد حاجبيـه: "سـتُصاب عمتُـكِ بجلطـة دماغيـة

إذا شاهدَت ليزا في هذه الحالة. صحيح؟"

حذر العمّ: "توماس، يكفي."

لكنني ابتسمتُ في تلك الظروف المُريعة. كانت ابنة عمتي تعيش أحلامها الرومانسية، غير مكترثة بما يظنّه العالم بها. لقد أعجِبتُ بها، رغم أنّ بعض القلق انتابني وأنا أتذكر كلمات مفيستوفيليس التحذيرية. يبدو أن ليزا قد فقدَت قلبها وعقلها معًا في الكرنفال. فجأةً تذكرتُ رسالتها الأخيرة: لقد ذكرَت أنّ فنّان هروب كان يتودّد إليها سرًا.

تعالت الشهقات من حولنا واستدرتُ لأرى سبب الضجة. ملأ الغرفة وقع حوافرٍ مشؤوم مع حضور جيان يو العجيب، فارس السيوف الذي لا يُقهر، وهو يركب حصانًا أسود، يرتدي طقم دروع ذات سلاسل عبر الصالة. لمعت عيون الحيوان وهو يرتفع في الهواء واقفًا على ساقيه الخلفيتين، قبل أن ينزل صادمًا حوافره بالبلاط بقوةٍ كافية لهزّ الموائد. تشبّثَت السيدة هارفي بذراعي، وسمعتُ صياح بعض النساء القريبات منّا.

كان جيان بصلابة الدرع الذي ارتداه. غطى قناعه الفضيّ إحدى عينيه بالكامل، وانتهى بسلسلة من النتوءات الحادة بما يكفي لاختراق الجلد على الجانب الآخر. بدا كأنّ تاجًا من السيوف قد ذاب ليُشكّل نفسه حول رأسه. كان التجسيد الحيّ لبطاقة التاروت 'فارس السيوف' وبالزيّ المُطابق كذلك. في أعقاب حضوره، غمد الممثلون الآخرون ذوو السيوف أسلحتهم، بصوتٍ هزّ عروقي، ثم جثوا على رُكبهم في خضوع. سرَت قشعريرة على ذراعي. كان المشهد بأكمله مُرعبًا، وزاد من وطأته الصمت الذي صاحبَ جيان.

صعدَ بحصانه على درج المسرح بخطى غير مستعجلة، طالبًا منا الإعجاب به خلال مروره. لقد عقد شعره الداكن الطويل إلى الخلف على قفا رقبته، مما أتاح للجمهور نظرة جيّدة على ملامحه ذات الزوايا الحادة بما يكفي لاختراق بعض القلوب، استنادًا إلى عدد المراوح اليدوية التي فُتِحت وهمسات الحماس القادمة من النساء. أخذَت السيدة هارفي رشفةً طويلة من الماء المثلج خاصّتها، وقلبَ توماس عينيه.

"هل البُنية العضليّة فاتنةٌ حقًا، أم أنها الندبة الخطيرة على إحدى العينين؟" سأل توماس دون أن تكلّف السيدة هارفي نفسها عناء الإجابة أو رفع بصرها من الشاب على خشبة المسرح. قفز جيان من فوق حصانه راميًا اللجام إلى ليزا، قبل أن يشير بذقنه نحو الستائر.

"هل قرأتِ المجلات التي أعطيتُها لكِ أودري روز؟" لفتَ عمّي انتباهي إليه. "أحتاجُ إلى أن تكوني أنتِ وتوماس على دراية جيّدة بِعلامات..." ركّز العم بصره على شيء ما عبر الغرفة ممّا أثار فضولي. لقد قامت مُساعِدة ثانية بدحرجة صندوق غريب يُشبه التابوت على خشبة المسرح، تمّ عمل ثقوب في أعلاه وأسفله وجوانبه، وربط حبال على أطرافه وعلى أكتاف المُساعِدات.

قال توماس بلطف: "آه، جيد. كنتُ آمل أن ينقلوا الموتى قبل تقديم الحلوى. الأحشاء تُناسب الطبق الرئيسي، ألا توافقين يا وادزورث؟ على العكس من طبق الحلوى."

"كن جادًا." تسارعَ قلبي رغم إنكاري. "لن يخسر أحد أحشاءه."

"أنا جادّ. يُستخدم هذا الصندوق لقطع الشخص إلى نصفين، بخطأ صغير سوف تتناثر الدماء والأعضاء على طاولات الصف

الأمامـي تلـك. إذا كان هُنـاك قاتـلٌ معنـا فقـد يكـون هـذا هـو المشـهد الـذي نخشـاه." غمـدَ جيـان السـيوف التـي كان يتلاعـب بهـا ليقـومَ بتفقّـد كل شـبر مـن الصنـدوق الخشـبيّ، بينمـا وقفَـت ليـزا والمُسـاعدة الثانيـة علـى الجانبيـن، مُبتسـمتَين كمـا لـو أن أحداهمـا لـن تُقطَـع أمـام أعيننـا. مسـحتُ يـدي بظاهـر تنّورتـي. كان جـزءٌ منـي مفتونًـا بمـا يجـري، والجـزء الآخـر يشـعر بالاشـمئزاز مـن الأول. فـي بعـض الأيـام أبغـضُ تناقضـات عقلـي مـع ظـلام قلبـي.

"أتظـنّ أنّ ليـزا سـتكون..." توقّفـتُ عـن الـكلام حيـن تقـدّم جيـان إلـى حافـة المسـرح رافعًـا يـده علـى حاجبيـه كأنـهُ يقـي عينيـه مـن الشـمس. هـدأت صالـة الطعـام قليـلًا لكـن الضوضـاء اسـتمرّت.

"متطوّع،" هتفَ بلكنةٍ أجنبية واضحة. "الآن."

لـم يُبـدِ أحـدٌ رغبـةً فـي تقديـم نفسـه كضحيّـة، ولـم أسـتطع لومهـم، فمِـن غيـر المنطقـي فعـل ذلـك. لمع قنـاع جيـان وهـو ينتقـل إلـى الطـرف الآخـر مـن المسـرح، ناظـرًا إلـى طاولـة مليئـة بالسـادة الشـباب. "أنتُـم جميعًـا جبنـاء، ولا تسـتحقون لمـس شـفراتي." التفـتَ إلـى المُسـاعدتين خلفـه. "ليـزا!"

تجمّـدَت ابتسـامة ابنـة عمتـي علـى وجههـا، لكـن بـروز حنجرتهـا واهتـزاز ركبتيهـا فضَحـا خوفهـا. أخـذَت ليـزا نفسًـا عميقًـا وتقدّمَـت إلـى الأمـام، وبـلا إدراك قفـزتُ مـن مقعـدي بعـد أن ألقيـتُ منديلـي علـى بقايـا طعامـي.

"انتظر!"

"آه." ابتسـم جيـان ابتسـامةً عريضـة كشـفَت أسـنانه. "لدينـا مـن يُسـاعدنا هنـا."

كنتُ واقفة وشبه مستعدة للركض عبر المنصّة ورمي نفسي في صندوق الموت ذاك، لكن نظرة الفارس لم تكن موجّهةً نحوي. كان ينظر صوب الناحية المقابلة لي، إلى حيث كان توماس يسير بالفعل صاعدًا الدرج ثم المسرح، بخُطى رتيبةٍ واثقة، على عكس نبضات قلبي. كل شيء بداخلي باتَ خدِرًا ومؤلمًا في نفس الوقت.

"توماس، لا تفعل هذا رجاءً." حدّقت فيه وهو يقف أمام التابوت، ثم يصعد فيه بعد أن غمز إليّ من فوق كتفه.

همسَت السيدة هارفي وهي تمدّ يدها إلى ذراعي: "اجلسي عزيزتي. تبدين قلقة أكثر من اللزوم، اشربي بعض النبيذ ليهدئ أعصابك." أشارَت إلى النادل الذي سكب مزيجًا أحمر غامق من الإبريق الذي كان يحمله. حاولتُ ألا أتخيّل دماء الآنسة بريسكوت تتساقط في كأسي. "ها أنتِ ذا، كوني فتاة جيّدة وخُذي بضع رشفات."

عدتُ إلى كرسيّي قابلةً عرضها دون جدال. رفعتُ الكأس وشربتُ، بالكاد أتذوق طعم العنب الحامض وهو ينزلق على حلقي في جريانٍ سريع. لم أحب النبيذ كثيرًا لكنه نجح في تشتيت ذهني، ولو لفترةٍ وجيزة. مسحتُ زوايا فمي بمنديل وانتباهي يشرد إلى التابوت الذي برزَت من فتحاته رأس توماس وذراعاه وقدماه، قبل أن يكفّ عن الحركة.

هاجمَ عقلي منظره وهو ممدّد كجثّة مزيّفة على طاولة المشرحة، وتطلّب الأمر كل ما بوسعي من ضبط النفس لكي لا أهرع على المنصة وأضمّه بين ذراعيّ. كان الجزء العقلاني مني يعلم علم اليقين أنه لن يتعرّض لأذى، الكرنفالات تعمل لخلق المشاهد المُثيرة وبيع

التذاكر، لا لِقتل الناس. حتى بعد ما حدث في الليلة الماضية.

لم أتمكن من كبت توتّر أطرافي حينما غطّت ليزا والمُساعدة الثانية الصندوق الخشبي بغطاء قبل الإيماء إلى جيان. جلستُ باستقامة وشعرتُ بسخونة مفاجئة، حتى تمنّيتُ أن أكون بالخارج على سطح السفينة، حيث هواء الشتاء الجليديّ يهبّ عليّ وهو يجول عبر الممشى المسقّف. زفرَ عمّي عند رؤية توماس في الصندوق، ولاحظتُ تغضّن جبينه بالقلق الظاهر. "ولدٌ أحمق."

تشبّثتُ بقلادة أمّي ذات القلب المعلّقة حول رقبتي، متجاهلةً لدغة المعدن في راحة يدي. سحبَ توماس ذراعه عن الأنظار ثم أخرجها ثانيةً وهي تلوّح بورقة لعب. ضحك الجمهور على منظر الذراع المجرّدة وهي تحمل البطاقة، لكنني لم أستطع رفع بصري عن المنشار الهائل الذي حملَتهُ كلا المُساعدتَين إلى الفارس. لمعَت الأسنان المعدنية على الشفرة، وهي جاهزة للغوص في الصندوق الخشبي، وفي بدن توماس إذا حصل أمرٌ خارج الخطة، أو ربما كان قتله هو الخطة!

تدحرجَت حبّة عرق باردة على عمودي الفقري. حركة خاطئة واحدة قد تسفك دماءه. "هوّني عليك يا عزيزتي." ربّتَت السيدة هارفي على يدي فَزفرتُ وابتسمت. "إنها مجرد خدعة. ما حدث بالأمس كان مروعًا، لكن أن تحدث جريمة قتل ثانية، حسنًا، الأمر ببساطة غير مرجّح. توماس خاصّتنا يعرف ما يفعل، ها؟"

بلعتُ ريقي وأومأت. كنتُ أعلم أنها على صواب، لكن قلبي لم يرغب في الاستماع إلى صوت المنطق، وتسارع نبضي عند التفكير في كل الأمور الفظيعة التي يُمكن أن تحدث. كان توماس يعرف ما

يفعل، حتى لو كان ما يفعله فكرة مُروّعة! رمقَتني ليزا بنظرة غير مفهومة من فوق كتفها، ثم أصابني التوتّر من جديد عندما رفع جيان المنشار فوق رأسه. كدتُ أركض نحو أحد الممثلين الراكعين، مُستعدةً للاستيلاء على سيفهِ في حالة إصابة توماس بمكروه.

"يُمكنكم رؤية أنّ النصل حقيقيّ للغاية. إيزابيلا، لو سمحتِ."

أومأ برأسه نحو المُساعدة الثانية، فَتقدّمت إيزابيلا وضربت المنشار بسيفٍ التقطته من الطاولة، ليُدوّي صوت احتكاك المعدنَين في المكان. اصطكّت أسناني نتيجة الضوضاء، وغطى شابٌ على الطاولة المجاورة أذنيه. "إنه أيضًا حادٌّ جدًا. ليزا؟"

شهرَت ابنة عمتي قناعًا مزخرفًا ووضعتهُ فوق الصندوق، لينشره جيان بعناية ذهابًا وإيابًا حتى انفصل إلى قسمين. حاولتُ ألّا أركّز كثيرًا على حقيقة أنّ الشفرة لم تحتَج إلى أكثر من ثلاث تمريرات لكسر المعدن إلى نصفين. لقد كانت حادّة للغاية وستمرّ بالقرب من حبيبي كريسويل.

أخذتُ نفسًا عميقًا بينما كان جيان يحوم حول الصندوق، رافعًا المنشار بفخر فوق رأسه. توقّف أخيرًا بالقرب من منتصف جسد توماس ثم أشار إلى إيزابيلا. شقّت طريقها عبر المسرح بابتسامةٍ عريضة، ويداها ثابتتان على وركها مثل راقصة الباليه، قبل أن تقفَ قُبالة الفارس. يبدو أن فقرة النّشر تتطلّب شخصين. طويتُ المنديل في حضني بينما كان جيان يُثبّت الشفرة على جانب الصندوق، ثم دفعه إلى إيزابيلا. هتفَ آمرًا: "عند ثلاثة. واحد، اثنان، ثلاثة!"

علا صرير المعدن على الخشب بشكلٍ متذبذب، وغاصَت الشفرة شيئًا فشيئًا في الصندوق.


XI
بطاقة التاروت: العدالة
JUSTICE.



# 6
# مقسومٌ إلى نصفين

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 2 يناير 1889

أردتُ أن أغطّي عيني وأهرب من الغرفة لألقي بنفسي في المحيط، لكنني أرغمتُ نفسي على الجلوس والبقاء ساكنة. في هذه الأثناء وعلى خشبة المسرح لوّحت يدا توماس وقدماه بشكل محموم مع اقتراب المنشار من بدنه.

أدارَ بعض الحاضرين وجوههم عن المسرح، وقاموا بإخراج المراوح اليدوية وطلبوا شمّ النشادر. إذا فشل هذا العرض فربّما يتحوّل إلى أفظع مشهدٍ يشهده أي شخص هنا على الإطلاق، بمَن فيهم أنا. كانت تداعيات الموت وجرائم القتل عملاً صعبًا، لكن مُشاهدة فعل الجريمة لا يُطاق. أغمضتُ عينيّ للحظة، ولم أرغب في تخيّل الظلام الذي سيغمر نفسي إذا مات توماس على هذا المسرح.

أخذَت السيدة هارفي جرعة سخيّة من نبيذها وقالت: "يا ربّ! هذا واقعيّ بشكل رهيب، أليس كذلك؟ قد أُقسِم أن الشفرة تقطعهُ حقًا."

ضغطتُ على فكّي حتى بات يؤلمني. لم تبقَ سوى بضع

بوصات ليمرّ المنشار بأكمله عبر منتصف الصندوق، وعبر توماس. سجّلتُ في عقلي مكان حقيبتي الطبّية والمدة التي أستغرقها للركض إلى مقصورتي في ثوب المساء وجلبها، وما إذا كانت لديّ المهارات اللازمة لخياطة جسده. أملتُ بوجود جرّاح على متن الباخرة، شخص أكثر مهارة من الدكتور آردن، الذي لا يزال معزولًا برفقة كبير القضاة بريسكوت.

حبستُ أنفاسي عندما ضرب المنشار قاع الخشب، في انتظار تدفق الدم والأحشاء تحت الشقّ. توقّف توماس عن الحركة، وربّما توقّف قلبي كذلك. علَت همسات من حولي، في ضوضاء لم أميّزها بينما كنتُ أحملق، في انتظار رؤية توماس ينزف. لكن شيئًا لم يحدث.

فجأةً تحرّكت يدا توماس وقدماه كأنّ شفرةً لم تقطعه للتوّ. وقفتُ مستعدةً للتصفيق وإنهاء ما يجري لكن الكابوس لم ينته بعد. لقد كررَ جيان وإيزابيلا الأداء بشفرةٍ أخرى، وبمجرد أن انتهى القطع الثاني أمسكَ كلٌّ منهما بجانب من الصندوق ليسحبه بعيدًا عن الآخر. قمتُ بالصراخ بلا وعي، بما يكفي لجعل عمّي يُسقط شوكته والسيدة هارفي تتخبط باحثةً عن كأس النبيذ خاصّتها. ضحكَ فارس السيوف ضحكةً مشؤومة مثل عاصفةٍ فوق البحر.

"رجلٌ مقسومٌ إلى نصفَين!"

صرخ بعض الجمهور معي، وقمتُ بتغطية فمي بيديّ لكتم المزيد من صراخي. لقد غطّت الشفرتان العريضتان طرفي الصندوق، مما أدى إلى حجب أيّ أحشاء ساقطة عن مرأى الجمهور، رغم علمي بأنه لا يوجد شيء حقًا. طغَت مشاعري على المنطق واستولى الذعر

على قلبي، ثم ركّزتُ على يدَي توماس وعلى البطاقة التي ما زال يلوح بها. كان يتحرّك، كل هذا مجرّد خداع بصر... خُدعة رهيبة.

كبتُّ دموعي، وكرهتُ توماس لفعله هذا. قام جيان بتحريك نصفَي قلبي حول المنصة مُتفاخرًا بمهاراته، وبعد القيام بدورة كاملة، أعادوا دمج نصفي الصندوق ثم أزالوا كلا المنشارين. تمسّكتُ بحافة مقعدي لمنع نفسي من الطيران هناك وفتح التابوت ثمّ الارتماء على توماس.

رفعَت ليزا قطعة قماش سوداء كبيرة بما يكفي لإخفاء الصندوق، ثم قاموا بتغطيته وداروا حوله مرة أخرى، ثم انتزعوا الستارة بسُرعة. رفعوا الغطاء و... لا شيء. لم يظهر توماس ولم تعد أطرافه ظاهرة. خفقَ قلبي بشدة، علَت بعض الأصوات في الغرفة وصمتَت أخرى. تبادلَت ليزا وإيزابيلا نظراتٍ قلقة لم أعتقد أنها جزءٌ من العرض، فَوقفتُ ناظرةً إلى جيان وهو يغمد سيوفه ليتّجه إلى الصندوق وقبضتاه على جانبيه. كان هناك خطأ. حالما اقترب منه قفزَ توماس مثل مهرّج الصندوق مُمسكًا ببطاقةٍ ثانية، ليتراجع جيان فزِعًا.

قهقهَ الجمهور أمام تعبير وجه الفارس، الذي بدا كمَن ابتلع ليمونةً حامضة للتو. فجأةً استلّ سيفًا رقيقًا من ظهره ودفعه مباشرةً في وسط البطاقة، مانعًا المزيد من الضحك. قفزَ توماس خارج الصندوق، وانحنى للجمهور بسرعة قبل أن ينزل على الدرج، والاحمرار بادٍ على خدّيه. قال وهو يتنفس بصعوبة: "لقد بدا مُنزعجًا من أدائي. ظننتُها لمسةً رائعة، القليل من الضحك لمُعادلة الخوف."

غادرَ جيان ومساعدوه المسرح، لكنني لم أستطع التركيز على

شيء عدا قطعة قماش مهترئة على سترة توماس. شعرتُ بدمي يزداد برودة. "لقد أصابتكَ الشفرة." لكن توماس دفعَ خصلة مبلّلة من شعره للخلف دون تعليق.

ظهرَ مفيستوفيليس ثانيةً من الدخان مثل أيّ شيطان، ليبتسم للجمهور ابتسامة عريضة، ثم أشار خلف الستائر المخملية ليظهر جيان مع ليزا وإيزابيلا في انحناءاتٍ متعددة لنا. صفّرَ الحاضرون وهتفوا، حتى أنّ البعض أخذ يدوس الأرض بالأقدام مرة أخرى، بينما قام آخرون برفع الزهور من المزهريات وألقوا بها على أرضية المسرح. لم أجد الإرادة للانضمام إليهم، بل لاحظتُ النار المتّقدة في عيني الفارس.

لقد أزعجهُ صديقي ولم يبدُ أنه من النوع الذي يسمح باستغفاله. ارتعدَت عضلة في فكه عندما استقر نظره على توماس، وشعرتُ بتبادل وعيدٍ صامت بين الاثنين.

قال مفيستوفيليس: "سيداتي وسادتي، يبدو أنّ لا أحد قد فقدَ رأسهُ الليلة، لكن هل ستكونون محظوظين غدًا؟ يجب أن نسأل عجلة الحظّ أولًا. طاب مساؤكم!"

تراجع الفنانون مع انسدال الستائر حتى اختفوا عن الأنظار، فالتفتُّ نحو توماس، ويداي حول كأسي لتجنّب خنقه. "هل أنتَ مجنون حقًا؟ كان من المُمكن أن تتأذى!" انجرفَ نظره من قبضتيّ إلى فكّي المتشنّج، ثم رفع يديه مُستسلمًا لغضبي. "على مهلكِ وادزورث. ربما يجب علينا الابتعاد عن أدوات المائدة والزجاجيّات. أؤكد لكِ أنني كنتُ في أمانٍ تام."

زفرت. "بالطبع كنتَ كذلك. من منا لن يكون آمنًا في أثناء

نشره إلى نصفين؟ خاصةً بعد مقتل شخص في الأمس، كم غبيٌّ مني أن أقلق!"

قاطعني عمّي: "أودري روز، رجاءً اضبطي نفسك حتى نهاية العشاء. لدي ما يكفي من المشاكل بعد ظهور ليزا." وقف راميًا منديله على المائدة. "في الواقع، سأقوم بإحضارها الآن. سوف تنضمّ إليكِ في غرفتك." قال ذلك وخرج من الصالة. رفعَت السيدة هارفي كأسها الفارغ وحدّقَت فيه كما لو أنه قد ينقلها من الطاولة، ثم قالت مُستدعيةً نادلًا لسحب كرسيها: "هل يُمكنك المساعدة؟ أجدُ نفسي فجأةً في غاية الإرهاق. إذا سمحتُم لي."

شاهدتُها تذهب، وانزعجتُ من فكرة بقائي دون مُرافِقة مرة أخرى. سألتُ توماس: "حسنًا؟ ما الاستنتاجات التي توصّلتَ إليها قبل القفز إلى ذلك الصندوق لتعتبرهُ آمنًا؟"

مدّ يده نحو يدي ثم توقّف. كنا لوحدنا على الطاولة، ولمسةٌ لي في مكانٍ عام غير لائق على الإطلاق.

"كان لذلك الصندوق قاعٌ زائف. لقد لاحظتُ وجود خط طفيف في الخشب، بضع بوصاتٍ إضافية لم تكن ضرورية. وفور أن ألقيتُ نظرةً أفضل عليه فهمتُ أنني سأكون مستلقيًا مباشرةً تحت الصندوق، في صندوقٍ مُلحق ضمن الطاولة." ابتسمَ بإعجاب. "إنه حقًا عبقريّ. يُتيح تصميمه قطع الصندوق إلى نصفين بينما تبرز يديّ وقدميّ من الثقوب. أيًّا كان مَن صمّمهُ فهو مُبدع. لم أرَ شيئًا كهذا من قبل."

"هل استنتجتَ كل ذلك قبل أن تدخل فيه؟"

"بلى." نظرَ توماس إلى الطاولات التي أخذَت تخلو من ضيوفها

تدريجيًا. قريبًا سنكون وحيدَين هنا. "أمرٌ رائع عندما تتسع فتحتا أنفكِ لهذه الدرجة، هكذا بالضبط" - ابتسمَ متفاديًا ركلتي السريعة له تحت الطاولة - "هذا هو المنظر. في يوم من الأيام سأصنع منها لوحةً بريشة فنان بورتريه شهير وأعلّقها فوق الرف في مكتبي."

"أنا أكرهكَ أحيانًا، توماس جيمس دورين كريسويل."

"حتى عندما أقومُ بتضحيةٍ بطوليّة وأخاطرُ بنفسي؟" أخرجَ بطاقتين من جيب سترته ليلوّح بهما أمامي. "أراهنُ أنّكِ تكرهينني أقلّ الآن."

"ربّما." التقطتُ البطاقتين من يديه. كانت إحداهما آس السُباتي والثانية بطاقة تاروت مرسومة باليد تمثّل العدالة. تنهّدتُ وسألت: "ما رأيكَ في هاتَين؟"

"حسنًا، ميزان العدالة المرسوم يبدو مائلًا إلى حدٍّ كبير. يبدو أنّ قتل ابنة كبير القضاة بريسكوت ليس صدفةً على الإطلاق. يجدر النظر في خلفيّته كقاضٍ، من الواضح أن أحدهم لا يجد أحكامه عادلة. هذا دافعٌ جيد للجريمة." نقرَ على ورقة اللعب. "وآس السُباتي على الأرجح إلهاء."

"ماذا عن آس السُباتي الذي تُركَ على جسد الآنسة بريسكوت؟ ربما تكون بطاقة التاروت هي الإلهاء."

هزّ توماس كتفيه. "ربما كلاهما خدعة، أو ربما تكونا ببساطة في غير محلّهما. أعتقد أنه يجب علينا البحث -"

قاطعَتنا ضجّة رهيبة. بدا الأمر كأن قطيعًا من الأفيال قد هربَت وكانت تجري عبر ممرات السفينة، وهو أمرٌ غير مستحيل نظرًا لوجود الكرنفال. تحرّكتُ في مقعدي لأشاهد عددًا من الأشخاص

يركضون أمام الباب المفتوح بينما كان النوادل يمدّون رؤوسهم.

سارَ الرعب عبر أطرافي. منظر الناس وهُم يركضون والدموع تنهمر على وجوههم ليسَت علامة جيدة على الإطلاق، خاصةً بعد أن رأوا قبل قليل شابًا يُقطَع إلى نصفين وبالكاد منعهُم ذلك عن تناول وجبتهم.

"أسرِعي." قال توماس وهو يأخذ ذراعي لِنندفع نحو الباب. "إذا كان هذا ما أخشاه فقد يكون هُنالك وقتٌ لإنقاذ الضحيّة."

"انتظر!" ركضتُ إلى أقرب طاولة لأمسك بسكّين. "من الأفضل أن نتوخّى الحذر."

لفّ توماس يده حول يدي وتحرّكنا بأسرع ما يمكن ضد موجة الركّاب المتّجهين في الاتجاه المعاكس. أبقيتُ السكين نحو الأسفل وقريبةً من جانبي. لم أرَ ممشى السفينة قط بهذا الاكتظاظ من قبل، وتحوّل من مكان ترفيه مُريح إلى ما يشبه القمع الممتلئ. كان الرجال بقبّعاتهم العالية يُسرعون ذهابًا وإيابًا، بعضهم يُرافق عائلاتهم بعيدًا عن الفوضى والبعض الآخر يغوص فيها. كادت يدي تنزلق من يد توماس عدة مرات لكنه أعاد إمساكها، واضعًا جسده أمام جسدي كحاجز. قام الناس بدفعه لكنه قادنا إلى حيث كان الحشد أكثر كثافة.

"لو سمحتُم!" صرخ رجلٌ لم أتمكن من رؤيته. "عودوا إلى الكابينات الخاصة بكم. لا تركضوا ولا تذعُروا، أؤكد لكم جميعًا أنني سأحافظ على سلامتكم."

"مثلما حافظتَ على سلامتِها؟" صاح أحد الركاب، لينال صرخات استحسان من القريبين إليه. "لا أحدٌ منا بأمان هنا في

وسـط المحيـط... نحـن مُحاصَـرون!"

قـال الرجـل الأول: "الرجـاء الهـدوء، سـيكون كل شـيء علـى مـا يـرام. حافظـوا علـى هدوئكـم وعـودوا إلـى غرفكـم!"

استغلّ تومـاس طـول قامتـه لِسـحبنا إلـى الأمـام. وقـفَ القبطـان نـوروود علـى قفـص، طالبًـا مـن أفـراد الطاقـم تفريـق الـركاب. جلـتُ بنظـري حولـه باحثـةً عـن مصـدر ذلـك الاهتيـاج... حتـى وجدتُـه. لقـد تدلّـت امـرأةٌ مُعلّقـة مـن كاحليهـا علـى العـوارض الخشـبية لسـطح الممشـى، وانقلبَـت تنّورتهـا فـوق رأسـها لتُغطّيـه وتكشـف ملابسـها الداخليـة أمـام مـرأى العالـم. ذلـك مـروّع بمـا يكفـي، لكنهـا أيضًـا طُعِنَـت بسـيوفٍ متعـدّدة فـي عـددٍ كبيـر مـن الزوايـا المجنونـة فـي جميـع أنحـاء جسـدها. كان الـدم يسـيل ببطء علـى سـطح السـفينة مـن كل جـرحٍ فيهـا، بصـوتٍ يشـبه صـوت المـاء المُتسـاقط مـن الصنبـور، وتمكنـتُ مـن تمييـز صـوت التقطيـر الشـيطانيّ رغـمَ ضجيـج الـركاب الخائفيـن. لقـد كان المشـهد الأكثـر فظاعـةً علـى الإطـلاق مـن بيـن كل مشـاهد القتـل الشـنيعة التـي شـهدتُها فـي حياتـي.

أمسـكتُ بطنـي بيـديّ وأجبـرتُ أنفاسـي علـى الانتظـام. أخـذَ الحبـل يصـرّ مـع التـواء الجثـة حولـه مثـل سـمكةٍ تـمّ اصطيادهـا. كنـتُ أظـنّ أنّ قتـل الآنسـة بريسـكوت مـروّع، لكـن مـا رأيتُـه الآن مسـتوى جديـدٌ تمامًـا مـن الوحشـيّة. هبّـت الريـاح فـي الممـرّ المكشـوف، دافعـةً الجثّـة للتمايـل فوقنـا بهـدوء. حاولـتُ التركيـز علـى أي شـيء عـدا السـيوف بينمـا كان الـدم يتدفـق علـى الأرض.

"آه، يـا ربّنـا الرحيـم! انظـروا،" قلـتُ مُشـيرةً إلـى قطعـة مهترئـة مـن الحبـل. "إذا لـم نقُـم بإنزالهـا قريبًـا فسـوف تنقطـع الحبـال." وسـتُغرز

السيوف في الجسد بشكلٍ أعمق، وربّما تقطع رأسها أمام أعيننا. انقلبَت معدتي بذلك الخيال. هذه الضحيّة المسكينة لا تستحقّ ذرةً واحدة إضافية من التنكيل أو التشويه.

فحصَ توماس الحضور. "عمّك هناك، يجب أن نذهب إليه."

وقفنا بالقرب من السور والرياح تهبّ في غضب. فركتُ يديّ على ذراعي، مُدركةً أنني لم أنسَ أخذ عباءتي فقط بل أضعتُ السكين أيضًا. وضعَ توماس سترته على كتفي، دون أن يرفع بصره عن الجثة. فورَ أن تمكّن الطاقم من صرف معظم الركاب أشارَ العمّ إلينا بالتقدّم. أوقفَنا أحد المساعدين: "من فضلكم عودوا إلى غرفكم. إنها أوامر القبطان."

نظرَ توماس إلى الشابّ. "نحن نساعد في فحص الجثة."

نظرَ المساعد إليّ: "كلاكُما؟"

"دعهم يمرّون يا هنري!" هتفَ نوروود. "وليجلب لي أحدكم سيّد الحلبة اللعين. إذا كان أحد فنّانيه خلف ما يحدث فسوف أعلّقهُ بيديّ!" التفتَ القبطان إلى عمّي ويداه على جانبيه. "لا يمكننا تركها هنا بهذا الوضع طوال الليل، سأعطيكَ عشرين دقيقة ثم يُمكنكَ القيام بالباقي في الداخل." بدأ يمشي بين أفراد طاقمه. "اذهبوا إلى المقصورات واعرفوا مَن يفتقدُ هذه الشابة. شخصٌ ممّن يعرفونها ينتابه القلق الآن. آه، وتأكدوا من إرسال البراندي إلى أولئك الذين أثّرَت عليهم الصدمة. آخر ما نحتاجه الآن هو نشر المزيد من الذعر. اذهبوا!"

التقَت عيناي بعينَي عمّي قبل أن يسير حول الجثة، وللحظةٍ مُرعبة تخيّلتُ أنّ ليزا هي المعلّقة هناك، وقد اخترقت جسدها نفس

الشفرات التي ساعدَت في استخدامها في عرض المساء. ثم طغى المنطق على فكري، ونظرتُ إلى الحقائق الواقعية أمامي. لم ترتدِ الفتاة زيّ الكرنفال، ولم أتمكن من رؤية وجهها لكنها بدَت أكثر طولًا ووزنًا من ابنة عمتي. سحبتُ نفسًا عميقًا، لكنّه لم ينجح في تهدئة نبضي خلال تحرّكي نحو الضحية. دنوتُ من صرير الحبل والجسد المتمايل، وغمرَتني رائحة الدم النحاسيّة الحادة ممزوجةً بعبَق ملوحة البحر، رائحةٌ لن أنساها في وقتٍ قريب.

تجوّل توماس حول الجثة، بوجهٍ بارد مثل هواء الشتاء من حولنا. من الصعب تخيّل كونه نفس الشخص المفعم بالدفء الذي كنتُ معه قبل ساعات قليلة. أشارَ إلى قارب نجاة ملقى على الأرض وقال: "قام أحدهم بقطع الحبل من أحد طرفيه واستخدمه لرفعها إلى أعلى. أترَون؟"

تقدّمتُ وجلستُ القرفصاء. "قد يُشير ذلك إلى أنّ ما حدث لم يكن مُخطّطًا له، وإلّا لأحضرَ القاتل حبلًا معه."

"مع احترامي يا وادزورث، لا أوافقكِ الرأي. هذا ما كان يأمل في اختلاقه، لكن انظري هناك... لقد استخدم حبلًا آخر وشدّه مع القطعة هذه ثم رمى بها ليلفّها مرتين حول العوارض الخشبية. كان بإمكانه قطع كل ما يلزمه من الطول من هذا." أشار برأسه إلى كومة الحبل على الأرض. "لماذا تكبّد عناء قطع قارب النجاة والمُخاطرة في جذب الانتباه إليه؟"

كان هذا سؤالًا لم أجد إجابة له. أعدتُ تركيزي إلى التفاصيل المروّعة للسيوف.

كان هناك شيءٌ واحد مؤكد بشأنها: مَن طعنَها لديه قدرٌ لا

يُستهان به من القوة البدنيّة. انتبهتُ إلى أمرٍ غريب في المشهد بأكمله.

"لماذا لم يسمع أحدٌ أيّ صراخ؟ لا بدّ أنها صرخَت طلبًا للمساعدة. لا أستطيع تخيّلها واقفةً بهدوء وهي تتعرّض للطعن بالسيف، ناهيكَ عن..." أحصيتُهم بمرارة: "سبعة سيوف. لا بدّ من وجود شاهد."

خلع عمّي نظّاراته ومسحَها على كمّه. تخيّلتُ مقدار لهفته إلى إحضار الجثة إلى مختبرنا المؤقّت في السفينة. استدار قائلًا: "أنا واثقٌ من أنّ فحصنا سيُجيب على بعض الأسئلة. أودّ أن تغيّرا ثيابكما ثم تجتمعان بي في المختبر. توماس، أرجو عدم ترك أودري روز لوحدها، والتأكّد من وضع ليزا تحت عيون السيدة هارفي. أريدُ مراقبة الجميع هذا المساء."

"أجل يا عمي." ألقيتُ نظرة أخيرة على المشهد.

"سبعة سيوف." أجفلني صوتٌ باردٌ عميق. التفتنا أنا وتوماس إلى الوافد الجديد، مفيستوفيليس، الذي وضعَ يديه في جيوبه وأطلق صفيرًا. "رأسًا على عقب، علامةٌ سيّئة دومًا. مع إنّ هذا واضحٌ تمامًا، أليس كذلك؟"

"عمّ تتحدّث؟" سألتُه مُنزعجةً بالفعل من وجوده. لم يكلّف نفسه حتى عناء خلع قناعه، حاشا لله أن يرى العالم وجهه الحقيقي.

"ماذا يعني ذلك؟"

"حقًا، ألم يلاحظ أحدكم أنها وُضِعَت هكذا لتبدو مماثلةً لبطاقة التاروت 'سبعة سيوف'؟" نظرنا إلى مفيستوفيليس ببلاهة، فأخرجَ من جيب معطفه مجموعة بطاقات، قلّبَها ثم التقط إحداها بحركةٍ

بهيجة. "هل يبدو هذا الرسم مألوفًا؟ انتظروا، هناك خطأ ما... آه... هذا هو." قلبَ البطاقة رأسًا على عقب. "عندما يتم قلب بطاقة سبعة السيوف، فهذا أمرٌ شرير. خداع، عار، يُمكن أن يعني أيضًا أن أحدهم اعتقدَ أنه أفلتَ من شيء ما." أشارَ بإصبعه إلى الجثة. "شخصٌ ما صمّمَ هذا المشهد بعنايةٍ فائقة."

ضاقت عينا توماس وهو يقول: "تتصرّف بارتياحٍ زائد بينما يتباهى كرنفالك باستخدام بطاقات التاروت في عروضه."

أعاد مفيستوفيليس البطاقات إلى سترته ثم ربّتَ على الجيب. انجرفَت نظراته إلى حيث كنتُ أحدّق، مُحاولةً للعثور على الانتفاخ في السترة. شد معطفه عليه وابتسمَ ابتسامةً عريضة. "هل تُفكّرين في البحث عن البطاقات لديّ؟ أضمنُ أنكَ لن تجديها، لكن البحث سيكون ممتعًا."

كوّرتُ قبضتيّ بجانبي. "ربما يجب على القبطان أن يرميكَ في الزنزانة[1]."

قال سيّد الحلبة: "سيكون ذلك مؤسفًا للغاية. لقد قدّمتُ بلاغًا عن سرقة بعض الأشياء قبل بدء عرض الليلة، حبل، بطاقات تاروت و... ماذا كانت..." حكّ ذقنه في تأملٍ زائف ثم هتف: "آه، سيوف! مجموعة كاملة منها. في الواقع يبدو أنّها لم تعُد مفقودة، رغمَ شكّي في رغبة جيان باسترجاعها الآن. الموت يضرّ بالعمل."

قلتُ عاجزةً عن السكوت أكثر من ذلك: "أنتَ حقير. لقد قُتِلَت هذه المرأة، وعُلّقت أمامك بهذه الوحشية، ومع ذلك تجعل

---

1- زنزانة السفينة: حُجرة مُغلقة في السفن الكبيرة مخصصة لاحتجاز مَن يخرق القوانين لحين الوصول إلى الميناء. (المُترجم)

منها محطّ استهزاء هكذا."

حدّق فيّ مفيستوفيليس كما لو أنه يراني حقًا لأول مرة. "خالص اعتذاري يا آنسة. ليسَت لديّ معلومات أخرى أقدّمها بخلاف ما قلتُه. إنه أمرٌ مؤسف للغاية أن تُقتَل امرأة أخرى، لكن كرنفالي لا علاقة له بذلك. لا يمكنني تحمّل خوف الناس وامتناعهم عن حضور عروضي، فهي مصدر رزق معظم الناس الذين أوظّفهم. أقترحُ أن تحوّلوا أنظاركم إلى مكان آخر."

ألقى مفيستوفيليس نظرةً أخيرة على الجثة ثم انصرف. جذبتُ معطف توماس عليّ. إعلان البراءة بهذا الوضوح يجعلني أشكّ أكثر في التورّط بالجُرم. قدّم توماس ذراعه إليّ: "تعالي، لنتجه إلى غرفتك."

في طريقنا إلى غرفتي ألقيتُ نظرةً خاطفة على المُحيط وندمتُ عليها. في الليل كان وحشًا مُظلمًا متموجًا، يتلألأ على سطحه ضوء القمر مثل ألف عينٍ صغيرة تراقب سيرنا، تغمزُ وتلمع مع مرورنا. تساءلتُ عمّا شهدَتهُ المياه الصامتة هذه الليلة، وما الأسرار الأخرى التي قد تُخفيها. ترى كم عدد الجرائم التي ساعدَت في إخفائها بابتلاع الجثث كاملةً في جوفها؟



# 7
# جريمةٌ في غاية الوحشية

## غرفة أودري روز - الباخرة إتروريا
## 2 يناير 1889

أودعَني توماس في غرفتي مع وعدٍ بالعودة من أجل تشريح الجثة. عندما دخلتُ وجدتُ ليزا ممددة على سريري، وأنفها في إحدى مجلات الطب الجنائي خاصّتي. "لا تُسيئي فهمي يا ابنة خالي العزيزة، لكن كيف تنامين في الليل؟" سألتني مشيرةً إلى رسمٍ تشريحيّ. "هذا أمر مروّع للغاية قبل النوم."

"ليزا... ماذا بحقّ -"

قالت وهي ترفع حاجبيها من العنوان: "حقًا، دراسة في الأسلحة الحادّة والجروح التمزّقية؟" قلّبَت الكتاب وتوقّفَت على صفحات الرسوم التوضيحية. "إنه أمر شنيع يا ابنة خالي، حتى بالنسبة لك. هل هذه أمعاء شخص ما؟" قامَت بتمرير اصبعها على حلقها، مُحاكيةً التعبير عن الاشمئزاز. قلتُ دون تعليق على قراءاتي الليلية: "والدتُكِ مُحطّمة تمامًا." أعادَت الكتاب إلى منضدتي ووقفَت. "لقد نشرَت هي وأبي شائعاتٍ بأنّكِ لستِ على ما يرام، وجعلا الجميع يظنّون أنّكِ ذهبتِ للتعافي في ثورنبراير. أبي يعتقد أنكِ قد تكونين ميتة."

"ألا يُمكنهم على الأقل ابتكار شيء أكثر رومانسيّة؟" عبسَت ليزا. "ملكيّة والدكِ في الريف كبيرة، لكن هذه القصّة مملّة. يجب أن أكتب إلى أمّي لأقدّم بعض الاقتراحات." رفعَت ورقة الآس السّباتي من منضدتي. "هل تعلمين أن علامات ورق اللعب الأربع مرتبطة أيضًا بعناصر الطبيعة؟"

"كلا."

ابتسمَت ابتسامةً عريضة، ذلك النوع من الابتسامات البلهاء النادرة التي تدفع المُقابل لتخيّل أنّ طبق الحلوى على وشك الوصول. "هاري معجزةٌ في خلق الحكايات العظيمة. أقسمُ أنه يجعل أكثر الأشياء العادية تبدو غير عاديّة. يدّعي أنّ هُناك قدرةً خاصّة في كيفية بيع الأشياء. لماذا نُطلق على شيء ما تسمية عطر بينما يُمكن أن ندعوهُ عبَق حبّ؟"

"هاري[1]؟" جلستُ على السرير بجانب ابنة عمّتي وأنا أعبثُ بطيّات تنّورتي. "بشأن ذلك... بحقّ السماوات ماذا دفعَكِ للهرب مع رجل بالكاد تعرفينه؟ آملُ ألّا يكون قد روى لكِ قصةً خياليّة لا تُصدَّق."

"معظم القصص رائعة لدرجةٍ يصعب تصديقها. هذا ما يجعلها ساحرة." تمتمت: "وخطيرة أيضًا."

وضعَت ليزا البطاقة وانحنت عليّ ليستند رأسها على كتفي، كما كانت تفعل عندما كنّا أطفالًا نلعب في حدائق ثورنبراير.

---

1 - هاري هوديني: ساحرٌ وفنان هروب شهير ذاع صيته في بدايات القرن العشرين ويُعدّ من أشهر السحرة على مرّ العصور. (المُترجم)

2 - حفلة البلوغ: تقليد قديم يقضي بإقامة حفل للفتاة التي تصل سن البلوغ لتقديمها للمجتمع كامرأة بالغة مُتاحة للزواج. (المُترجم)

"لديّ الكثير لأكون ممتنةً له، العديد من الفرص التي لن ينالها الآخرون أبدًا، ومع ذلك في كل مرة أجرّبُ فيها ثوبًا جديدًا لحفلة بلوغي[2] أشعرُ كأنّني أتعرّض للخنق. كنتُ أعيش الحياة لكن دون استمتاع. لقد ارتديتُ الحرير لكنّني شعرتُ بوخز الأشواك وأنا فيه."

تنهّدت. كان شعورًا أعرفهُ جيدًا.

اقتربَت مني وتابعَت بصوتٍ مُرهف: "ألم ترغبي يومًا في أن تكوني شخصًا آخر؟ ولو لفترةٍ وجيزة. أو ربما ليس شخصًا آخر، بل تتوقينَ إلى أن تكوني نفسكِ الحقيقية، أن تعيشي تمامًا كما يحلو لكِ دون عواقب أو أحكام. أعلمُ أن هذا قد يكون خطئًا فادحًا، وهمٌ مُتقَنٌ مثل عروض هذا الكرنفال، لكن للمرة الأولى بتُّ سيّدة مصيري. أشعرُ كأنني تحرّرتُ من قفص ويمكنني أخيرًا التنفس مرة أخرى. كيف يُمكنني التخلّي عن هذه الحرية؟"

أنبتَ الذنب أسنانه الملتوية بداخلي. كنتُ أعرف بالضبط الشعور الذي وصفَته، كونك مقيّدًا بالتوقّعات التي يضعها لك الآخرون. يستحق كل فرد أن يعيش بحرّية ولأجل نفسه، هذا حقٌّ أساسي لا رفاهية. لففتُ ذراعي حول ابنة عمّتي وأملتُ رأسي عليها. "إذَن أخبريني عن ملك البطاقات. أريد سماع كل التفاصيل خلال استعدادي لتشريح الجثة."

"حسنًا، أفترضُ أنني يجب أن أبدأ من البداية."

استطعتُ سماع الابتسامة في صوت ابنة عمتي وهي تحكي كل الطرق التي سحرَها بها السيّد هاري هوديني. شعرتُ بسعادةٍ غامرة من أجلها، رغم أن قلقي تزايد بشكل مزعج كلما تحدّثَت أكثر. لم أشاركها مشاعرها تجاه رجل من المحتمل أن يُحطّمها لمجرد نزوةٍ

عاطفيّـة، خاصـةً أنـه لـم يُقـدّم وعـدًا بالـزواج. بـدا أنـه لـم يكـن لـدى هودينـي مـا يخسـره، علـى العكـس تمامًـا مـن ليـزا. حاولـتُ إبعـاد القلـق عنـي ودعمهـا كمـا كانـت تدعمنـي دومًـا. واصلَـت التحـدّث حتـى جـاء تومـاس، ووعـدَت بإنهـاء قصتهـا فـورَ رجوعـي.

هممتُ بالمغادرة، ثم استدرتُ نحوها قائلةً: "من الجيّد عودتك."

"بالطبـع يـا سـخيفة. أراهـنُ أن الحيـاة كانـت مملّـةً حـدّ اللعنـة بدونـي. هيـا اذهبـي." ابتسـمَت وهـي ترفـع مفكـرة التشـريح كأنهـا تنـوي دراسـتها. "لـن أذهـب إلـى أي مـكان."

توقّفـتُ فـي طريقـي إلـى البـاب. "ليـزا؟ هـل لاحظـتِ أيّ شـخص فـي فرقـة الكرنفـال يتصـرّف بشـكل غريـب؟"

"هـل تُلمّحيـن إلـى أنّ أحـد أصدقائـي الجـدد هـو المسـؤول عـن هـذه الفظائـع؟" جلسَـت باسـتقامة وضاقـت عيناهـا. "كلا. لـم أسـمع أو أرَ شـيئًا باسـتثناء رعبهـم."

"لم أقصد –"

"اذهبـي وقومـي بحـلّ هـذا اللغـز المُريـع مـن أجلنـا جميعًـا. أقسـمُ أننـي سـأكون هنـا عندمـا تعوديـن."

قامَـت برسـم علامـة الصليـب، وتمنّيـتُ أن تفـي بوعدِهـا الأخيـر حقًـا.

***

بـدا لـي الضـوء المُعلّـق فـوق طاولـة التشـريح المؤقتـة خاصّتنـا كأنـه نحلـةٌ تحتضـر. لـم يُسـاعد أزيـزه ونـوره الباهـت فـي تحسـين مزاجـي بينمـا طـوى عمّـي الكفـن، كاشـفًا عـن الضحيـة. نظـرتُ إلـى شـعرها الأشـقر والنظـرة الهادئـة علـى وجههـا، كان مـن الصعـب تخيّـل أنهـا ماتـت

بتلك الطريقة العنيفة قبل نزول تركيزي إلى باقي جسدها، حيث كان هناك أربعة عشر ثقبًا، اثنان في كل ذراع واثنان في كل ساق، وعشرة في أنحاء الجذع، نقاط دخول وخروج السيوف. أردتُ إغماض عينيّ لكن الاختباء لن يُغيّر شيئًا. ستبقى الفتاة قتيلةً وما زلتُ بحاجة إلى العثور على أيّ دليل قد يؤدي إلى الفاعل. ارتجفتُ قليلًا وأنا أتذكّر بطاقة التاروت التي استوحيَت منها هذه الجريمة. "ابدئي الفحص الآن أودري روز." انتهى عمي من غسل يديه وسلّم توماس المفكّرة والقلم. "ابدئي بالجروح هذه المرة من فضلك."

"نعم سيدي." تنحنحتُ ثم مشيتُ حول الجثة لفحصها. "هنالك طفحٌ جلديٌّ طفيف حول كلا الكاحلين، لكن لا يوجد أثرٌ لضغط الحبال عليهما. لو كانت حيّةً أثناء رفعها لكافحَت القيود، ونظرًا لعدم وجود الأثر فمن المحتمل أنها لم تُكافح وبالتالي قد تكون ميتةً بالفعل قبل التعليق."

"جيّد. ماذا بعد؟"

حدّقتُ في وجهها مرةً أخرى وعضضتُ شفتي. كان فيه شيءٌ هادئ للغاية، الكحل حول عينيها منتظم دون أي لطخات. من الغريب لشخصٍ قُتل بطريقة شنيعة ألّا يذرف دمعة. أشرتُ إليها قائلةً: "كحل الضحيّة سليم تمامًا. إمّا أنّ الجاني قد وضعهُ بعد وفاتها، وهو أمرٌ صعب التصديق، وإمّا أنها كانت تحت تأثير مُخدّر خلال الجريمة. أشكّ في سلامة وعي هذه المرأة عند تعرّضها للهجوم."

"ممتاز." رفع توماس انتباهه عن ملاحظاته ونظر إليّ. "كما أنّ أظافرها غير مكسورة، ولا توجد علامات على جروحٍ دفاعية."

تابعت: "وهو ما يُفسّر أيضًا سبب عدم صراخها. لقد كانت ميتة

أو مشلولةً تمامًا عندما جرى تعليقها من كاحليها."

وقف عمّي فوق إحدى الجروح وهو يقول: "أعتقدُ أن الحقائق تتماشى مع هذه النظرية. انظروا إلى الجروح، بماذا تُخبركم؟"

انضممتُ إليه واقتربتُ لإلقاء نظرة أفضل. في البداية لم انتبه فقد كانت الجروح مروّعة، ثم لاحظتُ وجود دماء بلا كدمات. "على الأغلب أنّ هذه السيوف قد تم إدخالها بعد الوفاة."

"ممتاز. سبب الوفاة؟"

بالنسبة لي تحوّلَت الجثة من شابّة متوفاة إلى لغز ينتظرُ حلًّا. سحبتُ جفنيها للخلف. "لا يوجد نزيف نقطيّ، ولا كدمات على الرقبة. بالتأكيد لم تُخنَق. أخشى أننا لن نعرف سبب الوفاة دون فتح الجسد، ونظرًا لغياب العلامات الأخرى فالسببُ الأرجح هو التسمّم."

قفزَ توماس واقفًا ليقع منه دفتر الملاحظات وهو يرفع ذراع الضحية. انحنى عن قرب نحوها ثم أعادَها بوجهٍ متجهّم. "يبدو أنها قد تمّ حقنُها أو سحب بعض الدماء منها. انظروا هنا، هذه علامة حُقنة دقيقة."

تسارعَ نبضي. "نعرف طبيبًا واحدًا على الأقل على متن هذه السفينة."

أضاف توماس: "شخصٌ كان على صلةٍ بالضحيّة الأولى، وحرصَ كثيرًا على إبعادنا عن مريضه الجديد."

نما الفزع في داخلي. "لقد اعترف الدكتور آردن بإعطاء كبير القضاة بريسكوت إكسيرًا، ثم غابَ آل بريسكوت عن صالة الطعام الليلة." ظننتُ سابقًا أنهما اختارا البقاء في جناحِهما حدادًا على

الابنـة، لكـن مـاذا لـو كانـا عاجزَيـن عـن الخـروج؟ "أعـرفُ أنـه صـرحَ بأنـه لـن يحضـر العـرض، لكـن هـل رأى أيٌّ منكمـا الدكتـور آردن هـذه الليلـة؟"

هـزّ عمّـي رأسـه. "لـم أره، ولـم يـرد كبيـر القضـاة بريسـكوت علـى البـاب عندمـا طرقتُـه ثانيـةً قبـل العشـاء. فـي الواقـع بـدا ذلـك الجنـاح فارغًـا وهادئًـا بشـكل غريـب، وهـو أمـرٌ غيـر متوقّـع لـو كانـا فيـه."

حمـلَ تومـاس عباءاتنـا قائـلًا: "حسـنًا، إذَن دعونـا نتحقـق مـن الأمـر فـي الحـال. سـنُبلغ القبطـان فـي الطريـق."

"لا حاجـة لذلـك." انحنـى الكابتـن نـوروود علـى إطـار البـاب، وبـدا وجهـه متعبًـا أكثـر ممـا كان عليـه فـي آخـر مـرة رأيتُـه فيهـا. "جئـتُ لأقـدّم لكـم الأخبـار بنفسـي."

غطّيـتُ الجسـد بالكفـن، محاولـةً منـح المسـكينة أكبـر قـدر مُمكـن مـن الاحتـرام. أشـاحَ القبطـان بوجهـه بعيـدًا عنهـا وهـو يقـول: "لقـد زارَ طاقمـي كل مقصـورات الدرجـة الأولـى، علـى أمـل إيجـاد شـاهد، لكـن -"

قاطعـتُ كلامـه لتوفيـر الوقـت الـذي كنـا نحتاجـه للتحقّـق مـن حالـة آل بريسـكوت: "نعتقـدُ أننـا اكتشـفنا مَـن المسـؤول يـا سـيّدي. يجـب تحديـد مـكان الدكتـور آردن والقبـض عليـه فـي الحـال. كان آخـر مـرة -"

قاطعَنـي بالقـول: "عفـواً آنسـة وادزورث، لكننـي أخشـى أنكـم علـى خطـأ." نظـر إلـى الجسـد المغطّـى وهـو يبتلـع ريقـه بصعوبـة. "لقـد تحدّثنـا مـع الجميـع... وتبيّـن أن الآنسـة آردن ابنـة الطبيـب مفقـودة." أخـرجَ صـورة مـن جيـب معطفـه ورفعَهـا لكـي نراهـا. تراجعـتُ ومعدتـي تغـوص فـي جوفـي. "هـذه نفـس الشـابة التـي علـى طاولـة الفحـص، أليـس كذلـك؟"

حدّقتُ في الصورة بِصمت، وبدأتُ أستوعب ببطء المعلومات الجديدة وما تعنيه لقضيّتنا. إذا كانت ابنة الدكتور آردن هي الضحية فهذا يُبعده عن الشكوك، في حال عدم وجود خلاف بينهما. لقد احتجنا لإعادة التفكير من جديد، وبدَت المهمة شاقة.

"هذا ليس كل ما اكتشفتَه، أليس كذلك؟" أومأ العم برأسه إلى ورقةٍ أخرى كانت واضحة في جيب معطف القبطان.

"أتمنى لو كان كذلك." تنهد نورووود وهو يسحب الورقة. "هذه عائلةٌ ثالثة تُطالب بالتحقيق في اختفاء ابنتها، لذا أطلبُ منكم جميعًا أن تأتوا معي على الفور."

شعرتُ بوهنٍ في ركبتيّ، هذا يعني احتمال وجود جثّة أخرى. نظرَ توماس إليّ دون أن ينطق بكلمة. جثّتان وثالثة محتملة في يومين فقط. لدينا الآن قاتلٌ مُتسلسلٌ جديد، قاتلٌ بدأ للتو بأعماله الشنيعة.

***

ملأت الأقمشة القرمزيّة أرضيّة مقصورة الدرجة الأولى الخاصة بالآنسة كرينشو في منظرٍ أشبه بالدماء المسكوبة، مُشوّهةً ترتيب المكان. وقفتُ فوق تلك الفوضى ويدي على وركي، فاحصةً الحرير بدقّة كما يفعل توماس، في محاولةٍ للتفريق بين النظام والعشوائية. لقد كانت مهمةً عسيرة، خاصةً مع إدراكي لضرورة التكتّم على الموضوع بينما كانت نظرات والديها تُلهب ظهري. لم أحتَج إلى مهارات توماس في الاستنتاج لمعرفة أنّ ما توصّلتُ إليه لن يُسعدهم.

مع ذلك كان مصيرها أفضل بكثير مما كنتُ أخشاه. حدّقتُ في الثوب المجعد حتى كاد يصيبني الحوَل، على أمل العثور على

دليلٍ عن المكان الذي اختفَت فيه صاحبته، ويُفضّل أن يخلو ذلك من خطر نوبات الإغماء أو الفضيحة. كان اللورد كرينشو شخصية مشهورة، وأعرف أن سمعة عائلته ذات أهمية قصوى. أعدتُ التركيز على الفستان. كان النسيج جميلًا، من أفضل الخيوط التي رأيتُها في أوروبا. الاستنتاج الوحيد الذي توصّلتُ إليه أنهُ من الخسارة الفادحة رميها على الأرض بهذه الطريقة اللامُبالية.

قد تكون الآنسة كرينشو ذات شخصية متهوّرة، لكن هذا لا يعني أنها قُتِلت. في غياب أي دليل على وقوع جريمة ربّما تكون قد هربَت... والشابات غير المتزوجات لا يهربنَ لوحدهنّ. دفعَتني نظرةٌ سريعة على والديها إلى التساؤل عمّا يُفضّلان بين الخيارين. فضيحةٌ من هذا النوع تُشابه الموت بحدّ ذاتها. هُنالك كأسا شمبانيا على منضدتها مع كعكة شوكولاتة نصف مأكولة، مؤكدةً شكوكي بأنها لم تكن بمفردها.

نظرتُ إلى عمّي، لكنه كان منشغلًا بمتابعة أفراد الطاقم وهم يبحثون في غرفة النوم، للتأكد من عدم إتلاف أيّة أدلة جنائية محتملة. بعد إعلان مقتل ابنة الدكتور آردن باتَ الجميع في كفتيّ ميزان الخطر. حدّقتُ في اتجاه الكوّة، مُستذكرةً الضجيج المستمر لعمال الأرصفة قبل مغادرتنا للميناء يوم أمس. ذلك مكانٌ مثاليّ للضياع وسط حشود الناس.

استفسرت: "هل تدّعون أن ابنتكم مفقودة منذ الأمس؟ قبل إبحار السفينة؟" أومأ الوالدان. "هل سألتُم خادمتها الشخصية؟ يجب أن يُساعدها أحدهم لفتح مشدّ هذا الثوب. تصميمه معقّدٌ للغاية، من المستحيل أن تكون قد خلعَتهُ بمفردها."

رفع توماس حاجبَيه الداكنين بلا تعليق. لمحتُه من زاوية عيني مُلاحظةً الابتسامة التي يكتمها، وتساءلتُ عمّا كان يُسلّيه.

قال اللورد كرينشو: "هذا بالتأكيد ليس مؤشرًا على جريمة." لاحظتُ أنه لم يرد على سؤالي، وأزحتُ تركيزي عن شاربه الأبيض. "قد تزور ابنتنا ضيفًا آخر، أو ربما غيّرَت رأيها وعادت إلى لندن قبل الإبحار."

وافق الكابتن نورwood باستعدادٍ للقفز إلى أيّ قارب نجاة لإنقاذ سُمعة سفينته الغارقة: "أستطيع القول وعن خبرة أنها لن تكون المرة الأولى التي يُقرّر فيها راكبٌ ما النزول من السفينة. السفر عبر المحيط أمرٌ شاقّ للغاية بالنسبة للبعض."

قال اللورد كرينشو بتفاؤل: "نعم، هذا ما حدث على الأرجح. إليزابيث تخشى الماء كثيرًا، ربما لم ترغب في إثارة الجلبة وقرّرت العودة إلى المنزل. لقد ذكرَت كم كانت متوترة صباح الأمس، آخر مرةٍ رأيناها فيها."

"هل كانت ستأخذ شخصًا معها؟ مُرافِق أو خادمة؟" سألتُ وأنا أرى التردد على وجه السيّدة كرينشو. كانت قصةً جميلة، لكن معظم الحكايات الخيالية لها جانب مُظلم، خاصة عندما يتعلق الأمر بمصير أميرة.

قالت السيدة كرينشو: "أنا... لا أعتقد أن هناك شخص مفقود غيرها. لكن إليزابيث لن... إنها فتاة صالحة. ربما لم ترغب في إفساد رحلتنا. إنّها ليست إحدى رخيصات الطبقة الدُنيا."

قمتُ بكبت ردّي السريع ووجهي يحترق. لو لم تكن المفقودة أنثى لما أتى ذكر هذه الأمور، كما لا توجد علاقة بين طبقتها وهذا

الموضوع على الإطلاق. لدى الكثير من العائلات الفقيرة رُقيًا أكثر مما أظهرَتهُ السيدة كرينشو للتوّ.

سألت: "هل لاحظتِ فقدان شيء ذي قيمة؟ مجوهرات، حلي..."

هزّت السيدة كرينشو رأسها. "فقط خاتم الزمرد، لكن إليزابيث لا تخلعه قطّ."

"هل أنتِ متأكدةٌ تمامًا من ذلك؟"

"لم أدَع شخصًا يفتش أغراضها." فتحَت الليدي كرينشو صندوق المجوهرات وقلّبَت فيه قليلًا قبل أن تعقد حاجبيها. "هنالك عقد لؤلؤ مفقودٌ أيضًا. أنا... لستُ متأكدة من علاقته باختفائها."

عضّ توماس شفته، في إشارةٍ إلى أنه كان يخوض حربًا داخلية مع نفسه. "هل كانت وحيدة؟ أرى اثنين من كؤوس الشمبانيا، أحدهما يحتوي على أحمر شفاه والآخر لا. من الاستنتاجات الواضحة الأخرى أنّ عشيقها قد خلعَ ملابسها بعد أن تناولا بعض الكحول."

سحبَ كل مَن في الغرفة نفسًا عميقًا. رفعتُ عينيّ نحو السماء، متسائلة ماذا فعلتُ لإغضاب أيّ قوة عليا هناك. كان ذلك الشيء الوحيد الذي من المفترض أن نفكّر فيه دون التصريح به. حتى عمّي تصلّب في مكانه.

أضاف توماس دون اكتراث للصمت المفاجئ: "هذا من شأنه تفسير هذه الكومة من الملابس الملقاة، والفراش المجعّد وغياب الآنسة كرينشو. ربما هربَت مع شخص ما ولم ترغب في إخبار والديها. إذا كان عليّ التخمين، فسأقول أنه شخصٌ من مستوى أدنى منها، وهو أمرٌ منطقيّ بعد ملاحظة بقعة الحبر على غطاء وسادتها. تبدو البقعة أثرًا ليد شخص اعتاد العمل بيديه، وهو ظاهرٌ أيضًا

على الكريستال."

"كيف تجرؤ!" قال اللورد كرينشو وقد احمرّ وجهه في لحظة. تساءلت ما الذي أغضبه أكثر، فكرة هروب الآنسة كرينشو أم احتمال ذهابها مع شخص من الطبقة الدنيا. "ابنتنا لا تفعل شيئًا كهذا... تلميحك لهذا النوع من السلوك المستهجن -"

"لا تفقد أعصابك يا عزيزي." وضعَت السيدة كرينشو يدها على ذراعه. "لنترك هذا الأمر ونخلُد للنوم. إليزابيث في منزلنا في لندن. سنُراسلها عندما نصل إلى نيويورك في غضون أسبوع. هذا برمّته سوء فهم سخيف."

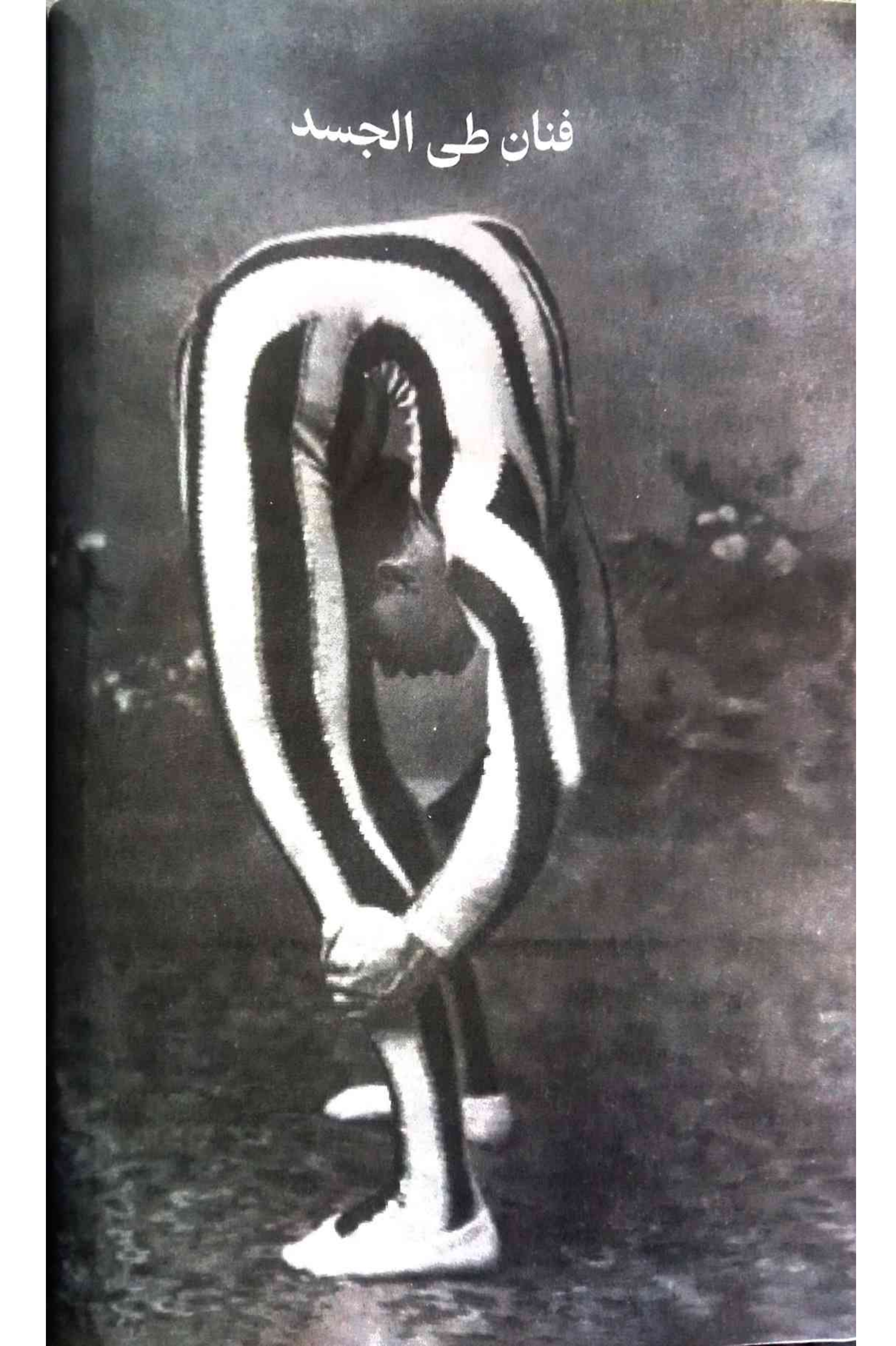
أومأ اللورد كرينشو برأسه إلى القبطان ورمقَ توماس بنظرة غضب قبل مغادرة الغرفة. فور رحيلهما وجّهتُ انتباهي مرة أخرى إلى المقصورة. لم تكن هناك علامات على صراع ولا بقع دماء، ونظرًا للفستان المرميّ على الأرض شككتُ في أن القاتل قد قضى وقتًا في تنظيف الجدران من الدماء لكنه ترك السرير والثوب هكذا، خصوصًا بعد الطبيعة الاستعراضية لآخر جثةٍ وجدناها. مع ذلك كان وجود الكأس الثاني أمرًا مُزعجًا، ولا ينسجم مع باقي المشهد. ربما كان اقتراح توماس صائبًا: امرأةٌ شابة اختارَت لنفسها مسارًا مختلفًا. وبعد قضاء آخر نصف ساعة مع والديها يُمكنني القول أنّ وقت هروبها منهما قد حان منذ زمن طويل.

انحنى عمّي على دورة المياه، ونظرَ حوله، ثم رفع نظاراته إلى أنفه. "كل شيء يبدو في محلّه يا كابتن. بعد الفحص الأوليّ لا أجد دليلًا على وقوع جريمة هنا. يبدو لي أنّ الفتاة الصغيرة ربما تكون" - رفع عينيه إلى عينيّ - "ذات حيويّة زائدة بالنسبة لتفضيلات أهلها."

بـدا الارتيـاح بوضـوح علـى القبطـان نـورwood. لـو ظهـرَت جثـةٌ أخـرى هـذا المسـاء، تخيّلتـه سـيعود إلـى إنجلتـرا بالتجديـف. "ممتـاز إذن. يجب أن تمضـي بقيّـة هـذه الرحلـة بسلاسـة. هُنالـك الكثيـر علـى المحـكّ. تعالـوا، لنأخذكـم إلـى مقصوراتكـم. هـل قُمتـم بجولـةٍ فـي منطقـة الأشـرعة المُسـاعدة؟" وضـعَ يـده علـى كتـف عمّـي ليقـوده نحـو ممشـى السـفينة. "إنهـا رائعـةٌ حقًـا. عندمـا تدفعهـا ضاغطـات البخـار يُمكـن لهـذه السـفينة اختـراق المحيـط كمـا لـو كان لحـم خنزيـر فـي وليمـة كريسـمس."

تمتـمَ تومـاس ونحـن نمشـي خلفهـم: "يـا للبهجـة، باخـرةٌ تُشـبه سكينًا تقطـع اللحـم المملّـح فـي وليمـة. إذا كان هـذا لا يوحـي بالفخامـة فـلا أعـرف مـا يوحـي بهـا."

ألقيـتُ نظـرةً أخيـرة علـى الكابينـة ولـم أرَ شـيئًا غيـر عـادي، مـع ذلك تقلّصـت معدتـي بعـض الشـيء. لـم تُقتَـل امـرأةٌ ثالثـة فـي الليلـة الثانيـة علـى متـن هـذه السـفينة. كان ذلـك لحسـن الحـظ فـوق قُـدرة القاتـل الـذي مـرّر سـبع سـيوف فـي جثـة بعـد أن علّقهـا مثـل بطاقـة تـاروت. قـدّمَ تومـاس ذراعـه إلـيّ فأمسـكتُها، وخرجنـا تاركيـن المقصـورة الفارغـة، رغـم القلـق الـذي اخترقنـي وعلـقَ فـي داخلـي مثـل شـظيّةٍ مؤلمـة.



فنان طي الجسد



# 8
# ماذا بحقّ...؟

## مقصورة العم جوناثان - الباخرة إتروريا
## 3 يناير 1889

عقـدَت ليـزا ذراعيهـا فـوق صدرهـا وقـد سـيطرَت علـى تعابيـر وجههـا بعنايـة. لـو كانـت هـذه لعبـة شـطرنج فقـد بـدَت عازمـةً علـى الفـوز، رغـم أن نظـرةً واحـدة علـى عمّـي أظهـرَت لـي أنّ لديـه نفـس الشـعور. عائلـة وادزورث أنـاسٌ عنيـدون للغايـة، وقـد يسـتمر هـذا الوضع لسـاعاتٍ طـوال.

قالـت: "لا يُمكننـي التراجـع عـن عـرض الليلـة. كنّـا نتـدرّب عليـه طـوال الأسـبوع. مـن قلّـة الـذوق التراجـع عـن كلمتـي ببسـاطة بعـد أن أعطيتُهـا."

"كلمتُـك؟" سـحبَ عمّـي نفسًـا عميقًـا كأنّـهُ يمنـع نفسـه مـن الانفجـار مثـل الألعـاب الناريـة. "إذا كانـت كلمتُـك هـذه تعنـي الموافقـة علـى مُسـاعدة شـابّ بعـد هروبـك معـه واحتمـال تدميـر سُـمعتنا الطيبـة وتحطيـم قلـب والدتـك، فاعـذُري فشـلي فـي إيجـاد الـذوق فـي الأمـر. سـتكتبين مُلاحظـة إلـى هودينـي خاصّتـكِ هـذا، أو سـأُبقيكِ محبوسـةً فـي مقصورتـك حتـى نصـل إلـى نيويـورك. علـى هـذا الحـال سـيتعيّن

علينا العودة فور وصولنا لأتمكّن من مُرافقتكِ إلى لندن. لا تجعلي الوضع أسوأ عبر مُضايقتي أكثر."

رمقَتني ليزا بنظرة توسّل واستغاثة، لم يكن بإمكاني فعل الكثير لكنني رضختُ لها. التفتّ إلى عمّي على أمل إيجاد خيط من المنطق للتشبّث به. "سيّدي، هل تسمح لي؟"

رفعَ حاجبيه. "أودري روز، أودّ تحذيركِ من اختبار صبري، وإلّا سينتهي بكِ الأمر مع ابنة عمّتكِ محبوستَين في الغرفة."

نفختُ نفسًا، وشعرتُ بشعور الماشي على حبلٍ مُعلّق وأنا أمام مزاج عمّي السيّئ. زلّةٌ واحدة قد تُكلّفني حرّيتي التي نلتُها بشقّ الأنفس. "أفهمُك يا سيّدي. كنتُ... ما أقصد قوله... أنّ فنّاني العروض يرتدون أقنعة."

"ملاحظةٌ ذكيّة للغاية."

ضغطتُ على أسناني. الصراخ على عمّي لن ينفعنا أنا أو ليزا، رغم أنه سيُرضيني للغاية. "ما أعنيه أنه إذا سمحتَ لِليزا بتأدية عرضها هذا المساء، فلن يعرف أحدٌ أمرًا جديدًا. ستبقى هويّتها آمنة، إلى جانب سُمعة عائلتنا." فتح فمه ليعترض، لكنّني قاطعتُه بما أملتُ أن يكون ورقتي الرابحة: "بعد ذلك ستعدُكَ بألّا تخطو خطوةً أخرى على خشبة المسرح. أليس كذلك ليزا؟"

نظرَت لي مذهولةً، كما لو كنتُ قد خذلتُها بعد أن أنقذتُها، لكنّني ثبّتُّ نظري عليها حتى تنهّدَت أخيرًا. "أعدُك يا عمّي بأنني لن أوافق على عروضٍ أخرى بعد هذا المساء. سأنهي فقط ما التزمتُ به."

دارَ عمّي في المقصورة الصغيرة، وتوقّف ليُحدّق خارج الكوّة.

"هل أحتاج إلى تذكير كليكما بمقتل شابّتَين حتى الآن في هذه الرحلة؟" تبادلنا النظرات أنا وليزا. "والآن تطلبان مني التغاضي عن هذا السلوك المتهوّر. هل يبدو ذلك حكيمًا لأيٍّ منكما؟" استدارَ ليواجهنا ثانيةً ويداه خلف ظهره. "بعد عرض الليلة عليكما الامتثال لكل قاعدةٍ أضعُها حتى نعود إلى لندن. مفهوم؟"

أومأت ليزا ببطء، وعيناها على حذائها المرصّع بالجواهر.

"نعم سيّدي."

تابع العمّ: "دعيني أوضّح كلامي للمرة الأخيرة. إذا فكّرتِ في فعل أي شيء ليس من المفترض بكِ فعلُه، فسوف أودعُكِ في مصحّة الفتيات لتقضي أيّامكِ هناك. أظنّ أنّ والدتَك الآن ستقتنع بأيّ تشخيصٍ تسمعهُ مني."

شعرتُ بانسحاب الدم من وجهي؛ هذه واحدة من أسوأ العقوبات التي سمعتُها على الإطلاق، خاصّةً من عمّي. سرقتُ نظرةً خاطفة على ابنة عمّتي لكنّ الارتياح بدا عليها أكثر من الانزعاج. عادَ العمّ ليُخاطبني: "سأحمّلكِ مسؤولية أي شيءٍ يحدث." بقيتُ أنظر إليه رغم رغبتي في الغوص تحت الأرض. "أقترحُ أن تختفيا من أمامي فورًا قبل أن أغيّر رأيي." أمسكتُ بيد ليزا وأطعتُه بسرعة. بمجرد خروجنا على ممشى السفينة أمسكَت بيدي الأخرى وأدارَتني نحوها قائلةً: "كان ذلك رائعًا! لا أصدّق أنه استمع إليك. يجب أن أتعلّم أسرارك! كنتُ على يقين من أنه سيقرّر حبسنا في تلك اللحظة."

سحبتُ يدي بلطف من قبضة ليزا وحدّقتُ في المحيط. كان أول صباح مُشمسٍ لنا في الرحلة، وكاد الضوء يعمي الأبصار وهو ينعكس عن الأمواج.

"ليزا..." مررتُ يدي ذات القفاز على وجهي. "ربما يجب عليكِ إلغاء العرض حقًا. عمّي قاسٍ لكنّه على حقّ. لقد قُتِلت فتاتان، وأنا... حسنًا، بصراحةٍ تامّة أخشى كون القاتل أحد العاملين في الكرنفال. وإلّا مَن سيُدبّر جريمة قتل مستوحاة من بطاقة تاروت؟"

تطلّعَت ليزا فيّ للحظة، ثم مدّت يدها وجذبَتني إلى عناق. "أنتِ تقلقين كثيرًا يا ابنة خالي. أعتقد، أو بالأحرى أنا واثقة من أنّ شكوكك هذه ستزول إذا تعرّفتِ على فنّاني الكرنفال. إنهم حقًّا في غاية الطيبة." تراجعَت إلى الوراء ولا تزال متمسكة بكتفي. تألقَ وجهها تحت نور الشمس وهي تقول: "لديّ الحل الأمثل، يجب أن تُقابليهم! تعالي، سنذهب معًا لترَي بنفسك كم إنهم مُسالمون."

"لا أعتقد..." لمحتُ تعابير الأمل على وجه ابنة عمّتي فاستسلمت. "حسنًا، عرّفيني بأصدقائك الجدد."

***

تنقّلَ نظري ببطء في جميع أنحاء المكان الفوضويّ. لقد خصّص الكابتن نورwood للكرنفال مخزنًا واسعًا، وقد استغلّوا كل شبر منه. كانت النساء تقف وتتوازن على حبال ممدودة، والمهرّجون يتمرّنون على القفز فوق البراميل والطبول. كما وقفَت فتاةٌ قريبة من عمرنا مغطّاة بأوشام حيواناتٍ معظمها من الأسود والنمور التي كانت تحثّها على القفز عبر الحلقات، بينما رفعَت امرأةٌ كرةً من النار وابتلعتها كأنّها سندويج عشاء. هتفت: "ماذا بحقّ الملكة..."

"هذه أنيشا سيّدة الصولجانات. يعتمد عمل كلّ فنّان على بطاقة التاروت التي يُمثّلها." راقبَت ليزا الفتاة وهي تبتلع عصا ملتهبة أخرى. "الفتاة على مصطبة التأرجح هي كاسيوبيا، نسمّيها

الإمبراطـورة. إنهـا مُفضّلـةٌ عنـد مفيسـتوفيليس وتحـبّ اسـتغلال ذلـك كثيـرًا."

عنـد ذكـر اسـمه بحثـتُ عنـه لا شـعوريًا، بفضـولٍ لمعرفـة طبيعـة تدريباتـه. تخيّلـتُ أنّ فيهـا الكثيـر مـن التبختـر ونفـخ الصـدر. أضافـت ليـزا: "إنـه ليـس هنـا. يقضـي معظـم وقتـه محبوسًـا فـي حجـرة يعمـل علـى اختراعاتـه الميكانيكيـة."

"آه." حوّلـتُ انتباهـي إلـى كاسـيوبيا، التـي تقلّبَـت مـن أرجوحـة إلـى أخـرى، مُتدحرجـةً برشـاقة فـي الهـواء كأنّهـا مُذنّـب. تطايـرَ شـعرها خلفهـا بطبقاتـه البلاتينيّـة الطويلـة ممـا زادَ مـن خياليّـة جمالهـا. كانـت مُذهلـة بحـقّ. شـاهدتُ فنّانـي العـروض الهوائيـة الآخريـن وهـم يُفلِتـون الحبـال ثـم يتأرجحـون ليُمسـكوها مـرةً أخـرى. بـدا كأنّ الجاذبيـة تعمـل تحـت سـحرهم الـذي سـحروني بـه أنـا أيضًـا. "كيـف يتلاعبـون بالحبـال هكـذا؟"

أجابـت ليـزا: "توزيـع وزن الجسـم والكثيـر مـن التدريـب. لا تدَعـي بُنيتهـم الرفيعـة تخدعـك، إنهـم أقـوى مـن معظـم الرجـال."

قـام رجـل يرتـدي ثوبًـا مخططًـا بالأبيـض والأسـود بلـفّ ذراعـه حـول رأسـه ثـم مدّهـا فـوق كتفـه. جمـدتُ وقلبـي ينبـض وأنـا أتفحّـص تفاصيلـه. "لقـد خلـع مفصـل كتفـه!" همسـتُ لِليـزا. قـام الفنّـان بنفـس الحركـة علـى الجانـب الآخـر، ثـم غـاصَ لأسـفل ليتحـوّل إلـى مـا يشـبه كـرة مـن العجيـن. تقلّصَـت شـفتاي لا إراديًـا. "هـذا لا يمكـن أن يكـون جيّـدًا لصحّتـه. الجهـد علـى الأربطـة..."

نظـرتُ إلـى ليـزا وهـي تهـزّ رأسـها. "هـذا سباسـتيان كـروز. تحظـى عروضـه بشـعبية كبيـرة." اقتربَـت منـي هامسـةً: "سـمعتُ أنـه يُجيـد

استغلال موهبته، عبر اختبائه في خزانات غرف النوم عندما يعود الأزواج الغافلين عن زوجاتهم إلى المنزل."

صفعتُ ذراعها بيدي. "هذا فظيع."

"فضائحيٌّ بفظاعة." ابتسمَت ليزا. "تقول الشائعات أنه وقع في بعض المشاكل أيضًا على متن هذه الباخرة. لهذا يُسمّى الكاهن. لا بدّ أنه من المقرّبين إلى الربّ لينجو من مثل هذه المآزق في كل مرّة."

حدّقتُ فيه لِلحظاتٍ أخرى مفتونةً بالطريقة التي طوى بها جسده، ثم واتتني فكرة. "أين هوديني خاصّتك؟"

تنهدَت ليزا: "ربّما عند مفيستوفيليس. كثيرًا ما يجمعان أفكارهما معًا لابتكار طريقة جديدة تُبهر الجمهور. سأجلبُك لمُقابلته الليلة بعد العرض."

ما لم تحدث جريمة قتل أخرى، حينها سألتقي بجثّة. حطّمت الفكرة دهشتي أمام تدريبات الكرنفال، وجعلَني منظر فنّاني الأداء أقشعرّ الآن. حتى دون جمهور كانوا جميعًا يرتدون أقنعة، مُختبئين من العالم ومن بعضهم البعض. تم وضع لوحة كبيرة ذات دوائر متّحدة المركز في نهاية المكان، انطلقَت منها الألعاب النارية خلال دورانها في مكانها، في حين رمى جيان يو خناجره واحدًا تلو الآخر في مركز الهدف بالضبط. سارَت قشعريرةٌ تحت ملابسي.

"من الرجل الذي مع جيان؟" سألتُ وأنا أراهُ يرفع الخناجر لِيُعيدها. "هل هو مُساعِده؟"

"كلا. هذا أندرياس، البهلول."

زفرتُ بتهكّم. "كنتُ أظنّ أنّ هذا سيكون الاسم الفنّي

لمفيستو فيليس[1]."

"بصراحة يا ابنة خالي، مفيستوفيليس ليس بنصف السوء الذي تظنّينه. لقبه هو 'السّاحر' بطبيعة الحال، وهو من أفضل السحرة الذين رأيتُهم في حياتي. هاري مُعجبٌ به ويتكلّم عن عبقريّته باستمرار. إنه يستخدم العلوم والرياضيات بطريقةٍ مُبتكرةٍ عجيبة. لو منحتِه فرصةً فقد تُعجَبين به حقًا."

احتفظتُ بتهكّمي لِنفسي. بدا الجميع مُقتنعين بأنّ سيّد الحلبة لن يرتكب خطئًا. كنتُ مفتونةً بتوظيفه للعلم لكن لم أرغب في الكشف عن ذلك. أشرتُ برأسي نحو أندرياس. "لماذا هذا بالذات يُسمّى البهلول؟"

"يزعُم أنّ لديه مرآةً سحريّة تتنبّأ بالمستقبل الرومانسيّ للمرء." هزّت رأسها. "الأمر المُحزن أنه يظنّها كذلك بالفعل. جلستُ أمامها لكنّها لم تُخبرني حتى الآن مَن سيكون زوجي. كل ما أراه هو صورتي المشوّهة وكميّة غير لائقة من خيوط العنكبوت. إذا كان فيها شيءٌ غريب فقد تكون مسكونة!"

"لماذا يحتفظ به مفيستوفيليس إن لم يكن بارعًا؟"

نظرَت إليّ ليزا كأنّني قد تفوّهتُ بحماقة. "إنه مُذهِل في عرض قراءة الطالع. خيمته من أكثر الخيم شعبيّة، فهو يُشعل البخور ويتحدّث بغموض بلكنتهِ البافاريّة. كما إنه" - نكزَتني في أضلاعي - "ذو مظهرٍ مؤنس للغاية. ليس وسيمًا جدًا لكنه مُثير للإعجاب بطريقةٍ ما."

"ماذا عن -"

---

1- الكلمة الإنكليزية Fool تعني (بهلول) وتعني (أحمق) أيضًا. (المُترجم)

"يجب ألّا تأتي هذه الشابّة هنا." التفَتنا أنا وليزا لنواجه شخصًا يرتدي درعًا ضخمًا على صدره. جررتُ بصري إلى أعلى وابتلعتُ ريقي بصعوبة. حوّلَ جيان نظرته مني إلى ليزا. "أنتِ لا تنتمينَ إلى هنا."

قلبَت ابنة عمتي عينيها: "لا تكن بهذا الانزعاج يا جيان، إنه غير لائق. هذه ليسَت أيّ شخص بل ابنة خالي الآنسة وادزورث. إنها ابنة لورد، لذا يجب أن تُظهر بعض الاحترام."

وجّه إليّ إحدى شفراته بيده التي حملَت ندوبًا كثيرة. "يجب ألّا تكوني هنا يا آنسة."

احمرّ وجه ليزا، وقبل أن تنفجر ابتسمتُ بأدب قائلةً: "من الرائع مُقابلتك سيّد يو. مهاراتُكَ فائقة بالسكاكين، لا بدّ أنّك تتدرّب كثيرًا."

انحنَت شفتاه في مُحاولةٍ للابتسام بدَت تهكّمية. "أحيانًا أستخدمُ أهدافًا متحركة، ليبقى الأمر مُثيرًا."

ضيّقتُ عينيّ. "هل سبق لك أن أخطأتَ خلال استخدام الأهداف الحيّة؟"

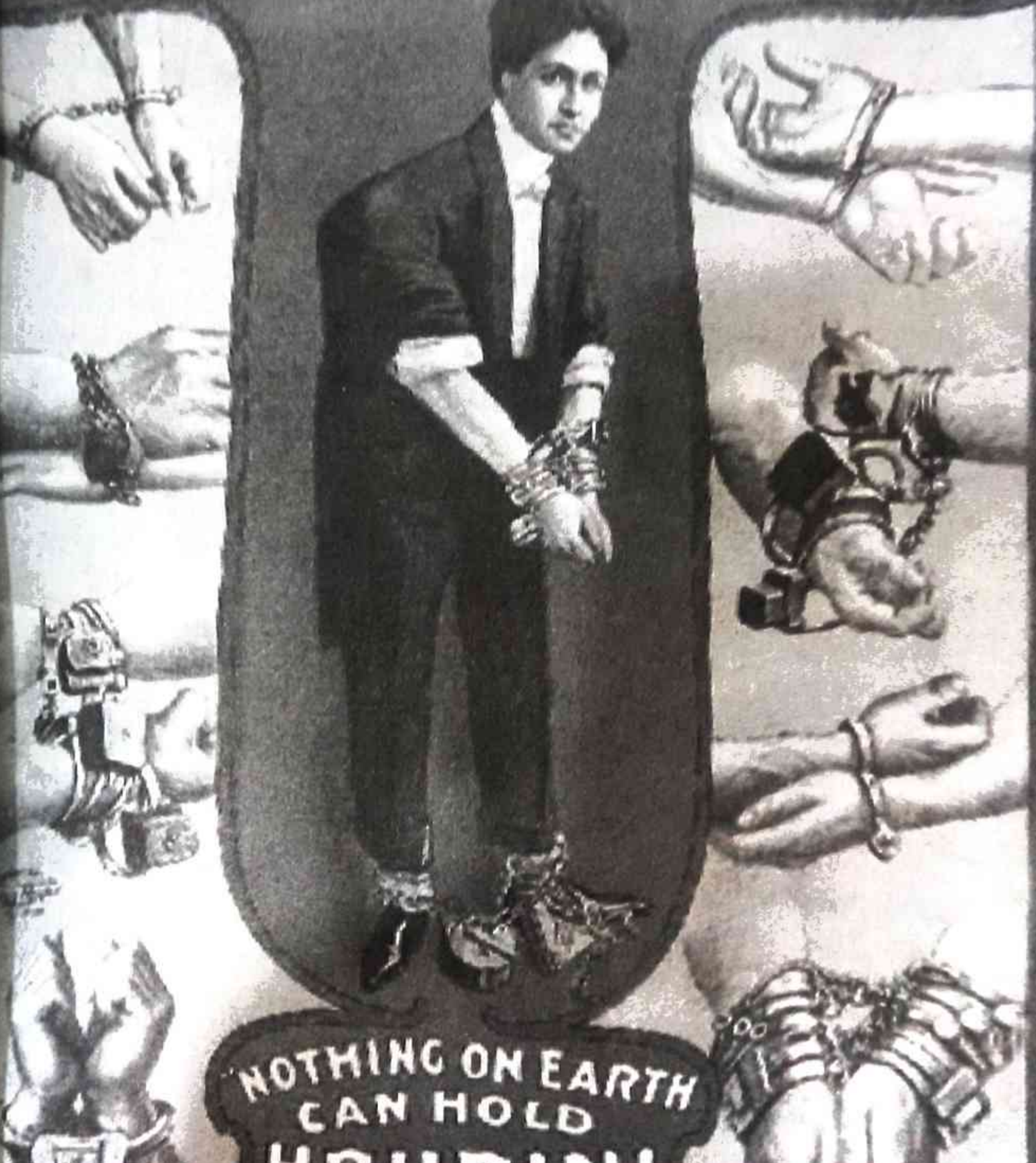
"مرةً واحدة."

دون الخوض في التفاصيل عادَ جيان إلى لوح الأهداف الثابت وأطلقَ خنجرًا تلو الآخر على الخشب، بينما ارتدّ أندرياس للخلف عن مسار الخناجر الطائرة. لقد تطلّب الأمر قوةً عظيمة لإحداث هذا النوع من الضرر، نفس القوة اللازمة لدفع سبعة سيوف في جثّة بعد تعليقها.

قالت ليزا ونحن نغادر حلبة التدريب: "أنا آسفة للغاية بشأن ذلك. الفنّانون حسّاسون قليلًا تجاه الغرباء."

قُلت: "لكنكِ لستِ غريبةً عنهم، ومع ذلك لم يكن لطيفًا معك."

قالت ليزا كأنّها تقتبس من ميثاق غريب خاصّ بالكرنفال: "بمجرّد تقبُّل أنهم يُشاركونني الدماء فإنّ رباطنا لن ينقطع. لكن ليس قبل ذلك ولو لِلحظة."




ملصق ترويجي لعروض هوديني



# 9
# ملك القيود

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 3 يناير 1889

اكتسى مسرح الليلة بألوان الفضّة والرماديّ، مثل ضوء القمر الذي يسطع من خلال شقوق بدن السفينة مُضيئًا قُطع زجاجٍ مكسور، أو في حالتِنا قناني المشروبات والزبائن المُرصّعين بالجواهر. توقّف الحاضرون قليلًا لينظروا إلى فنّاني العرض الأوّلي، وهم يتنقّلون عبر الصالة على مطوالاتٍ خشبيّة[1] برشاقةٍ مُدهشة رغم طول الأعمدة التي استندوا عليها. كانت ملابسهم فضيّة بالكامل، من الأقنعة حتى الأحذية البرّاقة، وتدلّى التول من أطرافهم في خيوطٍ متفرّقة تتمايل كالأثير في كل خطوةٍ يخطونها على أرجلهم الخشبيّة. في الواقع كانت المطوالات التي تحملُهم تُشبه السيوف، قطعًا من الجمال اللامع بحافةٍ مُستدقّة، كالشّفرات الجاهزة للطّعن في أيّة لحظة.

حدّقتُ بافتتان في الفنّانين بأشرطتِهم الفضّية والبيضاء التي تدور حولنا بينما كان عمّي والسيدة هارفي يتحدّثان بتآلف في أثناء تناول

1- المطوالات هي عصي خشبية مخفيّة يقف عليها المهرّجون ليبدوا أطول من البشر. (المُترجم)

الطعام. لقد تمّ بذل مجهود ومهارات هائلة في صناعة ملابس الأداء، وتساءلتُ عن الشخص الذي صنعَ تلك الغرز الدقيقة. في إمكانه خياطة ملابس الملكة بمهارته، لكنّني افترضتُ أنهم يعملون لدى ملوكٍ من نوع مختلف.

"تبدينَ كشخصٍ يُفكّر في خياطة الجُثث في مشرَحة." قال توماس وهو يبتسمُ ابتسامةً عريضة أمام طبق البطّ المشويّ خاصّته. كان مدى معرفته بي مُخيفًا في بعض الأحيان. رفع كأسه مُضيفًا: "يجب أن نشربَ نخب ذلك. هذه الشمبانيا رائعة للغاية، تذهبُ فُقاعاتها مباشرة إلى الرأس. لا تقلقي، كوني واثقة من انضمامي إليكِ في الرقص على الطاولة بعد أن تشربي عدّة كؤوس."

قلتُ وأنا أدقّ كأسي بكأسه: "شريكي في الجريمة والفجور. يا لي من امرأةٍ محظوظة." بدا توماس سعيدًا للغاية بتلك العبارة.

خفتَت الأضواء، وهي الإشارة المُعتادة على أنّ العرض على وشك البدء. شاهدتُ سيّد الحلبة يعتلي المنصة بعد أن ظهر فجأةً وسط دخان وقرع الصُنوج. كانت بدلته على مقاسه بالضبط، بالأسود الفاحم الذي يوحي للرائي بأنّها من الفحم حقًا. أمّا القناع والصدريّة فقرمزيّان، والخيوط الحمراء حول قبعته تحاكي بقع الدّم. اختيارٌ جريء ولائق أيضًا، بعد كلّ ما حدث. حاولتُ تجاهل منظر جزمته الجذّاب التي وصلَت إلى ركبتيه، وأبقيتُ عينيّ بعناد على وجهه اللّعين.

تفحّص توماس الشاب بنفس الطريقة التي يفحص بها الجثث. لم أعرف ما إذا رغبَ في قتله أو كشف أسراره قبلها.

"سيّداتي." سارَ مفيستوفيليس على محيط المسرح، وانعكسَ

الضوء على قناعه مُخترقًا ضجيج الحضور ليُنهي كلامهم. "عرض الليلة مُخيفٌ لدرجة الإغماء من فرط التوتر. لكن" - قال وهو يرفع قارورةً بلّورية صغيرة - "لدينا نشادر لعلاج ذلك. لا تخجلوا من طلبها، فنّانونا ذوو المطوالات لديهم الكثير منها، اطلبوا منهم عند الحاجة."

أشارَ إلى شخصٍ ما خلف الستار لكن أحدًا لم يظهر، مما يعني أنّ شيئًا ما على الأرجح قد تمّ تحضيره خلف الكواليس. ابتلعتُ لقمةً من البطّ المشويّ خاصّتي وشعرتُ بها عالقةً في حلقي. أملتُ أن تكون ليزا بخير.

"سيّداتي وسادتي،" سارَ مفيستوفيليس على حافة المسرح. "قد ترغبون في عدم رؤية ما يجري إذا كان لديكم بعض الحالات الطبّية، لا سيّما أمراض القلب." توقّف سيّد الحلبة ونظر حوله، قبل أن تستقرّ نظراته على طاولتي ليُتابع: "أمّا للشّجعان منكم، ستبقى هذه الليلة أعظم حدث في حياتكم إلى الأبد."

علَت همهماتٌ من الجمهور بعد هذا البيان الجريء. كان كرنفال ضوء القمر مُذهلًا كفرقة متنقّلة، لكن حتى أقوى عروضهم لا ترقى إلى المستوى المزعوم في الإعلانات. دوّى صوتُ رعدٍ بين سُحبٍ عاصفة لِلحظة قبل أن تظهر ليزا المُقنّعة برفقة مُساعدةٍ أخرى، وهُما تدفعان صندوقًا كبيرًا ثمّ تتراجعان خطوةً إلى الخلف.

نقلتُ تركيزي من الصندوق إلى المُساعدتَين. كانتا ترتديان أزياء فضّية مطرّزة، في الأساس مجرّد مشدّات مع جوارب بيضاء طويلة وسميكة. لاحظتُ أنّ معظم ألوان الملابس المُختارة كانت مستوحاة من الليل: القمر والنجوم والغيوم وسط سماء حبريّة السواد. لقد

التزمَ سيّد الحلبة بثيمة ضوء القمر في أدقّ التفاصيل.

"الليلة ستشهدونَ تحوّلًا لا مثيل له. هذه الليلة المُستحيل سيُصبح مُمكنًا. القادم من أبلتون ويسكنسن،" مدّ مفيستوفيليس ذراعه في علامة ترحيب. "العظيم، العجيب، الرجل الذي لا يُمكن ترويضه أو حبسه! رحّبوا بهاري هوديني المُذهل، ملك القيود!"

صفّق الجمهور بلباقة، لكن ليس بحماس ليلة الافتتاح على الإطلاق. غمزَت السيدة هارفي إليّ، ثم رفعَت كأس نبيذها نحو المسرح حيثُ ظهرَ شابٌ في بدلة توكسيدو. جلستُ باستقامة، محاولةً عدم تفويت أبسط تفصيلةٍ منه: فهو الشابّ الذكيّ بما يكفي لخطف قلب ابنة عمّتي.

كان شعرهُ الداكن مفروقًا من المنتصف، وعندما ابتسمَ بانَت غمّازاته. كان هوديني مكشوف الوجه على عكس الممثلين الآخرين، ومع ذلك رافقَت حضوره طاقةٌ ما، كشحنات الجوّ قبل ظهور البرق. ابتسمَت ليزا ببهجة، وبدا جسدها كلّه يُشعّ بالحبور عندما رفع هوديني ذراعيه فوق رأسه، ثم نادى بصوتٍ هادرٍ رنّان لا يُلائم قوامه القصير: "الحبال!"

أخرجَت ليزا حبلًا طويلًا من الصندوق، ورفعَتهُ للجمهور قبل أن تضرب به الهواء مثل السوط. دارَ هوديني حول نفسه مُعطيًا ظهره إلى الحاضرين.

"هذا وقحٌ للغاية، أليس كذلك؟" همسَت السيدة هارفي. "من سوء الأدب إدارة ظهره... آه، فهمت. هذا هو السبب."

مدّ هوديني ذراعيه خلفه، وأومأ برأسه إلى ليزا لتقوم بربطهما بصمت في شبكة من الحبال المُتقاطعة. أثارَت مهارتها بلفّ العُقَد

إعجابـي، لكـنّ العمّـة أميليـا لـن يُسـعدها اسـتغلال دروس التطريـز خاصّتهـا بهـذه الطريقـة.

همسَـت السـيدة هارفـي: "انظـري إلـى تلـك العُقـد، سـيحتاج وقتـا طويـلًا للإفـلات منهـا. أتسـاءل مـا إذا كان لديـه سـكينٌ مُخبّـأ فـي سـرواله... يبـدو كذلـك بالتأكيـد."

غصّ توماس بمائه ورمقَ مُرافِقتنا بنظرةٍ ذهول.

فـي تلـك الأثنـاء كـرّرَت ليـزا شـدّ الحبـل وسـحبه حتـى كادت أن تُسـقِط فنّـان الهـروب أرضًـا. قـال شـابٌّ علـى المنضـدة المجـاورة لنـا بصـوتٍ عـال: "يـا للملـل. أراهـنُ أنّ الحبـل ليـس حقيقيًـا حتّـى."

اسـتدارَ هودينـي ليُواجـه طـاولات الحضـور مـرةً أخـرى وعينـاه تلمعـان. "أريـدُ مُتطوّعَيـن مـن الجمهـور! مَـن يُريـد فحـص قيـودي؟"

غـاصَ الشـاب الـذي صـاحَ قبـل قليـل فـي مقعـده. بـدا أنـه واحـدٌ مـن تلـك الـكلاب التي تنبـح ولا تعـضّ. أبقـى الجمهـور انتباههـم علـى المسـرح، ربمـا فـي ترقّـبٍ لنفـس النـوع مـن الدرامـا التـي شـهدوها فـي الليلـة الماضيـة. لبّـى رجـلان طلـب هودينـي، كمـا قامـا بإضافـة طـولٍ آخـر مـن الحبـل حـول يديـه المربوطتَيـن للاحتيـاط. بـدا الأمـر مُرضِيًـا للحاضريـن، رغـم أنـه كان باهتًـا بعـض الشـيء مقارنـةً بالتوتّـر الـذي رافـقَ عـرض فـارس السـيوف.

ألقيـتُ نظـرةً خاطفـة علـى الغرفـة ولـم يُفاجئني عـدم وجـود فنّانيـن آخريـن بيـن الجمهـور، باسـتثناء الماشـين علـى المطـوالات الذيـن اسـتمروا فـي التنقّـل بيـن طاولاتنـا، كأشـباحٍ صامتـة طولهـا ثلاثـة أمتـار.

"الآن..." هتفَ هوديني. "أصفادي!"

قامَـت المُسـاعدة الثانيـة إيزابيـلا بالتلويـح بالأصفـاد التـي أعلـنَ

هوديني نفسه ملكًا عليها. أدارَ لنا هوديني ظهره مرةً أخرى، ووقفَ بثبات بينما استقرّت الأصفاد في مكانها حول معصمَيه. مشى هوديني إلى الصندوق وصعد إلى داخله، طاويًا نفسه بإحكام مثل حزامٍ من القماش. يبدو أنه تعلّمَ بعض دروس طيّ الجسد من سيباستيان. وضعَ توماس كأسه على المنضدة عندما تمّ إنزال الغطاء فوق الصندوق وإغلاقه في مكانه. ربطَت ليزا حبلًا آخر حول الصندوق من الخارج، ثم وضعَت قفلًا وسلاسل حوله. ربّما نجلس هنا طوال الليل في انتظار خروجه من كل تلك الأقفال. تباطأت ثرثرة الحاضرين، واختفَت المُساعِدتان خلف المسرح لتعودا بخزانةٍ دوّارة أطول من أيّ شخص، عليها ستارةٌ محمولة بلون الفحم. قامَتا بتثبيت الخزانة حول الصندوق المُغلق، ممّا حجبه عن الأنظار. تقدّمَت ليزا وقناعها يتلألأ تحت وميض الأضواء، قبل أن تتراجع خلف الستارة المحمولة وهي تمدّ يديها على اتّساعهما.

"سأصفّق بيديّ ثلاث مرات، ثم تحدث المُعجزة!"

صفّقَت مرة وتحرّك الحاضرون في مقاعدهم، مرّتين وانخفض الكلام إلى مجرد همسات. صفّقَت للمرة الثالثة فحبسَت الغرفة أنفاسها، جاهزةً للصراخ.

قفزَ هوديني من وراء الستارة التي غطّت ليزا، حرًّا من كلّ قيد. فتح ذراعيه صارخًا: "هوَ ذا! التحوّل!" سحب الستارة إلى الخلف ليكشف لنا عن ليزا مُقيّدةً داخل الصندوق.

تبادلتُ النظرات مع توماس بينما ضجّ الحضور بالتصفيق والتهليل. لقد استغرقَت الحيلة فعليًا ثلاث ثوانٍ، الطريقة التي حقّقوا بها هذا الشيء سحريّةٌ حقًا. تساءلتُ عمّا إذا كان هناك شيء لا

يستطيع هاري هوديني الهروب منه، أو فخٍّ لم يستطع نصبه لشخصٍ آخر. كانت آخر الضحايا مُعلّقةً من كاحليها، ربّما رأينا للتوّ الشابّ الذي أنجزَ ذلك العمل الصّعب.



# 10
# القلب أم الرأس

## صالة النساء - الباخرة إتروريا
## 3 يناير 1889

همسَت ليزا ببعض الرّهبة: "انظُري يا ابنة خالي،" في ذلك القُرب بانَت تشقّقاتٌ في شمع مكياجها الثقيل، مثل دميةٍ من البورسلين تقشّرَ دهانُها مع الزمن. "ذلك هو، حُبّي الحقيقيّ." كانت تنظر لِهوديني بإعجاب عبر الغرفة المزدحمة، وشعرتُ بقوّة عواطفها تصدمني مثل الأمواج. تمنّيتُ الشعور بنفس المستوى من الإثارة لكنّ شيئًا غامضًا جعلني أشكّك في نواياه. "أليسَ أروع شابٍّ رأيته على الإطلاق؟"

اعترفت: "إنه مُثير للفضول." شردَت عيناي نحو مفيستوفيليس قبل أن تعودا إلى هوديني. احمرّت وجنتاي عندما نظرَ إليّ سيّد الحلبة نظرةً مطوّلة، وتظاهرتُ بأنّني لم ألاحظه. بدا في الأمر نوعًا من الخطورة، أن يُبدي شابٌّ مثله هذا الاهتمام بي.

أومأت ابنة عمّتي غافلةً عمّن استحوذَ على انتباهي أكثر. "شاهدي كيف يتحرّك في الغرفة. كلّ العيون عليه. أقسمُ أنهُ يملكُ سحر الهروب حقًا." تابعتُ نظراتها لكنّني وقعتُ ثانيةً في شرَك

مفيستوفيليس. "أنا مسحورةٌ به من جميع النواحي بالتأكيد ولا أرى مخرجًا. إنها أفظع روعة على الإطلاق!"

نظرتُ بحدّة بعيدًا عن سيّد الحلبة لأفحصَ ابنة عمّتي. أزهرَت بُقعتان ورديّتان مثل بَتلتَين على خدّيها، ومن الواضح أنّها كانت أسيرة فنّان الهروب بالكامل. لكن نظرةً واحدة في أنحاء الغرفة - المليئة بالنساء اللواتي يُروّحن أنفسهنّ - جعلني أرفع حاجبي وأمسِكُ لساني. يبدو أنّ لدى هوديني حديقةٌ كاملة من الورود الخجولة ليلتفت إليها. كان يتنقّل من زهرةٍ إلى أخرى، يضحك ويُقبّل الأيادي المكسوّة بالقفّازات في طريقه. شعرتُ بوجهي يتقلّص في عبوسٍ وامتعاض حينما لاحظتُ توقّفه لفترةٍ طويلة قرب بعض النساء، ولمساتهُ لهنّ تتجاوز حدود اللياقة بكثير.

"سيّداتي."

استدرتُ فجأةً نحو ذلك الصوت العميق وقلبي يطرق أضلاعي. وقفَ مفيستوفيليس في كامل زيّه، وقناعه المزخرف يتلألأ حول عينيه الماكرتَين الثابتتَين عليّ. بهذا القرب استطعتُ رؤية خصلة من شعره الأسود نازلةً على جبينه. بدا شعره حريريًا مع تموّجات طفيفة، من النوع الذي يجعلك ترغب في تمرير أصابعك خلاله. قال: "يبدو أنني لم أنَل شرف تقديم نفسي بشكلٍ لائق. ليزا؟ مَن هذه المخلوقة الجميلة ولماذا أبعدتِها عنّي؟" ابتسمَت ليزا بفخر. "هذه ابنة خالي، الآنسة أودري روز وادزورث."

يا لروعة هذا التعارف 'اللائق'! قلبتُ عينيّ بسُخرية وأنا أقول: "مخلوقة؟ تجعلني أخجل كثيرًا بهذه الإطراءات يا سيّدي. لا عجبَ أنّ الكثيرات يفقدنَ قلوبهنّ في عروضك السحرية.

حدّق في وجهي وحاجباه مرفوعان فوق قناعه. من الواضح أنه لم يتوقّع مني ردًا كهذا، رغم أنه كان يستحقه بالفعل على كلامه. 'مخلوقة'، كأنّ النساء مجرّد حيوانات يتمّ تخيّلها وفقَ مشيئة الرجال.

قال: "كلماتُكِ حادّةٌ للغاية. لا بدّ من وجود تحذير على لسانِك."

قُلت: "غالبًا ما تُقارَن الحقيقة بالسيف. أستغربُ من أولئك الذين يتعجّبون عندما تجرحُهم."

وقفَت ليزا خلفه وهي تهزّ رأسها، لكن الابتسامة على وجهها أخبرَتني أنها موافقةٌ على كلامي؛ إذ كانت شريكةً لي في كل شؤون المساواة. يُمكن للرجال أن يُسمّوننا مخلوقات، لكن يجب على من يتفوّه بهذه الكلمات الخرقاء قبول حقيقة أنّ مخالبنا مُخيفةٌ حقًا حينما نقرّر الهجوم بها.

أدهشَني ضحكته وهو يردّ: "آنسة وادزورث، أنا -"

فجأةً حشرَت شابّةٌ نفسها بيننا وهي تحمل كأسًا من الشمبانيا في كلّ يد بينما وقفَت صديقتاها على جانبَيها. رفعَت كأسًا بعصبيّة لتُقدّمه إلى سيّد الحلبة، الذي قبلهُ بأدب لكنه لم يشرب منه. بدا أنه لا يزال يُفكّر بكلامي.

"كنتَ رائعًا في ليلة الافتتاح سيّد مفيستوفيليس." قالت الشابة وهي تأخذ رشفةً طويلة من كأس الشمبانيا خاصّتها. بدا عليها التأثّر من شرب الفقاعات بسرعة واحمرّت وجنتاها. "كان بعضنا يتساءل عن قدرتكَ على تجربة خدعة جديدة لأجلنا فقط. لا يُمكنك أن تخدعنا جميعًا بالتأكيد."

تصاعدَت ضحكات من الحشد الصغير حولنا، وابتسمَت ليزا. كان عرضًا شبه فاضح، ولم أستطع منع نفسي من الابتسام أمامه. لقد

أحببتُ هؤلاء الفتيات. بدَت عليهنّ جرأةٌ ذكّرَتني بصديقتيّ إيليانا وداسِيانا. قرصَ الحزن قلبي، إذ تمنّيتُ لو كانتا على متن السفينة معنا، لكنّهما كانتا تقومان بتسوية الأمور في رومانيا بعد قضية دراكولا. لقد وعدَتاني بركوب سفينةٍ أخرى للّقاء بنا في أمريكا الشهر المقبل إن استطاعتا، وهو ما تمنّيتُه كثيرًا.

ارتفعَ طرفا شفتيّ سيّد الحلبة، والتصقَت عيناه بعينيَّ بعناد وهو يفكر في العرض. رفعتُ أحد حاجبيّ في انتظار، حتى استدار نحو الفتيات وانحنى قائلًا: "بالطبع، لكن بشرط أن تتركوا لي اختيار الضحيّة التالية."

قطعَت إحدى الصديقات ضحكتها: "ضحيّة؟"

قال مفيستوفيليس: "بالفعل. لا يُمكنني التفكير في تسميةٍ أفضل لجريمة الإغواء التي على وشك الحدوث، أليس كذلك؟"

"بلى، أوافقُكَ الرأي."

هزّت رأسها واقتربَت من صديقاتها. تبادلت الفتيات النظرات بملابسهن الأنيقة. لم يجرِ الأمر تمامًا كما كنّ يأملنَ، لكنّها مع ذلك صفقةٌ مثيرة للاهتمام. أومأت اثنتان منهنّ برأسيهما، وعضّت أخرى شفتيها، بدَت أنها تفكر في قبول كلامه أو تجربة عرضٍ آخر بالمقابل لكنّها في النهاية استسلمَت.

"حسنًا يا سيدي. أيٌّ منّا ستختار؟"

أشارَ إلى فريسته. "هي."

كدتُ أختنق برشفة الشمبانيا خاصّتي عندما أدركتُ أنه يُشير إليّ. لا خير يُمكن أن يأتي من هذا الأمر. لم أعرف اللعبة التي كان يلعبها مفيستوفيليس، لكنّني على وشك الانضمام إليه فيها سواءٌ

وافقتُ على ذلك أم لا. لا أنكر الإثارة التي غمرَتني لوقوع الاختيار عليّ، لكنّها لم تكن بسبب المُقنّع الغامض الذي قادَني إلى وسط صالة النساء، بل لأنّها فرصةٌ رائعة لمُراقبة ألعابه السحرية عن كثب، لتشريح أدائه ومُشاهدة الحيل التي يستخدمها لخداع كلّ من الضحية - كما سمّاني - والجمهور.

"سيّداتي، لقد طُلِبَ مني عرضٌ خاصّ لأجلكنّ."

أمسكَ مفيستوفيليس بيدي ذات القفاز ورفعها حتى مستوى الكتف ليراها الجميع. "ستلعب الآنسة وادزورث دور الضحية المتطوّعة. إذا سمحتنّ، أحتاج منكنّ التجمّع في شكل حلقة من حولنا، كأنّنا في صدد إجراء جلسة تحضير أرواح. أنا متأكد من أنكنّ قد حضرتنّ إحداها."

قامَ بطقطقة أصابعه فأحضرَ نادلٌ كرسيًا من إحدى الطاولات الجانبية ليضعه في وسط حلقة الحضور. تهامسَت النساء بحماس، بنظراتٍ جائعة للمزيد من السحر العجيب، أو ربما كنّ سعيداتٍ ببساطة لرؤية سيّد الحلبة الشابّ لوقتٍ أطول. شعرتُ بقوّة نظراتهم تنجرف من مفيستوفيليس لتستقرّ عليّ وأنا أقف هناك حائرة. كان ثوبي بلا أكمام، وشعرتُ بالضعف وقلّة الحيلة رغم كل الأمسيات التي ارتديتُ فيها ثيابًا مكشوفة الأكمام. دوّرتُ خاتم أمّي حول إصبعي، ثم ركّزتُ على الغرفة على أمل تهدئة أعصابي بينما قامَ مفيستوفيليس بتعديل قبعته وبدلته. تخيّلتُ نفسي مجرّد شريحةٍ يجري فحصها تحت المجهر. شقّ هوديني طريقه ببطءٍ نحو ليزا، ولم ينظر إلى سيّد الحلبة إلا عندما ودّعَ بعض الشابات المُغادرات.

"الآن أطلبُ تخفيف الأضواء." بعد لحظة سطعَت الثريّات بنورٍ

أشدّ قبل أن تخفت إلى وهجٍ ذهبيّ باهت. "أطلبُ منكم جميعًا التراجع خطوةً كبيرة إلى الوراء عند العد لثلاثة. واحد، اثنان، ثلاثة."

انقطعَت أنفاسي. كان سماع الغرفة بأكملها تتحرك كشخصٍ واحد أمرًا مُزعجًا. بدا مفيستوفيليس هُناك كمُحرّك دُمى بشريّة. كان الجميع ظِلالًا في الضوء الخافت، ظلال أناسٍ يرقصون حول نار الشيطان، حتى كدتُ أشمّ رائحة الخشب المُشتعل! نظرتُ إلى سيّد الحلبة وهو يجولُ حول الجمهور قبل أن يتوقّف أمامي، حيثُ انعكس احمرار سترته على قناعه وهو يُميل وجهه للأسفل مُشيرًا لي بالجلوس. تردّدتُ مُستذكرةً الضحيتين، ثم أجبرتُ قدميّ على الانقياد إلى أيّ تسليةٍ شرّيرة كان مفيستوفيليس يُخطّط لها. لن يتمّ قتلي قُرب هذا العدد من الشهود.

خاطبَ الحضور هامسًا: "راقبنَ بعناية، وإلّا ستضيع الفرصة."

بدأ يدورُ حولي، ويداهُ تسيرُ من كتفيّ المكشوفَين حتّى رقبتي، بلمساتٍ تقترب شحنتُها من كهرباء أضواء السفينة. لم أعد أشعر بنظرات النساء من حولنا، لأنّ تركيزي انصبّ على أطراف أصابعه ذات القفّاز التي لم تَحِد قطّ عن مسارها المُختار وهو يسيرُ حولي بسرعةٍ مُتزايدة. كان الأمر فاضحًا تقريبًا، لكن حدود اللباقة ليسَت واضحة في ذلك القُرب. كانت حركاته واثقةً ومستقرّة على العكس من نبضات قلبي. شعرتُ بزلّةٍ من يده لتُداعب قفا رقبتي - ربّما في لفتة اعتذار لطيفة - ثمّ تراجعَ عنّي فجأة. شعرتُ كأنّ بشرتي تحترق وتتجمد معًا على مسار أصابعه حين ابتعد، وفتحَت بعض النساء مراوحهنّ اليدوية في صوتٍ أعادَ انتباهي إلى الغرفة.

"هل راقبتنّ بعناية؟" سأل سيّد الحلبة بصوتٍ ناعم كالحرير،

ورددنَ عليه الحاضرات بالإيماء بالرأس والهمهمة بكلمة "بلى" كالمسحورات. شككتُ أصلًا في قدرتهنّ على النظر بعيدًا عن هذا الرجل ذي الحضور الطاغي. انحنى عليّ ليدنو فمه من أذني بشكلٍ خطير، واقشعرّ بدني عند سؤاله: "هل فقدتِ شيئًا ثمينًا آنسة وادزورث؟ شيءٌ قد تفعلين أيّ شيءٍ لاسترداده؟"

هززتُ رأسي مُحاولةً إعادة عقلي إلى وضعه الطبيعيّ. "كلا، لا أظنّ ذلك." كنتُ أقول الحقيقة؛ لقد أبقيتُ تركيزي على أصابعه طول الوقت، ولم أشعر أنّها قد تركَت بشرتي للحظةٍ واحدة خلال دورانه. جثا على إحدى ركبتيه وعيناه ترقصان عند اللقاء بعينيّ. "غريب. قد أقسمُ أنّني سرقتُ قلبكِ للتوّ."

"عفوًا..."

"أخشى أنّ هذا هو حال معظم الشابّات اللواتي التقينَ بي."

اشتعل وجهي، لكن قبل أن أؤنّبهُ قامَ بإخراج قلادة القلب التي كانت إحدى الحُلي المفضّلة لأمي، وأنا أنظرُ بإنكارٍ مُطلق. مددتُ يدي إلى عنقي لأسحب السلسلة. "هذا مستحيل. ما زلتُ أرتدي..."

لكنّني لمستُ ساعةَ جيب لا تخصّني، حُفِرَ على ظهرها نقش أشواك وعبارة لاتينيّة 'انتصِر أو مُت'. حدّقتُ فيها مُحاولةً فهم كيف حدثَ ذلك. بطريقةٍ ما، أمام كل هؤلاء الشهود، قام مفيستوفيليس بتبديل قلادتي بساعته! لم أملك أدنى فكرة عن كيفية نجاحه بهذا الشيء دون ملاحظة أحد، لكن لا بدّ أنّ الأمر اعتمد على خفّة اليد مع الحظّ. رغبتُ بشدّة في معرفة التفاصيل وعن إمكانية استغلال ذلك بطرقٍ أخرى مثل عروض التمثيل. يحتاج ذلك إلى الانتظار حتى ألتقيه لوحدنا، وسأعمل على حدوث اللقاء قريبًا، ربّما الليلة.

"عظيمٌ جدًا، كما أعتقد." قلتُ متعمّدةً تقليل الشأن، لأنها كانت حقًا من أكثر العروض التي شهدتُها إثارةً للإعجاب، عدا خدعة التحوّل الخاصّة بهوديني. "الآن، أعِدها إليّ من فضلك."

مددتُ يدي وشعرتُ على الفور أنني قد وقعتُ في فخ منصوب بعنايةٍ أخفَت عني كونه هو الخدعة الفعليّة منذ البداية. أردتُ تكوير أصابعي في قبضة لكنني امتنعت. أخذ مفيستوفيليس يدي بسرعةٍ في يده، وقلبَها لتتّجه راحة يدي للأسفل. فجأةً قامَ بجعل خاتمي يظهر ويختفي بين أصابعه وهو لا يزال جاثيًا أمامي. تباطأ نبضي.

سألني: "إذا كان عليكِ الاختيار، هل تختارين قلبكِ أم يدك؟"

سكتَت الهمسات والتفتَت كل العيون إليّ مرةً أخرى، فَباتت راحتا يديّ تتعرّقان. بالكاد استطعتُ التفكير في شيء، عدا منظر خاتم أمّي وقلادتها في قبضة شخصٍ غريب. لم أفهم كيف تمكّن من انتزاع الخاتم من يدي، وشعرتُ بأنني ضعيفةٌ، كقاربٍ يتمايل دون مرساة في وسط عاصفة.

"كلاهما خاصّتي." عقدتُ حاجبيّ. "لستُ مضطرةً للاختيار بينهما."

راقبَني خلف قناعه بعينين باحثتَين. "ليس بعد، لكن أظنّكِ ستفعلين ذلك قريبًا." انحنى مُقتربًا مني لكي لا يسمع أحد كلماته التالية. "هل نلتُ منكِ ما يكفي من الاهتمام لعقد صفقتنا الآن؟"

تسارعَ نبض قلبي. غمرَني شعورٌ بأنّ هذا الخيار سيجلب الفوضى إلى حياتي، لكن المكافأة تستحق العناء. أمَلتُ رأسي قليلًا. "سنلتقي حيثُ فعلنا في المرّة الفائتة."

سلّمَني قطعتَي المجوهرات ثم نهضَ واقفًا ليُصفّق بحماس.

"أرجــو التصفيــق لآخــر ضحايــاي، الآنســة أودري روز وادزورث. لقــد نجَــت هــذه المــرة لكــن ربمــا أســرقُ قلبهــا لاحقًــا."

ابتســمَت ليــزا ببهجــة إلــى جانــب هودينــي، ثــم أخــذَت تُصفّــق بصــوتٍ عــالٍ بينمــا اتّــكأ حبيبهــا ليتحــدث مــع إحــدى الفتيــات اللواتــي كــنّ الســبب فــي هــذا العــرض. أردتُ مشــاركة ليــزا فــي فرحتهــا لكننــي لــم أســتطع التخلــص مــن الشــعور بمشــكلةٍ مــا، معلّقــة فــي الجــوّ مثــل الضبــاب. إذا كان مفيســتوفيليس موهوبًــا لهــذا الحــد فــي ســرقة الأشــياء فربمــا هــو موهــوبٌ بمــا يكفــي لســرقة أحاســيس البشــر أيضًــا. انقــضّ علــى الحاضــرات مُقبّــلًا الأيــادي وهــو محــطّ إعجــاب جميــع النســاء فــي الصالــة، وتســاءلتُ إذا كانــت موافقتــي علــى مُقابلتــه الليلــة خطــئًا فادحًــا.



# 11
# الأمير الفقير

## صالة النساء - الباخرة إتروريا
## 3 يناير 1889

أخذتُ وشاحي ذا الفراء وغادرتُ صالة النساء فورَ نجاحي من التخلّص من مُحادثات النسوة حول كيفية شعوري بلمسات سيّد الحلبة الساخنة على بشرتي. أولئك النساء من أفراد الطبقة العليا في المجتمع، لكنهنّ لم يُبدين خجلًا من تلك المواضيع المُعيبة. لم ترمقني إحداهنّ حتى بنظرة اتهام أو حُكمٍ ما، بدا أنهنّ جميعًا تحت تأثير تعويذة ساحر.

جذبتُ الفراء من حولي، مُحاولةً مقاومة برد الهواء بعد خروجي من الممر إلى فضاء ممشى السفينة الفارغ. بدأت ندفات الثلج الصغيرة في التساقط، دون أن تنفي أو تُنذر بوجود عاصفةٍ في الطريق. ظهرَ خيال شخصٍ يتكئ على جدار قوارب النجاة. حيّاني مفيستوفيليس بدفع قبعته إلى الخلف قليلًا. "أنا سعيدٌ لأنّكِ قرّرتِ مقابلتي."

"لماذا اخترتَني لذلك العرض؟"

"أتريدين الحقيقة أم نسخةٌ جميلةٌ منها؟"

"أنا لا أطلب نسخًا زائفة من الواقع، يا سيّد -"

"آه، دعينا نتعامل مع حقيقة واحدة الآن، حسنًا؟"

انتقل إلى سياج سطح السفينة، ورأسه يميل نحوي. لم يبدُ عليه أيّ تأثّرٍ بالبرد، رغمَ رقص الثلج الدائر بيننا، بينما كنتُ أغوصُ في فرائي، مُتمنّيةً وجود معطفٍ إضافيّ لديّ.

"لقد اخترتُكِ لأنني أظنّكِ تبحثين عن الحقيقة المُخبّأة داخل الكذبة. يستمتع الآخرون بالسحر والمشهد، أمّا أنتِ فمفتونةٌ بالكيفيّة. لا أعتقدُ أنّكِ مبهورةٌ بي أو بالوهم الذي أقدّمه... الإلهاء."

نظرَ مباشرةً في عينيّ، باحثًا عن شيءٍ لم أستطع معرفته. مرّت لحظة ولم يتغيّر تعبير وجهه. "ماذا تعملين مع ذلك الرجل العجوز الذي تسافرين معه؟"

لم أرَ ضررًا من الاعتراف بالمسار المهنيّ الذي اخترتُه لنفسي.

"أنا أدرسُ الطبّ الجنائيّ مع عمّي. السيّد كريسويل وأنا نتدرّب تحت إشرافه." فتحتُ فمي ثم أغلقتُه، مُترددةً في التحدّث عن قضيّتي السفّاح أو دراكولا؛ كلتاهما ذات تفاصيل شخصيّة لا أشاركُها مع شخصٍ غريب. "نحن ذاهبون إلى أمريكا من أجل قضيّةٍ جديدة في الواقع."

"هل تدرسين الموتى؟" رفع حاجبه فوق قناعه بينما أومأتُ برأسي. "هذا يعني أنّكِ على علمٍ بالظلمات وتسعَين لإخراج النور منها. لا يسعني إلا أن أكون مفتونًا بذلك. أنا أصنعُ الفوضى، وأنتِ تخلقين النظام منها. لسنا مختلفَين كثيرًا، أنتِ وأنا. كلانا لديه جوهرٌ من العلم، لكنّ تعبيرنا الخارجيّ عنه يختلف."

كان ذلك قريبًا بشكلٍ مُخيف من أفكاري الخاصّة. لم أرغب

في إيجاد قواسم مشتركة مع وغدٍ مثله، لكنّني لم أستطع إنكار فهمه لي. باتَ فضولي حول اختراعاته الميكانيكية في ذروته رغمَ شعوري بالتحذيرات الداخلية للابتعاد عن هذا الشاب.

سألتُه: "لماذا اخترت مهنة المُخادِع؟ ربما تكون كيميائيًا مُثيرًا للإعجاب. ألا ترغب في مساعدة الناس؟"

"يقول البعض بأنّ ترفيه الناس يُساعدهم أيضًا."

قلبتُ عينيّ. "إظهار دُخان في مرايا لا يُمكن أن يتساوى مع إنجاز تقدّمٍ علمي أو هندسي من شأنه القضاء على الأمراض وإنقاذ الأرواح."

"لا أتفقُ معكِ يا آنسة وادزورث. هنالك طرق عديدة لمُساعدة الناس. في بعض الأحيان يحتاج الناس إلى الضحك والإلهاء بنفس القدر الذي يحتاجون فيه إلى التشخيص والعلاج الطبّي. بما أنّكِ طالبةُ علومٍ موهوبة فقد ترغبين في استكشاف الاحتمالات المتوفرة الأخرى. قد أقدّمُ ساعاتٍ قلائل من الإلهاء، لكن بالنسبة للبعض هذا يكفي لتجاوز الأوقات العصيبة. الأمل قوة غير مرئيّة لكنّها جبّارة، فلا تستهيني بها."

حدّقتُ فيه بدهشةٍ من مدى صحة كلامه ومن جهلي في تقييم الأمور. استرجعتُ ذكرى قديمة من قبرها الذي دفنتُها فيه: كنتُ أقرأ القصص لأمي في كثير من الأحيان وهي تحتضر، على أمل انتشالها من آلامها ولو للحظاتٍ قليلة. شعرتُ بالقلق لتعلّمي الدرس من هذا الشاب المخادع، وسخنَ وجهي مُستنكرًا عدم فهم وجهة نظره بسُرعة. كان الناس بحاجة إلى الترفيه، إلى إشغال عقولهم بأفكارٍ بعيدة عن القصف المستمرّ للمشاعر السلبيّة. كانت معنويات أمّي

ترتفع فعلًا كلّما فتحتُ كتابًا لآخذها في مغامرةٍ جديدة.

"أنا -"

فجأة أمسكَ مفيستوفيليس بيدي في يده وضغطَ عليها بقبلةٍ عفيفة. ماتت عبارة الاعتذار على لساني وأنا أرى النار المشتعلة في عينيه والطريقة التي نظرَ بها فوق كتفي. لقد قامَ بعرضٍ آخر، ولم يكن ذلك لمصلحتي. سحبتُ يدي منه لكن الأوان قد فات. ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول: "إنه لمن دواعي سروري المطلق يا آنسة وادزورث. ربما نلتقي مرةً أخرى في مكاننا المفضّل..." انحنى لكي لا يسمع غيري كلماته. "عند حوالي منتصف الليل؟ يبدو أن لقاءنا قد انتهى بشكلٍ مفاجئ ولا يزال لدي الكثير لأناقشه، إن كنتِ مستعدة؟" أومأ سيّد الحلبة برأسه ورائي بنفس الابتسامة العدائية تلك. "مساء الخير سيّد كريسويل، كما أفترض؟ كنا نتكلّم عنكَ للتو. مَن السيدة المحبوبة التي معك؟"

تركتُ أنفاسي تخرج في زفير عميق، دون رغبة في الالتفاف ومواجهة توماس.

"آه، كنتُما تتكلّمان عني؟" بدا توماس متشكّكًا، وبانَ ذلك أكثر عندما استدرتُ ليقع نظره عليّ. "هذا شرفٌ بالنظر إلى أنني لا أمتلك قبعةً سحرية مع ورود سوداء، ولا القدرة على التبختر عبر المسرح. رغم أنني ساحرٌ بطريقتي الخاصّة، لذا أفهمُ هذا الاهتمام." توقّف متظاهرًا بالتفكير في كلماته التالية. "ما زلتَ تضع هذا القناع كما أرى. ألا يُزعجك؟"

"كلا على الإطلاق. هنالك مخملٌ في بطانته." وجّهَ مفيستوفيليس ابتسامةً دافئة للسيدة هارفي، حتى خشيتُ أن تفقد وعيها من حرارتها.

"هـل سـتُعرّفني علـى هـذه الجميلـة الصغيـرة، أم سـتتركني أمـوت قبـل ذلـك؟"

"السّيدة إدنا هارفي، السيّد..." عقدَت السيدة هارفي حاجبيها.

"نعم... السيّد؟"

مـال رأسـه وهـو يـردّ: "مفيسـتوفيليس مناسـبٌ تمامًـا. إذا سـمحتُم لـي يجـب أن أعـود إلـى أعمالـي. طبتُـم مسـاءًا جميعًـا."

وقفنـا علـى سـطح السـفينة للحظـة، نشـاهد سـيّد الحلبـة يشـقّ طريقـه إلـى فرقتـه وأعمـال مـا بعـد العـرض. بمجـرد ابتعـاده عـن مرمـى السـمع أسـقطَت السـيدة هارفـي ذراع تومـاس وأخـذَت تُـروّح عـن نفسـها وهـي تسـأل: "إنـه رائـع، أليـس كذلـك؟ غامـضٌ للغايـة بهـذا القنـاع والاسـم. أتسـاءل مـا إذا كان سيفشـل يومًـا مـا، اتخـاذ هويـةٌ جديـدة أمـرٌ غيـر سـهل بالمـرّة. أتخيـل أنـه يجـب عليـه خلـع القنـاع عندمـا ينـام..."

قلـتُ بتهكّـم: "ربمـا ينبغـي أن يتسـلل أحدنـا إلـى غرفتـه للتأكـد مـن ذلـك."

نظرَت إليّ السيدة هارفي. "لا أمانع من التطوع لهذه المهمة."

ابتسـم تومـاس ثـم تأبّـط ذراع السـيدة هارفـي ثانيـةً، ليقودنـا إلـى غرفنـا فـي عـرضٍ أعجبَنـي للسـلوك النبيـل. "أشـك فـي أن أيًـا مـن فنانيـه يعـرف هويّتـه الحقيقيـة. هنـاك سـببٌ محـدّد للأقنعـة، وأنـا واثـقٌ مـن أنـه ليـسَ لمجـرد خلـق هالـة مـن الغمـوض. أراهـنُ أنـه يختبـئ مـن شـخص مـا، أو يُخفـي ماضيًـا قـذرًا."

زفـرتُ وأنـا أعلّـق: "هـل هـذه إحـدى استنتاجاتك المُشـينة المبنيّـة علـى الملاحظـة؟"

هـزّ تومـاس كتفـه: "اسـخري منـي كمـا تشـائين، لكـن سـلوكياته

تقول أنه من الطبقة الأرستقراطية، وكذلك جزمته."

بصراحة لم أتفاجأ من تكهّن توماس ببعض الأشياء التي تبدو مستحيلة من ملاحظاته لتفاصيل تافهة. "حسنًا، أخبرني بالمزيد عن حذائه وكيف يُشير إلى الأرستقراطية في قاموس توماس كريسويل للاستقراء."

"أراهنُ أنّ أمرًا فظيعًا قد حدث له، المسكين." توقفَت السيّدة هارفي أمام مقصورتها ثم ألقت نظرة خاطفة على سطح السفينة خلفنا. "آنسة وادزورث، بما أنّكِ في الغرفة المجاورة فمن الأفضل أن يُرافقك توماس هذه المرة، إلّا إذا وجدتِ هذا غير لائق. أشعرُ فجأةً بحاجة..."

"إلى دواء السّفر خاصّتك؟" قاطعَها توماس وهو بالكاد يكتم ضحكته، فنكزَتهُ في صدره. "آه."

قالت باستنكار: "صه، ليس من اللائق أن تسخر من كبار السنّ. في يوم من الأيام ستحتاج أيضًا إلى رشفة من دواء السفر هذا ليُساعدك على النوم."

تجاهلتُ السخرية المُتبادلة بينهما وابتسمتُ لمُرافقتِنا البائسة. كان من غير اللائق أصلًا أن يسير معي توماس في أيّ مكان دون مُرافِق، لكننا اجتمعنا في مواقف أسوأ بكثير من هذه النزهة القصيرة. "لا بأس سيّدة هارفي. نظرًا لكون غرفنا متّصلة فأنا واثقة من أنّ أحدًا لن يتعرّض لفضيحة. معظم الناس قد خلدوا للنوم الآن، ولن نبقى طويلًا."

"كانت حقًا أمسيةً ساحرة، ولم تُفسد أيّ جثةٍ المرح!" قبّلَت خدّي وخدّ توماس ثم فتحَت بابها مُضيفةً: "أنا مُرهقةٌ للغاية."

فـورَ إغلاقهـا البـاب قطعـتُ مـع تومـاس الخطـوات القليلـة إلـى مصطبـة جلـوس بيـن غرفتـي والغرفـة التاليـة. شـعرتُ أنّ لديـه مـا يقولـه، فجلسـتُ وطبطبـتُ علـى المقعـد بجـواري. لقـد توقّـف سـقوط نـدف الثلـج، لكـن لدغـة الصقيـع لا تـزال تقضـم الهـواء. خلـعَ تومـاس معطفـه ولفّـهُ حـول كتفـيّ باهتمامـه المعهـود.

قُلـت: "شـكرًا. كنـتَ تقـول شـيئًا مُثيـرًا للاهتمـام حـول الأحذيـة علـى مـا أعتقـد؟"

ألقـى نظـرةً خاطفـة حولنـا قبـل أن يجلـس ليفـرك يديـه. "نعـل جزمتـه لا يحتـوي علـى علامـات بَلـى، وقبـل أن تتكلّمـي فـلا أظـنّ أنّ التلميـع يُفسّـر ذلـك. حـذاؤه جديـد، أو علـى الأقـل لـم يتـمّ ارتـداؤه كثيـرًا."

"ربما يرتديه فقط في أثناء العرض."

عـدّل تومـاس جلسـته وابتسـامته الشـريرة تخطـف القلـوب فـي الظـلام. "نظريـةٌ جيّـدة يـا وادزورث، لكـن الطريقـة التـي يجـول بهـا ويتبختـر عبـر المسـرح... حتـى لـو كان يرتـدي ذلـك الحـذاء المعيّـن فقـط خـلال العـروض فسـوف يظهـر عليـه ولـو القليـل مـن البلـى. بمـا أنـه لا يوجـد أيٌّ منـه فـإلامَ يُشـير ذلـك؟"

"لقد اشترى آخر جديدًا."

"بالضبـط. حتـى فنّـان الاسـتعراض الناجـح لـن ينفـق الكثيـر علـى الجلـود الفاخـرة التـي يختارهـا، ولـن يشـتري أحذيـة باهظـة الثمـن فـي كل مـرّة. وهـو مـا يقودنـي إلـى الاعتقـاد بأنـه شـخصٌ ينحـدر أصـلًا مـن أسـرة ثريـة لـذا لا يهمـهُ الإنفـاق علـى أمـور تافهـة. إذا كنـتِ تعلميـن أنـكِ بحاجـة إلـى اسـتبدال حذائـك كل ليلـة، هـل ستشـترين أكثرهـا كلفـة؟"

كانـت لديـه وجهـة نظـر. "حسـنًا. هـذا مـن شـأنه تفسـير إصـراره على

وضع قناع واستخدام اسم مسرحي أيضًا، أليس كذلك؟ حدّقتُ في رفيقي، لا سيّما الزوايا الحادة المألوفة في المنظر الجانبي لوجهه. "لكنّك تعتقد أنه خطير."

"إنه يكتم أسرارًا ومُتلاعب، قادرٌ على جعل الأشياء غير المؤذية تبدو شريرة والأشياء الشرّيرة تبدو غير مؤذية. لقد قُتِلت امرأتان، ولهذه الأسباب وحدها أنا لا أثق به." تجاهل توماس قواعد التهذيب وأخذَ يدي في يده ليُشابك أصابعنا، ثم قال بتأنّ: "إنه يريد منكِ شيئًا، لا أعرف ما هو لكن غايته غير جيّدة. مهما كانت دوافعه فهي لمصلحته أو لمصلحة الكرنفال. إذا آذاك..."

"أنا قادرةٌ على الاعتناء بنفسي كما تعلم. لقد نجوتُ بالفعل من مقابلته بمفردي، فلا داعٍ للقلق. أعتقدُ أنّ التقرّب منه سيكون مُفيدًا بعدة طرق." وقفَ توماس وسارَ قربَ مدخنة البخار في قوس السفينة، بأكتافٍ متقلّصة بسبب الريح الباردة، أو بسبب الخطة الجزئيّة التي كشفتُها. نهضتُ ببطء وتبعتُه، متمنّيةً إعادة الكلمات إلى فمي. تصاعدَ البخار من خلفه ليُذكّرني بمُدخني السيجار في غرفة تدخين الرجال، تصاعدَ الأبيض الرمادي لينجرف بتكاسل مع السحب. تمنّيتُ لو كان صديقي بمثل ذلك الاسترخاء. لقد آذيتُه بشدة، لدرجة أنني خشيتُ أن يقفز إلى المحيط في أيّة لحظة.

قلتُ وأنا أشاهده يسير ذهابًا وإيابًا: "بصراحة، أنتَ تعلم أنّها أفضل طريقة لتشتيت الانتباه يا توماس. سيمنحُكَ هذا فرصةً رائعة لتفعيل سحر كريسويل خاصّتك، ويُتيح لي فرصة التقرّب من فناني العروض. لا تكن غيورًا لأنكَ لم تفكّر في الأمر أولًا. عبوسكَ غير جميل."

توقف عن المشي وحدّق في وجهي كأنّ رأسًا ثانيًا قد ظهرَ لي فجأة. "قد يكون الدخول إلى قفص أسد من أفضل أشكال تشتيت الانتباه، لكنه ليس أكثر الوسائل أمانًا يا وادزورث."

جادلت: "طبيعة عملنا بحدّ ذاتها خطيرة. هذه ببساطة أداةٌ نستخدمها في صيد القتلة. إذا ركّز الجميع على الدراما التي تتطوّر بيني وبين مفيستوفيليس فلن يهتمّوا بك أو بعمّي بنفس القدر."

"آه حقًا؟ لن يهتمّ أحدٌ بحبيبك المسكين المهجور سارق القلوب بينما تتقرّبين من سيّد الحلبة؟" رفع حاجبه. "ربما سأستخدم نفسي كطُعم. أنا واثقٌ من قُدرتي على خطف قلوب بعض فنّانات العروض بنفسي."

"هل هذا هو الأمر؟ هل تشعر بأنّكَ مُستثنى من الإثارة؟ عملُكَ أكثر إثارةً وأهميةً من مغازلة سيّد الحلبة. عليكَ دراسة علامات الاحتكاك على الأحذية ومعرفة كيف حدثَت ومَن المسؤول. أترى؟ عملٌ مهم جدًا."

قال: "إذن يجب أن تنالي شرف لعب دوري. أنا أدعمُ مبدأ المساواة في علاقتنا بالكامل." زممتُ شفتيّ وابتسم منتصرًا. "هذا بالضبط ما ظننتُه. ليس هناك سبب وجيه يجعلك تضعين نفسك في مرمى الخطر. مفيستوفيليس قاتلٌ مُحتمَل. التنزه معه في الممشى أمرٌ يُعادل إدخال رأسي في فم الأسد المذكور أعلاه. قد يكون ممتعًا للغاية، إلا أنه بلا شك فكرةٌ سيئة."

"أنا أعترض."

"أتقولين أنني يجب أن أدخل رأسي في فم الأسد إذن؟"

"إذا أردتَ ذلك، فسوف أؤيد الفكرة حتى لو لم تعجبني." رفعتُ

ذقني. "إذا كان مفيستوفيليس هو القاتل فهو ليس غبيًا بما يكفي لإيذائي، لأنه سيكون أول مشتبَه به أمام عمّي وأمامك. مع ذلك فالتقرّب منه واكتساب ثقته، وحتى مُغازلته، سيُتيح لي فرصة التسلّل إلى فرقته. إذا وثق بي فسيفعل الآخرون ذلك أيضًا. مَن يدري ما سأتمكن من معرفته بهذه الطريقة؟"

قال توماس بعناية: "كلامُكِ يحملُ الكثير من الافتراضات. إذا حدث خطأ ما، فستكونين في مرمى النار المُباشر. مقدار المُخاطرة لا يستحق المكافأة في هذه الحالة يا وادزورث."

"إذن يؤسفني القول أننا وصلنا إلى طريق مسدود." هززت رأسي. "أشعرُ بالعكس تمامًا. بعض المخاطر تستحق المجازفة، حتى لو بدت المهمة مستحيلة في البداية."

سحب توماس نفسًا عميقًا، لكن تعبيره كان فيه بعض الاشمئزاز. "تَبدين مثله الآن. في الحقيقة أجرؤ على القول أنّكِ تستمتعين بالتقرّب منه، اعترفي بذلك. هل هذا ما –"

مددتُ يدي لأدير وجهه إلى وجهي. "لن يؤذيني ولن يُغيّر ما بيننا يا كريسويل. لا تهمّني أيّة خدعة يجرّبها معي. قلبي لك، ولن تسرقه خفّة يده."

قبل أن يُجادلني انحنيتُ لأطبقَ فمي على فمه في قبلةٍ عميقة. اقتربَ مني ويداه تنزلقان حول خصري، كمرساتَين في بحرٍ من المجهول. بقينا هكذا نتبادل التقبيل تحت عناقيد النجوم المتلألئة والثلوج المتساقطة بشكل متقطّع، حتى فرّقَتنا أصوات مُتجوّلي الليل. اصطحبني توماس إلى باب غرفتي وتمنّى لي ليلة سعيدة بقُبلةٍ عفيفة على يدي. نظرتُ إلى القمر وأفكاري مبعثرة مثل النجوم. إذا

كان توماس على صواب، وأنا واثقة من ذلك، فمَن كان سيّد الحلبة وممّن يهرب أو يختبئ؟

دخلتُ إلى غرفتي ونظرتُ إلى الساعة: منتصف الليل يقترب بسرعة. بعد أن استبدلتُ فرائي بمعطف من الصوف، استمعتُ عند الباب الذي يربط غرفتي بغرفة السيدة هارفي، مرتاحةً لسماع شخيرها الهادئ. آمل أن تنام طوال الليل وألّا تتفقّدني. لم يكن واردًا أن أنام الآن، لذا تسلّلتُ عبر الطرف الهادئ من ممشى السفينة، على أمل الحصول على إجاباتٍ من الرجل المعنيّ شخصيًا.

***

"ها أنتِ ذا، الآنسة وادزورث الفضوليّة. ظننتُ أنّكِ لن تُغامري بالخروج ثانيةً. لكن هل جئتِ لإنهاء حديثنا الصغير أم أنّ لكِ غرضًا آخر؟"

ظهرَ مفيستوفيليس من ظلال قوارب النجاة، كشَيطان يرتفع من سحابة ضباب، وقد تدلّت زجاجة نبيذ من إحدى يديه. باتَ قناعه الآن يعكس ضوء القمر، مما جعلني أرتجف. تمنّيتُ أن يخلع قناعه المُروّع. أردفَ وهو يُحدّق بلا خجلٍ في هيأتي: "آه، هذا هو. جئتِ لاستعادة روحك المسلوبة؟ ربما أشعر بالسخاء هذا المساء لكن ليس لهذه الدرجة. إنها مُلكي ولن أتنازل."

قلبتُ عينيّ. "أنتَ مغرور حقًا. لماذا تكترث لإعجابي بك عندما تكون لديك سفينةٌ كاملة من الراكبات اللواتي تأسرهنّ عروضك المسرحيّة؟ ألا يجب أن تتقرّب لإحداهنّ؟ سيكُنّ ممتنات لذلك، ناهيكَ عن..." - راقبتُه عن كثب - "تقول ابنة عمّتي أنّ فنانة الأرجوحة، الإمبراطورة كاسي، واقعةٌ في غرامِك."

وضعَ الزجاجة من يده واتكأ على الحائط، في حركةٍ بدت عادية جدًا بالنسبة له بطريقةٍ أو بأخرى، ثم تفحّصَني. كان توماس على حق: الآن بعد أن بحثتُ عن الأمر يبدو أنّه فعلًا من عائلةٍ نبيلة، وأنه قد عاشَ حياة الأثرياء منذ الولادة. بتُّ واثقة من امتلاكه أسرارًا لم يسمح بكشفها لأحد. سألني أخيرًا: "هل لديكِ وفرةٌ من الأصدقاء بحيث لا تحتاجين إلى أصدقاء جدد؟ ماذا فعلتُ لكِ لأستحق هذا اللسان ذا الأشواك؟ أنا ببساطة أتعرّف عليك، لا أرى جريمةً في ذلك. ومع ذلك تقفين هكذا، مستعدةً لإدانتي طول الوقت."

"لا تعتقد أنّني لم أعرف نيّتك وغرضك اليوم من ذلك الأداء." سرتُ إلى حيث اتكأ على جدار قوارب النجاة. "أنتَ تحاول صنع شقاقٍ بيني وبين توماس، وأعتبرُ ذلك أذى كافيًا لي."

"ماذا؟ هل انزعجَ لهذا الحدّ من تقبيلي لِيدك؟ إذا كان كذلك فعليكِ العثور على عاشقٍ آخر. الغيرة مرضٌ مُعدٍ، وأرى أنني قد أسديتُ لكِ خدمةً كبيرة عندما بيّنتُ لكِ هذه المشاعر المؤذية. على الرحب والسّعة."

"يتطلّب تحطيم علاقتنا أمرًا لا يُغتفر وأكبر بكثير من هذا، وأضمنُ لكَ أنه مستحيل لذا لا تُحاول."

قال بإشارةٍ من يده: "هذا هو. إذا كانت علاقتكما غير قابلة للكسر فيجب أن أحاول بأقصى ما أستطيع لأكسب إعجابك. أينَ الضرر في ذلك؟"

"إنه أمرٌ غير لائق وغير ضروريّ على الإطلاق، لا سيّما أننا لا نعرف بعضنا البعض، وهُناك امرأةٌ أخرى تُحبّك. أنتَ تلعب لعبةً لن

أشارك فيها." بدأ صوتي يعلو لا إراديًا فتوقّفتُ دقيقةً لتهدئة نفسي. "كما إنه في منتهى الفظاظة. إذا كنتَ حقًا تريد أن نصبح أصدقاء فهذه ليسَت طريقة القيام بذلك، مطلقًا."

"أنا رجل استعراض. لستُ لطيفًا، ولستُ عفيفًا أيضًا." رفعَ كتفه كأنه يتكلّم ببساطة عن شيءٍ تافه مثل حالة الطقس. "إذا كنتِ تنتظرين مني أن أكون كذلك فسوف تُصابين بخيبة أمل."

حدّقتُ في وجهه ويداي مُكوّرتان على جانبيّ. "إذن هل لي معرفة لماذا أردتَ أن نلتقي مرةً أخرى؟"

كانت لديه الجرأة الكافية ليبتسم أمام غضبي. "بناءً على خبرتكِ في الطبّ الجنائيّ لديّ طلبٌ محدّدٌ منكِ، وهو لا يمتُّ للزواج بِصلة. آه من فضلكِ لا تحزني هكذا." كشّرتُ عن أسناني فرفعَ يديه في استرضاء. "أنا أمزح يا آنسة وادزورث. أطلبُ منكِ المُساعدة في عرضي." توقّفَ قليلًا ليرى ما إذا كان لديّ اعتراض ثم أردف: "لقد لاحظتُ وجهكِ عندما ظهرَت قريبتُكِ على خشبة المسرح في الليلة الأولى. أنتِ غير موافقة على الكرنفال وعلى دورها فيه، أليس كذلك؟"

كان اعتقاده غير صحيح. "هذا ليسَ من شأنك."

"حقًا؟" ابتسم ابتسامةً عريضة من جديد، وفكّرتُ في كل الطرق التي يُمكنني بها إزالة تلك الابتسامة من وجهه. "ماذا لو أخبرتُكِ أنّ بإمكاني مُساعدتك؟ أنتِ ترغبين في تحرير قريبتكِ من العروض ومن هوديني، وأنا أعرفُ سرًا من شأنه أن يُسهّل عليكِ ذلك، لكن فقط إذا ساعدتِني. هل عقدنا الصّفقة؟ أن نتبادل المُساعدة؟"

شعرتُ بفضولٍ شديد بشأن السرّ الذي يعرفه، لكنّني تعلّمتُ

ما ثمن الفضول. بدا أنه قد رأى شيئًا في تعبير وجهي منحهُ بعض الأمل.

"هُنالك شرطٌ واحد: لا يُمكنكُ إخبار أحدٍ بكلمةٍ عن صفقتنا. لا السيد كريسويل ولا قريبتك ولا أي شخص على متن هذه السفينة. إذا عرفَ أحدٌ... سأضطرّ إلى لعب ورقتي وفضح السرّ خاصّتك."

قلتُ بخشونة: "ما السرّ خاصّتي؟ لم أفعل شيئًا أقلقُ بشأنه."

"متأكدة؟" سأل ببراءةٍ مزيّفة. "أشكّ في عودة ليزا إلى المنزل إذا اكتشفَت أنّكِ السبب في تحطيم قلبها الحتميّ."

"لم أوافق بعد على شيء، ومع ذلك تبدأ بابتزازي من الآن؟"

رفعَ كتفه ثانيةً. "لكنكِ لم ترفضي على الفور، أليس كذلك؟"

حدّقتُ فيه، مُفكرةً في العرض ومُحاولةً بيأس كبح جماح مشاعري. كان قراري الأوّلي أن أقول كلا، ثمّ أصفعهُ بقفّازي وأغيبُ عن وجهه حتى الوصول إلى أميركا. هذا هو الخيار الأسلم والأكثر حكمة، وهو أيضًا الخيار الأنانيّ الذي لن يُساعد ابنة عمّتي ولا أنا. لقد نشأتُ على استخدام التقاعس كشبكةِ أمان، لكنه لا يفسح المجال لاستكشاف البحار المجهولة. اقتربَ مفيستوفيليس منّي كذئبٍ يشمّ فريسته، واستطعتُ رؤية انعكاس صورتي المشوّهة في تخريمات قناعهِ فارتجفت.

"سأعطيكِ ما تريدين يا آنسة وادزورث، تخليص قريبتكِ من العار والدمار دون أن تضطرّي إلى لعب دور الشرّيرة. وسأحصل على ما أريدهُ مقابل مُساعدتك."

"وما هو ما تريده؟ لا يُمكن أن يكون مجرّد مُساعدتي في العروض."

"حسب الشائعات فابنةُ عمّتكِ لم تعد قادرةً على المُساعدة. أنا بحاجة إلى فتاةٍ جميلة أخرى لإبهار الجمهور، هذا كلّ شيء."

"لا يُمكنني القيام بالأداءات كل ليلة، ومن غير المعقول تصديق أنّ عمّي سيوافق، خاصةً بعد أن منعَ ليزا من هذا الشيء بالذات."

"أنا لا أطلبُ مُساعدتكِ كل ليلة، أريدُكِ فقط لعرضٍ واحد محدّد." حدّقَ في وجهي باهتمام. "هل تريدين تحرير قريبتكِ من هوديني أم لا؟"

حككتُ راحة يدي. لم أرغب في تخيّل سُمعة ليزا المُحطّمة إذا انتهَت علاقتها العاطفية مع هوديني، أو إذا أصبحَت معروفةً على نطاقٍ واسع.

"سوف يضحكون على ليزا، ويسخرون منها ويحتقرونها." ضغطَ مفيستوفيليس، مُدركًا أنه قد وجدَ الوتر الصحيح الذي يُوهن عزيمتي. "سوف تتدمّر عائلتها. لن تستضيف أبدًا حفلة شاي، ولن يرافقَها رجلٌ نبيلٌ وسيم، كما لن تتمّ دعوتها إلى الحفلات الفخمة." تقدّمَ خطوةً نحوي. "إنها تحبّ هذه الأشياء، أليس كذلك؟ هل ستقفين متفرّجة، تُراقبينها وهي تحرق حياتها بالكامل لأجل رجلٍ سيختفي فورَ انقشاع الدخان؟"

مرّت سحابةٌ أمام القمر لتُظلم السماء لِلحظة. لقد حان منتصف الليل وقد تمّ تحذيري بالفعل من هذه الأنواع من الصفقات. انحنى الساحر وعيناهُ على وجهي.

"هل تمّ الاتفاق؟"



فنانى سيرك فى أواخر القرن التاسع عشر



# 12
# صفقةٌ مع الشيطان

## مقدّمة السفينة - الباخرة إتروريا
## 3 يناير 1889

رفـعَ مفيسـتوفيليس إصبعـه ذا القفـاز قـرب خـدّي، دون أن يلمسـهُ مطلقًـا لكـن مـع ذلـك جعـل نبضـات قلبـي تُسـرع. كنـتُ أريـد أن تعـود ابنـة عمّتـي إلـى المنـزل، وأن تُصبـح سـعيدةً ومتحـررةً مـن أحـكام النـاس، لكنّنـي علمـتُ أننـي أخـوضُ فـي ميـاه عكـرة. رؤيتـي مقـدار الدمـار الـذي قـد يُسـبّبه اختيارهـا لا يمنحنـي الحـقّ فـي الاختيـار بـدلًا عنهـا. الحـب أمـرٌ خـادع ومعقّـد، رمـاديٌّ للغايـة مـن الناحيـة الأخلاقيـة. غالبًـا مـا يتـمّ القيـام بأمـورٍ عظيمـة وفظيعـة علـى حـدٍّ سـواء باسـم الحـبّ، لكـن هـل يُمكـن جـرح قلـبٍ عاشـقٍ بدافـع الحـبّ أيضًـا؟

قـال: "تبـدو صفقـةً عادلـة، أليـس كذلـك؟ كلّ مـا عليـكِ فعلـه هـو المشـاركة فـي العـرض الختامـيّ - دون إخبـار أحـدٍ بمـا تفعلينـه - وكلّ مـا تريدينـه سـيكون لـك. سـأعطيكِ أيضًـا دروس خفّـة اليـد التـي وعدتُـكِ بهـا سـابقًا. لقـد أصبحـتِ إلـى حـدٍّ مـا مـن مشـاهير مجتمـع لنـدن، لـذا فَوجـودُك سـيُضفي مصداقيّـةً علـى الجانـب العلمـيّ مـن عملـي، وفـي المقابـل سأسـاعد فـي إنقـاذ قريبتـك. مـاذا لديـكِ لِتخسـريه؟"

خطرَت على بالي كلمات عرضه الافتتاحيّ على الفور، فيما يخصّ "فُقدان القلوب والعقول وربّما الحياة" أمام كرنفاله. أخذَت الظلال حولنا تُطبق علينا، واشتدّت دقات قلبي تحتها. بدَت الصفقة بسيطةً، سهلةً للغاية لأوافقَ عليها، مما يعني وجود منافع خفيّة لمفيستوفيليس وربّما بعض الإضرار بي. درستُ تعبير وجهه الحذِر.

"أنا..."

"نعم؟" بطريقةٍ ما تمكّن من تغيير مكانه مرةً أخرى دون أن ألاحظ. كانت تفوح منه رائحة بخورٍ دافئة، نسماتٍ من الزنجبيل والحمضيّات ممزوجة بقليلٍ من الفانيلا والخزامى. قاومتُ الرغبة في التنفّس بعُمق. كانت نظراته تتنقّل عبر ملامحي في فحصٍ صريح.

"كل ما عليّ فعلُه هو الصعود على خشبة المسرح في العرض الختاميّ؟"

قال مُبتسمًا: "إلى حدٍّ ما. ما زلتُ أعمل على التفاصيل."

نظريًا فإنّ ليزا ستعرف الحقيقة، ثم تتّخذ قرارها بناءً على الحقائق المُقدّمة إليها. لن يختفي شيءٌ عنها. إذا قرّرَت بعدها البقاء مع الكرنفال وهوديني فلن أتدخّل مرةً أخرى، رغم كوني متأكدةً من أنّ لدى عمّي الكثير ليقوله عن ذلك. خدرَت راحتا يديّ. كنتُ أقايض فقط للحصول على معلومات مهمّة، لا لاتخاذ قرار نيابةً عن ليزا. كل ما عليّ فعله هو المشاركة في ذلك العرض الختاميّ الأحمق، وهو أمرٌ غير صعب. مع ذلك...

"هل تمّ الاتفاق يا آنسة وادزورث؟"

ارتخى التردّد المُستحوذ على ذهني: لا أستطيعُ الارتياح والجلوس في أمان بوجود خطر كهذا على ابنة عمّتي. هذا الالتزام

الأخلاقيّ يكفي لوحده. "إذا قبلتُ عرضك سأحتاجُ لمعرفة ما يُخفيه هاري هوديني بالتفصيل، بلا أكاذيب."

رسمَ مفيستوفيليس علامة الصليب. "لا أكاذيب."

عضضتُ شفتي آملةً أنّ الفضول لم يتمكّن من عقلي. "إذَن أقبلُ صفقتك."

رفعَ مفيستوفيليس جانبًا من فمه فتسارعَ قلبي احتجاجًا. لم يَعِد مظهرهُ بأنّني لن أندم، بل على العكس تمامًا. مع ذلك فقد فات أوان التحذير: لقد أبرمتُ صفقةً مع الشيطان ويجب أن ألتزمَ بها إلى النهاية.

"ما المعلومات التي لديكَ عن هوديني؟"

هزّ رأسه. "هُنالك امرأةٌ في أمريكا يكتب لها الرسائل، الكثير منها. لا يتطلّب الأمر محقّقًا لإثبات مدى حبّه الواضح لها. في كل بلدةٍ أو مدينة نمر بها يُرسل إليها رسالة." تحوّل تعبير وجهه من العجرفة إلى الألم. "حتى بعد لقائه بليزا لم تتوقف الرسائل قطّ. أخشى أنه... بصراحةٍ أعلمُ علمَ اليقين أنه لم يُخبر ليزا بتلك المرأة."

الوغد! واقعٌ في غرام امرأةٍ أخرى، ويكتب إليها من كل مغامرةٍ ومن خلف ظهر ابنة عمّتي العزيزة. أغمضتُ عينيّ على أمل تهدئة الغضب. التظاهر بالغفلة عن كونه كاذبًا مخادعًا كان صعبًا عليّ، خاصةً وأنا أتوق إلى نزع أحشائه.

"لماذا تهتمّ بسُمعة ليزا؟" تفحّصتُ وجه سيّد الحلبة باحثةً عن أي تلميح لدوافعه الحقيقية. كان يتحكّم في تعابير وجهه بعناية، ولم يُعطِني سوى ابتسامة خفيفة. ابتسامةٌ مع شيء من البراءة لجعل

المشكلة تبدو كأنّها تستحقّ المُخاطرة. سألتُه ثانيةً: "ما الذي يهمّكَ في هذا؟"

"لا شيء. أنا أحتاج ببساطة إلى دعم عروضي، وبما أن الركاب على درايةٍ بخبرتك في الطبّ الجنائيّ، ستقومين يا عزيزتي بلعب دوركِ والادعاء بأنّ خُدعي سحريةٌ حقًا. إذا اقتنعتِ أنتِ الخبيرة فسوفَ تتحسّن سُمعتي، وأنا في حاجةٍ ماسّة إلى ذلك مع استمرار الجثث في الظهور خلال عروضي أو بعدها. هذه المعلومات مجرد ورقة مُساومة ولم أكن لأستخدمها لولا الحاجة." انتشرَت ابتسامةٌ بطيئة على وجهه. "لا تكوني مستاءةً هكذا. لقد أخبرتُكِ: لستُ رجلًا عفيفًا."

فعلًا، لم يكن كذلك على الإطلاق. "أنتَ تُدرك استحالة إقناع الركاب بأنّ السحر واقعيّ، أليسَ كذلك؟"

رفعَ مفيستوفيليس يده. "لا أعتقدُ أنّ عملكِ بهذه الصعوبة آنسة وادزورث. كل ما أحتاجهُ هو وجودُك الجميل عند الوقت المناسب في الليلة الأخيرة."

فكّرتُ في الأمر للحظة. "هل تطلب مني أن أكون أحد الممثّلين خاصّتك؟"

"فقط لليلةٍ واحدة، رغمَ أنّكِ ستحتاجين إلى التدريب مع الآخرين كلّ ليلة لأجل ذلك."

فركتُ صدغيّ. "رائع. أنتَ تُرغمني على التعلّم من المجرمين الذين وظّفتَهم."

"الفنّانين." صحّح جُملتي.

مع قاتلٍ واحد على الأقل من ضمنهم. "حسنًا، لم يُرحّبوا

بي جدًا عندما حضرتُ تدريبهم هذا الصباح، لذا لستُ واثقةً من تعاونهم معي في هذه الصفقة."

تقدّم مع تلك الابتسامة الخطيرة. "هذا هو سبب إعطائي دروسًا لكِ أمامهم. سوف يرَون كم أفضّلكِ... ثم سيبذلون قصارى جهدهم لجذب انتباهك."

"لكنهم سيظنّون أنّ هناك علاقةً عاطفيّة بيننا." أدركتُ ذلك حينما أومأ برأسه. "في الواقع أنتَ تُراهن على ذلك."

"في الواقع تلميذتي النجيبة تتعلّم بسُرعة." ابتسم. "إذَن فهمتِ الآن لماذا يجب ألّا يعلم بصفقتِنا ذلك السيّد... كريسويل أليس كذلك؟ نحتاجُ إلى أن يبدو هذا حقيقيًا. دعيهم يظنّون أنني أغويكِ حقًا لأربح يدك. هذا سيُزيد من احتمالات تقبُّلهم لكِ. أنا بحاجة إلى أن تسير الأمور بسلاسة في العرض الختاميّ، خاصةً بعد جرائم القتل هذه. يرفض المُستثمرون اقتران أسمائهم وأموالهم بهذا النوع من الأشياء."

كان توماس يثق بي تمامًا، مع ذلك لم أستطع تخيّله مرتاحًا لهذا الاتفاق خاصةً بعد حديثنا السابق. تردّدت. "توماس بارعٌ في حفظ الأسرار. بالإضافة إلى ذلك قد ترغب في مشاركته في العرض الختاميّ أيضًا. إنه موهوب -"

"يجب أن يبقى ردّ فعله على علاقتنا المزعومة غريزيًّا وغير متّفق عليه يا آنسة وادزورث، وإلّا سيعرف الآخرون أنه لا شيء بيننا. إذا شعروا للحظةٍ بوجود لعبة فلَن يتحدّثوا إليكِ أو يرغبوا في التعرّف عليك. أحتاجُ إلى أن يبذلوا جميعًا قصارى جهودهم لضمان نجاح الكرنفال. لن يقفَ شيء في طريقي، لا سيّما عاشقٌ حسّاس. لقد

عملتُ بجدّ وضحّيتُ بالكثير في هذا المسعى. لن أفشل الآن."

خطوتُ نحو سور السفينة، سامحةً للنسيم البارد بتصفية ذهني. قد لا يكون توماس سعيدًا لكن هذه الحيلة ستستمرّ لأربعة أيام فقط. في هذا الوقت الوجيز سأقدرُ على حماية ليزا من أكاذيب هوديني، وتعلّم خفّة اليد كما تمنّيت لأطبّقها على ممارسات الطبّ الجنائيّ خاصّتي، كما سأنال ميزة التواصل مع مجموعة الكرنفال المنطوية على نفسها، المجموعة ذاتها التي قد تضمّ قاتلًا. لصفقتِنا أضرار لكن لها منافعَ واضحة. لقد احتجتُ إلى الوصول إلى فنّاني العروض لحلّ لغز الجرائم، ونظرًا لعدائيّتهم تجاهي كانت هذه فرصةٌ لا تُعوّض.

انتقلَ مفيستوفيليس إلى حيث وقفت، وكادت ذراعه تلمسُ ذراعي خلال استناده على سور السفينة لمُشاهدة انعكاس ضوء القمر على أمواج المحيط. هذه مجرّد صفقة عمل لا أكثر، وسُرعان ما تلاشَت تحذيرات فقدان العقل أو القلب من رأسي.

"حسنًا." مددتُ يدي إليه وسررتُ حين ردّ بالمثل وصافحَني. "سنلعبُ أنا وأنتَ لعبة التظاهُر هذه، لكنّني أريدُ إثباتًا لِليزا على هوديني. أعتقدُ أنّ هذا الخبر يجب أن يأتي مني، في الوقت والمكان اللّذين أحدّدهُما أنا."

نظرَ إلى أيدينا المُتصافِحة ببعض الاستغراب وسحبَ يده. "أيّة مطالب أخرى؟"

"لا يجوز لك تقبيلي تحت أيّ ظرف. هذا أمرٌ لا أرغب في تمثيله."

"هـذا مُثيـر." ارتعـدَت شـفتاه. "بالتأكيـد، طالمـا أنّـكِ لا ترغبيـن فـي فعلهـا فأعـدُكِ بذلـك."

أبقيـتُ تركيـزي ثابتًـا علـى عينيـه خشـيةَ أن تخطـر ببالـه فكـرةٌ بذيئـة.

"جيّـد، لقـد انتهينـا إذن." لففـتُ معطفـي حولـي ونظـرتُ إلـى سـطح السـفينة الخالـي. "سـألتقي بـكَ بعـد الإفطـار... لمـاذا تهـزّ رأسـك؟"

"لدينـا أربعـة أيـام فقـط قبـل الختـام الكبيـر يـا آنسـة وادزورث." مـدّ ذراعـه. "درسُـكِ الأول يبـدأ الليلـة."

***

دخـل مفيسـتوفيليس إلـى غرفـة التدريبـات واثـق الخطـى بانحنـاءٍ متغطـرس علـى شـفتيه، فتباطـأت الثرثـرة هُنـاك ثـم اختفَـت تمامًـا. توقّـف رمـاةِ السـكاكين عـن تصويبهـا، وجلـس فنّانـو الأرجوحـة علـى أراجيحهـم. تحوّلَـت الأنظـار إلـى سـيّد الحلبـة وإلـيّ. فـي الحقيقـة كانـت نظراتهـم مُركّـزة علـى يـدي المُمسـكة بذراعـه، نفـس اليـد التـي حرّكتُهـا للأعلـى قليـلًا قبـل أن ندخـل تلبيـةً لِهمسـات إصـراره. لـم أنـسَ مـا قالتـه ليـزا بأنـه لـم يحضـر قـطّ هـذه التدريبـات. كانـت خطـوة متعمّـدة مـن جانبـه، ولهـا قـدرٌ كبيـر مـن التأثيـر.

"أتَريـن؟" انحنـى قُربـي وحـرارة أنفاسـه علـى رقبتـي. "انظـري كيـف يُقـدّرون حجمـك، ويتسـاءلون كيـف كسـبتِ إعجابـي وكيـف يُمكـن أن ينتزعـوه منـك. أنـتِ يـا عزيزتـي الآن تهديـدٌ لهـم، وجائـزةٌ أيضًـا." رفـع عينيـه عنـي كأنـه لاحـظَ للتـوّ هـدوء الغرفـة. كنـتُ أعـرف أنـه يتظاهـر لكنـه بـدا طبيعيًـا للغايـة وهـو يقـول: "إذا رغبـتِ فـي نيـل فرصـة المشـاركة فـي العـرض هـذا الأسـبوع فأقتـرحُ عليـكِ الاسـتمرار فـي التدريـب."

عـادَ الجميـع إلـى تمارينهـم الروتينيّـة، الجميـع باسـتثناء كاسـي فنّانـة

الأرجوحة - 'الإمبراطورة' - التي جلسَت عاليًا فوقنا، تُراقب من خلف قناعها بينما كان مفيستوفيليس يُرشدني إلى طاولةٍ ويُخرِج كرسيًا لي. فورَ أن عدّلتُ تنّورتي جرّ كرسيًا آخر له وقرّبه حتى كادَت أرجلنا تتلامس. رمشتُ عدة مرات وقلتُ بصوتٍ خفيض: "راقِب نفسَك يا سيّد. أكرهُ أن أركلكَ بالصدفة."

قال وابتسامته تتّسع: "لقد طلبتِ مني ألّا أقبّلكِ يا آنسة وادزورث، ولم تذكُري اللّمس في شروطك. حظٌّ أوفر في المرّة القادمة. الآن دعينا نتكلّم عن الأساسيّات." سحبَ رزمة بطاقات من بدلته ووضعَها في راحة يدي دون أن يتركها من يده. "أولًا تحتاجين إلى الإمساك ببطاقاتكِ بشكل صحيح لكي تَفصليها بيدٍ واحدة."

قام بتعديل وضعها حتى تناسبَت بالطول مع كفّي.

"هكذا يحمل اللاعبون بطاقاتهم. سنبدأ على هذا النحو ثم نُحوّلها نحو أطراف الأصابع." قام بنقل البطاقات من راحة يدي إلى أطراف أصابعي مع الاحتفاظ بها في نفس الوضع، ثم سحبَ خنصري إلى أسفلها بمهارة ليُثبّتها بشكل مُريح في قبضتي. "جيّد. هذا يتيح لك مساحة كافية للفصل باستخدام أصابعك وراحتك، كما يُمكنكِ الآن التحكّم بها بشكل أفضل."

قمتُ بتحريك الرزمة في محاولةٍ للحصول على شعورٍ أفضل بها. "كيف أفصلها بيدٍ واحدة فقط؟ يبدو أنّني قد أُسقِط بعض البطاقات هكذا."

"آه، ملاحظةٌ ممتازة." نقر مفيستوفيليس بلطف على إصبعي السبابة ثم الصغير. "هذان الإصبعان يُثبّتان البطاقات في مكانها. يتطلب الأمر بعض التعوّد، لكن حين تتدرّبين بما يكفي ستجدين

أنّ إبهامك حرٌّ لتقليب البطاقات، وأنّ الوسطى والخنصر يُساعدان في فصل الرزمة إلى نصفين وتدويرها. اسمحي لي."

نسيتُ العيون المتجّهة صوبنا واقتربتُ منه لأراقب. ضغطَ على النصف العلوي من رزمة البطاقات بإبهامه، فانفرجَت من المنتصف كفمٍ يتثاءب. بعدها أخرجَ سبابته من الأعلى لينزلق الجزء السفليّ في زاوية تسعين درجة، مُشكّلاً حرف L مع البطاقات. أرخى إصبعاه الوسطى والخنصر القسم العلوي بينما دفعت السبّابة القسم السفلي للأمام، مُكملاً بذلك خلط البطاقات.

قلتُ له بتعجّب وأنا أشاهدهُ يكرّر الخطوات بشكلٍ أسرع: "الآليّة معقّدةٌ للغاية، وأنتَ تجعلها تبدو في غاية السهولة."

"بمجرّد إتقان الحركات ستُصبح ذاكرةً جسديّة بسيطة." سلّمَني أوراق اللعب. "لن تضطري إلى التفكير فيما تفعلين، بل سيحدث بشكل طبيعيّ."

لم يختلف الأمر كثيرًا عن تحول بعض ممارسات الطب الجنائي إلى ذاكرة جسدية لديّ. ركّزتُ على الأوراق الموجودة في يدي، وببطءٍ وعناء قمتُ بالحركات. نجحتُ في الوصول إلى الجزء الذي أفصلُ فيه الرزمة إلى قسمين عندما سقطت البطاقات من يدي لتبعثر على الطاولة والأرض. أطلقتُ شتيمةً لاذعة فأخذَ سيّد الحلبة يضحك.

حدّقتُ فيه: "أنا سعيدةٌ لأنّ مُعاناتي ممتعةٌ لك."

لملمَ البطاقات وأعادها إليّ وهو لا يزال يضحك. "أنتِ تأخذين هذا بجدّية تامّة. إنه مجرّد سحر يا آنسة وادزورث. يُفترض أن يكون مُمتعًا."

حاولتُ عدّة مرات، انتهت بنفس النتائج المُريعة: انزلاق البطاقات من يدي وتفوّهي ببعض الشتائم واختناق مفيستوفيليس من الضحك حتّى كرهتُه. عندما بدأتُ أفكر في سرقة إحدى سكاكين جيان يو لتقطيع البطاقات سألني صوتٌ هادئ بلكنةٍ أجنبية: "هل لي أن أُريكِ خدعةً أخرى؟"

درتُ في مقعدي لأرى الفنّان الذي جرأ على المقاطعة، وميّزتُه من زيارتي السابقة مع ليزا: أندرياس، نظيرهُ في بطاقات التاروت هو البهلول. كان شعره وجلده تقريبًا بنفس درجة الشحوب، أشقران قريبان من الأبيض، ونقّطَت النجوم سترته المخمليّة، في علامةٍ أخرى على كرنفال ضوء القمر.

رفعَ مفيستوفيليس حاجبًا. "أندرياس، هذه الآنسة وادزورث، آخر مُتدرّباتي. نحن نبحث عن أفضل مجال تستغلّ فيه موهبتها ضمن العرض الختاميّ. آنسة وادزورث، هذا المخلوق الفضوليّ هو أندرياس." كتمتُ دهشتي عندما نهضَ سيّد الحلبة من الطاولة ليُقدّم مقعده. نظرَ إليّ نظرة طويلة دافئة ثم انحنى. "اعذريني، سأذهب لجلب بعض الشمبانيا."

تذكّرتُ دوري فغرستُ أسناني في شفتي السفلى وأنا أشاهدُ سيّد الحلبة يشقّ طريقه بين الفنّانين. أملتُ أن أبدو مشتاقةً لا مريضةً في الأمعاء. عندما وصل إلى منتصف الطريق عبر الغرفة الواسعة توقّف كأنه نسي شيئًا، ثم دارَ ببطء على كعب وتوقف ليُواجهني مرة أخرى. بابتسامةٍ عريضة أرسلَ قُبلةً في الهواء باتجاهي قبل أن يواصل طريقه. هذه المرة لم يكن تورّد وجهي مزيفًا. تنحنحَ أندرياس وبدا غير مرتاح مثلي. أعدتُ انتباهي إلى الشابّ الذي أمامي. لقد حان

وقت العمل على الجزء خاصّتي من الصفقة.

"ما السحر الذي لديكَ لتُريني؟" سألتُه متظاهرةً بالاهتمام قدر الإمكان. "المزيد من خُدع البطاقات؟"

ارتعدَت ابتسامةٌ على شفتيه، لكن على عكس مفيستوفيليس لم تبدُ خلفها مشكلةٌ أو سخونة. بدا الشابّ خجولًا للغاية، وتحفّزَ ذهني على الفور بالرّيبة.

"كانت أول خدعةٍ أُتقِنها وليس من الصعب تعلّمها." حمل ورقة لعب بإحدى يديه - وهي ملكة القلوب - وقام بقلب البطاقة بيده الأخرى أمام عينيّ. فجأةً بتُّ أحدّق الآن في ملك البستوني. رمشتُ بذهول. "هذا يسمى التغيير المفاجئ. يقول مفيستوفيليس إذا خدعتَ العيون سيقتنع العقل. كل ما تحتاجينه هو بطاقتان تُوضَعان مباشرةً فوق بعض."

كدتُ أئنّ. "في كل مرة يدّعي أحدكم أن شيئًا ما سهل أعرفُ أنه يكذب. كيف يكون هذا بسيطًا بحق السماء؟"

اتسعَت ابتسامته لتكشف عن غمّازة. "اعتادَت ليزيل خاصّتي قول كلامٍ مُشابه لهذا. لقد كرهَت خدع الورق لكنّها أحبّت هذه بالذات."

قام بإعادة الحيلة دون أن أتمكن من استيعابها. "ضعي البطاقتين فوق البعض، ثم ستحتاجين الإبهام والسبابة والوسطى. يسحب الإصبع الأوسط البطاقة العلوية لأسفل، ويكشف عن البطاقة الخلفية. تقلبين البطاقة لتشتيت الانتباه فقط، الصوت يصرف انتباه المُشاهد في تلك اللحظة الحرجة."

فعلَ ذلك عدّة مرات، ببطءٍ يكفيني لفهم الآليّة. كانت البطاقة الأمامية تنزلق تحت الأخرى لتستقر بين الإبهام والوسطى، مخفية

عـن الأنظـار بواسـطة البطاقـة الثانيـة. لـم تكـن الخدعـة بسـيطة، لكـنّ تجربتهـا أسـهل علـيّ مـن السـابقة. سـلّمَني أندريـاس البطاقات وشـاهدَني وأنـا أتخبّـط فيهـا. لـم أجـد علاقـةً بيـن إتقانـي لخُـدع الـورق وبيـن دعمي لواقعيّـة كرنفـال ضـوء القمـر، لكـن الأمـر كان ممتعًـا، كمـا كان يُلبّـي رغبتـي الحقيقيّـة فـي التعـرّف علـى الفنّانيـن، لـذا واصلـتُ التدريـب.

سألتُه: "ما دورُ ليزيل في الكرنفال؟ هل التقيتُما في هذه الفرقة؟"

قـام بخلـط الأوراق وأخـرجَ منهـا بطاقتَيـن أخرَييـن، ليسـتمرّ فـي أداء الخدعـة خـلال محاولاتـي لتقليـده. "كلا، لـم تعمـل فـي هـذا السـيرك. لقـد أرسـلَني مفيسـتوفيليس إلـى قريـةٍ فـي ألمانيـا ذات يـوم لشـراء الـورود. ألقيـتُ نظـرةً واحـدة عليهـا وعرفـتُ أنّنـي قـد ضِعـتُ إلـى الأبـد. فـي الواقـع لقـد أهدَتنـي المـرآة التـي أسـتخدمُها فـي تنبّؤاتـي."

"هل تزوّجتُما؟"

حـطّ الحـزن علـى كتفيـه ليدفعهُمـا بثُقلـه. "كنّـا مخطوبَيـن. ليزيـل خاصّتـي... قـد ماتَـت."

رأيـتُ تومـاس فـي أفـكاري، لـم أسـتطع إيجـاد معنـى للحيـاة بدونـه، وبـتُّ أرى نوعًـا مختلفًـا مـن القـوّة فـي أندريـاس عندمـا نظـرتُ إليـه ثانيـةً. "أنـا... أنـا آسـفةٌ جـدًا لفقـدِك." أردتُ أن أسـأل كيـف لكننـي لـم أسـتطع إجبـار نفسـي علـى القيـام بذلـك.

قـام بخلـط البطاقـات بهـدوء، طاويًـا إحداهـا علـى الأخـرى فـي تتابعٍ سـريع. "أخبرَنـي جيـان أن الأمـر سـيصبح أسـهل، لكنّنـي لسـتُ واثقًـا مـن احتمـال تلاشـي هـذا النـوع مـن الفَقد."

تركـتُ بطاقاتـي علـى الطاولـة. "هـل فقـدَ جيـان شـخصًا يحبّـه أيضًـا؟"

نظرَ أندرياس إلى صديقهِ جيان بينما كان يمارس حيله بالسيوف. "عائلتُه بأكملها. لقد قُتِلوا. أمّا السيوف..." أومأ برأسه بينما كان جيان يُلوّح بأحدها قبل أن يقطع به كومةً من الخشب. "أعتقدُ أنه يتخيّل استعمالها على أولئك الذين فعلوها."

"كيف... هل تعرف أيّة تفاصيل؟"

نظرَ أندرياس حوله بشرود. "أعرفُ فقط أنّ جنودًا هاجموا قريته عندما كان بعيدًا عنها، قاموا بقتل الجميع وأحرقوا منازلهم. عندما عادَ لم يجد غير الرماد والجثث المُتفحّمة. هناك شائعات بأنه طاردَهم وذبحَهم خلال قيامهم بالتخييم، لكنني لا أعتقد أنّ هذا صحيح. لقد بدأ التدريب على السيوف بعد موتهم. أرادَ أن يكون قادرًا على الدفاع عن أيّ شخص في المستقبل."

شعرتُ كأنّني قد طُعِنت في أحشائي. "يا ربّنا الرحيم! هذا مُروّع. كيف..."

"هل تأخّرَ الوقت كثيرًا؟" ظهرَ مفيستوفيليس أمامي وهو يرفع ساعة جيبه إلى وجهه المُقنّع. "أظنّ أنّ الوقت قد حان لقول ليلة سعيدة. لديكِ درسٌ في الصباح الباكر ويحتاجُ جمالكِ إلى الراحة."

كان الحزن من معرفة تاريخ جيان يغمرني لذا لم أنزعج من تعليقه. سرقتُ نظرةً أخيرة على جيان قبل أن أقف لأهمّ بالانصراف لكن أندرياس قفز قائلًا: "لا تنسَي بطاقاتك يا آنسة. تحتاجين إلى التدريب قدر الإمكان. كلّنا كذلك."

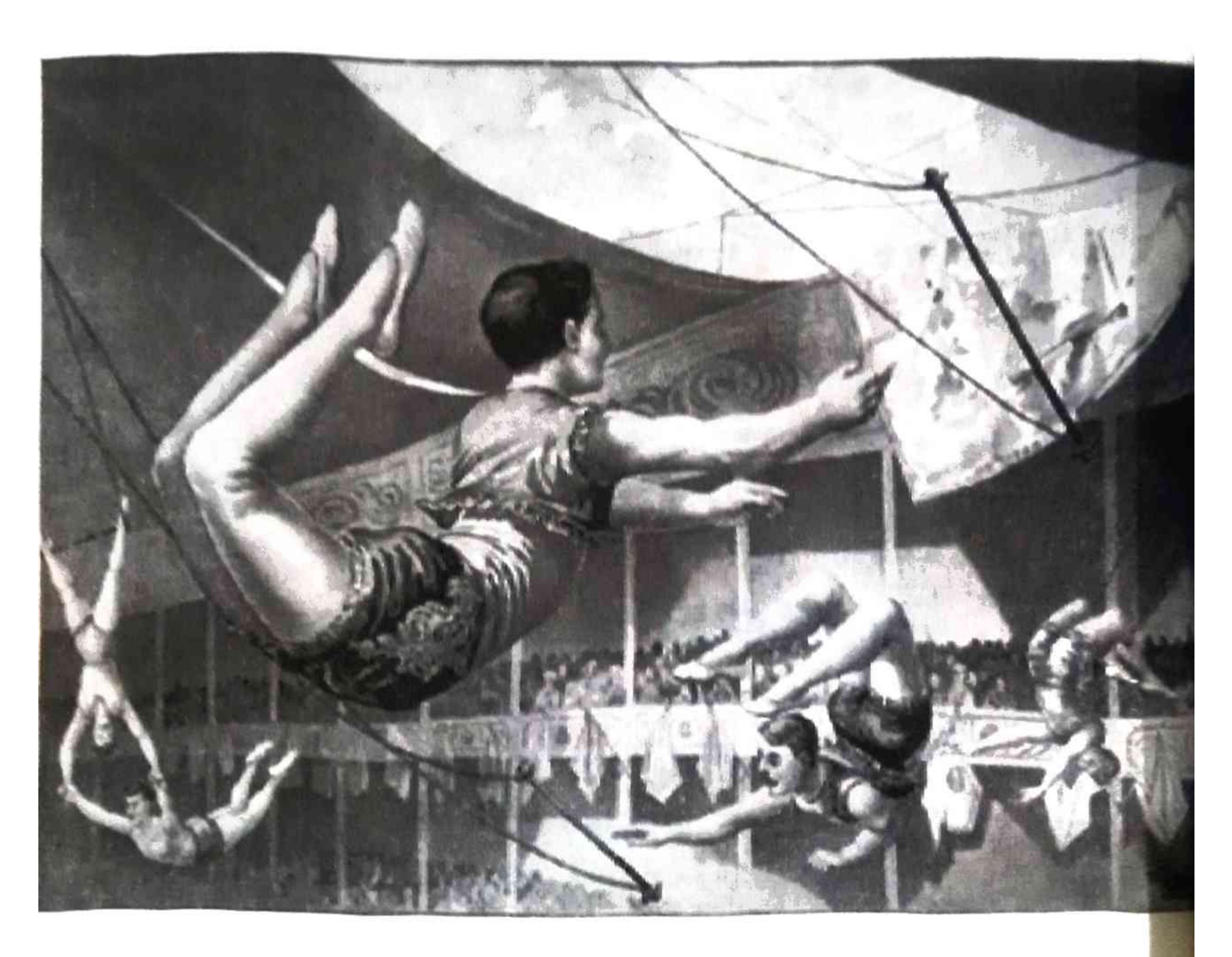
ابتسمتُ وأنا آخذ أوراق اللعب. رافقَني مفيستوفيليس إلى الخارج أمام جميع الفنّانين دون أن تترك يده ظهري. فورَ وصولنا إلى الممرّ المظلم توقّف وأخرجَ رسالةً من سترته. "تفضّلي. بدأ

هوديني في كتابة هذه قبل وقوع الحادث المُصطنع."

"حادث؟ ماذا تقصد..." فتحتُها وارتفع حاجباي. "معظمها مغطّى بالحبر!"

"أعرف." ابتسم ابتسامةً عريضة. "كان يجب أن ترين كم لعنَ حماقتي بعد اصطدامي به. لو كان الأمر بيده لقامَ بخنقي هناك." انحنى فوق كتفي متتبّعًا أول سطر من الرسالة. "إلى أعزّ ما لديّ..."

دفعتُه. "يُمكنني القراءة، شكرًا." قمتُ بقراءة ما ظهرَ من الرسالة الملطّخة بالحبر وتقلّصَت معدتي. كان الأمر كما قال: لقد أحبّ هوديني امرأةً أخرى. كنتُ أرغب في حرق تلك الورقة، بيدَ أنّني أخفيتُها في جيب ثوبي. ظاهريًا ربّما بدَت الصفقة التي أبرمتُها نافعةً أكثر لمفيستوفيليس، لكنّني شعرتُ فجأةً بتقدّم كبير في جانب حماية ليزا من هاري هوديني وأكاذيبه.



# بهلوان أراجيح



# 13
# سيّدة الصولجانات

## غرفة تدريب الكرنفال - الباخرة إتروريا
## 4 يناير 1889

"هكذا؟" سألتُ وأنا ألفُّ ساقي فوق العارضة. حتى بوجود شبكة الأمان في الأسفل لم أشعر بمقدار حبّةٍ من الارتياح، ولم تكن ملابسي - مجرّد كورسيه أزرق طريّ وجوارب بيضاء سميكة - هي سبب ذلك بالكامل، رغم قلقي من أنّ وزن الخرز الزائدة قد يضمن موتي في حال سقوطي.

شخرَت كاسي دون أن تضحك. "سوف تتأرجحين ذهابًا وإيابًا، وتُثبّتين ساقيك فوق العارضة لتتمكّني من الإمساك بها بإحكام لكي لا تسقطي." أمسكَت العارضة بثبات وعيناها البُنّيتان تركّزان على وجهي في فضول. "لا تقلقي، هذا ليس جزءًا من دورك في العرض الختاميّ. هذا للتسلية فقط."

شككتُ بجدّية في فكرتهم عن قضاء وقت مُمتع. بدا التأرجح على أنبوبٍ صغير يزيد ارتفاعه عن سبعة أمتار في الهواء أقرب إلى موتٍ محقّق منه إلى تسلية. كانت المرونة التي تؤدّيه بها في أزيائها المزيّنة بالخرز إمّا معجزةً أو سحرًا أو كليهما.

تأرجحَ سيباستيان من جانبه في غرفة التدريب، رأيتُ ساقيه فوق العارضة وذراعيه ممتدّتان للخارج بابتسامةٍ عريضة على وجهه. كأنّ موهبته في طيّ الجسد لم تكفي بحدّ ذاتها لذا فهو يفعلها الآن في السماء. "هذا سهل، أترَين؟ كل ما عليكِ فعله هو إطلاق العنان لِنفسِك."

تمتمتُ: "كلّكم مجانين. مجانين للغاية."

"الطبيعيّ مُملّ." دفعَتني كاسي نحو الأنبوب. "أمّا الخارق فلا يُنسى." أمسكتُ الأنبوب بيدي، لكن الإمبراطورة أوقفَتني بسرعة. صفقتُ يديّ بمادة بيضاء لزجة طباشيرية الملمس. "هذا راتنج[1]، يُساعد في إحكام القبضة."

"ظننتُ أنني سأستخدم ساقيّ لهذا الغرض؟"

"بلى، حسنًا." - قلبَتني كاسي واضعةً يديّ على العارضة - "تحتاجين إلى التمسّك أولًا ثم لفّ ساقيك، واضح؟"

قد أرقصُ عاريةً في مقدّمة السفينة وأنا أغنّي إحدى الأغاني البذيئة في الأيام القادمة أيضًا.

"هل كل شيء على ما يرام هُناك؟" صرخ مفيستوفيليس واضعًا يديه حول فمه. "التدريب على وشك الانتهاء. سيتوجه الضيوف لتناول الإفطار بعد قليل، ويجب علينا إيصال الآنسة وادزورث إلى غرفتها قبل أن يلاحظ أحد غيابها."

رمقتُه بنظرة امتعاض لم يرَها لأنّني كنتُ أعلى من مبنى. "يا للإزعاج. أودّ أن أراه يتأرجح بنفسه على هذه الأرجوحة."

---

1- الراتنج: مركب عضوي يشبه الصمغ والوارنيش له استخدامات متنوّعة. (المُترجم)

ضحكَت كاسي. "لا تتحدّيه. سيفعلها وإذا كسر عنقه سنبقى جميعًا دون عمل، وأنا بحاجة إلى المال."

أمسكتُ الأنبوب في يديّ، متجاهلةً الرطوبة التي بدَت كأنها تتسرّب عبر مسحوق الراتنج. "هل تدّخرينَ لشيءٍ ما؟"

قامَت بتعديل قبضتي وأوضحَت كيفية لفّ ساقيّ مرارًا وتكرارًا مُهملةً سؤالي، ثم قالت أخيرًا: "كلا... أنا... لقد اتخذتُ قراراتٍ خاطئة وأدينُ ببعض المال لأناس."

أدخلتُ إحدى رجليّ فوق العارضة ودقات قلبي تتسارع لأسباب متعددة. "أناسٌ يعملون في الكرنفال أيضًا؟"

أشارَت لي كاسي بتكرار الحركة مع ساقي الأخرى، وترددتُ للحظةٍ أخرى على أمل أن تستمرّ في الحديث. كان هذا بالضبط ما احتجتُه: معلومات قد تكون دافعًا للقتل. ساعدَتني في سحب ساقي فوق العارضة والتأكد من استقرارها بقوة على ظهر رُكبتي. شعرتُ بأمان مع تلك القبضة، لكن الارتياح غادرَني وأنا أتدلّى هناك رأسًا على عقب. بدَت الأرض بعيدةً جدًا عنّي.

قالت في النهاية: "كلا. الأشخاص الذين أدينُ لهم ليسوا في الكرنفال."

قبل أن أتمكن من مزيدٍ من الاستفسار قامَت بفكّ الأرجوحة من مكان تثبيتها إلى عمودَين كبيرين وأعطَتني دفعةً خفيفة. لم أستطع كتم الصرخة التي أفلتَت من شفتيّ عندما أخذتُ أطير عبر الغرفة. أغمضتُ عينيّ خوفًا من الغثيان أو الذعر ومن ثمّ فعل شيءٍ غبيّ قد يؤدي إلى السقوط والموت.

"افتحي عينَيك!" هتفَ مفيستوفيليس. "استمتعي بالمنظر! هيّا، لم

أعرفكِ على أنكِ جبانة."

كان الماكر يصيح مثل الدجاجة. فتحتُ عينيّ قليلًا لأرى وميض الألوان والأضواء تحتي، كأنّ الحياة تُحلّق بعيدةً عنّي. تأرجحتُ في اتجاه ثم في الاتجاه المعاكس، وبدَت كل تمريرة مستمرّةً إلى الأبد لكنها بنفس الوقت خاطفةٌ كالبرق.

صرخ: "انظري إلى نفسِك. أنتِ تطيرين!"

خفقَ قلبي وخرجَت أنفاسي في دفعاتٍ قصيرة، رغمَ أنّ الخوف بدأ ينحسر أمام الإثارة. مددتُ ذراعيّ ببطء. في هذه اللحظة فهمتُ سحر الكرنفال: إنه ذلك الجذب المغناطيسي لكسر كلّ القيود وتحرير النفس ببساطة. لمنح النفس الحرّية الكاملة والمطلقة في التحليق بعيدًا.

***

رغمَ تدريبي الصباحيّ على الأرجوحة، فقد بدَت الصفقة التي أبرمتُها في وقتٍ متأخر من الليل مع مفيستوفيليس كأنّني بالفعل قد بعتُ روحي إلى الشيطان. لم يكن لي الحقّ في التدخل في شؤون ليزا، لكن كيف لي أن أجلس مكتوفة الأيدي بينما يُدمّر هوديني حياتها في نزوةٍ رومانسيّة عابرة؟ لقد أشارَت رسالته بوضوح إلى حبّه لامرأةٍ غير ليزا. مع ذلك عندما تخيّلتُ نفسي أُريها الأدلّة وأشاهدُ قلبها يتحطّم شعرتُ بنفس القدر من السوء.

كنتُ أسير على طول البساط الصغير في مقصورتي، خائفةً من الساعة القادمة من عروض الكرنفال. لم أكن أفضل من أولئك الذين يُمثّلون على المسرح، لقد تظاهرتُ بأنني ابنة خالٍ محترمة بينما أنا في الحقيقة كاذبةٌ قذرة. كانت ليزا راضيةً عن اختيارها لكن فقط

لأنها لم تعرف الحقيقة كاملة. بطريقةٍ ما بدا أنّ تدخّل مفيستوفيليس ألطف من تحطيمي لِقلبها. الحقيقة سكّينٌ لم أرغب في طعنها بها. ربما ينبغي أن يكون هو مَن يُعطيها الرسالة. بدا ذلك من الأمور البائسة التي يستمتعُ في القيام بها.

"أودري روز؟" وقفَت ليزا في مدخل الغرفة. كانت متألقةً في ثوب سهرة بلون التوت يحتوي على طبقات من الدانتيل الأسود فوق التنورة، لن يُميّزها أحدٌ وهي بكامل أناقتها وبدون ذلك القناع المُزخرف. شعرتُ بالامتنان لكرنفال ضوء القمر الذي تطلّبَ تلك الأزياء، التي من شأنها الحفاظ على سرية هويّة ابنة عمّتي وتسهيل عودتها إلى إنجلترا دون أن يتعرّف عليها الجمهور. لقد فكّرَ مفيستوفيليس حقًا في كلّ شيء عندما قررَ التخلص من اسم عائلته.

"تبدينَ رائعةً يا ابنة عمّتي."

قالت وهي تُدير وجهها من جانب إلى آخر أمام مرآتي: "إنه أمرٌ غريب بعض الشيء. لم أتفرّج على عرضٍ وأنا جالسة منذُ لندن، رغمَ أنه من الجيد الحضور كفردٍ من الجمهور على مدار الساعة. ستخلو الأمسية البهيجة من مكياج الكرنفال الثقيل. كنتُ أشعرُ به كالكلس على وجهي ويُجفّف بشرتي بأسوأ الطرق!" توقفت ليزا عن تعديل تسريحة شعرها ونظرَت إليّ في المرآة. "هل كلّ شيء بخير؟ تبدينَ متوتّرة ولم ترتدي ملابسك بعد... ألن تحضري العرض؟"

ارتميتُ على سريري، وثُقل أسراري يضغط عليّ. "لستُ واثقة، لقد استيقظتُ مبكرًا ولم أنم جيدًا. ربما أفوّت هذه الليلة."

أرخَت ليزا يديها وجاءَت إلى جانبي. "لا يُمكنكِ تفويت هذا العرض بهذه البساطة! إنها ليلة سيّدة الصولجانات الرائعة. لقد

رأيتُها وهي تتدرّب ولا أصدّق مدى شجاعتها وهي تبتلع النار. ستستمتعينَ بالتحدّث معها أيضًا، لأنها تقرأ دائمًا مجلّات الهندسة والعلوم الحديثة. يجد الكثير من فنّاني الأداء الأفكار ثمّ يُقدّمونها لمفيستوفيليس كي يُبدعها."

رفعتُ حاجبيّ. "هل يُصمّم جميع المعدّات بنفسِه؟"

"بلى بالتأكيد." أومأت ليزا برأسها. "يصنعُها جميعًا. لا حلمٌ مستحيل أو بعيد المنال عنده. كلّما نتدرّب يعزلُ نفسه عنّا لصُنع ما نحتاجه. لا يسمح عادةً لأيّ شخصٍ بدخول مقصورته، يدّعي أنّ ذلك يُشتّت انتباهه لكنّني أظنّه حريصًا على ألّا يسرق أحدٌ أسراره المُبتكرة. يحبّ الحفاظ على أوراقه في مكانٍ أمين."

"إذن لا أحدَ يدخل غرفته الخاصّة؟" حاولتُ أن أبدو غير مُبالية قدر الإمكان.

"بلى، لكنّني واثقةٌ من أنّ النساء اللواتي يعاشرهنّ مدعوّات للدخول."

"ليزا!" سخنَ وجهي لكن دمي تجمّد. كانت تلك زاويةٌ لم أفكّر فيها: ربما يكون القاتل حبيبةً مهجورة. ربما قرّرَت تدمير كرنفاله مثلما حطّمَ قلبها. لم أرهُ قطّ بدون قناعه، لكن زاوية فكّه الحادّة وامتلاء شفتيه دلّا على جاذبيّته. "هل يصطحب الكثير من النساء إلى غرفته؟"

"لماذا كل هذا الاهتمام بسيّد الحلبة؟" ضيّقَت عينيها بسوء فهم لِسبب فضولي. "لديك حبٌّ حقيقيّ كبير ولا يمكن تعويضه من السيّد كريسويل. مفيستوفيليس رجل استعراض رائع لكن هذا هو كلّ ما لديه: العروض. أحذّركِ لكي تتذكّري ذلك. إنه جذّاب لكنّه أشبه

بلهب الشمعة. قد يُعطي جوًا خاصًا ويخلق إحساسًا بالدفء، لكن إذا اقتربتِ منه أكثر من اللازم فسوف يحرقك."

قلتُ باستخفاف: "لقد أصبحتِ شاعرةً." أردتُ سؤالها عما إذا كانت لديها نفس المخاوف بشأن هوديني لكنّني أغلقتُ فمي، ثم أشرتُ نحو خزانة ملابسي قائلة: "ماذا أرتدي؟"

قفزَت ليزا وصفقَت بيديها. "شيءٌ يخطف الأنفاس." قامت بفرز فساتيني بعناية، ورفعَت إحداها كما لو كان جائزة. فستانٌ رصاصيٌّ شاحب مائل للأخضر مع ورودٍ وشرائط تمّت خياطتها نزولًا من أحد الكتفين وكذلك من الفخذ الأيمن حتّى الأرض. كان مُلفتًا للأنظار بالفعل. "هذا هو. ستكونين أكثر إبهارًا من الفنّانات فيه."

***

تغيّرَت ألوان صالة الطعام في هذه الليلة مرةً أخرى. كانت الطاولات مغطاةً بالحرير الأزرق الداكن، بأسطحٍ لامعة بما يكفي لعكس الأضواء، بينما تلألأت الكؤوس الكريستالية مثل النجوم. ازدانت الموائد بزنابق الكالا البيضاء وأكاليل الأوكالبتوس، التي وصلَت حتى الأرضيّة ذات اللونين الأسود والأبيض بعطرها وألقِها. تقتُ إلى تمرير أصابعي على البتلات الناعمة لكنّني تمكّنتُ من منع نفسي. ألقيتُ نظرةً خاطفة على ليزا والسيّدة هارفي، اللّتَين بدت عليهما تعابيرٌ مُماثلة من الدهشة. لم أكن الوحيدة التي شعرَت كأنّها تسيرُ في حلم وسط النجوم.

عندما دخلتُ أنا والسيدة هارفي وليزا إلى الغرفة كان توماس والعمّ يُلوّحان بالكؤوس ورأساهُما مائلان فيما بدا كنقاشٍ مُحتدم. اختلقتُ أعذارًا لعدم حضوري تفاصيل القضية معهم مساء هذا

اليوم، حيث حبستُ نفسي لمُمارسة ألعاب خفّة اليد، وكانت كارثيّة. كدتُ أنجح في تمرين التقاط البطاقات لكنّني أسقطتُها على الأرض، رغم أنّ حيلة الاستبدال المفاجئ التي علّمني إياها أندرياس كانت تتحسّن ببطء.

في تناغمه الدائم مع وجودي التفتَ توماس إليّ، وشبّت حرارةٌ في داخلي عندما التقت أعيننا عبر الغرفة. قال شيئًا لعمّي ثم نهضَ من مقعده، وكان بجانبي بعد لحظة مُقدّمًا ذراعه. خفقَ قلبي عند لمسه.

"سيّداتي، جميعكنّ مُذهلات هذا المساء." وضعَ يده حول أذنه مُميلًا رأسه إلى الجانب. "هل سمعتُنّ هذا؟ أعتقدُ أنه صوت القلوب المُحطّمة في أنحاء الغرفة. كنّ حذراتٍ لكيلا تخطينَ فوق الشظايا الدامية."

هززتُ رأسي. "حقًا؟ شظايا دامية؟"

"هل تلومينَهم على الحسد؟ لو كنتُ في مكانهم لغرتُ منّي أيضًا. في الواقع، قد أتحدّى نفسي لِخوض مبارزةٍ بعد العشاء."

ابتسمَ توماس واصطحبَنا جميعًا إلى الطاولة دون مزيدٍ من الكلام. أقسمُ أنه أحيانًا يتحلّى بأخلاقٍ عالية التهذيب لدرجةٍ تصعُب معها تذكّر أنه نفس الشاب الذي نُعِتَ بالآليّ خلال التحقيق في قضايا السفّاح.

انحنى نحوي لِيهمس لي: "لقد قضينا يومًا ممتعًا، حيث استدعانا الكابتن نوروود لمناقشة مسألةٍ حسّاسة نوعًا ما." سحبَ مقعدي ثم فعل الشيء نفسه للسيّدة هارفي. جاء نادلٌ وساعدَ ليزا. جلسَ توماس بجواري. "على ما يبدو، لقد تمّ اقتحام مقصورة من

الدرجـة الأولـى الليلـة الماضيـة، فـي وقـتٍ مـا خـلال العشـاء وعـرض الكرنفـال."

"يا للغرابة."

"بالفعـل. ركّابٌ مقتولـون وفتـاةٌ مفقـودة، ثـمّ عمليـة سـطو... هـذه السـفينة كابـوسٌ عائـم للقبطـان."

خفـتَ ضـوء الثريّـات: اقتـربَ وقـت العـرض الآن. تحـرّك النـوادل فـي أنحـاء الغرفـة بخفّـةٍ واضعيـن الصّوانـي المُغطـاة علـى كلّ طاولـة. كانـت رائحـة الطعـام رائعـة، وسـاعدَت فـي إخفـاء رائحـة الكيروسـين الطفيفـة القادمـة مـن المسـرح. سـالَ لُعـاب فمـي مـع فوحـان رائحـة الزبـدة والليمـون والثـوم حولـي. وضعـوا أيضًـا قنينـة مـن النبيـذ الأبيـض علـى طاولتنـا، ممّـا يشـير إلـى احتمـال كـون وجبتنـا مـن المأكـولات البحريـة. كنـتُ آمـل فـي الحصـول علـى روبيـان أو محـار أو حتـى كركنـد ممتلـئ الجسـم. أهملـتُ أفـكار الجـوع وعُـدتُ إلـى موضـوع الحديـث. "كيـف عرفـوا أنّ الكابينـة قـد تـمّ اقتحامهـا؟"

"لقـد تـمّ تفتيـش خزانـة السـيدة." قـال تومـاس وهـو يرفـع غطـاء صحنـه ليظهـر نصـف كركنـد مشـويّ ومغمـوس بزبـدة الثـوم مـع أعشـاب خضـراء عطـرة فـي وسـط الطبـق. كـدتُ أئـنّ لتلـك الرائحـة عندمـا رفعتُ غطـاء صينيّتـي. "لقـد خسـرَت لفائـف الحريـر الراقـي خاصّتهـا مـع بعـض الأوشـحة. لـو كانـت خادمتهـا لاعتنَـت أكثـر بهـذه الملابـس ولـن تبعثرهـا هكـذا."

سألتُه: "لماذا كانت تُسافر بلفائف من القماش؟"

"كانـت تنقلهـا إلـى نيويـورك لصنـع فسـاتين منهـا علـى يـد مُصمّـم أزيـاء مشـهور. يبـدو أنّ نمـط تصميمهـا تـمّ لأجـل حفلـةٍ تنكّريـة. كانـت

تحتوي على كروم ملفوفة حول أشجار قُرب حافات الفستان مع عناقيد نجميّة في صدره."

"إذن سُرِقَ القماش لكنّ المرأة سليمة، أليسَ كذلك؟"

قال توماس وهو يشربُ من نبيذه: "نعم. لقد أبلغَت بالأمر للخادمات اللواتي جئنَ لتنظيف غرفتها."

"أممم. حسنًا، إذا ظهرَ ذلك القماش في أيّ مكان سيكون واضحًا للعيان." كانت الأمور في منتهى الغرابة. سرقة لفائف قماش، وشابّات يختفينَ تحت سماء الليل المتلألئة، وجريمتَي قتلٍ شنيعتَين. لا بدّ أنّ الحوادث مترابطة، لكن سؤال الساعة هو كيف؟ في الليلة الماضية حصلنا على استراحة، لكنّني خشيتُ ألّا يمرّ وقتٌ طويل قبل ظهور جثة أخرى. "ما رأيكَ في ذلك توماس؟"

قطعَ قليلًا من الكركند خاصّته، وردّ قبل أن يتناول قضمة. "بصراحة؟ لستُ واثقًا. لم تكن هنالك قرائن يُمكن استنتاج شيء منها. الحرير المفقود ليس بهذا الغرابة. نحن على متن سفينة مع الكثير من الركاب، ومعظمهم لا يحتاج إلى التوقيع بأسمائهم الحقيقية في سجل السفينة. الأقمشة الفاخرة باهظة الثمن، وقد يكون هذا هو الدافع الوحيد للسرقة."

"ما لم تكن الأمور مترابطة. وإلّا فالسرقةُ لِوحدها ليست الدافع الكامل."

"لسوء الحظ لا سبيل أمامنا لمعرفة ماذا يرتبط بماذا. حتى الآن نعلم أنّ لا علاقة لهذه المرأة بأيٍّ من الضحيّتين." ارتشفَ توماس من كأسه. "التخمين والتكهّن ليسا حقائق ثابتة."

بدا يشبه عمّي كثيرًا. تجريد النفس من المشاعر أمرٌ مهمّ خلال

العمل في المختبر، لكنّني أعرف أيضًا قيمة الثقة في الغريزة عندما أشعرُ بشعورٍ غريب بشأن السرقة. تناولتُ قطعةً من عشائي بعناية، مستمتعةً بالنكهات اللذيذة بينما بدأت الأنوار تنطفئ. وجّهتُ انتباهي إلى المسرح، حيث تدلّت من السقف أقمشةٌ عريضة من الفضّة والحرير الأزرق الفاتح، وحافّاتها بأشكال النجوم وندف الثلج. تُشبه في نفس الوقت الشُّهب السماوية والثلج المتساقط. لمعَت تلك النجوم في الضوء الخافت وهي تدور في أماكنها، كانت تحفةً مُذهلةً أخرى من تحف كرنفال ضوء القمر.

توقعتُ ظهور مفيستوفيليس على خشبة المسرح وسط الدخان والصنوج المعتادة، ولم أتوقع رؤية امرأةٍ شابة صغيرة الحجم تُدوّر ألسنة اللهب على جانبيها وهي تدخل الغرفة. باتت رائحة الكيروسين أقوى الآن، وأخذَت تحرق أنفي قليلًا. ربما كان عليهم الانتظار حتى انتهاء العشاء قبل إرسالها، لأنها قد أفسدَت نكهة الكركند الرقيقة.

"هذه أنيشا. بطاقة التاروت خاصّتها هي سيّدة الصولجانات." انفصلَت ليزا عن حديثها مع عمّي والسيدة هارفي وانحنَت نحوي لتهمس: "من المفترض أنّ زيّها يُمثّل الجليد."

استطعتُ فهم ذلك، فقد خيطت حزم شعرٍ فضيّة عبرَ مشدّها وضُفِرت في خيوط كثيفة حول قمّة رأسها. كانت بشرتها مصبوغة باللون الأبيض المزرقّ في كل مكان مكشوف: الذراعين واليدين والوجه وأعلى الصدر. بدا الأمر مخيفًا نوعًا ما، رؤية مخلوقةٍ من الصقيع تلعب بالنار بتلك الجرأة. كانت قبعتها ومشدّها أبيضان في غاية النقاوة. في الواقع، استطعتُ رؤية خيوط زرقاء شاحبة تتخلّلها الفضّة عبر ملابسها بالكامل. حتى عينيها - الواضحة من خلال

ثقوب كبيرة في قناعها - تم تلوينها بالأزرق والذهبي ورموشٍ بيضاء، حتّى بانت مثل نجمةٍ متجمّدة.

رفعَت صولجانًا من النار ونفخَت عليه، لتتدفّق ألسنة اللهب كما لو كانت تنّينًا. تعالَت الشهقات من حولنا وهي تتبختر إلى الطرف المقابل من المسرح لتُكرّر الخدعة. لم يسعني إلّا التحديق فيها بذهول وهي ترفع صولجان النار نفسه وتبتلعه كأنه قطعة حلوى. "إنها رائعة، أليس كذلك؟" سألَت ليزا وعيناها تتبعان آكلة النار عبر المنصة، حتى وقفَت وابتلعت شعلةً أخرى من اللهب. أحضرَ أحد المُساعدين مجموعةً أخرى من العصي المشتعلة، فدفعَت رأسها للخلف لتنفثَ اللهب نحو السماء. "قد تكون أفعالهم كذبةً أو وهمًا، لكنّهم يعيشون بصدق. إنهم لا يُخفون حقيقتهم أو يتظاهرون بالعيش وفقًا لقواعد المجتمع. ليسوا مثل النبلاء الذين يبتسمون في وجهكِ ثم يطعنون ظهركِ بخنجر."

ألقيتُ نظرةً على صحني. كان الطعام لذيذًا حقًا رغمَ أنّ شهيّتي تضاءَلت فجأةً. إذا علمَت ليزا أنني الشخص الذي يحمل الخنجر لِطعن أحلامها بالزواج من هوديني فلن تتحدّث معي مرةً أخرى. قضيتُ اللحظات القليلة التالية وذهني مشغولٌ بين المُحادثات القريبة مني وبين الشعور بالذّنب الذي استمرّ في التفاقم، لكن سرعان ما عدتُ إلى الواقع حينما سمعتُ أولى صرخات الهلع.



# 14
# النّجم

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 4 يناير 1889

لقد اندلعَ حريقٌ على خشبة المسرح، مُحوّلًا أجواء الشتاء الخياليّة إلى مشهدٍ من الجحيم. زأرت ألسنة اللهب على الضيوف الهاربين، وقفزَت بسُرعة بين خيوط الحرير المتدلّية من السقوف. الآن بدأت السماء تُمطر نارًا ورماد بدلًا من ندف الثلج والمُذنّبات. صرخَت أنيشا بشكلٍ محموم طلبًا للمساعدة من خلف الستائر، وظهرَت دلاءٌ من الماء مع ازدياد الصراخ وانتشار رائحة الدخان النفّاذة في الجو وتناثر السخام الأسود على المسرح. فاحَت رائحةٌ أخرى شبه مألوفة، رائحةٌ تُشبه...

"يا ربّنا الرحيم... ما هذا؟" أمسكَت ليزا بذراعي بقوةٍ جعلَتني أتأوه. "هُناك! أعتقد... أعتقدُ أنّني سأتقيّأ."

رفعتُ تركيزي إلى أعلى وشعرتُ بدمي يتجمّد في عروقي. لقد تعلّقَ شخصٌ مُقيّد بحريرٍ فاخر ملفوف حول ذراعيه، مغطى بِشاشٍ أسود وقد امتدّت أطرافه الأربع على طولها فوق المنصّة، كما بدا تاجٌ أسود من النجوم مثبّت فوق رأسه. اجتاحَت النيران الشبح من

قدميه كأنهُ شعلةٌ بشريّة ظهرَت إلى الحياة. وقفتُ أحدّقُ فيه مذهولةً عندما بدأت قطع اللحم المشويّ بالتساقط. تمّ تعليق ذلك الشخص في وضع منتصب، وسارَت النيران من قدميه نحو الرأس بخطى لا ترحم.

هذا لا يُمكن أن يكون حقيقيًا بالتأكيد. لم يمضِ وقتٌ طويل على أوهامي الأخيرة، بعد أن ابتُليت بها خلال وجودي في رومانيا. هذا الرعب مجرّد خدعة من عقلي.

لكنه لم يكن كذلك.

"لا تنظري." تمسّكتُ بابنة عمّتي وجذبتُ رأسها إلى كتفي سامحةً لها بالبكاء. التقَت عينا توماس بعينيّ وثبتَت، لتُقدّما لي قوته وتسمحا لي بدعمه في المقابل. مرّرتُ يدي على شعر ليزا، على أمل تهدئتها وتهدئة نفسي بتلك الحركة. "كل شيء على ما يُرام. سيكون كل شيء على ما يُرام."

"ليهدأ الجميع، وابقوا جالسين. النيران محصورةٌ في ذلك الجسد على الأغلب." نظر عمّي عبر مائدتنا وكانت أولويّته هي ضمان سلامتنا، رغمَ علمي أنه يُريد الوصول إلى الضحيّة بسُرعة. نظرَ إلى توماس وأومأ برأسه، ناقلًا المسؤولية بِصمت قبل أن يختفي في الحشد الخارج من الصالة.

قال توماس بهدوء رغمَ جحيم النار وعويل السيدة هارفي: "إنه ليسَ على قيد الحياة. انظري."

آخر شيء أردتُ القيام به هو التحديق في الكابوس الذي فوقنا، لكن عقلي تقمّصَ ببطء برودة العلماء.

"كيف..." أجبرتُ نفسي على تجاهل رائحة حرق اللحم والشعر

لأنظر إلى الكتل المُتساقطة على الأرض. قمتُ بهزّ ليزا بلطف، ملاحظةً قلّة صراخها وحركتها بينما حوّلَت النار ذلك الشخص إلى نجمٍ حيّ أمامنا. توماس على حق: لقد كان ميتًا بالفعل قبل أن يُحرَق. عملٌ رحيم نسبيًا، إذا جازَ نعت القتل ثم إحراق الجثة بالرحمة.

اهتزّ الجسد المعلّق فوق المنصّة لينزلَ بعض الشيء بضجّةٍ مسموعة، دافعًا أولئك الذين لم يخرجوا بعد إلى الصراخ برُعب.

"اخفضوا الحبال ثانيةً!" اندفع مفيستوفيليس إلى المنصة صارخًا في العمال المختفين أعلى العوارض الخشبيّة. "اقطعوها! اقطعوها حالًا!"

ركضَ رجلان يحملان سيوفًا تحت الجسد المحترق، ليبدآ بقطع الحبال المُتحلّلة وهُما يتفادان الرماد المُمطر عليهما. ربّما كانا جيان وأندرياس، لكنّني لم أقوَ إلّا على هزّ ليزا ومنع دموعي من السقوط. بطريقةٍ ما جعلَني اختزال العالم في تلك الحركة المُريحة أكثر تماسكًا.

صاح النوادل والموظفون طالبين النّظام لكنّ الحضور باتوا خارج سيطرتهم. انقلبَت الطاولات، تمايلَت النساء واندفع الرجال. أمسى المشهد عرض رعبٍ مُطلق بينما كافح الناس للخروج بصعوبة عبر البابَين الوحيدَين لذلك.

"اخمدوا اللهب!" خرجَ الكابتن نوروود وسط الفوضى وهو يرمي بطانياتٍ على الواقفين خشبة المسرح. "اخمدوه!"

وضعَت السيدة هارفي يدها على فمها، لكن خطوط العرق التي انهمرَت على وجهها كشفَت ذعرها. أردتُ إطاعة عمّي والبقاء جالسةً

وهادئة، رغمَ أنني تقتُ أيضًا لانتشال أحبّائي من هذا الجحيم وحمايتهم من كل الأمور الفظيعة التي يُمكن أن يحملها العالم. رغبتُ في دفن وجهي في الوسائد والصراخ حتى يجفّ حلقي ودموعي. كان بإمكاني تحمّل تشريح الجثث، لكن مُشاهدة شخص يحترق مختلفٌ تمامًا. مَن فعل هذا كان وحشًا، حتى جاك السفّاح وفلاد دراكولا قد يتردّدان في تقليد أفعاله.

"يا إلهي... الرائحة." دفنَت ليزا وجهها في كتفي. تفاقمت مشاعري مُحاولةً اجتياحي لكنّني أمسكتُ بها ودفعتُها إلى العُمق. لم أستطع الاستسلام الآن، وربّما إلى الأبد. أمسى كلّ شيء من حولي ميكانيكيًّا في ذهني، وهو السبيل الوحيد الذي يُمكنني به استيعاب ما يحدث وعدم الانهيار من الصّدمة.

سقطَ الجسد أخيرًا على خشبة المسرح، بصوتٍ أشبه بسقوط كيس شوفان ممتلئ على الأرض. معظم الأضرار التي لحقَت بالغرفة اقتصرَت على الجثّة والحرير الذي ربطَها، وبغضّ النظر عن المياه الشّخامية المتسرّبة على خشبة المسرح والأرضيّة فقد نجَت صالة الطعام من الدمار. عادَت نظراتي المُرتاعة إلى البقايا المتفحّمة. لم أرغب في فحصها عن قرب؛ لم أرغب في تصديق أنّ ما يجري ليس كابوسًا في رأسي، لكنّ الرغبات والأماني لم تجد مكانًا في قلبي.

ربّت توماس على كتف السيدة هارفي وهو يبذل ما بوسعه للتخفيف عنها، لكنّني استطعتُ رؤية الصدمة في تعابير وجهه. من الصعوبة بمكان التزام الهدوء البارد بينما تلسع رائحة اللحم المحترق الأنوف والأعين. "سيّدة هارفي؟ هل تَقدرين على إعادة ليزا

إلـى الغرفـة؟" ارتجفَـت شـفة المـرأة كبيـرة السـنّ لكنّهـا أومـأت برأسـها بحـدّة. "جيّـد. لقـد خـرج الجميـع تقريبًـا وخمـدَت النـار الآن. سـتكونان بخيـر. أريـدُ منكمـا الذهـاب مباشـرة إلـى المقصـورة وإغـلاق البـاب. سـوف أعـرّج عليكمـا عندمـا أرافـق أودري روز بعـد قليـل، حسـنًا؟"

لقـد تحـدّثَ بهـدوء لكـن كانـت هنـاك قـوةٌ فـي صوتـه جعلَتنـي أسـتردّ حواسّـي ببطء، وبـدا نفـس التأثيـر علـى السـيّدة هارفـي. رمشَـت عـدّة مـرات ثـم مـدّت ذراعهـا إلـى ليـزا.

"تعالي عزيزتي. دعينا نُحضّر بعض الماء للاستحمام."

أرخَـت ليـزا قبضتهـا علـيّ لتنظـر فـي وجهـي. لسـتُ واثقـةً ممّـا رأت فـيّ لكـن سـرعان مـا بانَـت دمـوعٌ جديـدة فـي عينيهـا. "يجـب أن تأتـي معنـا. رجـاءً، أرجـوكِ لا تقتربـي مـن ذلـك... تلـك المنصـة... رجـاءً تعالـي معـي."

رغبـتُ مـن كلّ قلبـي فـي الإمسـاك بيـد ابنـة عمّتـي والهـرب مـن هـذه الغرفـة دون النظـر إلـى الـوراء. لـم أشـكّك فـي حبّـي للطـبّ الجنائـيّ إلا مـرةً واحـدة مـن قبـل، وبـاتَ هـذا اختبـارًا جديـدًا لعزيمتـي. "سـوف أنضـمّ إليكمـا بعـد قليـل. أعـدُك."

"كلا! عليكِ أن –"

"هُنالـك سـكّين فـي منضـدة سـريري." عانقتُهـا. "أريـدُك أن تأخذيهـا وتحتفظـي بهـا حتـى أعـود. لا تسـمحي لأيّ شـخص بالدخـول عدانـا أنـا وتومـاس وعمّـي. لا مفيسـتوفيليس ولا أحـد مـن الكرنفـال، ولا حتّـى هـاري. هـل تفهميـن؟"

كنـتُ أنـوي طمأنـة ليـزا بحديثـي لكـن دموعهـا انسـكبَت علـى وجههـا حتـى وصلَـت إلـى ياقـة ثوبهـا. "هـل نحـن فـي خطـر؟ هـل

تظنّين أنه سيُهاجمنا؟ أنا –"

قُلت: "إنه مجرد إجراء احترازي لا أكثر." شددتُ على يدها. "اعتني بالسيّدة هارفي، حسنًا؟"

زمّت ليزا شفتيها واستطعتُ رؤية قلبها المُنصهر يتحوّل إلى فولاذ. ربما تنثني لكنّها كانت أقوى من أن تنكسر. أومأت برأسها وهي تقول: "سأفعل ما بوسعي." ثم خاطبَت السيّدة هارفي بثباتٍ أكثر: "لنُسرع."

ألقت ليزا نظرةً أخيرة فوق كتفها قبل أن تصطحب مُرافقتنا إلى خارج الغرفة المليئة بالدخان. حدّقتُ في الباب لثوانٍ قليلة بعد ذهابهما وأنا أستجمعُ قواي. أشارَت اللمسة اللطيفة على ذراعي إلى أن الوقت قد حان لارتداء قناعي الخاصّ: الآن أؤدي دور عالم الطبّ الجنائيّ. أخذتُ نفسًا عميقًا لأندم عليه على الفور بعدما غمرَ الدخان أنفي. سعلتُ فزادَ الأمر سوءًا.

"تفضّلي. هذا قد يُساعد في تقليل الرائحة والدخان."

أعطاني توماس منديلًا رطبًا ثم وضعَ آخرًا في كأس ماء لنفسه. رفع القماش على وجهه ليعمل كحاجز، وفعلتُ الشيء ذاته فخفّت الحُرقة في حلقي. أبقى توماس انتباهه عليّ وهو يسأل: "أفضل؟"

أومأت. "شكرًا لك."

شققنا طريقنا إلى المسرح والبقايا المُحترقة، التي كان عمّي يقف فوقها بالفعل. "أيها القبطان، أريدُ إخلاء المسرح من الناس وأفراد الطاقم لِما تبقى من المساء. يجب علينا إنقاذ كلّ ما بوسعنا إنقاذه من الأدلّة."

مسحَ نوروود وجهه المُتعَب بيده. بانت أكياسٌ تحت عينيه تُشير

إلـى أنـه لـم ينـم جيـدًا، وهـو أمـرٌ مُتوقّـع بعـد تحـوّل رحلتـه السـحريّة إلـى رحلـةٍ جهنّميـة. "لـكَ مـا تحتاجـه يـا دكتـور وادزورث. لكـن يجـب علينـا تنظيـف الطـاولات والأغطيـة -"

"ليـس الآن. يجـب إخـلاء هـذه الغرفـة بالكامـل فـورًا." جثـا عمّـي بجانـب الجثـة السـوداء ثـم رفـعَ بصـره نحـوي. "سـنُجري تشـريح الجثة هنـا."

شـعرتُ بوخـزٍ فـي راحتـي يـديّ وأنـا واقفـة علـى المنصّـة أحـدّقُ فـي مختبرنـا المؤقـت، حيـثُ تدلّـت خيـوط الحريـر الباليـة المُحترقـة وتصاعـدَ الدخـان مـن الجثـة، بينمـا غطـى الرمـاد معظـم المشـهد مثـل ثلـجٍ رمـاديّ. بـدا ذلـك مـن أكثـر الأماكـن تعاسـةً لتشـريح جثـة، لكنـه فـي الواقـع مُلائـمٌ للطبيعـة المسـرحيّة للجريمـة.

هـرعَ أحـد أفـراد الطاقـم إلـى عمّـي ليُسـلّمه حقيبتـه الطبّيـة. لا بـد أنـه قـد أرسـلَ فـي طلبهـا فـورَ قيامـه مـن طاولتنـا. لـم أعـرف كيـف يحافـظ عمّـي علـى هدوئـه تحـت أسـوأ الظـروف، وكنـتُ آمـل أن أحـذوَ حـذوه يومًـا مـا. تراجـع الشـابّ عـن المشـهد بعينيـن مُتّسـعتين، وبعـد لحظـات باتَـت الصالـة فارغـةً وجاهـزةً للعمـل. أخـذتُ المـآزر مـن حقيبـة عمّـي ووزّعتُهـا، ثـم ربطـتُ مئـزري حـول خصـري. ذلـك سـيُتلف أزهـار ثوبـي كمـا سـتتلف حافتـه بالسـخام لكننـي لـم أكتـرث. خلعـتُ قفّازاتـي وطويتُهـا بعنايـة؛ إذ ستُضعف قبضتـي علـى المشـرط.

سـاعدَني تومـاس فـي الصعـود إلـى المسـرح، ووجـدتُ بطريقـةٍ مـا الإرادة اللازمـة لإبطـاء نبضـات قلبـي وتصفيـة ذهنـي. وقفـتُ فـوق الجسـد وأنـا أضغـطُ قطعـة القمـاش المبلّلـة علـى أنفـي.

قلـتُ بصـوتٍ مضطـرب: "لقـد بـدأت النـار عنـد القدميـن." انتقـل

انتباه عمّي وتوماس إليّ. "الشاش ذائبٌ هناك، لكن ليس على الوجه. نفس الشيء مع الجلد المحروق. إنه متفحمٌ على الساقين لكن جلد الرأس ليس بهذا السوء. كان توماس محقًا فيما سبق: لم تكن الفتاة على قيد الحياة عند اندلاع الحريق."

مشى توماس حول الجثة وأصابعه تنقر على شفتيه، وهو ينظر من السقوف إلى الأرض وباقي الأماكن. كان وجهه قناعًا من الجليد. عندما يتحوّل إلى هذا الدور أفهمُ خوف الآخرين منه أحيانًا، لكنّني الآن لا أرى استهزاءهم به صحيحًا. عندما يتحوّل إلى عالمٍ استقرائيّ يبدو أشبه بإلهٍ لا يرحم، مُرسَل لتحقيق العدالة.

ارتعدَت عضلةٌ في فكه. "خاتم الزمرّد، يبدو أنه إرث."

سحبتُ انتباهي من توماس وحدّقتُ في الخاتم، لتصدمني ذاكرتي في الحال وأهتف: "الآنسة كرينشو! قالت والدتها أنّ لديها خاتمٌ من الزمرّد لم تخلعه قطّ."

ركعَ توماس بجانب الجسد. "شعر الضحيّة بُنّي محمرّ، شبيهٌ بشعر السيدة كرينشو، رغمَ أنه ليسَ دليلًا قاطعًا."

"كلا، لكنّها بداية." لوى العمّ شاربه. "نحتاج إلى جمع الأوصاف الجسديّة لمعرفة إمكانية آل كرينشو في تأكيد الطول والوزن. ليس من المستحيل التعرّف على الجثة، لكن دعونا لا نؤذي أحدًا بجعله يفحصها إذا لم نكن بحاجة فعليّة إلى ذلك. أود أيضًا معرفة ما إذا كان الدكتور آردن قد عالج أيّ فرد من أفراد الأسرة. ربّما جميع الضحايا مرتبطاتٌ به." أشارَ إلى الخاتم. "فورَ إكمالنا للفحص سنرى أيضًا إذا كان هذا نفس الخاتم الذي ذكروه. سلّميني المشرط يا أودري روز."

فعلتُ ما طلبه. في العادة تكون الجثث بلا ملابس عندما

أساعدُ عمّي في مختبره، أمّا في هذه الحالة فنزعُ الملابس أمرٌ غير يسير. كان على عمّي قصّ القماش بعناية ودقّة مُتناهية لكيلا يقطع معه اللحم المحترق بالخطأ، وبدلاً من المُخاطرة بإضرار النصف السفلي من الجسد ركّزَ على قصّ الملابس من الجذع إلى الأعلى. لاحظتُ أنّها لم ترتدي غير ملابسها الداخلية، وبدا من الدانتيل خاصّتها أنّها ذات جودة عالية. من المحتمل أنها راكبةٌ أخرى من الدرجة الأولى، ضحايا القاتل المفضّلة.

انتقلَ عمّي حولها بخفةٍ وكفاءةٍ اكتسبَها من سنوات التدريب والمُمارسة، وفي غضون لحظاتٍ قليلة باتَ الجسد جاهزًا للعمل. بعد فحصٍ خارجي سريع لم يُسفر عن وجود سببٍ خارجيّ واضح للوفاة، قامَ بوضع المشرط على الجسد ليعمل شقٍّ في الجلد على شكل حرف Y. سلّمتُه قواطع الأضلاع وانتظرتُ حتى انكشفَ تجويف الجسد الداخلي. مسحَ العمّ يديه أسفل مئزره، ملطّخًا القماش الكريميّ بِلون الصدأ. تخيّلتُه يتوق لغسل يديه بالصابون الكاربوليّ، لكن لا داعٍ للقلق بشأن التلوّث الآن. انحنى على الجثة ليشمّ عدة مرّات، وعرفتُ من تجاربي السابقة أنه يبحث عن علامات السموم. في كثيرٍ من الأحيان يُمكن اكتشاف رائحة السمّ بالقرب من المعدة إذا تمّ تناوله. حاولتُ عدم تذكّر ضحايا قضيّتنا الأخيرة في رومانيا.

أعطيتُه شفرةً أخرى وفتحَ المعدة بعناية ليبحثَ في محتوياتها قليلًا ثم يتراجع. "إذا كانت قد تناولَت كعكة شوكولاتة مع توت مُحلّى وبعض الشمبانيا قبل أن تموت، فماذا يعني ذلك؟"

قال توماس بسذاجة: "لا بدّ أنّ معدتها قد آلمَتها كثيرًا بعد ذلك."

رمقتُه بنظرة تحذير: "توماس! كُن جادًا."

رفـعَ يديـه. "أنـا جـادّ. كلّ هـذه مـن الحلويـات، ويـزداد احتمـال إخفـاء السـمّ فيهـا. لا بـدّ أنّ معدتهـا أصيبَـت بـأذى شـديد. ربمـا بـدأ الأمر ببـطء، وظنّتـهُ ببسـاطة مـن الإفـراط فـي الطعـام. بعـد فتـرةٍ وجيـزة مـن المحتمـل أنهـا شـعرَت بوجـود خطـبٍ مـا، مـع تفاقُـم الألـم وبـدء التعـرّق الغزيـر." أشـارَ إلـى يديهـا المحمرّتَيـن ببقـع الحـرق. "أظافرهـا مكسـورة لكـن الجـروح فـي راحتَـي يديهـا ليسَـت بسـبب مُقاومتهـا للقاتـل. هـذا دليـل علـى أنهـا تمسّـكَت بنفسـها فـي محاولـةٍ لتخفيـف الألـم."

رفـعَ عمّـي المعـدة وأشـارَ إلـيّ بجلـب وعـاء، حملتُـه بثبـات وهـو يضـع العضـو فيـه بضربـةٍ ملسـاء. فعلـتُ كلّ مـا بوسـعي لكيـلا أتذكّـر الكركنـد المشـويّ الـذي كان فـي الصينيـة فـي وقـتٍ سـابق. أخيـرًا قـامَ عمّـي بسـحب عـدة حبّـات مـن التـوت غيـر المهضـوم بالملقـط. "نحتـاج إلـى إجـراء اختبـارات بطبيعـة الحـال، لكـن يبـدو أنّ هـذه بيلّادونـا."

قلّبتُ فـي عقلـي دروس السـموم. كانـت البيلّادونـا نبتـةً سـامّة تُسـمّى أحيانًـا تـوت الشـيطان. سـارَ شـعورٌ بالضيـق فـي عظامـي. لا بـدّ أنهـا عانَـت بشـدّة بعـد تنـاول هـذه الكمّيـة مـن التـوت، مـع تزايـد ضِربـات قلبهـا وعـدم قدرتهـا علـى التنفّـس والحركـة بشـكل طبيعـيّ. مَـن أطعمهـا حلـوى المـوت هـذه كان بـلا قلـب. لـم أسـتطع تخيّـل شـعور الجلـوس والتفـرّج علـى جسـدها يختلـج فـي لحظـات المـوت. كان هـذا القتـل بطيئًـا ومتعمّـدًا، ووضـع الجثـة المسـرحيّ فـي غايـة التطـرّف.

وضعـتُ التـوت فـي قنينـة لغـرض الفحـص، وشـاهدتُ العـمّ يخيّـط الجثـة بغـرزٍ نظيفـةٍ ودقيقـة، تمامًـا كمـا علّمنـي إيّاهـا.

"اطلبـوا مـن القبطـان إظهـار الخاتـم للّـورد والسـيدة كرينشـو، لمعرفة مـا إذا كان بإمكانهـم التأكّـد مـن أنهـا ابنتهـم." حـوّل انتباهـه إلـى الجثـة

بتعبيرٍ حزين. "إنه أقل ما يُمكننا تقديمه لهذه الضحيّة."

ذهب توماس للقيام بالمهمة المُروّعة المتمثّلة في رفع الخاتم عن إصبعها لكنّني أوقفتُه. شعرتُ أنّ الأمر جديٌّ ومُهيبٌ للغاية لذا لم أرغب أن يجري ببرودٍ ولامُبالاة. انحنيتُ لأرفع ذراعها برفق، وقمتُ بمنتهى العناية بأخذ ما كان كنزًا لها وفقًا لعائلتها. جلستُ للحظةٍ أخرى ثم وضعتُ ذراعها على صدرها. لقد تعرّضَت للتعذيب ثم القتل، ثم جرى تحويل جسدها إلى مشهدٍ من الجحيم.

قلتُ لِنفسي: "بطاقة النّجم." بانَ الارتباك على توماس وعمّي. "بطاقة التاروت الشبيهة بهذا الموت المسرحيّ. أنا..." لم أرغب في إخبارهم أنني حصلت على مجموعة من أوراق التاروت مع أوراق اللعب الخاصّة بي. "لقد استعرتُ بطاقات ليزا ودرستُها في الليلة الماضية. وضع الجثة يُشبه تلك البطاقة. نحن بحاجة لمعرفة ما تعنيه، قد نصل إلى القاتل بمُساعدة باقي البطاقات."

بدا العمّ متشككًا لكنهُ أومأ بالموافقة. وقفتُ قابضةً على الخاتم بإحكام في يدي. لقد ولّى شعوري بالرعب والحزن، واشتعلَت في مكانه شرارةٌ من الغضب. أيًّا كان مَن فعلَ هذا فقد تمادى كثيرًا، ولن أرتاح حتى يدفع ثمن جرائمه.

قلتُ بصوتٍ من جليد: "غطّوها بعباءة قبل أن يُخرجوها. سآخذُ هذا إلى القبطان الآن."

درتُ على عقبيّ وسرتُ نحو الباب، بعزمٍ نابضٍ بي مثل قلبٍ ثانٍ. ربما تحوّلَت هذه السفينة إلى كابوسٍ عائم لكنّني رفضتُ الرضوخ لِسطوة الخوف.



# 15
# موقفُ غير لائق

## مقصورة اللورد كرينشو - الباخرة إتروريا
## 4 يناير 1889

"هـذا خاتـم إليزابيـث." لـم تتـرك عينـا السيّدة كرينشـو الخاتـم الـذي رفعـهُ القبطـان نـوروود. "أيـن... أيـن وجدتَـه؟"

سـحبَ القبطـان نفسًـا عميقًـا. "آسـفٌ جـدًا لنقلـي هـذه الأخبـار السـيّئة يـا سـيّدتي، لكـنّ الآنسـة كرينشـو كانـت..." نظـرَ للأسـفل وبـدا فـي حيـرةٍ مـن كيفيّـة وصـف مـا جـرى.

"كلا. هـذا مُحـال." هـزّت السـيدة كرينشـو رأسـها وعيناهـا تلمعـان. أمسـكَ اللـورد كرينشـو بذراعهـا وهـي تقـول: "إليزابيـث عـادَت إلـى لنـدن، أنـا متأكـدة مـن ذلـك. إنهـا فـي المنـزل الآن... سـنكتبُ لهـا حالمـا نصـل إلـى نيويـورك. لا يمكـن أن تكـون هـذه حقيقـة." تهـدّجَ صوتهـا.

"أنـا فـي غايـة الأسـف لهـذا المَصـاب." أغلـقَ نـوروود فمـه عندمـا جثَـت السـيدة كرينشـو علـى ركبتيهـا. "نحـن نبـذل قصـارى جهدنـا لتحديـد قاتلهـا -"

"أخرُج." كانت نبرة اللورد كرينشو مُنخفضة وخطيرة.

"سيّدي، نحن -"

"اترُكنا."

"حسنًا. إذا احتجتُم إلى أيّ شيء، تعال مباشرةً —"

"اللعنة عليكَ وعلى هذه السفينة المشؤومة!" صرخَ لنجفل أنا والقبطان. "إنسَ أمر التأييد الرنّان الذي طلبتُموه. سأحرصُ على تحطيمكَ أنتَ وهذا السيرك."

أغلقَ الرجل باب المقصورة خلفنا بقوةٍ دفعَت قارب النجاة المُعلّق إلى القفز على الجدار. تنهّدَ الكابتن نوروود بعمق قائلًا: "لستُ لائقًا لهذا النوع من الأعمال. لم يتلقَّ الدكتور آردن أخباره بشكلٍ أفضل. لا يُمكن لوم أيٍّ منهما، فقدان الذرّية ألمٌ يجب ألّا يُعانيه أيّ والد."

قلتُ ببطء مُحاولةً التعاطف مع الموضوع: "عمّي يحتاج إلى التحدّث مع الدكتور آردن. هل يمكنك إبلاغه بمُقابلة عمّي قريبًا؟"

أومأ القبطان برأسه، رغمَ تركيزه على البحر المُظلم. "كان من المفترض أن تكون هذه رحلةً أسطوريّة، الآن باتَت سيّئة الصيت. لقد وعدَنا مفيستوفيليس بتحقيق الأحلام، أقسمَ لي أنه إذا سمحتُ لهم بالركوب المجّاني فإنّ وسائل الترفيه الليليّة على متن السفن ستغدو آخر موضة، وأنّ أسماءنا ستُكتَب بين النجوم. إنه ليس سوى كاذب."

لم أعرف كيفيّة الرد. لقد تحوّلَت الأمسية بأكملها إلى كابوس ولم أظنّ أنّ اللوم يقع على شخص واحد. لقد أرهقَني مُشاهدة حُزن عائلة كرينشو والآن القبطان، وكان لديّ المزيد من العمل قبل العودة وحبس نفسي في مقصورتي.

قلتُ أخيرًا: "لا يزال هناك وقتٌ لتصحيح مسار الأمور. أمامَنا ثلاث ليالٍ قادمة."

مشى الكابتن نوروود ليقودَني نحو مقصورتي. "بل ثلاث فرصٍ أخرى للقتل يا آنسة وادزورث."

مشَينا بصمتٍ بعد ذلك، وخشيتُ فعلًا أنهُ كان على صواب.

***

"هل جُننتِ؟" صاحَت ليزا قافزةً من السرير بينما كنتُ أرتدي فستانًا أقلّ بهرجة. "كيف يكون مُناسبًا لكِ اللقاء بمفيستوفيليس في هذه الساعة لكن من غير الممكن ذهابي إلى هاري؟"

"هل يجب علينا حقًا تكرار هذا مرةً أخرى؟" فركتُ صدغيّ. كنتُ متعبةً وأردتُ الغوص تحت أغطيتي وعدم الخروج حتى نرسو في ميناء نيويورك. "لقد حبسكِ عمّي بالفعل في هذه الكابينة كما هدّدَكِ بالمصحّة. وإن لم يكن هذا السبب كافيًا فهُناك دائمًا القاتل الذي يجوبُ هذه السفينة."

وقفَت ليزا مكتوفة الذراعين وعيناها تلمعان بعناد. "لهذا السبب بالذات يجب أن نخرج معًا. غرفهم ليسَت متباعدة عن بعض، وهنالك أمانٌ في الخروج مجموعات." فتحتُ فمي لأجادل لكنّها طرحَت نقطةً صحيحة. بعد أن شعرَت بتردّدي ضغطَت أكثر بالقول: "هل تعرفين أصلًا مكان مقصورة مفيستوفيليس؟ ما خطّتكِ لإيجاده؟ ومَن يستميتُ في الكذب دفاعًا عنكِ إن أمسكوا بنا؟"

رمقتُها بنظرة غضب. "لديّ أسئلةٌ له حول الجريمة، ولا علاقة عاطفيّة بيننا تحتاجين إلى الكذب بشأنها. كما لن يتمّ الإمساك بي."

"آه؟ وماذا لو اكتشف توماس أنكِ تلتقين بشابٍّ آخر؟ في الليل، ولوحدِك، لمجرّد مناقشة الجرائم في غرفته دون حضور مُرافِق؟ سوف يظنّ -"

قلتُ لأقاطع فكرتها الفاضحة: "ليزا، توماس ليسَ بهذه الحماقة أبدًا. نحنُ نثق في بعضنا البعض."

"إنه إنسانٌ كما تعلمين. مهما كان مدى ذكائه وعقلانيّته فلديه مشاعرُ البشر. أظنّكِ تنسينَ ذلك أحيانًا. إنه يدفنها لكنّها موجودة."

\تمنّى جزءٌ مني تسليمها رسالة هوديني إلى حبيبته السرّية واختبار شوقها إلى زيارته بعد أن ترى بأمّ عينيها كم هو وغد. سحبتُ عدّة أنفاسٍ عميقة. الليلة ليسَت الوقت المناسب لإفشاء هذا البؤس.

قد تكتشف ليزا ذلك من خلال أفعاله الفظيعة، حينها لن أضطرّ إلى إعطائها تلك الرسالة الرهيبة. تنهّدتُ تنهيدةً مُبالغ فيها ثم رميتُ عباءةً إلى ابنة عمّتي. "أحتاجُ بضع دقائق فقط للتحدّث مع مفيستوفيليس، وسوف تُغادرين عندما أفعل."

ألقت ليزا العباءة على كتفيها وابتسمَت. "هكذا هو الوضع عندكِ دائمًا، أليس كذلك؟"

"ماذا تقصدين؟"

"المضيّ قدُمًا على الدوام، والسعي وراء الحقيقة." تلاشت ابتسامتها وتحوّلت إلى ما يشبه الحزن. "لطالما تخيّلتُ عملكِ مع عمّكِ مُغامرة، لكنه أيضًا صعبٌ للغاية، أليس كذلك؟ الأمور التي ترينَها..."

مرّت في رأسي صور ضحايا الجرائم، ضحايا جاك السفّاح الممزّقة والمرميّة مثل القمامة، والجثث الخالية من الدّماء من الأسبوع الماضي في رومانيا.

كان الموت يتعقّبني أينما ذهبت. أملتُ ألّا يُعيد الكَرّة هذه الليلة.

طـردتُ تلـك الأفـكار مـن عقلـي بالقـول: "هيّـا، لقـد تأخّـر الوقـت."

***

أصـدرَت حبـال السـفينة قرقعـةً أشـبه بهديـر العمالقـة وهـم يرفعـون عظامَهـم القديمـة ويُحدّقـون فـي أولئـك الذيـن تجـرّؤوا علـى إيقاظهـم مـن سُـباتهم الـذي دامَ قرونـا. رغـمَ أنّنـي تأبّطـتُ ذراع ليـزا لكنّنـي لا أسـتطيع إنـكار أنّ ممشـى السـفينة مـكانٌ مُخيـف فـي الليـل.

اقتربَـت منّي ليزا قائلـةً: "نحتـاجُ للذهـاب إلـى هـذا الممـرّ، ثـم ننـزل بالسـلالم إلـى تحت."

طيّـرَت الريـاح عـدة شـعراتٍ مـن ضفائـري، ممـا زادَ مـن القشـعريرة التـي كانـت تتفشّـى أصـلًا فـي بدَنـي. لـم أرغـب حقًـا فـي دخـول ممـرٍّ مُظلـم فـي الليـل مـع وجـود قاتـل فـي الأنحـاء، لكنّنـي لـم أجـد خيـارًا آخـر. علـى الأقـل كنـتُ مـع ليـزا. ابتلعـتُ ريقـي بصعوبـة وتبعـتُ ابنـة عمّتـي وهـي تفتـح البـاب ثـم تُلقـي نظـرةً مـن فـوق كتفهـا.

ومضَـت أضـواء الممـرّ، وطنَّـت المصابيـح مثـل سـربٍ مـن النحـل يُدافـع عـن خليّتـه. مشَـت ليـزا بسـرعة علـى الـدرج المعدنـي واندفعـتُ وراءهـا، محاولـةً تجاهـل نبضـات قلبـي السـريعة وخطـوات القاتـل الغريبـة خلفنـا، التـي اخترَعتهـا مُخيّلتـي المُهتاجـة. نزلنـا لمـا بـدا كأنـه عـامٌ كامـل لكنـه فـي الحقيقـة لـم يتجـاوز لحظـاتٍ قلائـل. دفعَـت ليـزا البـاب مباشـرةً لتفتحـهُ دون تـردد، قبـل أن تُلقـي نظـرةً خاطفـة علـى سـطح الدرجـة الثانيـة.

قالت وهي تُمسك بيدي: "إنه فارغ. لنتحرّك بسرعة."

فـي الواقـع لـم أحتـج إلـى تحفيـز. رحنـا نتسـابق علـى السـطح ونتوقّـف كل حيـنٍ لإلقـاء نظـرة خلفنـا. كان بإمكانـي أن أقسـمَ بأنّنـا

مُتبوعتان لكنّ أحدًا لم يظهر. ربّما لستُ الراكبة الوحيدة على متن هذه السفينة التي بدأت في اختلاق وحوش مُنتصف الليل. لم نرَ شخصًا منذ وقت العشاء، وبدَت جميع الغرف موصدةً بإحكام في محاولةٍ للتحصّن ضد الشرور.

"هذا جناح مفيستوفيليس." وقفَت ليزا على عدّة أبواب منها. "غرفة هاري على بُعد ثلاثة غرف منه. أبلِغيني فور استعدادكِ للمغادرة."

قبّلَت خدّي بسرعة وذهبَت. شاهدتُها تتسلّل إلى مقصورة هوديني وتنزلق داخلها قبل أن أطرق باب سيّد الحلبة. سمعتُ صوتًا يشبه حفيف الأوراق، فعددتُ خمس دقاتٍ من قلبي ثم قرعتُ الباب مرةً أخرى. فُتِح الباب كاشفًا عن امرأةٍ مُقنّعةٍ في رداءٍ خفيف، وهي كاسي. لم يبدُ أنّها ترتدي شيئًا تحت ردائها ذاك، ولمّحَ تعبيرها المُمتعض إلى أنني قاطعتُ أمرًا ما، فسخنَ وجهي.

"أنا... أنا آسفةٌ جدًا. أنا –"

ظهرَ مفيستوفيليس خلفها بابتسامةٍ كسولة. لاحظتُ أنه يرتدي ملابسه بالكامل، دون تجعّدٍ فيها، لكنّ قناعه اللعين لا يزال في مكانه. كدتُ أتنهّد بارتياح. "هل جئتِ للاعتراف بحبّكِ الأبدي؟"

"وهل كنتَ تعلم؟" سألتُ بصوتٍ عالٍ بما يكفي لتسمعني كاسي، ثم انحنيتُ نحوه لأهمس: "ربّما في أحلامك."

"على الأقل ليسَ في كوابيسي." غمزَ لي. "سيكون هذا مؤسفًا للغاية بالنسبة لك."

وقفتُ لأسرق لمحة من فوق كتفه، مُلاحظةً لفائف أقمشة بتشكيلةٍ غريبة من الشبَك واللؤلؤ والترتر بكمّياتٍ هائلة. كما رأيتُ

سترةً ذات شرائط معلّقة من الكتفين بالقرب من بعض الزخارف الجاهزة للإضافة. بدا أن لمفيستوفيليس هواية الخياطة، قطعةٌ أخرى أضفتُها إلى اللغز خاصّته.

"كاسي؟" سأل بصبرٍ نافد. "ما لم يكن لديكِ شيءٌ آخر فقد انتهينا الليلة."

تفحّصَتني كاسي قبل أن تبتعد عن نظري. تذكّرتُ ما قالته ليزا: كاسي مُقرّبةٌ من سيّد الحلبة، وتمنّيتُ فجأةً امتلاك خدعة اختفاء خاصّةٍ بي. لا عجبَ أنّها انزعجَت هكذا فقد دمّرتُ خططها الرومانسيّة. أمالَ مفيستوفيليس رأسه كأنه قد قرأ أفكاري. "كانت كاسي تُنهي بدلة العرض خاصّتها للتوّ. زيّها الجديد مذهلٌ حقًا، يجب أن ترَيه."

"ليس من شأني ما تفعله. كما إنّني لم أسأل."

"كلا، لم تفعلي." عادَت ابتسامته المائلة للظهور، ولم يُبدِ أيّ انزعاجٍ من جريمة القتل الأخيرة أو من إفساد خُلوته الليليّة الخاصّة. "لكنّ كلامي أراحكِ لدرجةٍ أشكّ فيها بعدم اهتمامك." قبل أن أجادلهُ عادَ إلى الداخل وظهرَ مرةً أخرى بمعطفٍ ثقيل. "تعرفين طريق الخروج يا كاسي. سأرسلُ لكِ الزيّ مع أحدهم قبل عرض الغد."

وقفتُ هُناك بفمٍ فاغر. "لا يُمكن أن تكون جادًا."

"ليس في أغلب الأحيان، لكن لديّ بعض لحظات الجدّ."

"ستُقدّم عرضًا آخر غدًا؟ هذا جنون!"

"وهو جيّدٌ للعمل يا آنسة وادزورث."

"بالطبع، كم سخيفٌ اعتقادي أنّ تقديم عرضٍ جديد بعد حرق جثّة على خشبة مسرح الليلة فكرةٌ غير رائعة."

رفعَ سيّد الحلبة حاجبًا فوق قناعه. "إنهُ صائبٌ لأنه يُمثّل إلهاءً لمَن يسعَون إليه. وهو يتفوّق على البديل المُتمثّل في حبس الجميع في غرفهم لثلاث ليالٍ، والقفز خوفًا عند سماع أيّ صريرٍ أو جلبةٍ على متن السفينة. هذا يا عزيزتي هو ما يُثير الجنون. اسجِني المرء وانتظري انهيارَ عقله."

"هل هذا شيءٌ تعرفه عن تجربة؟"

أشارَ لي بأن نمشي عبر سطح السفينة، بعيدين بما يكفي عن مرمى سمع الآخرين بعدما غادرَت كاسي. لقد حافظنا على مسافةٍ محترمة لكنني بقيتُ أشعر أننا قريبان جدًا من بعضنا. بمجرد وصولنا إلى نهاية السفينة اتّكأتُ على السياج وأبعدتُ تركيزي عن سيّد الحلبة. كنتُ بحاجة إلى التفكير بوضوح وقد جعلَ الأمر صعبًا بمُغازلاته الجريئة. لدغَت الرياح أذنيّ ورقبتي، وساعدَت البرودة في وضع أفكاري في مكانها.

"حسنًا؟ إلامَ أدينُ حقًا بشرف حضوركِ البهيج؟ هل أنتِ مستعدةٌ لدرسكِ القادم؟ أم أتقنتِ خدعة البطاقات بالفعل وجئتِ للتباهي بها؟"

حدّقتُ في البحر المُختض. لقد تلاطمَت الأمواج مُلقيةً بنفسها ذهابًا وإيابًا، تمامًا كما كانت الأفكار تتلاطم داخل عقلي مع تجدّد المُعطيات.

قلتُ دون النظر إليه: "لقد مرّ يومان. هل تتوقّع مني صدقًا إتقان الخُدع مع استمرار ظهور الجثث؟"

أطلقَ مفيستوفيليس ضحكةً مفاجئة. "أنا لا أتحدّثُ بصراحةٍ في العادة، لكنّكِ لذيذةٌ للغاية يا آنسة وادزورث. خسارةٌ أنّكِ لن تسمحي

لي بشرف كسر قلبي إلى نصفين."

استدرتُ لأقابل نظراته أخيرًا. "لستُ واثقةً من فهمي لما تعنيه."

"حسنًا، لستُ واثقًا من صدق كلامك." نظرَ لي بعناية. "ممّا يعني أنّكِ تقومين بعملٍ أفضل بكثير مما توقّعتُه في دروسك."

"لا يُمكن تطبيق خُدع خفّة اليد في مثل هذا الموقف."

"لكن ألا تستطيعين ذلك؟ الكلمات نفسها أشياءٌ خادعة وشريرة." ابتسمَ كأنه اكتشف حقيقةً لم أُخفِها عنه جيدًا. "على أيّة حال، ما أعنيه أنّ بمقدور الورود جلب الدماء مثلما تجلب البهجة، لكنّنا لا نتردّد في استنشاق عطرها، أليس كذلك؟ الخطر لا ينتقص من الجاذبيّة، بل يُزيدها."

انحنى قُربي حتى باتت أنفاسه همساتٍ دافئة على بشرتي. سارت فيّ قشعريرةٌ من الخوف والإثارة.

"أنا لا أخشى الوخز عندما تكون المكافأة حلوةً للغاية. لكن أنتِ... ماذا تخافين؟"

لسبب ما، ظهرَ وجه توماس في ذهني.

اقتربَ مفيستوفيليس. "ما أكثر شيءٍ تخافينه؟ بالتأكيد ليس الموت، لأنه يُثير اهتمامك." مدّ ذراعيه على جانبيّ فتوتّرتُ لا إراديًا. "آه، القضبان التي تحبسُك؟ الآن هذا شيءٌ يُرعبك. إذا كنتِ تبتغين حياة الحرّية اتّخذيها لنفسك ببساطة. ماذا يمنعُك؟"

خفق قلبي بسرعةٍ حتى خشيتُ أن يتوقّف. "هل هذا جزءٌ من درس الليلة؟" "هذا؟" قرّبَ وجهه من أذني. "هذه نصيحةٌ من صديق. لا يُمكنكِ عيش حياتكِ وفقَ قواعد شخصٍ آخر. هل ترغبين في استكشاف سُبلٍ أخرى للعلم؟ قد لا يكون الطبّ الجنائيّ

الشيء الوحيد الذي تُحبّينه. يُمكنكِ الاستمتاع بتسخير مهاراتكِ في الهندسة."حاولتُ إبقاء تنفّسي مُنتظمًا. قد يتظاهر بالاهتمام بي لغرضٍ مُعيّن لكنه نجحَ في معرفة حقيقتي، حقيقةٌ لا أعتقدُ أنّ توماس قد نجحَ في اكتشافها. جعلَني ذلك أرغبُ في مُعانقته وركلهِ معًا في نفس الوقت. كنتُ مفتونةً بالأشياء الميكانيكيّة، وكان والدي يصنع الألعاب وأنا أرغبُ دائمًا في تعلّم صُنعها بنفسي. لقد قام أبي بتعليم أخي لكنه لم يُفكّر فيَّ قطّ، نظرًا لكوني فتاةً وكون ذلك 'مسعى أنثويًّا غير لائق'. لقد وفّروا لي دمى فتيات أكثر بكثير مما أردت، لكن شغفي الحقيقيّ كان في التّروس والبراغي.

قلتُ متجاوزةً اللحظة الغريبة: "أريدُ التحدّث مع جيان. اصحَبني إلى مكان الفنّانين ودَعنا نختلق أيّ خدعةٍ تُريدها."

"لستُ واثقًا من أنه قرارٌ صائب بعد أحداث الليلة." بدت الجدّية على وجهه. "لقد قرّر الفنّانون تخفيف ضغوطهم بطريقتهم الخاصّة. ربّما تُعدّ قذرةً بعض الشيء." أخرجَ ساعة جيبه. "غالبًا لقد تجاوزَت حدود القذارة الآن."

قلت: "لكن كاسي ليسَت مع باقي الفنانين. ربّما لم يُشارك جيان في هذا الفجور الذي تتكلّم عنه."

حدّق في المياه المُظلمة. "في الواقع أنا واثقٌ تمام الثقة أنه يُقدّم الخمور الآن. آملُ أن يُخفي أندرياس سيوفه ثانيةً؛ أصبحَت الأمور ممتعةً بزيادة في آخر مرةٍ أسرفَ فيها في الشراب. الجنّية الخضراء[1] سيّدةٌ لعوب." انحنى على سور السفينة ونظر في اتجاهي.

---

1- الجنّية الخضراء: الإسم الدارج الذي يُطلَق على مشروب الأفسنتين المُسكِر. (المُترجم)

"هل تظنّينه قادرًا على القتل؟"

"كيف يُمكنني الإجابة دون المزيد من الكلام معه؟ إذا كنتَ جادًا في حلّ جرائم القتل هذه فخُذني إلى هناك الآن."

"بالطبع أنا جادّ. إذا فشلَ هذا الكرنفال يجب أن أعود إلى حياتي القديمة، وأنا أفضّلُ القفز إلى البحر على الرجوع إلى قفصٍ ذهبيٍّ آخر." تفحّصتُ وجهه، ربّما لم يختلف عني كثيرًا. "أين الفنّانون؟"

رفع نظرهُ إلى أعلى لكن ليس بطريقته الماكرة المعتادة، بل بشيءٍ من التحليل، ثم اعتدلَ في وقفته. "إذا عزمتِ على حضور هذا التجمّع فيجبُ عليكِ تغيير ثيابك."

قمتُ بتنظيف مقدمة عباءتي المخمليّة بيدي. كان الفستان الذي تحتها أبسط قليلًا من فستان المساء الذي سبقهُ لكنه لائقٌ عمومًا. عبستُ قائلةً: "أريدُ الاختلاط معهم."

"لهذا السبب بالذات تحتاجين للتخلص من هذا الثوب المُملّ. ستكونين كعُشبة الرّجيد[1] وسط باقةٍ من الزهور البرّية. التميُّز مطلوبٌ أحيانًا من أجل الاندماج."

"هذا لا معنى له على الإطلاق."

"لكنّكِ ستفهمين قريبًا." أخرجَ ساعة جيبه ثانيةً وابتسمَ عندما هززتُ رأسي. "درسُكِ الثاني يبدأ الآن."

---

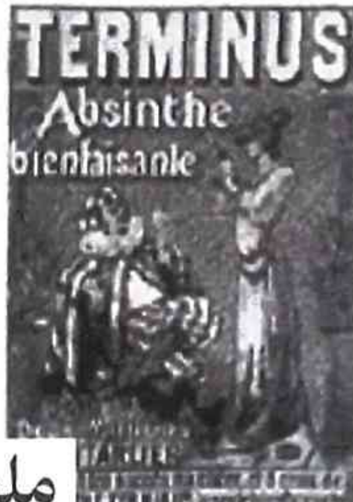
1- عشبة الرّجيد: عشبة شائعة ذات مخاطر كبيرة على صحة الإنسان. (المُترجم)












ملصقات دعائية لخمر الأفسنتين










65° EXTRAIT D'ABSINTHE

LA COLORATION EXCLUSIVEMENT VÉGÉTALE DE CETTE ABSINTHE EST OBTENUE AVEC LES PLANTES ET FLEURS AROMATIQUES ET SALUTAIRES DES MONTAGNES DES ALPES










# 16
# الجنّية الخضراء

## منطقة تدريب الفنانين - الباخرة إتروريا
## 4 يناير 1889

همسَ لي مفيستوفيليس ونحن نقف خارج باب منطقة تدريب فنّاني العروض: "استمرّي بسحب القماش قدرَ ما تريدين، لكنّني أعدُكِ أنه لن ينمو أو يتمدّد. هذا سيُفسد الغرض من كشف أعلى الصدر."

رمقتُه بأقسى نظرةٍ لديّ، رغمَ عدم ثقتي بتأثيرها عليه لأنني كنتُ أرتدي قناعًا مُخرّمًا. "لا أصدّقُ أنّني وافقتُ على ارتداء هذا. أبدو مثل راقصة كَنكان[1]. ستُصاب عمّتي بقصورٍ في القلب إذا عرفَت بذلك."

"يُمكنني رؤية احمرار وجه أمّي من هُنا." ابتسمَت ليزا من خلف قناعها. "ربما يجب أن أقترح هذه الثيمة لحفلة بلوغي."

ابتسمتُ رغمَ شعوري بالتعرّي. من المؤكد أنّ العمّة أميليا سيُغمى عليها فورًا إذا رأتنا في حالتنا الراهنة. كان زيّ ليزا شبيهًا بزيّي: كورسيه مخطّط باللونين الأحمر والأسود - مشدودٌ بإحكام

1 - الكنكان: طراز شهير من الرقص تقوم به راقصات يرتدين تنّورات واسعة ويتضمن رفع الأرجل عاليا في الهواء بشكلٍ إيقاعي مع الموسيقى. (المُترجم)

لرفع وإظهار أعلى الصدر كما أشار مفيستوفيليس - مع جوارب سوداء طويلة. لكن بطريقةٍ ما نجحَ سيّد الحلبة في جعلي أبدو نظيرته في الزيّ عبر إضافة بعض الزخارف الزائدة. غطّى الترتر وركي لافتًا الأنظار إلى أجزاء من جسدي كانت شبه عارية. كانت ملابسي الداخلية البيضاء مزيّنة بكشكشةٍ ودانتيل ذات حواف فضّية، وهو الجزء الوحيد من زيّي الذي لمّح إلى كوني في مهرجان ضوء القمر. لكن أحدًا لن يراها لأنّني رفضتُ رفع تنّورتي لإظهار رجليّ. أمّا قبّعتي الحريريّة السوداء فقد ازدانَت بضفيرةٍ حمراء، مُطابقة تقريبًا للقبعة التي ارتداها في ليلة الافتتاح.

ابتسمَ هاري إلى ليزا بسرور قائلًا: "لا أتحمّلُ الانتظار لمُقابلة سيّدتكِ الكبيرة."

قال مفيستوفيليس باستنكار: "السيّدة الكبيرة تعبيرٌ أمريكيٌّ فظٌّ منك."

لوّحَت ليزا بيدها قائلة: "هل يُمكننا الدخول لطفًا؟ سنبقى لِساعةٍ فقط لذا أريدُ استغلالها." ثمّ نظرَت إليّ بإعجاب. "تبدين مُذهلةً يا أودري روز. أطلِقي لنفسكِ العنان الليلة ونالي بعض المرح. يُمكننا جميعًا الانتفاع من بعض البهجة."

لم أظنّ أنّ المرح هو أفضل شيء أركّزُ عليه مع وجود تلك الجثّة المُحترقة في عرض المساء، لكنّني لم أعترض. كنتُ بحاجة إلى معرفة أيّ ممثّل أو ممثلة قد أخذَ عرضهُ ومهاراته إلى مستوى قاتل، وسهرةٌ خاصّة مع الخمور مكانٌ مثاليّ لجمع المعلومات، رغم صخب الموسيقى في الداخل. ألقيتُ نظرةً على صدري المكشوف وتنهّدت. بالتأكيد سيغضب توماس لتفويته هذا الفعل من جانبي،

خاصةً أنه كان دائمًا يذكُر أفعالًا وقحة تحت تأثير الكحول.

"تفضّلوا!" دفعَ مفيستوفيليس الباب ليفتحها. على عكس جلسة التدريبات المنظّمة من الليلة السابقة، كان المكان في حالةٍ من الفوضى المطلقة. هزّت الموسيقى الجدران ورقصَ الفنانون المُقنّعون على إيقاع البهجة، بينما رفعَت النساء - في ملابس كَنكان شبيهة بملابسي - سيقانهنّ عاليًا في الهواء، كاشفاتٍ عمّا تحت ثيابهنّ.

"هل هذه هي الشّيطنة التي حذّرتَ جمهوركَ منها؟" سألتُ مُحاولةً السيطرة على أفكاري المُتسارعة. كانت الأضواء تنبضُ فوق رؤوسنا وتقترب كثيرًا من الانطفاء.

تسرّبَت المشروبات الخضراء على الأرض وعلى ذقون الناس، لكنّهم لم يُلاحظوا أو لم يهتمّوا. انتقل انتباهي من مشهدٍ إلى آخر وقلبي يدقّ كالطبول. لم أرَ هذا العدد من الأجساد المتحرّكة من قبل، حشدٌ من البشر يرقصون مع بعضهم البعض بطرقٍ فاضحة. قفزَ المهرّجون فوق البراميل، ثم سقطوا على الأرض وهم يُمسكون بطونهم ويضحكون حتى تلطّخ مكياجهم. ارتفعَت سحبٌ من دخان السيجار على فتراتٍ متفاوتة في أنحاء الغرفة الكهفيّة برائحةٍ ثقيلة في الهواء. لقد دخلتُ مباشرةً إلى صالة الشّيطان.

كان هذا خطئًا فادحًا. تراجعتُ خطوةً للوراء لكنّ ذراعَي سيّد الحلبة انتظراني. انحنى بقُربي ورفعَ صوته فوق الصخب، ورغمَ حرارة الغرفة المكتظّة سارَت قشعريرةٌ في بدَني عند قولَه: "هذا يا آنسة وادزورث، هو جزء الفوضى من العرض." لقد وقفنا قريبَين من بعض حتّى شعرتُ بصدره يرتفع وينخفض مع أنفاسه. "هذا أيضًا وقتُ تذكّر القاعدة الأساسية الأولى: لا تفقدي عقلك."

"لا تقلق. لن -"

هبطَ جيان بالقرب منا بعد قيامه بالشقلبة على ذراعيه، فقفزتُ للخلف فجأةً وكدتُ أن أطيح بمفيستوفيليس أرضًا. كان زيّ جيان في روعة أزياء رقصة الكَنكان، وبدلًا من تحديقه المعتاد فيّ ابتسمَ لنا ابتسامةً ماكرة. "مرحبًا بكِ في العرض الحقيقيّ!"

ألقى بذراعه حول كتفي كما لو كنّا أصدقاء مقرّبين وسحبَني بعيدًا عن سيّد الحلبة. نظرتُ ورائي إلى حيث وقفَ مفيستوفيليس مُحاولةً عدم الضحك بخصوص اعتمادي عليه لمُساعدتي. رأيتُ ليزا وهوديني يضيعان أيضًا في أرض المعركة، لذا بتُّ لِوحدي الآن.

قال جيان: "دعينا نرى ما يُمكنكِ فعله. ارقُصي معي!"

"أوه، أنا لا أظنّ..."

صرخ فوق دق الطبول: "لا تظنّي، بل ارقُصي فحَسب."

قبل أن أتمكّن من رفض عرضه قام بتدويري، وارتفعَت تنّورتي طائرةً مع دوراني واصطدامي براقصةٍ أخرى، ثمّ دفعَت رأسها للخلف ضاحكةً وهي تدور عائدةً إلى شريكها. كدتُ أسقط خلال مُحاولتي دفع تنّورتي إلى أسفل، بينما قفز جيان على الأرض ليفتح ساقيه بزاوية مئة وثمانين درجة.

صرخت: "هل أنتَ بخير؟" يجب أن يكون ذلك مؤلمًا. قفز مرةً أخرى على قدميه واقفًا، ثم ركل أحد رجليه ليُصفق يديه تحت ركبته، بابتسامةٍ شريرةٍ لكن مليئة بالحرّية.

"هيّا! جرّبيها، ستُحبّينها!"

قد أستمتعُ قريبًا بطعن يدي بشوكة طعام. هززتُ رأسي وأشرتُ إلى طاولةٍ مليئةٍ بنوافير بدَت من الماء المثلّج. المرطّبات فكرةٌ

أفضل بكثير، قد يُساعد الماء البارد في تخفيف حالة سُكره. "أنا عطشانة."

تخبّطَت نظراته في الاتجاه الذي أشرتُ إليه، حدق قليلاً ثم عقدَ حاجبَيه وابتسم. "آه، فكرةٌ ممتازة. بدأتُ أفهم إعجاب مفيستوفيليس."

بالكاد استطعتُ سماعه مع الموسيقى وقرّرتُ عدم التعقيب. إذا ظنَّ أنّ سيّد الحلبة مفتونٌ بي فهذا يعني أنّ عملنا كان ناجحًا. شققنا طريقنا عبر الحشد، الذي فسح معظمه المجال أمام جيان. بقيتُ قريبةً خلفه، بدافع الضرورة وكذلك القلق من أن يجرّني أحدهم إلى رقصةٍ فاضحةٍ أخرى.

سارَ مباشرةً إلى الحنفيّة الأولى وأخذَ يُعدّ مشروبًا. نظرتُ حولي بِخفّة، حيث القُبلات المتبادلة في الزوايا المُظلمة، وارتفع حاجباي بدهشةٍ عندما لاحظتُ كاسي تلتفّ حول شابّ لم يكن مفيستوفيليس مطلقًا. في الواقع ظننتُه فنّان طيّ الجسد، رغمَ أنه من الصعب التأكّد نظرًا للتشابك المتين بينهما.

قدّم لي جيان مشروبًا حليبيًّا وتبعَ نظراتي. "لا تقلقي بشأنها فلا شيء بينها وبين مفيستوفيليس. على الأقل في هذه الفترة."

أخذتُ الشراب وشممتُه. لم تكن رائحته قويّة لكنني لم أرغب في إضعاف قدراتي الاستنتاجيّة. "هل استاءَت عندما -"

"- اكتشفَت أنهُ في الواقع مهتمٌ بكِ؟" ضحكَ جيان. "لم أرَ شخصًا بحجمها الضئيل يثورُ غضبًا هكذا. لقد ألقَت بزيّها في القمامة وكادَت تقذف حذاءها على مرآة أندرياس السحريّة." تحوّل انتباهه إلى كأس شرابي الذي لم أشربه، فرفعه وابتلعهُ بشراهة. "لو حدثَ ذلك لكان شيئًا يستحقّ المُشاهدة."

"هل لدى أندرياس ميولٌ عنيفة؟"

بـدا أنّ عينَيـه اتّسـعَتا خلـف قناعـه. "أعنـي أنـه كان سـيتحطّم قلبُـه." أعـدّ مشـروبًا آخـر وتمايـلَ فـي مكانـه. "علـى أيـة حـال كاسـي ليسَـت غاضبـةً منـك، وإذا كانـت غاضبـةً مـن شـخصٍ فهـو مفيسـتوفيليس. مـن الأفضـل أن يتّخـذ جانـب الحـذر لأنهـا مـن النـوع الـذي يُعلّـم الـدروس. لـو رأيـتِ ذلـك الرجـل الأخيـر..." هـزّ رأسـه. "كان حالـه أفضـل برفقـة الأسـود."

حاولـتُ ألّا أراقبهـا عـن كثـب. باتـت الآن تُثبّـت نفـس الشـاب علـى الحائـط وهـي تُقبّـل رقبتـه. كانـت لحظـةً حميميّـة لا يجـوز التطفّـل عليها، رغـمَ أنهـا لـم تُمانـع فـي فعلهـا علانيـة.

"هذا سيباستيان."

"فنّان طيّ الجسد؟"

"بلى، وهو زوجُها." ضحك جيان أمام تعبيري المذهول.

اختـار أحدهـم تلـك اللحظـة لتحطيـم إحـدى الأضـواء. رميـتُ بنفسـي علـى الأرض ويـداي فـوق رأسـي بينمـا تسـاقطَ زجـاج المصبـاح وباتـت الغرفـة أكثـر ظلامًـا. صفّـرَ الفنّانـون وشـهقوا تحـت الإنـارة الخافتـة، واشـتدّ نبـض قلبـي وأنـا أقـفُ ببـطء وسـط ذلـك الجنـون. لـم يبـدُ علـى جيـان أدنـى تأثّـر بمـا حصـل بـل ترنّـحَ عائـدًا إلـى النافـورة، وخشيتُ أنـه إذا شـرب المزيـد فلـن أحصـل علـى أيّ معلومـةٍ مفيـدة منـه. دفعـتُ توتّـري جانبًـا وأسـرعتُ وراءه.

سـألتُه: "كاسـي وسيباسـتيان متزوّجـان؟ لا بـدّ أنـه غضـبَ كثيـرًا مـن مفيسـتوفيليس."

وهـو دافـعٌ كافٍ لتدميـر الكرنفـال. هـل يُمكـن أن يكونـا ثنائيًّـا قاتـلًا؟

حدّقتُ فيهما وهما يجذبان ملابس بعضهما البعض. الغيرة دافعٌ قويّ لأيّ شخص، وربّما يُعانيان كلاهما من ذلك. سيباستيان لأنّ زوجته طاردَت رجلًا آخر بشكل علنيّ، وكاسي بسبب تنحِيَتها جانبًا. أردتُ الإسراع إلى توماس وإخباره بالنظريات التي ظهرَت في ذهني لكنّ الصفقة الملعونة منعَتني من ذلك.

"كلاهما يعمل ما يحلو له والأمر ناجحٌ بينهما." نظرَ جيان إليّ عبر عيونٍ شبه مغمضة. "آه... لم تُنهي شرابك." لم أكلّف نفسي عناء الإشارة إلى أنه قد أنهاه بدلًا منّي مرّتين. "النشر...ب نـ... خبًا." "ربّما يجب أن نكفّ عن ذلك حتى المرة القادمة." أخذَت اللعثمة في كلامه تزداد سوءًا، وهو يلوّح لي بيده ثم يذهب لإعداد كأسَين آخرين، مُركّزًا عليهما بصعوبة كأنّ مصير العالم يعتمد على هذه الجرعة. كنتُ سأستمتع أكثر لو لم أفكّر في أنّ المسؤولين عن ثلاث جرائم قتل بشعة كانا يتبادلان الأحضان بشغف في الزاوية.

صبَّ جيان قدرًا من المشروب الأخضر في كلّ كأس، ثم تمكّن من وضع ملاعق ذات شقوق فوقهما دون أن تنقلب، وهي مُعجزةٌ نظرًا إلى حالته. بعد ذلك وضعَ مكعبات السكّر فوق الملاعق وأشعل النار فيها، ونقلَ كل شيء إلى نافورة المياه بعد انطفاء اللهب. قام بفتح الحنفيّة قليلًا ووضع السكر بعناية تحت الماء البارد، فأخذَ الماء المُثلّج يقطر ببطء مُفكّكًا السكر ليُسقطه في المشروب الذي تحته. تحوّلَ اللون الأخضر الفاتح إلى دخانيٍّ مُعتم، ليُذكّرني بمشروبٍ محظور أخيرًا عرفتُه: الأفسَنتين.

قبِلتُ الكأس بحماس ورفعتُه تحت الضوء الخافت. كان الأفسَنتين آخر موضةٍ في مشروبات منازل الطبقة الراقية وفي نوادي

الفقراء أيضًا. ادّعى البعض أنه يُسبّب الهلوسة، لكنّ هذا يصحُّ فقط إذا أضيفَ إليه المزيد من خُلاصة عُشبته. عضضتُ شفتي. وددتُ أن أجرّبه بإلحاح، لكنني بحاجةٍ أيضًا إلى التصرّف بمسؤولية لِجمع القرائن.

صعدَ شخصٌ ما بجانبي، لكنّ الكثير من الناس يمرّون ولم أعِرهُم أهميّة. "هل ستتظاهرينَ بشُرب هذا؟" نظرتُ حولي لأرى كاسي ترفع حاجبَيها. "أم أنّكِ بحاجة إلى بعض المساعدة؟"

"لم أتظاهر بشُرب شيء."

"ربّما لا." تفحّصَتني. "لكن هناك أشياءٌ أخرى تتظاهرين بها، أليس كذلك؟" تركَتني انتباهها للحظاتٍ ولم أضطر لمُتابعة نظرتها لأعرف أنها كانت تقصد سيّد الحلبة. "قد تتظاهرين بالافتتان به، لكنه لا يفعل ذلك."

بلعتُ ريقي بصعوبة. لم أتمكن من إيجاد أيّ خبثٍ في كلماتها، بل كان هناك شعورٌ أشبه بالصداقة الحميمة، كما لو كنّا أخواتٍ في معركةٍ نحاربُ فيها الرجال الأشرار. رفعتُ الكأس إلى شفتي قائلةً: "أقدّرُ نصيحتك، لكنّني حقًا أستمتعُ بوقتي هنا."

هممتُ بشرب الكأس كما يفعل جبان لكن يدًا ظهرَت لتُغطّي حافته، فضغطَت شفتي على القفّاز ذي الهلال المُخيّط على قفاه وتراجعتُ كأنّني مسستُ نارًا. هزّ مفيستوفيليس رأسه. "قد يكون هذا سحريًا زيادة بالنسبة لك يا آنسة وادزورث. أودُّ أن أعيدكِ إلى غرفتكِ سالمة، وإلّا لا سمحَ الله قد يأتي توماس كريسويل ليتحدّاني في مُبارزة."

تبادلنا التحديق في بعض وبإمكاني أن أقسِم أنني رأيتُ قلقًا

حقيقيًا في وجهه. دفعتُ يده بأدب من كأسي مُدركةً وجود كاسي، ولم أشكّ في انتباهه إليها أيضًا ولهذا بالضبط وجبَ عليه عدم ذِكر توماس. "اشرَب معي."

"الوقت متأخّر."

رفعتُ كتفي. "كما ترغب."

قبل أن ينطق كلمة أخرى تناولتُ مشروبي. كان مذاقه وحشيًا وقاسيًا. لقد أحببتُه! طعمه أشبه بِعرق السوس وحرقَ بلعومي بسرور في طريقه، مُختلفًا عن النبيذ بإحساس الدفء الذي انتشرَ بعده من معدتي إلى أطرافي. شعرتُ بِجسدي خفيفًا مثل الهواء. ارتفعَت الأصوات المكتومة، وصارَت الألوان أكثر سطوعًا. ضحكَ أحدهم بالقرب مني وضحكتُ معه دون سببٍ وجيه على الإطلاق.

"تعالي، دعينا نذهبُ بكِ إلى فراشِك." أخذَ مفيستوفيليس ذراعي بلطف وجبينه مجعّد. لقد أتقنَ تمثيل دوره حتى كادَ يُقنعني بأنه يهتمّ بي حقًا.

أفلتُّ من قبضته وأمسكتُ بحفنةٍ من تنّورتي وأنا أندفعُ بعيدًا. شعرتُ بملمس القماش الخشن رائعًا في أصابعي ورغبتُ فجأةً في القفز وركل ساقيّ عاليًا في الغرفة. لا عجب أن الجميع بدوا سعداء للغاية، هذا الإكسير سحرٌ خالص. مدّت امرأةٌ ترتدي قناعًا كاملًا يدها إليّ، مُلوّحةً لي بالانضمام إلى حيث ارتبطَت أذرُع العديد من النساء، وهنّ يؤدّين الركلات بانسجامٍ تامّ. فجأةً بدا فعل ذلك هو الأكثر منطقيّة.

دون تردّد عقدتُ ذراعي بذراعها وانضممتُ إلى المرح. خفقَ قلبي في صدري بِحيويّة وصخب. لم أشعر قطّ بهذه الحرّية من

قبل، بلا أحكام ولا قيود. عائلتي بأكملها ترفض سلوكي هذا، حتّى توماس لن يفهمه. لكنّني لم أهتمّ، ومهما كان نوع الظلام - من قتلٍ أو جريمة أو حزن - فقد حوّلتُه إلى بالونٍ يجبُ إطلاقه في الكون، وحرّرتُ كلّ شيء من داخلي.

كنتُ أركل ساقي أعلى في كلّ مرةٍ قمتُ فيها بتبديل قدمي، متجاهلةً حقيقة أنّني كشفتُ من جسدي أكثر ممّا اعتدتُ على إظهاره في الأماكن العامّة من قبل. أغمضتُ عينيّ، واندمجتُ مع الإيقاع من حولي... هذا إذًا هو شعور الحرّية المُطلقة.

أمسكَت يدان كبيرتان بخصري ورفعَتاني في الهواء، فضحكتُ وهززتُ تنّورتي والإثارة تجري في دمي. كانت ليزا على حق: الاستمتاع ببعض المرح لا ينتقص من جدّية الأمسية، بل هو طريقةٌ رائعة للتعامل معها. لقد أحاطَني الموت لكن الحياة كانت موجودة كذلك. في هذه اللحظات المسروقة قدّرتُ أهميّة وقيمة الحياة.

ضغطَت شفاهٌ بالقرب من أذني وملتُ نحوها بشكلٍ غريزيّ، ناسيةً للحظات مكاني ومع مَن كُنت. تمّ إنزالي على الأرض والتفتُّ ضاحكةً في اللحظة التي لمستُ فيها الأرض. اتّسعَت عينا مفيستوفيليس في صدمة وتعثّرَ متراجعًا، لكنني استمتعتُ لدرجة أنّي لم أشعر بخيبة أمل لرؤيته.

سألتُه: "هل يُمكنكَ فعل ذلك مرة أخرى من فضلك؟" تردّد لفترةٍ وجيزة، ثم اقتربَ مني وأدارَ جسدي قبل أن يرفعني ثانيةً فوق حلبة الرقص. مددتُ يديّ على اتساعهما إلى الجانبين وهو يقوم بتدويري. "أشعرُ كأنّني في حكايةٍ خياليّة."

أعادَني إلى أسفل بعينين مليئتين بالبهجة. "إذا كان مُرادُك هو

الحكايـة الخياليّـة فسـوف أصيبُـكِ بِلعنـة ثـم أحبسُـكِ فـي تابـوتٍ أو بـرجٍ مـن اختيـارك. ثـم سـأقبّلكِ لكـي تسـتيقظي ونعيـش فـي سـعادةٍ دائمـة. هكـذا تسـير الأمـور فـي العـادة كمـا تعلميـن."

هززتُ رأسي. "أنتَ ساحرٌ حقًا، أليسَ كذلك؟"

"بالنسبة لكِ أنا الأمير السّاحر يا آنسة وادزورث."

لـم نتحـدّث مـرّةً أخـرى لِسـاعاتٍ ربّمـا، لكنّنـي رقصـتُ وضحكـتُ، وأقنعـتُ نفسـي تقريبًـا أنّ مسـتقبل العمـل مـع الكرنفـال لـن يكـون أسـوأ مصيـرٍ لـي علـى الإطـلاق.



# 17
# شيءٌ في البطاقات

## مقصورة أودري روز - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

استيقظتُ قبل شروق الشمس، أنظرُ من كوّة مقصورتي مُراقبةً المياه السوداء تتحوّل إلى الذهبي بعد ارتفاع الشمس وامتدادها عبر الأفق. كان البحرُ هائجًا، يعِدُ بعاصفةٍ شتائيّة في اليوم التالي أو بعده. استدرتُ ولم أستطع منع ابتسامتي. لقد نامَت ليزا بهدوء، أطرافها متشابكة في الأغطية وشعرها متناثرٌ حولها مثل الكراميل المسكوب. ما زلتُ لا أصدّق أنّنا تسلّلنا إلى حفلة الكرنفال، وأنّني قد رقصتُ الكَنكان حقًا. كان ذلك تهوّرًا وذكراه أثارَت قلقي، ليسَ بسبب ما فعلتُه بل كم استمتعتُ به. تمنّيتُ فقط لو أنّ توماس قد انضمّ إلينا.

أبعدتُ ذلك عن ذهني، وانتقلتُ بهدوء إلى منضدة الزينة الصغيرة خاصّتي لأتصفّح ملاحظات المخطوطة التي كتبتُها في وقتٍ ما بعد عودتنا إلى المقصورة. لقد قمتُ بتضمين جميع الأحداث الغريبة التي واجهَتنا منذ صعودِنا على متن الإتروريا.

كتبتُ على قصاصةٍ من المخطوطة: "قُتِلت الآنسة آردن بالسمّ على الأرجح، رغمَ تعذّر تحديد الدليل. تم العثور على بطاقة

لعب أمام الجسد في مكان الجريمة: آس البستوني. لها صلة؟ أبوها طبيب. بطاقة التاروت: سبعة سيوف."

وعلى أخرى: "لفائف حرير مسروقة مع أوشحة."

وعلى ورقة ثالثة: "قُتِلت الآنسة كرينشو بالسمّ. لم يتمّ العثور على بطاقة لعب. بطاقة التاروت: النجم."

بعد محاولاتي البسيطة في فرز معاني بطاقات التاروت كان أفضل ما استطعتُ التوصّل إليه لمعنى بطاقة النجم هو "التحوّل". لكن لم أفهم كيف يتوافق ذلك مع القضيّة وسبب القتل.

الورقة التالية: "الآنسة بريسكوت أولى الضحايا، تمّ طعنها. عُثِر على ورقة اللعب: آس السّباتي. الأب كبير قضاة. بطاقة التاروت: عشرة سيوف، وتعني الخيانة. جرى طعنها في الظهر حرفيًا."

جلستُ وأصابعي تنقر على الأوراق. لا بدّ من وجود شيء ما يربطها جميعًا، أو ربّما كان هنالك لُغزان منفصلان في نفس الوقت. أحدهم يرتكب عمليات سطو صغيرة، بينما الآخر يقتل النساء ويعرضهنّ كبطاقات تاروت خرجَت إلى الحياة. اقشعرّ بدني. كنتُ أعلم أنّ توماس محقٌّ بشأن المجرمين الذين يستخدمون السفن للعبور الخفيّ بين القارات، لكن هل يُمكن أن يكون هناك مُجرمان على متن سفينتنا؟ افترضتُ أنه أمرٌ مُحتَمل، اثنان من بين بضع مئاتٍ من الركاب ليسَ عددًا كبيرًا على الإطلاق.

ما أردتُ فعله الآن هو الدخول إلى مقصورة الآنسة كرينشو. بعد اكتشاف كعكة الشوكولاتة في معدتها أردتُ مقارنة عيّنة من غرفتها.

طرقَ شخصٌ على بابي بخفّة، وفتحتُه على افتراض أنه خدمة شاي أو إحدى المُساعدات. أمسكتُ بثوبي لأضمّه إليّ وضيّقتُ

عينـيّ. بنظـرةٍ سـريعة فـوق كتفـي رأيـتُ ابنـة عمـي لا تـزال تشـخر بأنفاسٍ مُنتظمـة.

"مـن المبكّـر بعـض الشـيء أن تزورنـي يـا كريسـويل." سـحبتُه إلـى الداخـل ونظـرتُ خلفـه للتأكّـد مـن أنّ أحـدًا لـم يـره. "سـيظنّ النـاس أنّـكَ قضيـتَ الليلـة هنـا." تفحّصـتُ ميـلان شـفتيه واتّسـاع عينيـه، الشـرّير. "وهـذا بالضبـط مـا تتمنّـاه."

"لقـد جرحتِنـي بهـذا الاتهـام يـا وادزورث. هـل يجـب أن يكـون لـديّ دائمًـا دوافـع خفيّـة؟" رفـعَ يـده إلـى قلبـه وهـو يتظاهـر بالترنّـح. "ربمـا كنـتُ أجلـب لـكِ الشـاي ببسـاطة."

"آه، هـل هـذا مـا فعلتَـه؟" حدّقـتُ فـي يديـه الفارغتيـن. "انـسَ ذلـك، لقـد جئـتَ فـي الوقـت المناسـب. تعـالَ وانظـر إلـى هـؤلاء لكـن كُـن هادئًـا." أشـرتُ إلـى القرائـن العشـوائية مُحاولـةً تجاهـل حقيقـة أنّنـي أرتـدي رداءً خفيفًـا وأنّنـا فـي غرفـة النـوم، لكـن علـى الأقـل لـم نكـن لوحدنـا. إذا بـدأ فـي تقبيلـي فلسـتُ واثقـةً مـن رغبتـي فـي إيقافـه. لقـد اشـتقتُ إليـه كثيـرًا فـي الليلـة الماضيـة. "هـل تـرى أيّ نمـطٍ أو تفسـيرٍ لها؟"خلـع تومـاس قبعتـه وعبـرَ الغرفـة فـي خطـواتٍ قليلـة بأطرافـه الطويلـة. دفـعَ الأوراق حـول المكتـب عابسًـا علـى أحدهـا. "لقـد قُتِلـت الآنسـة بريسـكوت فـي الليلـة الأولـى لكـن الآنسـة كرينشـو اختفَـت قبـل أن نُبحـر. ترتيـب العثـور علـى الجثـث لا يُشـير بالضـرورة إلـى الترتيـب الزمنـيّ للقتـل."

واتَتنـي فكـرةٌ جديـدة فسـألتُه: "تومـاس، هـل سـتُعلّمني كيـف أضـع نفسـي فـي ذهنيّـة القاتـل؟ مثلمـا فعلـت أوّل مـرةٍ التقينـا؟"

قام بنقر فخذه بأصابعه. "في صفّ عمّك؟"

قلتُ وانتباهي نحو ابنة عمتي النائمة: "بلى، عندما تظاهرتَ أنّكَ حاك السفّاح خلال قتل الضحيّة الأولى. أريدُ تعلّم فعل ذلك الأمر. به لا يختلف كثيرًا عن أعمال السحر في الكرنفال أليسَ كذلك؟"

نظرَ إليّ توماس بغرابة. "أفترضُ أنّ كلاهما يشتمل على مستوى معيّن من التمثيل، لكنّني أعتقد أنّ طريقتي علميّة أكثر من ذلك الذي يتلاعب بالسيوف."

"مع ذلك، أريد -" جاءَت طرقةٌ أخرى على الباب وابتلعتُ كلماتي أسرع ممّا ابتلعَت أنيشا نيرانها. بدأتُ في دفع توماس نحو صندوق ملابسي لأخبّئه، وتحرّكَت ليزا لكنّها لم تستيقظ. "ادخل هناك... بسرعة!"

دون جدال حشرَ توماس نفسه في الصندوق - وهو إنجازٌ مُثير للإعجاب نظرًا لقوامه الطويل - ثم رميتُ إحدى عباءاتي فوقه على أمل أن يختفي تحت تنانيري الشبيهة بالخيَم. قمتُ بتعديل مقدّمة ردائي وفتحتُ الباب بمقدار بوصة.

رأيتُ مفيستوفيليس يتّكئ على دعامة الباب ناظرًا إلى ردائي، وشعرتُ بأنفاسي تزداد ثقلًا كأنّني قد تلقّيتُ عدّة لكمات. كان هذا أسوأ وضع مُمكن: لم أستطع السماح لتوماس بالاستماع إلى حديثنا بسبب الصفقة، ولم أستطع الاعتراف لسيّد الحلبة بوجود شابٍّ في غرفتي. إذا ذكرَ مفيستوفيليس شيئًا عن رقص الليلة الماضية فلن يتركني توماس حتى يفهم الأمر.

"مرحبًا آنسة وادزورث، هل كنتِ تتوقّعين شخصًا آخر؟ تبدينَ كمَن ابتلع بيضةً بالخطأ." همّ بالدخول لكنّني رفعتُ كفّي أمامه. "ماذا تفعل هنا؟"

قال: "يومٌ سعيدٌ لكِ أيضًا. إنه لأمرٌ عجيب، لا مشكلة لديكِ في اللقاء بي عند الزوايا المظلمة على السفينة أو في القدوم إلى مقصورتي في ساعاتٍ غير لائقة، لكن لا سمح الله أن أبدأ أنا اجتماعًا خاصًا، إنه عار."

قلتُ بصوتٍ مُنخفض: "إذا كنتَ ترغب في التحدّث معي فيجبُ أن تختارَ مكانًا علنيًا للّقاء، ويُفضّل أن أرتدي ملابس لائقة وأن يكون معي مُرافق."

"هل كانت ليزا مُرافِقتكِ في الليلة الماضية؟" نظرَ من حولي متظاهرًا بتفقّد مكاني. "هل تُخفين حبيبًا سرّيًا يجب أن أعلمَ به؟"

قلتُ مُشيرةً إلى الحقيبة الطبّية على منضدتي: "أنا في صدد تلميع مشارطي. إن لم تلتزم الحذر فقد أستخدم بعض تلك الشفرات على بدلاتك البرّاقة."

"التهديدات غير مُهذّبة ولا تليقُ بك." استنشق عميقًا مُتظاهرًا بالأذى، ثم استدار ليُغادر قبل أن يلتفت إليّ ثانيةً. حتى عند الفجر كان يضع قناعه، الذي انعكس عليه اللونان الأحمر والبرتقالي لشروق الشمس.

"آه، ويجب أن تُخبري السيد كريسويل بألّا ينسى قبّعته، أراها على تلك المنضدة خاصّتك. لا تُريدين أن يُكوّن الناس انطباعًا خاطئًا عنكِ، أليس كذلك؟ الحمد لله أن ابنة عمّتك تتظاهر بالنوم، وإلّا قد يبدأ الناس بالحديث حقًا."

قبل أن أتمكن من إنكار كلامه وضعَ سيّد الحلبة يديه في جيوبه وسارَ مُسرعًا عبر ممشى السفينة، حيثُ اندمجَ صفيرهُ البائس مع أصوات الرياح والأمواج. كوّرتُ يديّ في قبضتين، متمنّيةً القدرة

على تحشيد كُرهي له. الوجود بالقرب من شابّين يشعران بالحاجة إلى البوح بكل تفصيلةٍ مزعجةٍ يُلاحظانها أمرٌ كافٍ لإثارة جنون أيّ شخص.

فورَ إغلاق الباب دفعَ توماس الفستان وقال رافعًا حاجبيه: "قد يكون الوقت مناسبًا الآن للتحدّث بشأن مفيستوفيليس، خاصةً وأنّ عمّك قد طلبَ مني الاعتناء بك. ما الأمر المهمّ الذي دفعهُ لرؤيتكِ في هذه الساعة؟ ألا يعلم أنّ هذا المستوى من الوقاحة مقتصرٌ عليّ فقط؟"

مشيتُ إليه وانحنيتُ واضعةً يديّ على وجهه، مُستمتعةً بملمس بشرته الدافئة دون طبقةٍ من الحرير تفصلُ بيننا. "أعدُكَ أنّني سأخبركَ بكل شيء، لكن في الوقت الحالي أنا بحاجةٍ لارتداء ملابسي، وعليكَ المغادرة قبل أن يجدكَ أحد هنا."

بعد إلقاء نظرة على ابنة عمّتي 'النائمة'، ضغطتُ شفتيّ على شفتيه بلُطفٍ ورقّة في البداية، ثم تخلّيتُ عن ضبط النفس والتهذيب. لم يُبدِ توماس مانعًا من ذلك الإلهاء، بل شدّني إليه مع اشتعال قُبلاتنا. بجهدٍ كبير قبّلتُه أخيرًا بلطف ثم تراجعتُ جالسةً على السرير. كان ذلك بلا ريب شكلي المفضّل من ألعاب الخداع.

قُلت عاجزةً عن إخفاء ابتسامتي: "لا نريد أن يُكوّن أيّ شخص انطباعًا خاطئًا، كأن يفترض أنّنا كنا نتبادل القُبل هنا."

"بالتأكيد لا نريد ذلك." هزّ توماس رأسه، وبطريقةٍ ما كنّا نُقبّل بعضنا مرةً أخرى. "سيكون غير لائقًا للغاية، أن نكون لوحدِنا تقريبًا، في غرفة الفتاة التي أريدُ الزواج منها، والتي ترفضني باستمرار."

قلت: "توماس... أنا... أنتَ تعلم أنّني لا أرفضك. أريدُ فعل

هـذا بالطريقـة الصحيحـة. والـدي يسـتحقّ أن نُخبـره. رجـاءً لا تظـنّ هـذا دليـل تـردّدٍ مـن جانبـي، كنـتُ -"

"زفـاف؟" قفـزَت ليـزا مـن بيـن الأغطيـة وعيناهـا مُتّسـعتان ببهجـة. "يجـب أن أسـاعد فـي التخطيـط لذلـك! فـي أيّ موسـم تفكّـرون؟ سـيكون الربيـع خرافيًـا، بالزهـور والألـوان البرّاقـة! الشـتاء أيضًـا رائـع إذا أحسـنتُم اسـتغلاله. سـيبدو شـعركِ الأسـود خلّابًـا بالتبايُـن مـع البياضـات الجليديّـة."

"بالنسـبة للزفـاف أو حتّـى الفـرار فأنـا أؤيّـد أيّ موسـم أو مُناسَـبة."

قفـزَ مـن صنـدوق أمتعتـي ثـم سـاعدني علـى الوقـوف وهـو يُعطينـي قُبلـةً عفيفـة. التقـطَ قبعتـه مـن منضدتـي وابتسـم قائـلًا: "سـنقلق بشـأن التفاصيـل لاحقًـا." ألقـى نظـرةً علـى طاولـة القرائـن التـي وضعتُهـا سـابقًا. "فـي غضـون ذلـك سـأرى مـا يُمكننـي اكتشـافه عـن هـؤلاء. ربّمـا أجـدُ روابـط بينهـا. آه، ليـزا؟" وجّـه لهـا الابتسـامة. "أبـدو أخّـاذًا إلـى حـدٍّ مـا بالألـوان الفاتحـة، والربيـع علـى قـاب قوسـين أو أدنـى. ربّمـا تبدئيـن مـن هُنـاك."

حيّانـا بقبعتـه ثـم خـرجَ مـن مقصورتـي. عـدتُ إلـى صندوقـي لأبحث بيـن الحريـر والمخمـل بينمـا كانـت ليـزا تثرثـر عـن أفـكار للزفاف.

قالـت بنظـرةٍ حالمـة: "سـيكون والـدُكِ سـعيدًا للغايـة. لا أصـدّق أنّـكِ لـم تذكـري نواياه قبـل الآن. آمـلُ أن يتقـدّم لـي هـاري، نحـن ثنائـيٌّ متوافـقٌ أيضًـا، أليـس كذلـك؟"

شـعرتُ أنّ الرسـالة التـي سـلّمها لـي مفيسـتوفيليس تحتـرق فـي دُرج منضدتـي. إذا قرأتهـا ليـزا سـيتحطّم قلبهـا. ابتسـمتُ ابتسـامةً خفيفـة عاجـزةً عـن نقـل الأخبـار إليهـا.

"لا شـكّ لـديّ فـي أنّـكِ سـتتزوّجين مـن رجـلٍ يُسـعدُك علـى الـدوام."

كانـت الأسـرار التـي كتمتُهـا كثيـرةً لدرجـةٍ سـتفوق قُـدرة تحمّلـي قريبًـا.


بطاقة التاروت: البهلول
THE FOOL.



# 18
# البهلول

## ممشى الدرجة الأولى - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

وضعتُ يدي على ذراع توماس وحاولتُ عدم الحملقة في تغييرات السفينة ونحنُ في طريقنا عبر ممشى السفينة المُزدحم. لقد تمّت إعادة تزيين الغرف العامة والسطح المغطى الطويل من ممشى الدرجة الأولى بديكوراتٍ أشبه بخيَم كرنفال خاصّة في بازار عائم.

كانت غرفة التدخين الخاصة بالرجال ممتلئة بالمرايا المُشوّهة للصور، بينما امتلأت صالة الطعام بمُشاة الحبال الهوائية ولاعبي الأكروبات والمُهرّجين. ارتجفتُ من طلاء وجوههم المُبهرج، وقرّرتُ أنّني أفضّل فتح جثةٍ منتفخة على أن أكون محبوسةً في غرفة مع مهرّجٍ واحد. أسرعتُ خطاي حين اقترَبنا منهم وراح توماس يضحك. نظرتُ إليه عابسةً فضحكَ أكثر.

سألني: "تشريح الأمعاء قبل الغداء لا بأسَ به، لكن عند المهرّجين تنتهي حدودك؟ أنتِ لا تكفّين عن إدهاشي يا وادزورث. ماذا لو ارتديتُ مثلهم وطرقتُ بابك لاحقًا؟ هل سيُغمى عليكِ على ذراعي المُكشكشة؟ قد يستحقّ إنعاشُكِ عناء وضع المكياج

والـزيّ السـخيف."

قلـت: "لا تدفعنـي إلـى التسـلّل لوضـع العناكـب فـي مقصورتـك. لا أمانـعُ خـوض حـرب قـذرة."

تراقصَـت عينـاه الماكرتـان: "أنـتِ امـرأةٌ قاسـيةٌ حُلـوة. مـاذا يعنـي ازديـادُ انجذابـي إليـكِ بعـد هـذا التهديـد؟"

"يعني أنّكَ منحرفٌ نحو الظُلمات مثلي يا صديقي."

واصلنـا التقـدّم عبـر الممشـى حتـى توقّفنـا لمُشـاهدة سباسـتيان، فنـان طـيّ الجسـد، وهـو يلـوي جسـده بطـرقٍ حيّـرَت عقلـي الضليـع بعلـم التشـريح. رفـعَ ذقنـه مُرحّبًـا بنـا ثـم سـار عبـر سـطح السـفينة كمـا لـو كان عنكبوتًـا، وضحكـتُ بصـوتٍ عـالٍ عندمـا سـارع تومـاس للابتعـاد عنـه.

لـم أسـتطع إبطـاء نبضـي المتسـارع عندمـا وصلنـا إلـى صالـة الموسـيقى التـي جـرى تعديلُهـا حديثًـا. تألقـت لافتـةٌ بأحـرف مزخرفـة في المقدمـة، واعـدةً بـأنّ أسـرار الماضـي والحاضـر والمسـتقبل سيكشـفها 'أندريـاس المُذهـل، العـرّاف الغامـض الـذي يـرى كل شـيء'.

لـم يقُـم بتضميـن اسـم بطاقـة التـاروت التـي يُمثّلهـا - البهلـول - فـي لقبـه، وهـو اختيـارٌ ذكـي نظـرًا إلـى شـكّي فـي أن يجـذب ذلـك العديـد مـن المؤمنيـن بـه. توقفـتُ عـن المشـي وأرغمـتُ تومـاس علـى التوقّـف، عندمـا تذكـرتُ آخـر مـرةٍ قابلـتُ شـخصًا يدّعـي أنـه يـرى المسـتقبل. خـلال التحقيـق فـي قضايـا السـفّاح عـرَض رجـلٌ يدعـى روبـرت جيمـس ليـز المسـاعدة علـى سـكوتلانديارد، مُدّعيًـا أنـه علـى اتصـال مُباشـر مـع روح إحـدى الضحايـا. لـم نرغـب فـي التفريـط بـأيّ دليـل محتمـل، لـذا سـافرنا أنـا وتومـاس إلـى منزلـه وقبلنـا عرضـه بالاطـلاع علـى أسـرار أرواح الموتـى.

نزلَت قشعريرةٌ على فقرات ظهري لم تكن بسبب نسيم المُحيط البارد الذي جالَ عبر الممرّات المفتوحة في الهواء الطلق. ادعى السيّد ليز أنه تحدّثَ مع روح والدتي، ولم أصدّق ذلك الهراء الخياليّ لكنّني وجدتُ ما بحثتُ عنه تمامًا كما أخبرَتهُ روح أمّي. ربّما كان ذلك ضربة حظّ أو صدفة بحتة، لكنني شعرتُ بشيءٍ ما لديه، شيء يستحقّ بعض التحقيق. قد أكتشفُ دليلًا يفيدُ التحقيق الراهن يساعدُ على إيقاف جرائم القتل هذه إلى الأبد.

على متن هذه السفينة المليئة بالفجور الشيطانيّ بدا الأمل أخطر خطيئة من بين جميع الخطايا. شعرتُ أنه يدفعني إلى الأمام، ويسخرُ مني ويَعدُني بشيءٍ أعرفُ أنه مستحيل. كان أندرياس رجل استعراض وليس عرّافًا، ولن يستطيع إرشادي إلى قاتل هؤلاء النساء أو إخباري بشيءٍ عن أمّي.

تفحّصَ توماس اللافتة التي وقفتُ أمامها ثمّ وجهي. ابتسمَ بحزن وهو يُشرّح مشاعري ليصل إلى جذورها. في مثل هذه الأوقات كنتُ ممتنّةً لقُدرته الخارقة على قراءة مزاجي.

سأل: "هل ترغبين في قراءة مستقبلكِ على يد أندرياس المُذهل؟"

"أنتَ لا تؤمن بالقدر أو الطّالع."

"نعم لا أؤمن." ابتسمَ ابتسامةً عريضة أمام تعبير وجهي الغاضب. من الجنون أن يكون نفس الرجل ساحرًا في لحظة وجارحًا مثل شفرةٍ في اللحظة التي تليها. "نلتقي هنا بعد قليل."

نظرتُ إلى الستائر المخططة بالأبيض والأسود المُعلّقة في مكان الباب، وعضضتُ شفتي. "هل هذه طريقة مُهذّبة للقول أنّكَ

لـن تنضـمّ إلـي؟ مـاذا عـن طلـب العـمّ بـأن ترافقنـي فـي كل مـكان؟ لـن تسـمحَ لـي بالإفـلات هكـذا."

"لـن أكـون حارسَـكِ أبـدًا يـا أودري روز." اختفَـت علامـات المـزاح عـن وجـه تومـاس وهـو يرفـع يـدي إلـى شـفتيه ليطبـع عليهـا قُبلـة، مُتسببًا فـي تسـارع قلبـي لسـببٍ جديـد. "كمـا إنّهـا لفتـةٌ فـي غايـة الكـرم منّـي ألّا أقـوم بإبهـاركِ أنـتِ وأندريـاس المُذهـل بمهاراتـي الفائقـة فـي التكهّـن بالمسـتقبل." ضحـكَ عندمـا قلبـتُ عينـيّ. "هـذا وقـد رأيـتُ محـلًا علـى السـطح الرئيسـي يبيـع معجّنـاتٍ مقليّـة فـي الزبـدة الذائبـة ومغطّـاة بالسـكّر."

قلـتُ بهـزّةٍ خفيفـة مـن رأسـي: "أنـتَ تتخلـى عنـي مـن أجـل الحلويـات. مـا أروعَ كرمـك."

"لا تغـاري مـن المعجّنـات يـا حبيبتـي. قشـرتها الذهبيـة وطعمهـا الزبـديّ لا يُقارَنـان مطلقًـا بشـخصيّتك اللذيـذة." نظـرَ تومـاس إلـى اللافتـة مـرةً أخـرى وشـفتاه ترتعـدان. "حسـنًا... لنعقـد صفقـة، بمـا أنّ هـذه الأشـياء موضـةٌ مجنونـة هنـا. سـأمنحُكِ خمـس دقائـق للدخـول وعشـر دقائـق أخـرى لأندريـاس المُذهـل لاسـتدعاء الأشـباح وإقناعهـم بالبقـاء لتنـاول الشـاي والدردشـة. ثـمّ سـأعود."

سألتُه: "كيف تكون هذه صفقة؟"

"ليسَـت صفقـةً حقًـا، كنـتُ أختبـر مـدى انتباهِـك." ألقيـتُ نظـرةً حـادّةً عليـه فرفـعَ يديـه فـي استسـلامٍ وهمـيّ. "مزحـة، تعرفيـن... تلـك الأمـور التـي لا أجيدُهـا مطلقًـا لكنّنـي أمارسُـها رغـمَ ذلـك؟" انحنـى وشـفتاه تلمـس أذنـي، لتشـبَّ فـيَّ رغبـةٌ بعيـدة عـن الضحـك. "ربمـا أجلـبُ لـكِ حلـوى أيضًـا."

ابتسمتُ بنعومة. "اعتقدتُ أنّ مجرّد وجودي معك حلوٌ بما يكفي." قبل أن يتمكّن من التذاكي بعباراته المعتادة قمتُ بفتح الستائر المخطّطة ودخلتُ إلى وكر العرّاف.

في الداخل تعلّقَت ثريّا كريستاليّة من سقفٍ بدا أنه يمتدّ إلى السماء. تجمّعَت طبقاتٌ من الحرير الأبيض والأسود حول مصادر الإضاءة، مثبّتةً بطريقة تُعطي منظرًا كأنّكَ تحت خيمةٍ ضخمة. قطرَت الشموع الفضّية الشمع على الشمعدانات المصنوعة من الحديد المطاوع، وُضِعَت متباعدةً بالتساوي في جميع أنحاء الغرفة الداخلية.

من بين الظلال ظهرَ أندرياس، وأخذتُ نفسًا عميقًا. كان قناعه بلون الدم الطازج، ذكّرَني بجمجمةٍ تم حرقُ لحمها مؤخرًا. وقفَ هناك للحظةٍ دون أدنى حركة، مُتيحًا لي فرصة تفحّصه. كان يرتدي معطفًا كحليًا مطرزًا بنجومٍ فضّية وبنطلونًا أسود وقفّازات.

انحنى عند خصره، بشعره الأشقر الشاحب لدرجةٍ تقترب من البياض، وقال بلكنةٍ أجنبيّة: "عفوًا بشأن دخولي يا آنسة وادزورث. روحي تسافر في العالم الوسطيّ، مضطربةً وهائجة، في بحثٍ مستمرّ بين الماضي والحاضر والمستقبل، لكنّني أجدُ الوقت لأكونَ موجةً ساكنة." حاولتُ فهم ذلك وفشلت. "أنا أندرياس المُذهل، مرحبًا بكِ في حجرة التنبّؤ خاصّتي."

"من الجيّد رؤيتكَ مرةً أخرى." أومأتُ برأسي في تحيّة ودخلتُ الغرفة. رأيتُ وسائد ذات حافاتٍ فضّية مُكدّسة في مجموعات، رغمَ وجود مقاعد وكراسي وطاولات أيضًا، مع مبخّراتٍ مُعلّقة في طبقاتٍ مُتدرّجة في إحدى الزوايا ملأت الغرفة برائحةٍ حارةٍ وجذّابة

ذكّرَتني بمفيستوفيليس. عضضتُ شفتي في حيرةٍ من أمري: شعرتُ أنّ الجلوس على الأرض غير لائق، رغمَ أنّ وجودي مع رجلٍ مقنّع لوحدنا أمرٌ مكروهٌ بما فيه الكفاية.

"اجلسي من فضلك."

أشارَ أندرياس المُذهل إلى مرآةٍ كبيرة نوعًا ما، كانت تستند على الحائط، طويلة وشكلها مخيفٌ بعض الشيء بالنسبة لكونها قطعة أثاث متواضعة. قال: "هذه المرآة تملك سحرًا من بافاريا. إنها ليسَت مرآةً عادية، إذ لديها القدرة على إظهار مستقبلك." مسح بيديه على مقدّمة سترته اللطيفة، نافخًا صدره قليلًا. "حسب علمي فإنّ دقّتها تُقارب مئةً بالمئة في إظهار هويّة زوجِك. معظم الشابّات يغادرنَها راضياتٍ تمامًا."

كم هذا مخيبٌ للآمال حقًا. سألتُه: "هل هذا كلّ ما تفعله؟ اعتقدتُ أنها تُظهر مستقبل المرء. ماذا لو لم يكن هناك زواجٌ في حياتي؟ ألن تُظهر مهنتي أو أيّ شيءٍ آخر؟ هُناك مَن تُفضّل عدم الزواج مطلقًا. ماذا يظهر لهنّ في المرآة؟"

رمقَني أندرياس بنظرةٍ تُشبه نظرة شخصٍ يحمل وعاء غرفةٍ[1] كريه الرائحة، مع ذلك حافظَت نبرته على الودّية عندما تحدّث: "لكي تعمل التعويذة بشكلٍ صحيح أحتاجُ إلى عقد يديكِ بشريطٍ قصير خلف ظهرك." أخرجَ شريطًا سميكًا من الساتن الأسود من معطفه رفرفَ طرفه بطريقةٍ دراماتيكية. "مع غطاءٍ على عينيك. عمل التعاويذ حساسٌ للغاية كما تعلمين."

---

1- وعاء غُرفة: وعاء بديل عن المرحاض في الغرف التي تفتقر إلى إمكانية بنائه. (المُترجم)

زممتُ شفتي على أمل احتواء الردّ الفظّ الذي خطرَ على بالي. الآن فهمتُ لماذا أطلقوا عليه اسم البهلول (الأحمق). من الحماقة اعتقاده أنّني سأوافق على أن يُقيّدني ويعصبُ عينيّ وأنا لوحدي معه. هل جميع الشباب في هذا الكرنفال أوغاد؟ بعد دقيقةٍ قُلت: "حقًا، الأمر حسّاس."

تنهّدَ في أول صوتٍ منه خارج دوره التمثيليّ قبل أن يقول: "يعتقدُ مفيستوفيليس أنها فعاليّةٌ جيّدة للعرض الختاميّ. قال أنّ عصابة العين تُوفّر الأجواء المناسبة لها."

حدّقتُ في المرآة الضبابيّة دون اقتناعٍ بأنّ مثل هذا الشيء القذر صالحٌ للعرض حقًا. "حسنًا، نظرًا لأنّ مفيستوفيليس ليس هنا فأعتقدُ أنّنا في مأمنٍ من الاستماع إلى مطالبه." نظرتُ حولي حتى ركّزتُ على مجموعة من الأوراق. أشرتُ لها قائلةً: "أفضّلُ قراءة الطالع بأوراق التاروت. قد ينفعنا في تحقيقنا."

لم يبدُ أندرياس متلهّفًا لِعصيان سيّد الحلبة لكنه ابتسم. "كما تشائين."

دون مزيدٍ من التعليق جلستُ على المقعد المبطّن وأبقيتُ انتباهي على البطاقات التي كان يخلطُها. رأيتُ قفاها فقط لكنّها صُنِعت بجمال وبريشةِ فنّانٍ ماهر. كانت أكثر قتامةً من الليل، مع زركشةٍ فضّية في كل زاوية وقمر أسود مع هلال لؤلؤي على أحد الجانبين. تمّ رسم النجوم الفضّية فوق وأسفل وعلى جانبي القمر.

لاحظَ أندرياس إعجابي بها فرفعَ إحداها. "هل لي أن أقدّم لكِ التاروت الفريد الخاصّ بسيرك ضوء القمر." ابتسم بخجل أمام دهشتي وأردف: "قامَ مفيستوفيليس بإضافة ثيمة كرنفال ضوء

القمر في كل التفاصيل، حتى في شيء صغير غير مهمّ مثل بطاقات التاروت."

قلبَ البطاقة في اتجاهين مستعرضًا البريق الرائع للخطوط الفضية، لكنه لم يكشف عن الصورة في المقدّمة. كان هُناك رقما (ثمانية) متشابكان في الجزء العلوي والسفلي من البطاقات، ذكّراني بشيءٍ لم أميّزه.

"هل رسمتَ هؤلاء؟" سألتُه وأنا أبذل قصارى جهدي لكيلا أنتزع البطاقة من يده. لقد تقتُ لِقلبها ورؤية الرسم الرائع الذي عرفتُ بوجوده على الوجه الآخر. "إنها رائعةٌ للغاية. لم أر طلاءًا لامعًا مثل هذا من قبل."

قال وهو يهزّ رأسه: "لم أرسمها، بل مفيستوفيليس صنعَها بنفسه. إنه يُفضّل... تعليم الجميع قراءة الطّالع والتاروت. نحن نعجز عن الانضمام إلى الكرنفال حتى نُتقنها." ضحكَ واستمرّ في خلط الأوراق، تاركني أتساءل عمّا لم يقُله.

"إذن كلّ فنان على درايةٍ جيّدة بورق اللعب والتاروت؟"

أومأ أندرياس برأسه دون الخوض في التفاصيل. "هل هذه تجربتُكِ الأولى مع التاروت؟"

بغضّ النظر عن الجثث التي وجدناها، لكنّني لم أشعر أنّها جوابٌ مُناسب. بدلًا عن ذلك أومأتُ برأسي موافقةً، ونمَت فكرةٌ جديدة في ذهني. شاهدتُ العرّاف يخلط الأوراق وأفكاري تدور. إذا كان مفيستوفيليس مَن يصنع البطاقات فهل يُمكن أن يكون هو مَن يتركها مع الجثث؟ هززتُ نفسي من هذه الفكرة غير المنطقية. لم يكن الرجل قاتلًا. راقبتُ أندرياس مرةً أخرى. من الواضح أنه بارعٌ

في التاروت ومعانيها المختلفة، لكن الأمر كذلك مع باقي الفنّانين أيضًا بفضل مفيستوفيليس.

"إذا كنتَ أنتَ العرّاف فلماذا يحتاج الجميع إلى معرفة معاني البطاقات؟"

حكّ أندرياس قفا رقبته. "يدفع الناس مبالغ جيدة مُقابل معرفة مستقبلهم. عندما نكون في مدينةٍ جديدة غالبًا ما ننشئ خيمًا متعددة لقراءات التاروت أو نذهب إلى حاناتٍ مختلفة. أحيانًا يلعب سباستيان الدور، وأحيانًا حتى جِيان، وهكذا يمكننا مضاعفة دخلنا ثلاث مرّات. إنه عملٌ ناجح. الآن،" وضع أندرياس البطاقات مقلوبةً للأسفل أمامي. "إنه دورُك. قومي بتقليب المجموعة حتى تشعرين بأنّ إحداها تتحدّث إليكِ. احذري، قد يكون مجرد همس، لذا استمِعي جيّدًا."

مددتُ يدي نحوها ثم سحبتُها. "ماذا لو لم تقُل البطاقات شيئًا؟"

قال أندرياس: "ستفعل. إغماض العينين والتركيز على سؤال واحد يُساعد في ذلك. ما شعورُك حيال نفسك وطريقُك في الحياة؟ فكّري في ذلك فقط واغمضي عينيكِ واخلطيها. سيكشف الجواب عن نفسه."

فعلتُ ما طلبه، ولم أستطع منع نفسي من الشعور بالسخافة وأنا أخلطُ البطاقات خلال تركيزي على العديد من المشاعر. من الغباء أن تُخبرني البطاقات بشيءٍ عن نفسي لم أعرفه بالفعل. كان اقتناعي بفكرة زيارة العرّاف دليلًا على مدى تأثير هذا الكرنفال السخيف على عقلي وتفكيري المنطقيّ. ربما سُمّيَ أندرياس بالبهلول تيمّنًا

بالأشخاص الذين يجذبهم إلى خيمته مثلي.

فجأةً شعرتُ بحركة سحبٍ خفيفة في داخلي... شيءٌ غريب يُقاوم الانتقال إلى البطاقة التالية. فتحتُ عينيّ بذهول... كيف بحقّ-

"أرأيتِ؟ الأرواح تتحدّث في همساتٍ وحركات." ابتسمَ أندرياس ابتسامته الصابرة وطرقَ على الطاولة أمامه. من المؤكد أنه لم يبدُ قاتلًا في هذا التعبير، لكنني لن أستبعدهُ بناءً على ذلك. "ضعي أول ورقةٍ هنا، اقلبيها للأسفل. سنقوم بوضع ستّ أوراق ثم نقلبها فورَ سحبها جميعًا، حسنًا؟"

"حسنًا." تنفّستُ بعمق غير واثقة من صحة ذلك، لكن البديل كان مشاهدة عمّي يُقلّب خضرواته ويتشاجر مع السيدة هارفي خلال تناولها الحلوى.

"هذه المرّة أريدُك أن تركّزي على أعمق رغبات قلبك. ما الحقيقة التي تُخفيها حتى عن نفسك؟"

أغمضتُ عينيّ بقوّة محاولةً إيجاد شيءٍ مخفيّ عني، بمجرّد أن شعرتُ بنفس المقاومة الغريبة سحبتُ بطاقةً أخرى. كانت الأسئلة الأربعة التالية عن مخاوفي، وما الذي يعمل بجانبي في الحياة، وما القوى التي تتآمر ضدّي، وما ستكون نتيجة كلّ ذلك. شعرتُ بالرضا لأنني أخذتُ دوري على محمل الجدّ عندما قلبَ أندرياس البطاقة الأولى، كاشفًا عن رجلٍ مُلتحٍ يقف وحيدًا على قمّة جبلٍ متجمّد، والسماء خلفه باللونين الأسود والرمادي.

"آه، النّاسِك. هذه البطاقة تُشير إلى ما تشعرين به حيال نفسك، لذا فأنا أراهِن أنّكِ في خضمّ صراعٍ داخليّ. من المحتمل أنّ لديكِ العديد من الأسئلة، وتشعرين بالوحدة، وربّما نفدَ صبرك. حان

الوقت الآن للتراجع حتى تجدي إجاباتٍ لما يُزعجك."

"ممم." رمشتُ ناظرةً إلى البطاقة والإنكار يجرّ فمي إلى العبوس. كانت ضربة حظّ، حظّ غبيّ جعلَ البطاقة الأولى تحمل شيئًا من الحقيقة. كنتُ فعلًا أشعرُ بالوحدة وبحاجةٍ إلى إجابات. كان عليّ حلّ الكثير من الألغاز، وبسبب الصفقة التي أبرمتُها مع مفيستوفيليس لم أستطع حتّى توظيف توماس لحلّ بعض المشاكل التي واجهَتني. ستكون الأمور أسهل بكثير مع شريكي، لقد كرهتُ الانسحاب بمُفردي.

لم أرغب في التكلم عن شيء، لذا قلبتُ البطاقة التالية. كان عليها شابٌّ مُقنّع في لباس المهرّجين يرقصُ بطريقةٍ خرقاء. من الواضح أنّ دواخلي تشعرُ أنّني مُهرّجة. يا للروعة. وفقًا لهذه البطاقة فإنّ أكثر شيءٍ تقتُ إليه هو أن أكون بهلولة، ولا بدّ أنها كانت مُحقّةً أيضًا. كانت الأمسية برمّتها إلهاءً أحمق بالكاد تحمّلتُه، وأنا أجلسُ هناك أنتظرُ قراءة بطاقاتي بكلّ سذاجة.

"البهلول، اختيارٌ مثير للاهتمام. إنها البطاقة الوحيدة في التاروت التي ترمز إلى اللانهاية." شبكَ أندرياس أصابعه وحدّق في عينيّ بلا خجل. "هل هُناك شخصٌ في حياتك غير واثقة منه؟ ربّما عاشقٌ أو خاطبٌ مُحتمل؟ تُشير هذه البطاقة إلى أنه قد تكون لديكِ مشاعر مُتضاربة تجاه شخص ما... مفيستوفيليس أو -"

قلبتُ البطاقة التالية. لم أرغب مجددًا حتّى في التفكير في الأمر. "العالَم. ماذا يعني هذا؟"

كانت تحفةً فنّية أخرى، امرأةٌ شابّة تقوم بأرجحة هراوتَين، وذيلُ فستانها الخزامي يطفو تحت نسيمٍ غير مرئيّ. في كل ركن من أركان

البطاقة كان هناك وحشٌ مختلف: رجلٌ ونسرٌ وثور وأسدٌ مُجنّح. نقرَ أندرياس على البطاقة قائلًا: "هذه تُمثّل مخاوفك. أنتِ على وشك الاستسلام لأنكِ تخشَين الفشل." قلبتُ البطاقتَين التاليتَين: الإمبراطورة والشمس، ما كان معي وضدّي. "الإمبراطورة وقتُ الحصاد. إنه وقتٌ رائع لتكوين أسرة أو مواصلة شغفك. من ناحيةٍ أخرى تُسبّب الشمس بعض التأخيرات. إذا قمتِ بالمثابرة فسوف تُحقّقين ما تسعَين إليه في لحظات المجد والنار."

زفرتُ بقوّة من أنفي. كانت كلها قُمامة، لكن عليّ الاعتراف أنها دقيقةٌ بشكلٍ مُقلق بالنسبة لأزمتي الحاليّة.

"أندرياس؟" سألتُه قبل رؤية بطاقتي الأخيرة. "ماذا تعني بطاقة النّجم؟"

استغربَ للحظةٍ بسبب تغيير اهتمامي، ثم عقدَ حاجبيه مُفكّرًا. "النّجم بطاقةٌ مثيرة للاهتمام. يتعلق الأمر بالتحوّل الشخصيّ... الأمل... ومُباركة مساعيك، رغمَ وجود العديد من الطرق الأخرى التي يُمكن دمجها في قراءتها. لماذا السؤال؟"

"فضولٌ بسيط." لم أشأ خوض نقاش حول ضحيّة القتل الأخيرة، لذا قلبتُ آخر بطاقةٍ وعبستُ عليها. لم أحتَج لقراءة الاسم في الأسفل، لأنّ الفنّان أجادَ رسم صورةٍ شخصيّة له. ابتسم شبيهُ مفيستوفيليس في وجهي، واللمعان الشرّير في عينيه نسخةٌ طبق الأصل من الشابّ في الواقع.

قال أندرياس دون رفع عينيه عن البطاقة: "السّاحر هي النتيجة المرجّحة في مستقبلك. احذري من عقد صفقات لا يُمكنك الوفاء بها. الشيطانُ مُحتال وهو داخلنا جميعًا. غالبًا ما يجعلُك تصدّقين

أمرًا ما، بينما يُخفي الحقيقة على مرأى من الجميع." اقشعرّ جسدي عند هذه الكلمات، لكونها تشبه إلى حد كبير أفكاري السابقة. عضّ أندرياس شفته وبدا أنه يزنُ كلماته التالية بعناية. "احذري ممَّن تُعطين قلبكِ له، واحذري أكثر من أولئك الذين يسعَون إلى سرقته."



# 19
# اتصالٌ مقطوع

## ممشى السفينة - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

اتّكأ توماس على الحائط المُقابل لغرفة الموسيقى، وهو يُنهي آخر قطعة من معجّناته المقليّة. ابتسمَ ابتسامةً عريضة وهو ينظر إليّ قرب الخيمة المُصطنعة للعرّاف ثم رفعَ قطعةً ثانية من المعجّنات المغطّاة بالسكّر.

"أقسمُ أنّني كنتُ سأنقِذُك من أندرياس المُذهل... فور انتهائي من معجّناتي الحلوة، تفضّلي." - سلّمَني قطعتي - "أخبريني أنّ هذه ليسَت ألذّ شيءٍ تذوّقتِه على الإطلاق. بغضّ النظر عنّي بطبيعة الحال."

ضحكت. كان توماس وغدًا ومُغازلًا مُريعًا، لكنّني لم أنكر الاستمتاع معه. لقد دبَّ عدم الارتياح فيَّ عند رؤية بطاقة الساحر مع معرفة عدد الفنّانين الماهرين في التاروت، إلّا أنني وضعتُ قطعة العجين المقليّة في فمي وكدتُ أتأوه: كانت حقًا من ألذّ الأشياء التي تناولتُها على الإطلاق.

"هل أحتاج لمعرفة كمّية الزبدة التي استخدموها لجعل طعمها رائعًا هكذا؟"

"ممم." تظاهر توماس بالتفكير في الأمر للحظة. "ربما لا يا وادزورث. وبالتأكيد لا ترغبين في معرفة كمّية السكّر التي رشّوها عليها فور خروجها من حمّام الزبدة." قدّم لي ذراعه وشققنا طريقنا ببطء نحو الصالة. "هل أخبرَكِ أندرياس بلمحةٍ مُذهلة عن مستقبلك؟ سمعتُ أنّ مرآته السحريّة باتت موضةً رائجة. كانت امرأةً شابة تتحدّث بصوتٍ عالٍ عن زوجها المستقبلي، يبدو أنّها رأت انعكاس صورته في المرآة ولم تكن راضية."

نظرتُ إليه بارتباك لكنّني لم أعلّق.

"أظنّكِ مذهولةً هكذا من مدى روعة أطفالنا. أراهنُ أنّهم يُشبهونني أكثر. جينات كريسويل خاصّتي عظيمةٌ للغاية، رغمَ أنّكِ أيضًا ستصنعين صغارًا جميلين بمُفردك." ربّتَ على يدي بلطف. "حاولي ألا تقسي على نفسك، لا يسعنا إثبات مَن منّا الأجمل."

توقّفتُ عن المشي فاغرة الفاه. "أطفالنا؟"

أمالَ توماس رأسه. "تعرفين... البشر الأصغر حجمًا الذين يصقون على الأشياء ويطلبون قدرًا غير لائق من الاهتمام حتّى يكبروا؟ أتخيّل أنه سيكون لدينا مجموعةٌ كاملة منهم."

"لا يُمكن أن تكون جادًّا، أنا -"

سارَ مفيستوفيليس في الممرّ مع جِيان وأنيشا، وارتعشَت شفتاه بابتسامته المميزة عندما نظرَ إلينا. انفصلَ عن الفنّانين وصافحَ بعض الركاب المتحمّسين وهو يقترب منا. صلّيتُ بصمت لئلّا يذكُر رقصنا في الليلة الماضية.

"يا لها من مفاجأةٍ سعيدة الحظّ يا آنسة وادزورث." أخذَ يدي مُتظاهرًا بتقبيلها، وهو يسحب وردةً زرقاء من الهواء.

"وردةٌ من أجل أودري روز الجميلة."

قال توماس: "آه، رائع. لقد قرّر إبليس شقّ طريقه للخروج من الجحيم والانضمام إلينا، لكنّني لم أعلم أنه يقوم بِحيلٍ دون المستوى."

وجهَ سيّد الحلبة انتباهه إلى رفيقي كأنه يُلاحظه لأوّل مرة. "إبليس، الشيطان، أمير العالم السفليّ. دعونا لا ننسى أنّ لوسيفر ملاكٌ ضالّ. أتخيّلهُ وسيمًا للغاية. إذا كان الدور يُناسبني..." هزّ مفيستوفيليس كتفيه. "على أيّة حال، من المثير دائمًا رؤيتُك يا سيّد كريسويل، لكن إذا سمحتَ لنا فأنا بحاجةٍ للتحدّث مع" - حدّق عمدًا في إصبعي الخالي من الخاتم - "صديقتك، أليسَ كذلك؟" لم يبتسم مفيستوفيليس ثانيةً لكن الرضا انتابه عندما تقلص فكّ توماس. "لا تقلق، سأعيدُها إليكَ قريبًا. إذا كانت ترغب في العودة بالطبع."

وقفَ توماس هناك وأصابعه تنقر على جانبيه. لم أعرف ما إذا كان ينتظر ردّي الرافض أو يُفكّر في غضب عمّي إذا اكتشف أنّني أتجوّل لوحدي مع شخصٍ لم يوافق عليه. نظرتُ إلى مفيستوفيليس وعضضتُ شفتي. لم أرغب في التخلّي عن توماس، لكن لا بد من حدوث أمر مهم دفعَ سيّد الحلبة إلى التحدّث معي قبل الاجتماع المقرّر. تقدّمتُ خطوةً في اتجاهه ثمّ توقّفت.

تنفّسَ توماس بعمق قائلًا: "إذا صادفتُ عمّك سأخبره أنّكِ بحاجة إلى مزيدٍ من الوقت للاستعداد. قابليني خارج مقصورتك بعد نصف ساعة."

"توماس،" حاولتُ مدّ يدي إليه لكنّني أسقطتُ ذراعي. "شكرًا لك."

"شُكري ليس ضروريًا." انحنى نحوي ليُقبّل خدّي دون اكتراثٍ لجمهورنا العابس. "أنتِ دومًا حرّةٌ في فعل ما يحلو لكِ. حتى لو اخترتِ اتّباع رجلٍ غريب يرتدي بدلةً مُزوّقة في أحشاء سفينةٍ بخاريّة بينما يقوم شخصٌ ما في عروضهِ بذبح النساء." لمعَت البهجة في عينيه عندما زفرَ رئيس الحلبة بصوتٍ عال. "أراكِ بعد قليل."

"إذا كانت بدلتي مُزوّقةً للغاية فلماذا تُحدّق بها كأنها حبّكَ الحقيقي؟"

قُلت: "توماس، لا تُعلّق على سترته. لقد فاتَتهُ قيلولة المساء ومزاجه مُتعكّر."

"بلى، كان هناك مكانٌ واحد فقط مُتاح في عنبر النوم وأعتقدُ أنّ السيّد كريسويل يجب أن يأخذه."

أخفيتُ ابتسامتي بينما حدّقَ توماس في سيّد الحلبة كأنهُ جثةٌ متحرّكة.

"آنسة وادزورث؟" سأل مفيستوفيليس بلهجةٍ تفتقر إلى اللياقة أو الصبر. "هلّا سمحتِ؟"

قدّم لي ذراعه لكنّني تجاهلتُه وانطلقتُ نحو ممشى السفينة دون مُساعدة. لقد كنتُ أصلًا في مزاجٍ سيّء بفضل قراءة التاروت، والآن بعد الظهور المفاجئ لمفيستوفيليس - الشيطان بعينه - باتَ مزاجي أكثر تعاسة. مضطربةٌ حيالَ مشاعري؟ هه، سيَرى أندرياس كم كانت أوراقه على خطأ.

فورَ وصولنا إلى نهاية السفينة الخالية من الركّاب والفنّانين على حدٍّ سواء، استدرتُ نحوه. "أنتَ تُحاول إزعاج توماس وهذا ليس عدلًا بالنسبة لي. عندما وافقتُ على مُساعدتك كان من المفترض

أيضًا أن أستفيد، هل تذكُر؟ هذا" - أشرتُ بإصبعي إلينا - "ليسَ مُفيدًا. ما الحدث المُهم لدرجة أنّكَ تحتاج إلى مُساعدتي في هذه اللحظة؟ بدوتَ مُستمتعًا مع جيان وأنيشا هناك، وليسَ باحثًا عنّي."

"ليسَ هُنا." أشارَ مفيستوفيليس نحو الممر المؤدي إلى الطوابق السفليّة. حاولتُ إخفاء ارتجافي عندما دخلنا المكان ذا الإنارة الخافتة قبل أن ننزل بسرعة على الدرج الضيّق. تردّد صدى خطواتنا عبر السلالم المعدنية مُنبّهًا الجميع إلى وصولنا. أردتُ أن أسأل عن أوراق اللعب وعن دور قراءة الطّالع المُحتَمل في جرائم القتل، لكنّني لم أرغب في فعل ذلك ونحن بهذا البُعد عن الآخرين.

وصلنا إلى نهاية السلالم، ودُهشتُ عندما رأيتُ مساحة تخزين هائلة تمتدّ لما لا يقلّ عن ربع هيكل السفينة بأكمله. قفصٌ بعد قفص من القضبان الحديدية والحيوانات الغريبة تصطّفُ على جانبي الغرفة الكهفيّة. قرودٌ ونمور وأسود وفيلة وذئاب أشدّ بياضًا من الثلج. توقّفتُ بالقرب من الحمير الوحشية معجبةً بألوانها المُتباينة.

"حسنًا؟" واجهتُ سيّد الحلبة ويدي على خصري. "ما المسألة العاجلة لديك؟"

عندما وقفتُ هناك لوحدي معه حاولتُ ألّا أفكّر في الليلة الماضية، بيديه على خصري وأنا أضحك كما لو كنتُ شخصًا آخر وهو يدورُ بي. كم غمرَتني الحرّية في تلك اللحظات.

"لقد لاحظتُ أنّكِ لم تُعطي الرسالة إلى ليزا بعد." مرّر يديه ذات القفّاز على جانب القفص، وتفحّصهما قبل أن يرفعهما. "هل تُفضّلين لو فعلتُ أنا ذلك؟ يُمكنكِ عندها التصرّف كأنّ يديكِ غير ملطّخة بقُبح الأمر."

"هل هذا سبب رغبتكَ في التحدّث؟" غضبتُ من لهجته. "كيف يكون فتح أعيُن المرء على الحقيقة أمرًا فظيعًا؟"

توقّف عن السير في صفّ الأقفاص ليُواجهني. "في بعض الأحيان نختار عدم رؤية الأشياء التي نعرف أنها صحيحة، وذلك ببساطة لأننا نرغب في الحفاظ على خيالٍ كان يُمكن أن يتحقّق. رؤية الأشياء على حقيقتها قد تمحو هذا الأمل، وهو من الآثار الجانبيّة المؤسفة. كعالمةٍ يجب أن تعرفي ذلك. لا يُمكنكِ دومًا إزالة الورم دون رفع القليل من الأنسجة السليمة المُحيطة به، صحيح؟"

عقدتُ ذراعيّ على صدري. "كلا، أنا لا أطلبُ مُساعدتك. ولا أريدُ التطرّق إلى شاعريّة تشبيه قول الحقيقة بإزالة الورم أو أيّ هراءٍ آخر من هذا القبيل. هل هناك شيءٌ آخر تحتاجه أم أنّكَ كنتَ تنوي مُضايقتي فقط؟"

قال: "لقد غضبتِ بسرعةٍ كبيرة. أنا أستمتعُ بالفوضى، أتذكرين؟ أحبُّ دراسة ردود الفعل، ولم تكوني سريعةً في التخلّص مني في الليلة الماضية."

تسلّل احمرارٌ عبرَ بشرتي.

"هل لديكَ كلماتٌ أخيرة عن الحكمة، أم أعودُ إلى الكرنفال؟"

وقفَ مفيستوفيليس قربَ قفص الأسد، وتقلّصَت عضلةٌ في فكه بانزعاج. "أعتذرُ عن مقاطعة أمسيتكِ الرومانسيّة يا آنسة وادزورث، لكنّني اعتقدتُ أنّكِ قد ترغبين في رؤية ما اكتشفتُه قبل أن أبلّغ القبطان المُتعجرف." حرّكَ ذقنه نحو مؤخرة القفص. استنتجتُ تغيير القشّ حديثًا من الرائحة الترابيّة القويّة في الهواء بقُربه.

شككتُ أنّهُ جرّني إلى هنا لأرى ذلك، لذا انحنيتُ مقتربةً بحذر

قبل أن أقفز للخلف. كانت هناك بقعٌ من الدم على أرضيّة القفص، لكن هذا غير معقول. أخذتُ نفسًا عميقًا. هُنالك تفسيرٌ منطقيّ في الانتظار، احتجتُ ببساطة إلى التفكير كعالِمة.

"ألا تُطعِمون الأسود اللحوم الطازجة؟" سألتُه بعقلٍ رافض الاعتراف بحقيقة ما تراه عيناي، وهو أصل الأوهام البصريّة. "أنا متأكدة أنّ الأمر ببساطة -"

"أنّ اللوم يقع على هذا الطرف المقطوع؟" أشارَ إلى شيءٍ لم ألاحظه في البداية، كان متصلّبًا وبارزًا من القشّ. أغمضتُ عينيّ للحظةٍ وأنا ألعن. ذراعٌ شاحب مأكول حتى العظم من أحد طرفيه.

ما لم يكن هذا دميةً مُتقَنة الصّنع للغاية لأغراض الكرنفال، فقد بدَت حقيقيةً جدًا. "نعم، أنا متأكدٌ من أنّ هذا يُفسّر كل الدّماء. يا لَسخافة طلبي مُساعدتكِ في معرفة ذلك."

وجهتُ إليه نظرةً غاضبة. "لا تكن فظًّا معي، لستُ من يُحاول تدمير كرنفالك. ربّما كان عليك التفكير في هذه العواقب قبل مُغازلة امرأة متزوّجة."

"كرنفالي في خطر وهُناك ذراعٌ مقطوعٌ أمامك، وكل ما ترغبين في التحدّث عنه هو رفيقاتي في النوم؟"

"إذا كانوا سببًا مُحتملًا في القضايا المذكورة فَبلى."

تخطّيتُه مُلاحظةً الصدمة التي على وجهه، ودنوتُ من الجزء الخلفيّ من القفص مُحاولةً الحصول على نظرةٍ أفضل لِلذراع. مع القشّ الموضوع حديثًا كان من الصعب معرفة إذا كان الشخص قد قُتِل داخل القفص أو إذا تمّ رمي ذراعه بعد الموت.

قُلت: "يجب إخراج الأسد من هنا على الفور. هذا القفص

بأكمله يحتـاج إلـى عـزل للبحـث عـن أدلّـة."

نفحّصتُ الأسـد. مـن المسـتحيل معرفـة كـم التهـمَ مـن الجسـد، ربّما كانت هـذه الـذراع فقـط، بهـدف تشـتيت انتباهنـا. كان القـطّ الكبيـر يمسح نفسـه بتكاسـل، يلعـق أقدامـه ثـم يسـحبها خلـف أذنيـه برضـا لا يأتي إلّا مـن معـدةٍ ممتلئـة. انقلبَـت معدتـي علـى الآثـار المترتّبـة علـى هذه الأفعـال، بعـد أن كادَت الليلـة تنتهـي دون مـوتٍ آخـر.

"ألا يجبُ أن يكون هذا الحيوان مع الآخرين في العرض؟"

اقتـربَ مفيسـتوفيليس. "يبـدو أنـه ممتلـئ البطـن بحيـث لا يُمكـن الانتفـاع منـه، وهـذا علـى الأرجـح سـبب تركـه."

"هذا يعني أنّ الذراع قد أُلقِيَت قبل العرض."

ابتلعـتُ اشـمئزازي. لـم أسـتطع السـماح لمشـاعري بالظهـور الآن، وربمـا إلـى الأبـد. لقـد شـاهدتُ الكثيـر فـي مختبـر عمّـي، قسـوةٌ عنيفـةٌ لا يُمكـن تصديقهـا. لكـن هـذا مستوى جديـدٌ مـن الرعـب. رمـي شـخصٍ لحيـوان مفتـرس يتغـذّى عليـه... كان ذلـك وحشـيًّا.

قلـتُ مُلاحظـةً أنّ مفيسـتوفيليس لـم يتحـرك بعـد: "أنـتَ بحاجـة لاسـتدعاء عمّـي وتومـاس. لقـد مـاتَ شـخص، وأيًـا كان مَـن فعـل هـذا فهـو يبتغـي تدميـر عروضـك. يجـب أن تتمنّـى إثبـات التهمـة علـى كاسـي وزوجهـا، وإلا قـد يقـع اللـوم عليـك أنـت."

"هـل هـذه أفضـل استنتاجاتك؟" عقـدَ مفيسـتوفيليس ذراعيـه عابسًـا. لـم يكـن ذلـك رد الفعـل المتوقّـع مـن شـخصٍ وجـدَ جـزءًا مقطوعًـا مـن جسـد. إذا كان بريئًـا فقـد قـامَ بعمـلٍ جيّـد لإثبـات عكـس ذلـك. "أنـا وكاسـي لـم نكـن عشـاقًا قـطّ، رغـمَ جمـال مظهـر علاقتنـا. لقـد أرادَت ذلـك لكنّنـي رفضـت، الخلـط بيـن العمـل والمُتعـة فكـرةٌ سـيّئة دومًـا.

لكنّني لا أستطيع معرفة ما إذا كنتِ تشعرين بالفضول لأسبابٍ خاصّة، ربّما تشعرين بالغيرة."

"هل أنتَ مجنون تمامًا؟ أنتَ تتمنّى أن أشعرَ بالغيرة."

بدا أنهُ يفكر في ذلك. "نعم، في الواقع أنا كذلك. على أيّة حال لو أردتُ إشراك عمّكِ أو مُساعده المُتغطرس من الآن كنتُ سأفعل ذلك. ما أردتُه هو أن تحقّقي أنتِ أولًا، وبعدها أحضِر هذَين. أحتاجُ إلى السرّية، لا يُمكن للكرنفال تحمّل المزيد من هذه الضربات. أفعلُ كل ما بوسعي للحفاظ على ديمومة العمل وتشتيت انتباه الرّعاة، لكن حتّى أنا لا أستطيع عمل المُعجزات. أحتاجُ إلى مُساعدتِك."

جادلتُه: "توماس شريكي. كلٌّ منا لديه مهاراتٌ تُكمل مهارات الآخر."

"إذَن؟ هل أنتِ عاجزةٌ عن مجرّد النظر إلى شيء بدون أيٍّ منهما؟"

حدّقنا في بعضنا البعض، وثبتَ كلٌّ منّا على موقفه للحظةٍ طويلة. كانت معركة إرادات، ولو كنتُ أنانية فلن أستسلم وذلك لمجرّد إيذائه، لكن نظرًا لوجود ضحية كان يجب ترك الأهواء جانبًا.

قلت: "حسنًا، لكن يجب على أحدهم إخراج هذا الأسد من القفص حالًا. لا يُمكنني تفحّص المشهد بشكلٍ صحيح وهذا الوحش بقُربي هكذا."

ردّ مفيستوفيليس وهو يتخطّاني ليأخذ حلقة المفاتيح من خطّافها على الحائط: "حسنًا. تُسعدني رؤية أنّ هنالك أمورٌ يُمكنك القيام بها دون مُساعدة."

أدخلَ المفتاح في القفل وفتحَ الباب بصريرٍ جعل القطّ الكبير يهدر بنبرةٍ مُنخفضةٍ خطيرة. بدا أنه لم يكن شبعانًا وسهل الانصياع مثلما ظننت.

سألتُه: "ماذا تفعل؟"

قام مفيستوفيليس برفع رسَنٍ من داخل القفص كأنه من أكثر الأمور طبيعيّةً في العالم. "أخرِجُ الأسد من القفص كما طلبت. هل كنتِ تشربين الجنّية الخضراء ثانيةً هذا المساء؟ لقد ظننتُه مشروبنا الخاصّ بنا."

هتفت: "لماذا أنتَ مَن يُخرج الأسد؟ ألا يجبُ عليكَ إحضار خبير؟"

زفرَ سيّد الحلبة باستهجان وهو يُدير ظهره لي ويسير نحو الأسد. الآن بعد أن نظرتُ عن كثب تمكّنتُ من رؤية بقع دماء قرب خطمه الشاحب وأجزاء لحميّة عالقة في شواربه. مفيستوفيليس إمّا لم يُلاحظ الدماء أو تظاهر بعدم وجودها وهو يشقّ طريقه نحو الحيوان. حرتُ بين الإعجاب والارتعاب عندما أخفضَ القطّ الكبير مخلبه ببطء ناظرًا إلى الدّخيل.

بغض النظر عن جودة تدريب الأسد لكنّ جزءًا منه يبقى متوحّشًا إلى الأبد. بعثَ لمعان عينيه الذهبيّتين قشعريراتٍ على طول جسدي، لكن تأثيره بدا ضائعًا تمامًا على مفيستوفيليس، الذي كان يتقدّم بجرأةٍ عظيمة ليسَت في مصلحتِه.

قلتُ ماشيةً إلى الأمام: "هلّا اهتممتَ للأمر قليلًا؟ سوف تقتلُ نفسك، ثم سأضطرّ إلى فصل دمك وأحشائك من تلك التي للضحيّة."

"إذا حدثَ ذلك فاعتبريه اختبارًا لمهاراتِك التي لا تُحصى."

أخذتُ نفسًا هادئًا. "لن أشاهدَ هذا الجنون."

قال من فوق كتفه: "في بعض الأحيان من الضروري أن تتّسخ يديكِ من أجل الصالح العام. هل تثقينَ بي يا آنسة وادزورث؟"

فقط الأحمق يضع ثقته في شخصٍ فخورٍ بأوهامه وهو لا يعرفه حتّى. "ماذا يعني ذلك بحقّ السماء؟"

بدلًا من الإجابة قامَ مفيستوفيليس بقطع الرّسن فضربَ مثل السوط، دافعًا الحيوانات الأخرى إلى التحرّك في أقفاصها. وقعَ نظري على الذراع المقطوع ثانيةً فأشحتُ بنظري بعيدًا؛ سيَحين وقت تشريحها قريبًا جدًا.

زحفتُ للأمام لأمسكَ بقضبان القفص، مانحةً نفسي شيئًا لأفعله لتفادي الانفجار بعدَما باتَ سَيّد الحلبة على مقربةٍ من الأسد. كان نبض قلبي هديرًا مستمرًا لم أستطع تحمّله على عكس هدوء القطّ. التعامل مع الذراع المقطوع أمرٌ مروّع لكن التفرّج على هجوم حيوان مفترس أسوأ.

استنشقَ الأسد الهواء مستشعرًا التوتّر المُتزايد، وذيله المعقود يرتعش عبر كومة القشّ الملطّخة بالدماء. كان مستعدًا لشنّ هجوم في أيّة لحظة، وتمسّكتُ بالقضبان حتى آلمَتني أصابعي.

"كن حذرًا، أرجوك."

همستُ بصوتٍ بالكاد سمعتُه، لذا فوجئت عندما تعثّر سيّد الحلبة بكتلةٍ من القشّ ثم نظرَ إليّ. كلّ شيء حدثَ بسرعةٍ فائقة بعد ذلك. تنامى قلق الأسد بشأن الرجل المقنّع داخل القفص حتى انقضَّ عليه. قفزَ مفيستوفيليس بدوره إلى الخلف لكنه لم يكن

سريعًا كفاية، فقامَ الأسد بتمزيق الجزء الأمامي من سترته دون جهدٍ يُذكر. كان بإمكاني تخيّل ما يُمكن أن تفعله تلك المخالب لجسده لو لم يتراجع بتلك السرعة.

صرخت: "اهرُب! فورًا!"

سقطَ مفيستوفيليس متخبّطًا إلى الخلف مثل سلطعون هارب. كان سيموت دون أدنى شكّ. دقّ قلبي مثل طبول المعركة. قمتُ بمسح الغرفة ذات الإنارة الخافتة بحثًا عن شيءٍ لاستخدامه ضد الأسد. وقع انتباهي على عصا، أمسكتُ بها دون تفكير وركضتُ إلى الجانب المقابل لمفيستوفيليس، ضربتُ القضبان بالعصا صانعةً أفظع ضوضاء.

تخيّلتُ ذلك إلهاءً رائعًا، لكنّ الواقع كان على خلاف ذلك. لم يُعِرني الأسد أيّ اهتمام، وهو يتمايل إلى الأمام وعيناه ثابتتان على فريسته.

"ها!" ضربتُ القضبان بعنف كما لو كنتُ لاعب كريكيت، محدثةً جلبة معدنيّة كادت أن تهزّ أسناني. توقّفَ الأسد في النهاية. لقد استخدمتُ كلّ قوّتي لضرب القضبان مرارًا وتكرارًا، وكان الصوت مرتفعًا لدرجةٍ لا يُمكن تجاهلها. أخيرًا أدار الأسد رأسه، وبانَ انزعاجه في تقلّصات ذيله. كان كلٌّ من القطّ الكبير ورئيس الحلبة يُحدّقان في وجهي، كأنّهما ينتظران سماع الضربة التالية على القضبان. "اهرُب أيّها الأحمق اللعين!"

فاقَ مفيستوفيليس من ذهوله ووقفَ على قدميه، ثم أدار ظهره للقطّ الكبير وكان على وشك الوصول إلى باب القفص عندما دارَ الحيوان وضربهُ ثانيةً. صرختُ متوقّعةً أنني سأرى طرفه

مقطوعًا. أذهلَ صراخي المفاجئ الأسد للحظةٍ كانت كافية لخروج مفيستوفيليس من القفص وركله الباب لإغلاقه.

اندفعتُ حول القفص وثبتُّ القفل ثم سحبتُ سيّد الحلبة إلى برّ الأمان. انكمشَ وجهه من قبضتي القويّة لكنهُ لم يصرخ، ولم أعرف ما إذا كانت هذه علامة جيّدة أم لا. ربما أصيبَ بجروحٍ بالغة لدرجة الصّدمة. لم يكن تطبيب الأحياء ضمن مجال خبرتي التشريحيّة.

"هل تأذّيت؟" نزعتُ قفّازي ومرّرتُ يدي سريعًا على مقدّمة جسده، باحثةً عن أيّ جروح واضحة. كانت ملابسه ممزّقة من الأمام لكنّني لم أرَ أي دماء. "هل تشعر بأيّ ألم على الإطلاق؟ كم عدد الأصابع التي أرفعها؟"

لم أستطع تذكّر شيءٍ آخر أسأل عنه، فالموتى لم يُخبروني عادةً بما أصابهم حتى أفتحهُم وأجمع الأدلّة.

رمشَ ببطء من وراء قناعه وبدا أنه يفكر في جواب. لم أعرف ما إذا كان يُفكر في الألم أو إذا كان على وشك فقدان الوعي. "من الصعب... تحديد ذلك. ربّما ظهري؟"

كافحَ من أجل الجلوس ثم تقلّصَ وجهه من الألم. أسندتُه على الحائط بكفاءةٍ سريعة وخلعتُ عنه سترته. ركعتُ بجانبه لأسحبَ ربطة عنقه بحركةٍ سريعة أُعجِبتُ بها. بدأت أصابعي المكشوفة تفكّ أزرار ياقته عندما توقّفت، في لحظة إدراك لوضعنا وما كنتُ أفعله. إذا رآني أيّ شخص هنا - لِوحدي مع شابّ نصف عارٍ - سأغرقُ في بحرٍ من الفضيحة.

نظرَ إليّ مفيستوفيليس قائلًا: "هذه ليست أوّل مرةٍ تخلعينَ فيها

ربطة عُنق، أليس كذلك؟"

"لكنها ستكون أوّل مرّةٍ أستخدمُها لخنق شخص."

"كم أنتِ عنيفة." تأوه وأغمض عينيه متألّمًا، فدفعتُ مخاوفي جانبًا. إذا نزلَ شخصٌ إلى هنا سيرى رجلاً مصابًا مع شخصٍ قادر على تقديم المُساعدة الطبّية له، لا شيء آخر.

انتهيتُ من فك أزرار قميصه وفتحتُه لفحص جذعه بسرعة بحثًا عن أيّ إصابات. لم أرَ سوى بشرته البرونزيّة التي لم تشُبها شائبة. تفحّصتُه مرتين للتأكّد، متجاهلةً حرَج كونه بلا ملابس، ثمّ هززتُ رأسي: قد يكون مُصابًا بإصاباتٍ داخليّة أخطر من الظاهريّة. فحص جذعه بيديّ بحثًا عن آلام هو أفضل ما يُمكنني القيام به، رغم عدم تأكّدي ما إذا كان ذلك سيؤذيه أم لا.

"لم تتعرّض إلى أيّ إصابةٍ خارجية." رفعتُ عينيّ إلى عينيه، بتنا الآن قريبَين جدًا من بعض، أقرب من اللازم. كان يُحدّق في وجهي دون أن يرمش. "ربّما لديكَ ارتجاجٌ في المخّ. تبدو -"

دفع نفسه إلى الأمام وكادَ يدفن رأسه في صدري. "أرجوكِ." كانت نبرته توسّلًا بحدّ ذاتها. أحاطَ خصري بذراعيهِ برفق. "رجاءً تقبّلي اعتذاري."

"ليس هُناك ما يدعوكَ للاعتذار." بادلتُه العناق للحظة، وقد أقلقَتني شدّة إصابة رأسه. "تعال. دعنا نقف، حسنًا؟"

بعد محاولةٍ فاشلة تمكّنتُ أخيرًا من إيقافه على قدميه. تمسّكتُ به خشيةَ أن يتعثّر مرةً أخرى ويسقط مُلحقًا المزيد من الضرر بدماغه. كنتُ على وشك أن أُلبِسهُ سترته عندما ترنّح باتّجاهي ليضغطَني على الحائط مانعًا نفسه من السقوط. بهذا المعدّل سيستغرق الأمر

أيّامًا لكي نصل إلى طبيبٍ حقيقيّ. لقد رفَض الدكتور آردن مغادرة غرفته، ولم أعرف ما إذا كان هناك طبيبٌ غيره على متن السفينة.

سألتُه: "هل أنتَ بخير؟ إذا كنتَ لا تحتمل المشي فَعليكَ الجلوس."

رفع يديه ببطءٍ ليحتضن وجهي قبل أن يسند جبهته على جبيني. من الواضح أنه كان يُعاني من أوهام. "تذكّري."

"أتذكّر ماذا؟"

"صفقتنا يا آنسة وادزورث." ترنّحَ واتّكأ عليّ، وقلقتُ من وجود إصابةٍ في ظهره فاتَتني. قبل أن أتمكّن من مُساعدته في الوقوف مرةً أخرى سمعتُ وقع أحذية على السلالم. كان أوّل ما فكّرتُ به هو الارتياح لأنّ شخصًا آخر سيقوم بمُساعدة سيّد الحلبة المُشوّش بين ذراعيّ، لكن عندما رأيتُ توماس ينزل قُرب الزاوية ثم يتوقّف مصدومًا شعرتُ بقلبي يغوص حتّى أقدامي.

دفعَ سيّد الحلبة نفسَه إلى الوراء على مهل، ووزّعَ انتباهه بيني وبين توماس. باتَ إصراره الغريب على تذكّر صفقتنا منطقيًا فجأة. لقد اختلقَ هذا الموقف، اختلقَهُ بأكمله. كوّرتُ قبضتي وهو يقف باعتدال ليبدأ في غلق أزرار قميصه، واقفًا باستقرار على قدميه.

"أؤكّدُ لكَ أنّ الأمور ليسَت كما تبدو يا سيّد كريسويل." قال ولم يبدُ مُقنِعًا على الإطلاق وهو يرتدي سترته الممزّقة، ثمّ أشار إلى شقوقها. "كنتُ أتعرّض إلى هجوم وقامت الآنسة وادزورث بإنقاذي. كانت شجاعةً بالغة من جانبها وأمرًا مُحرجًا للغاية بالنسبة إليّ."

لم ينبس توماس ببنت شفة، لكن نظراته الحادة كانت تتفحّص

جميع أنحاء المكان، في الغالب لإعادة بناء سيناريو الأحداث بطريقته العجيبة. أدركتُ بحُزن أنه نظرَ إلى كلّ شيءٍ في الغرفة عَداي. ظهرَ عمّي والقبطان عند المدخل بعد لحظات برفقة كاسي ثم توقّفوا.

سأل القبطان: "ماذا يحدث بحقّ السماء؟ لديكَ عرضٌ تُقدّمه. وهذه المرأة" - أشارَ نحوَ كاسي - "لم تقُل سوى أنّكَ بحاجةٍ إلينا على الفور."

ابتعدَ مفيستوفيليس عنّي وأومأ برأسه نحو القفص قائلًا: "كنّا أنا والآنسة وادزورث نُحقّق في لغز الذراع المقطوع. لكنّكَ على حقّ، يجب أن يستمرّ العرض. على الأقل لن تكون هذه الجريمة حديث الناس هذه الليلة."

بعد قوله هذا حيّا الحاضرين بانحناءة، وأشارَ إلى كاسي لتتبعه قبل أن يصعد الدرج مختفيًا، تاركني أتعاملُ مع الفوضى التي سبّبَها لِوحدي. أخذتُ نفسًا عميقًا والتقَت عيناي بنظرة عمّي الغاضبة. مواجهة الأسد في قفصه أقلّ ترويعًا منه، حتى بعد ذلك الهجوم. "يُمكنني شرح كلّ شيء يا عمّي."



# 20
# استنتاجٌ جيّد

## مستودع الحيوانات - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

"ماذا يقصد بحقّ الجحيم بلُغز الذراع المقطوع؟" جاء صوت القبطان نوروود كدويّ الرعد في الهدوء المُتوتّر، ثمّ صرخَ قرد من آخر المستودع وبذلتُ قصارى جهدي حتّى لا أجفل من الصرختَين. كان مزاج القبطان شبيهًا بالبحر الذي أبحرنا عبره. "أخبرني أنّها ليسَت ذراعًا بشريّة."

"أخشى وجود عيّنة بشريّة في قفص الأسد." قلتُ ولم أتخيّل يومًا أنني سأقول هذه الكلمات. رفعتُ نظري عن القبطان وركّزتُ على توماس، على أمل بذل كلّ ما بوسعي لأشرح له - وكذلك للقبطان وعمّي - ما حدثَ للتوّ... عدا كوني بين ذراعيّ رجلٍ شبه عارٍ.

قلت: "لقد حاولَ مفيستوفيليس إخراج الأسد عندما هاجمه. لم أتمكّن من فحص المشهد بالكامل حتى الآن، لذا ليس لديّ مزيدٌ من التفاصيل. لكن من النظرة الأولى عرفتُ أنّ أحدهم قام بتغيير القشّ. من المحتمل أنه فعلها في محاولةٍ لإخفاء مسرح الجريمة،

لكنني لن أعرف على وجه اليقين حتى أدخل إلى القفص وأفحصه بشكل صحيح."

خطى توماس نحو القفص والذراع المقطوع، وانتقل تركيزه من القطّ الكبير إلى الذراع وإلى أمور أخرى لا يعرفها إلّا الربّ. كان يدقّ بأصابعه على القضبان المعدنية، بصوتٍ كتمَتهُ قفّازاته الجلديّة. فتحَ القبطان فمه لكن عمي أسكتهُ برفع إحدى يديه. يجب عدم مُقاطعة توماس وهو في خضمّ حلّ تلك المعادلات التي لا يراها غيره، وتمنّيتُ لمرّةٍ أخرى امتلاك جزءٍ من تلك المهارة الفريدة.

"هذا ليس مسرح الجريمة." قالَ بثقةٍ عرفتُ منها ألّا أحاولَ التشكيك في استنتاجه. "هذا هو المكان الذي رُميَ فيه الذراع ببساطة. لا أعتقدُ مطلقًا أنّ باقي الجسد كانَ هنا. ربّما يكون في البحر الآن، أو أنّ القاتل يُخطّط للتخلّص منه قريبًا. الجريمة ليسَت بدافع السرقة، هل ترَون الخاتم؟ هذه الجريمة إمّا مع سبق الإصرار وإمّا لمصلحةٍ طارئة."

تمتمَ القبطان: "تبدو شديد الثقة بنفسك. ربّما يجب أن تدع الدكتور وادزورث يتكلّم يا فتى."

أغمض توماس عينيه وتخيّلتُ الكلمات التي كان يمنعُ نفسه من قولها بصوتٍ عال. كان صمته أمرًا صعب التصديق. بعد نفسٍ عميق سحب كتفيه إلى الوراء متّخذًا وضع الخبير في هذا الشأن. رغمَ الظروف الراهنة لم يسعني إلا الشعور بالفخر. كان توماس رائعًا في استخدام مواهبه لحل القضايا، وثقتهُ بنفسه مُستحَقّة. بدا أكثر نضجًا بوضوح من ذلك الشابّ المُتكبّر الذي التقيتُه في الصيف الماضي.

سأل عمّي: "توماس؟ هل يمكنك شرح التفاصيل للقبطان؟"

أومـأ برأسـه. "لاحـظ بقايـا الدمـاء علـى القفـل وبعـض اللـون الصدَئـي علـى المفاتيـح."

قال القبطان بنفاد صبر واضح: "نعم؟ ما أهميّة لون الدّم؟"

"لـم ينـزف مفيسـتوفيليس، لـذا ليـسَ هـو مصـدر تلطيـخ القفـل والمفاتيـح." توقّـفَ تومـاس للحظـة وسـار حـول القفـص، وأقسـمُ أنّني سـمعتُ اتهامًـا فـي صمتـه. "مـن هـذا وحـده يُمكننـا افتـراض أنّ الـدم يعـود للقاتـل أو للضحيّـة." تابـعَ بنبـرة خبيـرٍ هـادئ. "البقـع غامقـة، مما يـدلّ علـى أنهـا لـم تكـن طازجـة حينمـا لطّخَـت القفـل. يبـدو أنـه جـفّ عندمـا لمـسَ القاتـل تلـك الأشـياء. لـو كان هـذا مسـرح الجريمـة لرأيتُم نثـار دمـاء وبقـعٍ ضخمـة علـى الأرض. لقـد قُطِـعَ الـذراع مـن شـخص، وهـو عمـلٌ قـذرٌ فوضـويّ، وحتّـى مـع تبديـل القـشّ كانـت الدماء سـتتناثر علـى الأرضيّـة والجوانـب والسـقف. هـل زرتَ مسـلخًا يـا كابتـن؟ العمل هنـاك فوضـويٌّ للغايـة. أمّـا بالنسـبة للخاتـم فلـو كان هـو الدافـع وراء الهجـوم لاختفـى فـورًا."

قال القبطان: "ربّما لم يستطع القاتل إخراجه من إصبعها."

"إذًا كان سـيقطعها." قلـتُ ليرمقنـي بنظـرة اشـمئزاز، كأنّنـي أنـا مَـن قـصّ الـذراع. "وهـي ليسَـت ذراع امـرأة. الضحيّـة ذكـر، والخاتـمُ خاتـم زواج."

شـقّ تومـاس طريقـه بيـن الأقفـاص، راكلًا قطـع القـشّ المبعثـرة فـي طريقـه. عنـد نقطـةٍ مـا جثـا علـى ركبتيـه ثـمّ حـدّقَ فـي السـقف، باحثًـا عـن بقـع دمـاء كمـا افترضـت. تابعـت نظـره ودُهِشـتُ لرؤيـة قطعـةٍ مـن نسـيج كوبالـت مُعلّقـة بشـيءٍ مـا فـي السـقف المُنخفـض، بـدا أنـه حرير. حدّقـتُ جيّـدًا فرأيـتُ حـدود لـوحٍ هُنـاك. خطـرَت لـي فكـرةٌ علـى الفـور.

"إلى أين يقود هذا اللوح يا كابتن؟"

"إنهُ ببساطة مدخل صيانة يربط هذه الغرفة بممرّات أفراد الطاقم." لوّح القبطان بيده. "لا أحد بخلاف قلّة مُختارة من الطاقم لديه حق الدخول، ويجب عليهم أوّلًا طلب المفتاح منّي."

سألَ توماس: "لأيّ غرضٍ يُستخدم؟ ما حجم ذلك الجزء؟"

قال الكابتن نوروود: "إنها في الغالب للأمور الكهربائية. يحتاج الرجل إلى الزحف ثم طوي جسمه ليمرّ من خلاله، وهي ليسَت طريقةً مثاليّة لنقل جسد، إذا كان هذا ما ترمي إليه في نظريّتك."

فكّرتُ في هذه المعلومات. نظرًا لتجربتِنا مع القتلة مؤخرًا كنتُ أدرك تمامًا أنّ القاتل لا يجب أن يكون رجلًا. "لكن امرأةً لن تواجه كلّ هذه المصاعب. من غير الحكمة استبعاد أيّ شخص عن الشبهات في هذه المرحلة يا سيّدي." قفزَ مشتبهٌ آخر إلى ذهني. "سباستيان قد يقدرُ أيضًا على التكيّف مع هذا الأمر." نظروا إليّ جميعًا باستغراب فأضفت: "فنّان طيّ الجسد. لقد رأيتُه يطوي نفسه بشكل عُقدة."

كان تعبير توماس خاليًا من المعنى. لديّ الكثير لأشرحهُ فور خروجنا لِسطح السفينة.

جادلني القبطان: "أستميحكِ عذرًا آنسة وادزورث، لكن اسمحي لي بالتحدث بوضوح: لا توجد طريقة مُمكنة لاستخدام هذا اللوح. كما ذكرتُ للتو فإنّ مجموعة المفاتيح الوحيدة له في حوزتي وفي غرفتي التي لم يدخلها أحدٌ منذ يومين. أنا متأكدٌ من ذلك. ما لم تكوني بصدد اتهامي بإلقاء هذا الذراع هنا، فالدّخول من هذا اللوح غير وارد. يجب أن تأتوا بنظريةٍ أفضل عن كيفيّة وصولها إلى هنا."

حسبتُ في عقلي إلى عشرة. يمكن أخذ المفاتيح كما يمكن فتح الأقفال بدونها، وبوجود سفينة مليئة بفنّاني الكرنفال الذين جعلوا المستحيل ممكنًا شعرتُ أنّ القبطان غير واقعيّ. كان هوديني معروفًا في إنجلترا وأمريكا باسم ملك الأصفاد، وهو موهوبٌ في فتح الأقفال وحشر جسده في مساحاتٍ ضيّقة للهروب السريع.

جمّدَت هذه الفكرة كلّ الباقيات وقلبي أيضًا. ستكون مهمّتي التالية هي البحث عن هوديني للاستعلام عن مكان وجوده طيلة فترة المساء، ويُفضّل فعل ذلك قبل أن يسبقني عمّي إليه ويُدخل ليزا في نوبة غضبٍ مكتوم.

"ممم." لوى عمّي شاربه متعمدًا عدم النظر في اتجاهي. لم أستطع إنكار الألم الذي شعرتُ به. لقد انزعجَ مني لمرّاتٍ عديدة من قبل، لكنه لم يتجاهلني قطّ ونحنُ نحقّق في مسرح جريمة. "لماذا تعتقد أنّ القاتل قد دخل من هذه النقطة يا توماس؟"

زممتُ شفتيّ مُنزعجةً من تهميشي رغم وصولي المُبكّر إلى المشهد. حوّل توماس انتباهه إليّ، ولم يكن في نظرته سوى الجدّية وهو يُجيب: "ما رأيُك يا وادزورث؟"

للحظةٍ لم أقُل شيئًا. لقد قدّرتُ قيام توماس بإعادة انتباههم إليّ لكنّني استأتُ لاحتياجي معونةً في ذلك. دفعتُ مشاعري جانبًا لأجل البقاء على قدر المسؤولية، وقلتُ مُشيرةً إلى قطعة الحرير المُعلّقة: "الحرير المُمزّق مؤشرٌ على مرور شخص من هناك، والمؤشر الثاني أنّ ممشى السفينة كانَ يعجّ بالنشاط طوال فترة ما بعد الظهر والمساء. بين قيام الطاقم بنصب الخيَم وتجوال الفنّانين والركّاب طوال الليل لا أرى كيف يُمكن لأيّ شخص تهريب جثّة أو

أجزاء منها إلى الأسفل هنا دون لفت الانتباه. إلّا إذا استخدمَ وسيلةً غير الدرج الرئيسي للنزول."

"جيد." أشارَ عمّي إلى الأسد الذي أخذ يدور داخل قفصه. "بمجرّد إخلاء القفص سنعرف المزيد." ثم واجهَ القبطان بنظرةٍ قاسية. "إنه مركبك أيّها القبطان، لكنّني أقترحُ نشر أفراد الطاقم على كلّ أرجاء سطح السفينة طوال الليل. إذا كانت بقيّة الجثة في حيازة القاتل فسوف يستميتُ للتخلّص منها. لن أتفاجأ إذا حاولَ رميها في البحر قبل طلوع شمس الغد."

قامَ القبطان بفرك صدغَيه بقوةٍ كافية لإصابة نفسه بصداع لو لم يكن يُعاني من واحدٍ بالفعل. "لا يُمكنني وضع رجال على كورنيش الدرجة الأولى. كيف سيبدو ذلك للركّاب الذين يدفعون مبالغ جيّدة؟ لسنا في إصلاحيّة ولن أعاملَ ركّابي كسجناء. لم تُرهبهم جريمةٌ مسرحيّةٌ جديدة هذه الليلة وأنا أعتزمُ إبقاء الوضع هكذا. لن أدعَهم يُعانون."

كان عليّ التحقّق جسديًا من سلامة رأسي بعد ذلك التصريح السخيف، وكانت معجزةً حين وجدتُ جمجمتي سليمة.

رمى توماس يديه في الهواء قائلًا: "لا يُمكن أن تكون جادًّا. منظر أفراد الطاقم على السطوح أفضل بكثير من رؤية أشلاء الجثة تطفو بينما يشقّ روّاد الدرجة الأولى طريقهم لتناول الإفطار والشاي. 'آه انظري يا آنسة إيلدرج، ذلك جذعٌ مشوّه. مرّري الكريمة والسكر من فضلك.'" قال القبطان باستنكار: "لا تكُن سخيفًا."

قال توماس دون علامة أسف على الإطلاق: "أعتذر، أنا أتبعُ طريقك فحسب."

نـزعَ عمّـي نظاراتـه ليفـرك عدسـاتها. "أسـتميحُكَ عـذرًا كابتـن. لا نعنـي أنـا ومُسـاعداي التقليـل مـن احترامـك، لكـن لا يُمكنـكَ التظاهـر بعـدم وجـود أحـداث شـرّيرة. إن لـم تنشـر طاقمـك فـي الخـارج كإجـراء احتـرازيّ لـن يكـون هـذا آخـر حـوارٍ نجريـه قبـل الوصـول إلـى نيويـورك. كـم جثّـة يجـب أن نكتشـف قبـل اتخـاذ بعـض تدابيـر السـلامة؟"

كـوّرَ الكابتـن نـوروود يديـه بقـوّة علـى جانبيـه. "أنـتَ من أكثـر الرجال نجاحًـا فـي مجالـكَ يـا دكتـور، أرِنـي مـا يُمكنـك فعلـه أنـتَ ومُسـاعِداك. سأنشـرُ الطاقـم فـي الدرجتيـن الثانيـة والثالثـة. إذا أردتَ وضـع زملائـك السـادة والسـيدات تحـت المجهـر فافعلهـا بنفسـك. لـن أعطـي الأمـر بإهانتِهـم، خاصّـةً بعـد الفظائـع التـي تعرّضـوا لهـا هـذا الأسـبوع. لـم يتبـقّ أمامنـا سـوى يومَيـن فـي البحـر."

اسـتدارَ القبطـان ليذهـب ثـم نظـرَ إلينـا مـن فـوق كتفـه. "بعـد منتصف الليـل - بمجـرد انتهـاء الكرنفـال - سـأقوم بإخـراج الأسـد، بعـد ذلـك سـتكونون حرّيـن فـي التحقيـق علـى النحـو الـذي ترونـه مُناسـبًا. لكـم مطلـق الحرّيـة في فعـل مـا تشـاؤون حتـى تصلكـم كلمتـي، بعـد منتصف الليـل أو عنـد الصبـاح، طالمـا أنّكـم لا تذكـروا هـذا الحـدث المؤسـف لأيّ شـخص. سـأحظى بأمسـيةٍ خاليـة مـن القتـل والترويـع، وسأرسـل مَـن يُثيـر الذّعـر منكـم إلـى الحجـز."

***

قادَنـا الكابتـن نـوروود للعـودة إلـى الكرنفـال ووضـعَ حارسًـا علـى مدخـل السُـلّم، ليمنـع الدخـول إلـى مسـتودع الحيوانـات. كان علينـا الانتظـار حتـى انتهـاء العـرض، لكيـلا نُفسِـد ترفيـه الأغنيـاء وذوي السُـلطة لا سـمحَ اللـه. كنـتُ آمـل أن يُرسـل لنـا كلمتـه بعـد منتصـف الليـل علـى

أقل، للسماح لنا بالعودة إلى مسرح الجريمة بدلًا من تأجيلها حتى الصباح الباكر.

قال عمّي بوجهٍ جامد التعابير: "أنا وأنتِ سنُجري مناقشةً جادّة. حتى ذلك الحين عليكِ البقاء مع توماس، هل نفهم بعضنا البعض؟"

ابتلعتُ ريقي بصعوبة. "نعم سيّدي."

انصرفَ عمّي نحو غرفته دون مزيدٍ من الكلام، وظلّ توماس صامتًا بجانبي رغمَ شعوري أنهُ كان يُحارب مشاعره. فركتُ ذراعيّ وأنا أشاهدُ أحد أفراد الطاقم يرفعُ حقيبةً يسندها على صدره. لقد كان المحظوظ المُكلّف بنقل الطرف المقطوع إلى صندوق الثلج. حاولت عدم العبوس وأنا أتخيّل مقدار تلوّث الطرف ومسرح الجريمة الآن. لقد باتَ عملنا أكثر صعوبة.

"لا أستطيعُ فهم سبب مُعارضة الكابتن نوروود الشديدة لتكليف بضعة حرّاس ليليّين في الدرجة الأولى." قلتُ ونحنُ نقف في أقصى نهاية الممشى. كان الركّاب مفتونين بخيَم الكرنفال التي أقيمَت على طراز البازار على جانبي الممشى، يضحكون ويتنقّلون من كشكٍ إلى آخر. لكنّني لاحظتُ أيضًا أنّ بعضهم كانوا ينظرون فوق أكتافهم ولم يضحكوا بشدّة أو يبتسموا بحبورٍ مثل رفاقهم. كان الجو صامتًا، كالهدوء الذي يسبق العاصفة. "هل تعتقد أنهُ يتستّر على شخصٍ ما؟ من الغريب أنه أقلّ قلقًا بشأن حدوث جريمة قتل أخرى."

وقفَ توماس بالقرب مني، حريصًا على عدم لمس ذراعي وهو يُحدّق في المُحيط تحت جنح الليل. حاولتُ إخبار نفسي أنّني لم أتأثر بموقفه المُتصلّب لكنّني عرفتُ أنها كذبةٌ أخرى يُمكنني إضافتها إلى المجموعة. قالَ أخيرًا وهو يرفع كتفه. "يجب أن أعترف

أنّني أعاني يا أودري روز."

ابتلعتُ ردّي الفوري، مع علمي بعد استخدامه لاسمي الصريح أنّنا لم نكن نتحدّث عن القبطان. ضربَ نسيم البحر وجهي، لادغًا عينيّ مثلما فعل الحزن في نبرة صوت توماس. "أقسمُ أنّ الأمور ستعودُ إلى طبيعتها قريبًا. أريدُكَ أن تثق بي يا توماس."

"أنا أثقُ بِك." تنهّدَ ثم حكّ وجهه بيده، في فعلٍ غير معتاد منه. كان شعره الداكن أشعثًا بطريقةٍ تُشير إلى الاضطراب الداخلي. "وهو جزءٌ من المشكلة على ما أظنّ. ما نوع الصفقة التي أبرمتِها مع مفيستوفيليس؟"

توتّرتُ وألقيتُ نظرةً للتأكد من أننا لوحدنا. ترنّحَ أحد المُشاة على مطوالاتٍ كشبحٍ بالأبيض والرمادي على الممشى، وبدَت حركاته الغريبة منظرًا مخيفًا مقابل ظلام المحيط. كنّا نقتربُ كثيرًا من نقض شروط صفقتي، وسواءٌ حدثَت مشاكل مع توماس أم لا لم أستطِع تعريض سعادة ليزا للخطر.

قلتُ بعد أن وجدتُ بقعة على السياج أمسحُها بكمّي: "لستُ متأكدةً من فهمي لاتهامك. لم أقبل أيّة صفقة مع سيّد الحلبة. أنتَ تفقدُ لمستكَ الاستنتاجيّة يا كريسويل."

امتدّت بيننا لحظة صمتٍ ثقيلة وغير مُريحة.

"هل تريدين معرفة شيء مُثير للاهتمام عن استنتاجاتي؟" سألني توماس وهو يلتفتُ إليّ. "نظراتُكِ تنخفض قليلًا ثم تعلو عندما تكذبين. إنّها علامتُك الخاصّة، رأيتُكِ تفعلينها مع مولدفانو ومع والدك." قام بتفحّص وجهي بينما تجمّدَ وجهه لمنعي من رؤية الألم عليه. "لقد قطعنا وعدًا بألّا نكذب على بعضنا البعض." تنفّسَ

بعمقَ كأنـه يمنـح نفسـه لحظـةً لتجميـع أفـكاره أو لقـول شـيءٍ بأسـلوب صحيـح. "أنـا متأكـدٌ أنـه يُمكنـكِ إيجـاد طريقـة لتكونـي صادقـةً معـي دون نقـض شـروط صفقتِـك. نحـن شـريكان مُتسـاويان، أشـرِكيني حتـى أتمكّـن مـن المُسـاعدة."

كنـتُ أرغـب فـي ذلـك أكثـر مـن أيّ شـيء، وأرهقـتُ عقلـي للمـرة الألـف لكننـي لـم أجـد طريقـةً للالتفـاف حـول شـروط مفيسـتوفيليس. إذا اعترفـتُ بـأيّ تواطـؤ سـيكون ذلـك نهايـة اتفاقنـا. لـن تتخلّـى ليـزا أبـدًا عـن هـاري هودينـي بمُفردهـا، وكان الوقـت ينفـد منّـا. سـنصلُ إلـى أميـركا فـي غضـون يوميـن، وإذا فقدتُهـا هنـاك سـتذهب إلـى الأبـد.

أمسـكتُ بقبضتـيّ، علـى أمـل أن يُحافـظ ألـم نشـب أظافـري فـي يـدي علـى قـوّة عزيمتـي. لـم أعِـد ارتـداء قفّازاتـي وكان بإمكانـي الشـعور ببشـرة ميفيسـتوفيليس الدافئـة تحـت أصابعـي.

"أقسِـمُ أنّني لـم أفعـل شـيئًا غيـر أخلاقـيّ." كانـت هـذه حقيقـة، لكـن الطريقـة التـي ابتعـدَت بهـا نظـرة تومـاس عنّـي أعلمَتنـي أنـهُ قـولٌ فظيـعٌ آخـر منّـي.

"فهمـت." خطـا تومـاس خطـوةً مُبتعـدًا عنـي، والمسـافة التـي فصلَـت بيننـا كسـرَت قلبـي إلـى نصفيـن. "أُسـعدتِ مسـاءً."

"تومـاس... أرجـوك." قلـتُ ومعدتـي تلتـوي، فهـزّ رأسـه وهـو يبتعـد. "أنـا... انتظر!"

توقّـفَ دون أن يلتفـت. "أنـا... أحتـاجُ إلـى قسـطٍ مـن الراحـة قبـل معـاودة التحقيـق. العقـل المُشـوّش يجعـل التحقيـق فوضويًـا. ليلـة سـعيدة يـا وادزورث."

مشـيتُ بضـع خطـوات وأجبـرتُ نفسـي علـى تركه يرحـل. لـم أتفاجأ

من معرفته العميقة بي من أيام أكاديمية الطبّ الجنائيّ. كان المُدير مولدفانو رجلًا بائسًا وكان عليّ تغيير الحقائق له من وقتٍ لآخر. أمّا والدي فقد اضطررتُ إلى إخفاء أمر تدريبي مع عمّي قبل قبوله شغفي بالطبّ الجنائيّ. الكذب شرٌّ لا بدّ منه، ولستُ فخورةً به.

دفنتُ وجهي في يديّ. سواءٌ أكانَ تصرّفي مبرّرًا أم لا فقد كذبت. كان لدى توماس كل الأسباب للشكّ بي، رغمَ أنّني تمنّيتُ من أعماق قلبي أن يعلم حقيقة أنّني لن أرغبَ في إيذائه أبدًا.

"آه، الأمير المُظلم يهرب تحت نسائم منتصف الليل." رفعَ مفيستوفيليس كأسًا من الشمبانيا قبل أن يرتشف منه. "إنه مُحقّ كما تعرفين، أنتِ تنظرين للأسفل عندما تكذبين."



# 21
# بِسواد روحه

## ممشى السفينة - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

استدرتُ نحو مفيستوفيليس. "هل لديكَ أيّ ضميرٍ على الإطلاق؟ ظهورُكَ فجأةً هكذا أمرٌ مُخيف وغير لائق."

كان قناع مفيستوفيليس بِسواد الليل من حولنا، بِسواد روحه الشيطانيّة، وبِسواد عينه[1] إذا تسلّلَ إليّ مرةً أخرى بوجود قاتلٍ يجوب السفينة. قام برمي ما تبقّى من شرابه وأشارَ إلى مقعده حيث كان صندوقٌ من الفُشار نصف المأكول إلى جوار زجاجة شمبانيا فارغة.

"لقد كنتُ جالسًا هنا. ليس خطئي أنّكُما عديما المُلاحظة."

صررتُ على أسناني. "إذًا منذ متى وأنتَ تستمعُ إلينا؟"

قال: "ما يكفي لأهنّئكِ على تمثيلكِ دور البريئة، رغم كونها محاولةً سخيفةً حقًا. دعينا نتّفق على أنّ التمثيل بعيدٌ عن مواهبكِ الفعليّة، رغمَ أنّ ما رأيتُه منكِ في مجال التحقيق حتى الآن ليسَ أفضل بكثير. على الأقل شكلُكِ لطيفٌ إلى حدٍّ ما، ورقصُكِ جيّد بشكلٍ مُفاجئ."

---

1- تعني أنها ستضربه فيصبح ما حول عينه أسودًا. (المُترجم)

سألتُه بنفاد صبر: "هل أنتَ هنا لغرضٍ فعليّ أم لأنّكَ مللتَ من لعب الحيل على الناس؟ أم أنّكَ - وهو المرجّح - تستمتع بالمشكلة التي سبّبتَها بيني وبين توماس؟"

ابتسم. "أنا لا أملُّ من الحيل، مثلما لا تملّين أبدًا من فحص الجثث."

قلت: "هذا لا يمنحنا شيئًا مشتركًا."

هزّ كتفيه. "كما تقولين، رغمَ إنّي أخالفكِ الرأي."

قلتُ بغضبٍ من حيلة قفص الأسد خاصّته: "بالمُناسبة، لا أعرف ما الهدف من مسرحيّتكَ الأخيرة، لكن عمّي سيُعيدني إلى لندن إذا رآني لوحدي معكَ مرةً أخرى. إذا قمتَ بتعريض مستقبلي في الطبّ الجنائي للخطر فسوف أنقض اتفاقنا."

"ربّما أردتُ ببساطة أن أرى ما إذا كنتِ تهتمّين لأمري أم أنّ كلّ شيءٍ تمثيل. أنتَ في طريقكِ لتكوني فتاة استعراضٍ رائعة، رغمَ نظركِ إلى أسفل عندما تكذبين."

فتحتُ فمي ثم أغلقتُه حين رمقني بنظرة معرفة. "إذا أرسلكِ عمّك إلى المنزل بسبب ذلك فربّما تنفعكِ الدراسة تحت إشراف شخصٍ آخر.

قد تُفكّرين في دراسة نُسختي من العلوم لفترةٍ من الزمن."

لوّح بيده مُغيّرًا الموضوع. "يُمكننا التحدّث إلى الأبد حول الدراما الشخصيّة لكن لديّ خبرٌ لك. ستُقابل ابنة عمّتكِ هوديني على خشبة المسرح بعد منتصف هذه الليلة، لوحدها. إنه أمرٌ فاضح للغاية بالنسبة لفتاةٍ هاربة من المجتمع الراقي تسافر مع فرقةٍ من المُنحرفين."

قلبتُ عينيّ. "لقد كانت تُسافر معك لأكثر من أسبوع والآن أنتَ قلقٌ بشأن الفضيحة؟"

"أذكرُ أنّ عمّكِ هدّد بسجنها إذا انفردَت بهوديني مرّةً أخرى. أترَين؟ لقد جلستُ هنا، أنتظرُ بصبرٍ أن تنتهي من تحقيقك لكي أنقل إليكِ الأخبار فورًا."

كدتُ أصرخ. بالمعدّل الذي سرنا به أنا وليزا سينتهي بنا المطاف قريبًا في زنازين مُتجاورة في المصحّة. "ماذا سيفعلان؟"

"إنهما يعملان على عرض هاري الجديد ليوم الغد، إنهُ سريٌّ للغاية لكنّني حضرتُ مُعاينةً أوليّة منه. إنه خطير وفيه تحدٍّ كبير للموت. إذا فشلَ للحظةٍ في التوقيت فسوف يلقى حتفه داخل علبة الحليب[1] تلك."

باتَ هذا أنسب وقت للتفكير في السباحة للعودة إلى إنجلترا. لم تكن ليزا تقابل هوديني فحسب بل تخطط أيضًا لمُساعدته في عرضٍ آخر بعد أن أقسمَت لعمّي أنّها لن تفعلها مرةً أخرى.

"علبة حليب؟" سألتُه مع علمي أنهُ كان يستدرجني لمزيدٍ من الاستفسار. "هذا لا يبدو تحدّيًا للموت، وماذا عن عرض الأصفاد؟ يجب أن يُركّز على كونه ملكًا لشيءٍ واحد على الأقل."

"هل تنتظرين من هاري هوديني الجلوس باسترخاء راضيًا عن ارتدائه تاجًا واحدًا؟" ضيّقَ مفيستوفيليس عينيه الغامقتَين كأنّني أصبتُ بشيءٍ في عقلي. "لماذا يقبل المرء بكونه جيّدًا إذا كان بإمكانه أن يُصبح عظيمًا؟ إذا كان يرغب في نيل لقب 'هوديني العظيم'

---

1- الهروب من علبة الحليب عرض حقيقي قام به هوديني بالخروج من إناء معدني كبير ممتلئ بالماء على شكل إناء الحليب بعد القيام بتقييده وغمره في الإناء ثم غلق الغطاء عليه بأقفال. (المُترجم)

بجدارة فيجبُ عليه تقديم عرضٍ يرقى له. لا يتذكّر الناس العروض المتواضعة. لكي تكسبي عقول وذكريات الجمهور حقًا تحتاجين إلى العظَمة. هذا ما يحوّل القصص إلى أساطير ويبني الإمبراطوريّات."

قُلت: "العثور على طرقٍ جديدة للنجاة بصعوبة من الموت ليسَ بالعظَمة. إنه تهوّرٌ خطير، كما إنّ إشراك شخصٍ آخر في مثل هذا الغباء أمرٌ طائش ويجب أن يُعدّ جريمة جنائيّة. إذا حدثَ مكروهٌ لابنة عمّتي سيكون ذلك خطؤه، حينَها سيكتشف أنّ الملوك يسقطون مثل باقي البشر."

"آه، أختلفُ معكِ في شيءٍ واحد. تكمُن العظَمة في المُثابرة، في عدم الاكتفاء لمجرّد الوصول إلى هدفٍ واحد. إنها حالةٌ من التسلّق الدائم والسعي لتطوير النفس. سيُصبح هوديني العظيم يومًا ما لأنه عملَ على كسب هذا اللقب بجدارة، وقامَ بمهمةٍ مستحيلة تلو أخرى، ولم يرضَ أبدًا بمجرّد كونه جيّدًا."

"يبدو أنه لا يُحب الاقتناع بما أنجزه."

"القناعة هي أصل الرضا عن النفس. اختارَت قريبتُك اتباعه لأنه لا يكتفي بالجلوس والتواضع. هل هوديني الجيّد وهوديني الكفوء لهُما وَقعٌ على الآذان؟" هزّ رأسه. "لا أظنّ ذلك، تمامًا مثل الفرق بين المعطف الجيد والمعطف الرائع."

"ألِهذا السبب تخلّيتَ عن اسم عائلتك؟" سألتُ بفضول. "لم ترغب بالعيش في قناعةٍ ورفاهيّة. كان ذلك جيّدًا فقط وليسَ رائعًا."

حوّل مفيستوفيليس انتباهه إلى الرجال والنساء الذين ساروا بين أكشاك الكرنفال على الممشى في أزيائهم الأنيقة. كان عددُهم أقلّ بكثير من السابق، وبدا أنّهم فقدوا معظم رونقَهم. "لماذا العيش في

قفص إذا كان بالمقدور عمل عرضٍ بالهروب منه؟"

"أنا –"

"أخبريني أنّ الحياة لا تبدو جذّابةً بالنسبة لك."

فتحتُ فمي لكنّني لم أتكلّم. أعطاني مفيستوفيليس نظرة معرفةٍ أخرى دون التطرّق إلى الموضوع.

"هل نذهبُ للتحقّق من ليزا وهاري؟" أخرجَ ساعة جيبه وأرجحَها إلى الجانبين كأنّهُ يأمل في تنويمي مغناطيسيًا لمنعي من البحث في ماضيه. "في غضون دقائق ستُسدل الستائر أمام الجمهور، لكنّ العرض الخاص سيبدأ."

ألقيتُ نظرةً على الجمهور المُتناقص، على أمل العثور على رجلٍ طويل القامة على وجه الخصوص، ذلك الذي سأصلحُ ما بيني وبينه بأسرع ما يمكن. لكن على عكس صانع المُعجزات الذي أمامي بدا أنّ توماس قد اختفى تمامًا هذا المساء. يئستُ أخيرًا من البحث فتركتُه. كنتُ سأراه قريبًا عند التحقيق في قفص الأسد.

مرّ نجمٌ في السماء، ودعوتُ ألّا تكون تلك علامةً على قُصر عُمر الحبّ أو الصداقة.

***

استقبلَنا الصمتُ المُخيف في صالة الطعام بعد انتهاء عرض مهرجان ضوء القمر الليليّ. كانت ابنة عمّتي على مقربةٍ من حبيبها فنّان الهروب العجيب على خشبة المسرح، ورأساهُما ينحنيان في مُحادثةٍ هامسة. تعثّرَت خطواتي وأنا أشاهد عملهُما على تفاصيل العرض. لم يكن هُناك شكّ في أنّ التآمر على ليزا سلوكٌ خادع وتواطئيّ، وكنتُ أنا زعيمة المجموعة في عَرضي الجانبيّ الذي

ابتكرتُه. كنتُ آمل أن تسامحَني حين أخبرها بكلّ شيء، رغمَ أنني لم أعرف كم من الوقت سأحتاج لأغفرَ لنفسي. قد تكون عواطف هوديني مجرّد أوهام لكنّها بدَت في تمام الرّضا عنها.

صفّرَ مفيستوفيليس لِهوديني رافعًا يده في تحيّة، وتبادلَ الشابّان نظرةً خاطفة لم أستطِع فهم معناها. ربّما كانت تحذيرًا من سيّد الحلبة بضرورة إنجاح الحيلة الجديدة والخطيرة. مع مقتل النساء في كلّ ليلةٍ تقريبًا واكتشاف الذراع المقطوعة كان كرنفالهُ يتأرجح في وضعٍ شديد الحرَج. زلةٌ واحدة كفيلة بتدمير كامل الحياة التي بَناها مفيستوفيليس لنفسه.

ابتسمَت ليزا وقفزَت من المسرح، لتنطلقَ إلى جانبي في طريقةٍ ضاعفَت من تأنيب ضميري لعقد صفقةٍ من وراء ظهرها.

"ابنة خالي! يا للمفاجأة الجميلة." قبّلَت خديّ وضمَّتني في ذلك النوع من العناق الذي يرفع معنويات الشخص بقدر رفعه لأقدامه عن الأرض. "لم أتوقع خروجكِ في هذا الوقت المتأخر. هل سيأتي السيّد كريسويل أيضًا؟"

قال مفيستوفيليس وهو يتقدّم نحو المسرح: "إنه في حالة حُزنٍ بسبب الغيرة من بدلتي. لا يُمكن لأيٍّ كان التألّق في ملابس شيطانيّة الطراز ذات حافاتٍ فضّية."

مدّت ليزا رقبتها باحثةً في ظلال الصالة كأنّها لا تُصدّق كلام سيّد الحلبة. هززتُ رأسي. "شعرَ بالإرهاق فذهبَ إلى الفراش، لقد مررنا بأمسيةٍ مُتعبة بعض الشيء."

"آه."

نقلَت ليزا نظراتها بيني وبين مفيستوفيليس بسُرعة. كان بإمكاني

رؤيـة الأسـئلة تختمـر فـي رأسـها وعرفـتُ أنـه سـيكون لـديّ الكثيـر للإجابـة عليـه بمجـرّد أن نصبـح بمُفردنـا. رمشَـت عينيهـا فاختفـى الشـكّ منهمـا. كانـت ليـزا تقـرأ الأحيـاء كمـا قـرأتُ الأمـوات.

"للأسـف أنـه سـيُفوّت هـذا" - أشـارَت إلـى المسـرح - "لكننـي متأكـدة مـن أنـه سـيُعجبهُ للغايـة فـي مسـاء الغـد. إنـه أمـرٌ سـحريّ حقًـا، أقسـمُ أنّ هنـاك قـوى خارقـة تعمـلُ هنـا، لتُوجّـه هـاري بطريقـةٍ مـن عوالـمَ أخـرى."

زفـرتُ بارتيـاح لتحـوّل المُحادثـة نحـو هوديني. لقـد أوضـحَ الكابتن نـوروود أنّ الحديـث ممنـوعٌ بشـأن الـذراع المقطـوع، ورغـمَ ثقتـي بابنـة عمّتـي إلّا أننـي لـم أرغـب فـي تحميلهـا ذلـك العـبء. "أنـتِ تعلميـن أنّ السـحر ببسـاطة اتحـادٌ بيـن العلـم والخـداع. إنـهُ مجـرّد أكاذيـب مُنمّقـة."

هتـف هـاري مـن المسـرح: "ولا توجـد أشـباحٌ فـي الحقيقـة! الروحانيّـات خدعـة."

"استمرّ فـي إخبـاري هـذا، مـرارًا وتكـرارًا." تنهّـدَت ليـزا فـي مُعانـاةٍ وهـي تلـفّ ذراعهـا عبـر ذراعـي، ثـم مالـت نحـوي حتـى لا يسـمعها فنّـان الهـروب. "لكنّهـا أيضًـا ممتعـة. الانغمـاس فـي الخيـال أمـرٌ رائـع ورومانسـيّ ولا يُمكنـكِ القـول أنـكِ لسـتِ مفتونـةً ولـو قليـلًا بنقـض استحالته. الأمـل هـو السـحر الحقيقـي، وهـو الشـرارة وعامـل الجّـذب. أعـرفُ أنّ الأشـباح ضـربٌ مـن الخيـال، لكـن إذا رغبـتُ يومًـا فـي التحـدّث إلـى عزيـزٍ راحِـل فسـوفَ آمـلُ أن تكـون حقيقـة."

وافقتُها الرأي. "الأمل قوّةٌ عظيمة."

"فعـلًا. أقسـمُ أننـي كنـتُ سأتمسّـك بهـذا الشـعور كالمرسـاة ولـن أتركـه. نفـس الشـيء يحـدث فـي كل عـرضٍ مـن هـذه العـروض. يأمل

الجمهور أن يصبحَ المستحيل ممكنًا، العروض تُريهم أنّ الأحلام لا توجد فقط في عقولنا، بل يُمكن للتخيّلات أن تتحقّق بوجود الأمل، وسلبُه مثل انتزاع الحياة من المرء. نحتاجُ جميعًا إلى الإيمان بقدرتنا على تحقيق المُستحيل."

شعرتُ بابتسامةٍ على وجهي. امتلاك ليزا لكل هذه الآمال أمرٌ جيّد، فهي بالتأكيد بحاجةٍ إليها لئلّا يكتشف عمّي أنها كانت ثاني فتاةٍ تعصيه هذا المساء، وإلا فقد حُكم علينا بالفشل. "أنتِ لا تخطّطين لمُساعدة هاري فعليًّا على خشبة المسرح يوم غد، أليس كذلك؟"

ابتسمَت ليزا بمُكر. "بالطبع لا، لن أحلمَ -"

صفّق هاري بيديه عدّة مرات مُوقِفًا حديثنا. استدرتُ لأواجه الشابّ. "يا سيّدات! الوقتُ هو الحاكم الوحيد الذي أطيعُه وقد بدأ صبره ينفد." أشارَ إلى ليزا. "أنا بحاجةٍ للمُساعدة الآن. يجب أن أثبتَ لمفيستو أنّ هذا ليس فخًا مُميتًا. لقد أتقنتُ التوقيت."

ألقيتُ نظرةً على ابنة عمّتي. "فخٌ مُميت؟ ماذا يقصد؟"

"سوف ترَين."

ضغطَت ليزا على يدي، ثم اعتلَت خشبة المسرح من جديد لتنحني لنا قبل أن تختفي خلف الستائر الغامقة. التوَت معدتي. لم تتدخّل ليزا قطّ في شغفي، بغضّ النظر عن مدى احتقار المجتمع لي بسبب مساعيّ العلمية. خلال تحقيقنا في قضايا السفّاح كانت هي مَن وقفَ بجانبي، وواجهَت صديقاتِنا في حفلة الشاي عندما سخرنَ من توماس واتّهمَنه بارتكاب الجرائم بسبب حبّه للعلم وافتقاره الظاهريّ للعواطف. قامَت أيضًا بلعب دور الابنة المثالية،

وتظاهرَت باصطحابي إلى متاجر الملابس، بينما كنتُ في الواقع أتسلّل مع توماس للتحقيق في شوارع لندن. وفي النهاية كانت هذه هي الطريقة التي رددتُ بها الجميل، بالأكاذيب والتلاعُب وصفقات منتصف الليل مع شابٍّ شيطانيّ.

فجأةً بتُّ غير واثقةٍ من قُدرتي على المضيّ قدُمًا في اتفاقي. بطريقةٍ ما في هذه الرحلة كنتُ أتصرّف مثل والدي: أحبسُ أولئك الذين أحبّهُم في أقفاص بدلًا من منحهم الحرّية. كانت حقيقةً مُروّعة كادَت تخنقني بطعمِها المُرّ.

"الخداع لا يُناسِبك، رغمَ أسفي الشديد لذلك." ابتسمَ مفيستوفيليس ابتسامته المُتعجرفة. "قد يكون قناعًا مُمتعًا للتجربة بين حينٍ وآخر، لكنّني أقترحُ أن تظلّي صادقةً مع نفسك. الصدق هو الأفضل لأسباب. إذا رغبتِ في إعادة النظر في شروط اتّفاقنا فاخبريني."

قبل أن أجيبُه دحرجَت ليزا علبة حليب كبيرة على خشبة المسرح ووضعَتها في المنتصف تمامًا. قَفز هاري نازلًا وركضَ نحو مؤخرة الصالة، في إنجازٍ بحدّ ذاته لأنه لم يصطدم بأيّ طاولةٍ أو كرسي وهو يُحدّق في ذلك الشيء.

"أبعَد بقليل إلى اليسار... بوصةٌ أخرى... توقّفي! أليس هذا مثاليًا؟"

عقدَ ذراعيه وتفحّصَ الغرفة. "ضعي علامة X في كل زاوية، تأكّدي من كونها صغيرة بما يكفي لكي لا تُرى من المقاعد. انطلقي وامسكي بالستارة المُتنقّلة. يجب أن يكون كلّ شيء في حالةٍ ممتازة، لن تُتاح لنا فرصةٌ أخرى لترك الانطباع الأوّلي.

يجب أن يكون هذا العرض عظيمًا."

"لطفًا." أضاف مفيستوفيليس، وعندما رفع هاري حاجبه الداكن أوضح سيّد الحلبة: "إذا طلبتَ من مُساعدٍ فعل شيءٍ ما فتحلَّ بكياسةٍ كافية لتكون مهذّبًا. واحذر من استخدام كلمة 'لا' بالأسلوب الأمريكيّ، إنها فظيعة وتُشتّت الانتباه عن مهاراتك."

قال: "لستُ قلقًا بشأن ذلك، و'لا' يجب عليك القلق كذلك. مَن غيري يُمكنه القيام بالأعمال المُثيرة التي أنجزها؟" نظرَ حوله بشكلٍ مُبالغ فيه. "لا أرى أحدًا."

ابتسم مفيستوفيليس قائلًا: "حتى لو سحبتَ فرسًا وحيد القرن بألوان قوس قزح من سحابةٍ أرجوانيّة سيتشتّت انتباهي بسبب قواعد اللغة الفظيعة خاصّتك. افعلها من أجل الأحصنة الخيالية المسكينة إن لم يكن من أجلي. المخلوقات السحريّة تستحق كلامًا مضبوط القواعد."

قلبَ هاري عينيه. "في آخر مرّةٍ ناقشنا هذا كان تعاوننا ناجحًا لأنّنا لا نتدخّل في أساليب بعضنا البعض. أنا لا أنتقد سحرك أو هندستك وأنتَ لا تُعلّق على سحري."

قال مفيستوفيليس وهو يتقدّم لشغل مقعد: "إذَن دعنا نسمّيها بعض النصائح الودّية من صانع عجائب إلى آخر." استرخى على الكرسي ومدّ قدمَيه كأنه في غرفته الخاصّة ولم يكن قبل ساعةٍ فقط في مواجهة هجومٍ من أسد. "لن تكسب قلوب الكثير من المُعجَبين إذا كنتَ وقحًا مع السيّدات الشابّات.

هل تعتقد أنّ الأمير ألبرت كان يُخاطب جمهوره هكذا؟ إذا كنتَ ترتدي بدلة توكسيدو وربطة عنق وتُسمّي نفسكَ ملكًا فتصرّف مثل

النبلاء. تنتمي لغتكَ النيويوركيّة إلى المكان الذي تعلّمتَها منه، مثل حالةٍ سيئةٍ من قمل الرأس."

ارتعدَت ابتسامةٌ فظيعة على شفتي فنّان الهروب. "لن أرتدي بدلة توكسيدو لهذا العمل أيّها الرئيس. لكن سأفكّر في إضافة بعض اللمسات للاقتراب من طبقة النبلاء." التفتَ إلى ليزا بانحناءةٍ عميقة. "هل تسمحين بإحضار الستارة المحمولة 'لطفًا'؟ لن نحظى بفرصةٍ أخرى في تقديم علبة الحليب الكبيرة لأوّل مرة. نحتاج إلى إضافة بعض الإبهار."

بدا على مفيستوفيليس بعض المتعة لاستخدام هوديني الصحيح للأخلاق والقواعد، لكنه لم يبتلع الطُعم. قامَ هوديني مع ليزا بإعداد بقيّة المسرح وفقًا لقياساته ومطالبه الدقيقة، وسمحتُ لعقلي بحرّية الانجراف في أحداث المساء. لم أستطِع الكفّ عن تخيّل مقدار الرعب الذي تعرّضَ إليه الرجل قبل موته. كنتُ آمل ألّا يكون قد عانى كثيرًا.

جلستُ بجانب مفيستوفيليس، باذلةً قصارى جهدي لكيلا أتذكّر مدى التشابه بين الذراع المقطوع في صندوق الثلج وبين مختبر جاك السفّاح والأعضاء التي جمعَها. نظرَ لي سيّد الحلبة، واستبدل ابتسامتَه المعتادة بعبوس وهو يسألني بجدّيةٍ مُفاجئة: "هل زُرتِ غرفة المرأة التي احترقَت؟"

لم أتوقع ذلك السؤال منه، لكنّني أومأتُ ببطء. "ذات مرّة، عندما وصلَنا خبرٌ في البداية عن كونها مفقودة."

سحبَ قطعةً مربّعة من القماش من جيب معطفه الداخليّ. "هل هذا مألوفٌ لكِ؟"

شعرتُ بدمي يتجمّد وأنا أرى لونه القرمزيّ الساطع. تذكرتُ الفستان الجميل الذي رُمِيَ على أرضيّة غرفة الآنسة كرينشو، لم أقُم بتفحّصه عن كثب لكنّني على يقين من أنّهُ لم يتمّ قطعُه. "من أينَ لكَ هذه؟"

"لقد تُرِكَت في قُمرتي قبل ليلتين، بلا مُلاحظةٍ ولا بيان للسبب." طواها ثم أعادَها إلى معطفه ثانيةً. "ظننتُها سقطَت من إحدى عاملات الغرف في أثناء تنظيف غرفتي، لكنّني الآن لستُ متأكدًا." أخرجَ من جيبه الثاني قطعةً أخرى من القماش الأحمر، لكن هذا كان ملطّخًا بلون الصدأ، الدّم. "من نفس الحرير، تمّ ترك هذا في الليلة الماضية."

"يبدو أنه نفس قماش فستان الآنسة كرينشو."

"'يبدو'؟" صاحَ مفيستوفيليس. "لماذا لا نقول بثقة أنه قماشٌ من ثوبها؟ قد أتقنُ ألعاب خفّة اليد لكنّكِ يا آنسة وادزورث بارعةٌ حقًا في ألعاب الكلام."

قلتُ بهدوء: "بصفتي عالمةً من الحماقة قول شيء على وجه اليقين عندما لا يُمكنني التأكّد منه للوهلة الأولى. لذلك هذا يبدو أنه نفس النسيج، وما لم يكن لديّ الثوب لفحصه لا يُمكنني القول بشكلٍ مُطلق أنهُ نفسه. هو مُماثلٌ بالتأكيد لكن هذا لا يقتضي أن يكون من نفس الثوب." رفعتُ كتفًا، وتقلّصَت عضلةٌ في فكّه. "انزعج قدر ما تشاء، لكن الذاكرة تصنع أوهامًا أفضل منكَ شخصيًا. ماذا عن مفهومكَ بخصوص خداع العيون يُقنِع العقول؟ أليسَ هذا تطبيقًا لنفس المفهوم؟"

سأل: "حسنًا، هل ستُرافقيني إلى مقصورة الآنسة كرينشو؟ قد نبحث هناك عن دليلٍ علميّ على كون هذا الجزء من القماش

المقطوع، الذي يبدو أنه خاصّتها، هو في الواقع من ثوبها."

"اقتحام مقصورتها ليسَت الفكرة الأفضل، لا سيّما أنّها مسرح جريمة."

"هذا يجعلها أكثر جاذبيّة." وقفَ ومدّ يده. "دعينا نُسرع في الأمر.

أنا واثقٌ من أنّ القبطان سيأتي للبحث عنكِ في القريب العاجل."

"لم أقُل بلى."

"صحيح، ولم تقولي كلا أيضًا." ارتفعت إحدى زوايا فمه. "أعلمُ أنكِ متلهّفة لحلّ هذا بقدري يا آنسة وادزورث. لقد بدأتُ في استلام شكاوى من رُعاة الكرنفال والأمور حرجةٌ فيما يخصّ مستقبل كرنفال ضوء القمر. هل ستُساعدينَني في اقتحام غرفتها أم لا؟ لقد ماتت الفتاة، وأشكّ في أنّها ستُعارض تحقيقنا هذا."

أشرتُ بفتور إلى المسرح. "ماذا عن عرض علبة الحليب؟"

"عليكِ ببساطة الانتظار حتى ليلة الغد لمشاهدته مع بقيّة الركّاب." مدّ يده مرةً أخرى. "هل أنتِ مستعدةٌ لبعض الأنشطة الإجراميّة البسيطة؟"

بالتأكيد لم أكن كذلك. وقفتُ بشعورٍ يجرّني إلى أسفل، وتبعتُ السّاحر إلى حجرة المرأة المقتولة وأنا في ندمٍ على حماقتي.



# 22
# الكعكة والأقنعة

## ممشى السفينة - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

خرجنا إلى سطح الممشى لنكتشف نوعًا مختلفًا من الفوضى عن تلك التي مررنا بها قبل نصف ساعة. قامَ أفراد الطاقم والفنّانين بتفكيك الخيم مثل جيشٍ من النمل، وطوي الأقمشة المخططة بالأسود والأبيض والفضّي وتخزينها لاحتفالٍ آخر من احتفالات ضوء القمر. اختفى الركّاب المُنغمسون في أنواع الألعاب وتناول الحلوى، ورحلَ المشاة على المطوالات مع ملابسهم الضيقة وهم يرقصون كالثعابين السامّة في سلالها، مُتأرجحين على إيقاع البحر وأنغام الموسيقى العذبة. كما تلطّخَ المكياج الشمعيّ على وجوه المهرّجين والسيّدات المُتنكّرات حتّى بدا كقطع لحمٍ ممزّق من بشرتهم. مع ذلك ورغمَ مدى التعب الظاهر على الفنّانين لم يخلع أيٌّ منهم قناعه.

"لماذا يحتفظون جميعًا بأقنعتهم بعد العرض؟"

دفعَ مفيستوفيليس ذقنه إلى الأمام. "إنهم يكسبون عشرين دولارًا في الأسبوع بالإضافة إلى كعكة بشرطٍ واحد: ألّا يخلعوا أقنعتهم

أبـدًا، تحـت أيّ ظـرف."

رفعـتُ حاجبـي: "كل مـا تُقدّمـه لإطعامهـم كعكـة؟ وهُـم مُوافقـون علـى هـذه الأمـور؟"

"ليسَ بالضّبط. أعني أنّ أجورهم تشملُ الطعام."

عبسـتُ علـى مصطلحـات وشـروط الكرنفـال. بـدَت تلـك كثيـرًا مـن القواعـد القطيعـة لِفرقـةٍ مـن النـاس تنشـدُ العيـش بدونهـا. قلتُ مُسـتدركة: "أنـتَ لا تُجبـر هـاري هودينـي علـى شـرط القنـاع. ألا يُسـبّب ذلـك فتنـةً داخليـة؟ ظننـتُ أنّ القواعـد تنطبـق علـى الجميـع أو لا تنطبـق علـى أحـد."

أومـأ سـيّد الحلبـة بالالتفـاف نحـو الجانـب الآخـر مـن السـفينة، وتبعتُـه علـى سـطح الميمنـة الفـارغ. كنّـا لوحدنـا مـع صريـر الحبـال والركّاب النائميـن، وحاولـتُ ألّا أرتجـف مـع هبـوب الريـح علـى ياقتـي، عنيفـةً وخطيـرة مثـل أيّ وحـشٍ مختـلّ.

أخيـرًا قـال مفيسـتوفيليس: "هـاري مختلـف، سـيغدو أسـطورةً يومًـا مـا. يرتـدي رجـلٌ مثلـه قناعًـا فـي الأصـل، إنـه يُعيـد خلـق نفسـه مـن رماد مـا كان عليـه مـن قبـل. لمـاذا أجعلـه يتنكّـر وهـو يُمسـي شـخصًا جديـدًا كلّ ليلـة ويتخلّـص مـن المزيـد مـن هـاري القديـم؟"

"ومَن كان هاري القديم؟"

لم أتوقّع إجابةً منه، لكن مفيستوفيليس مليءٌ بالمفاجآت.

"إنـه مُهاجـرٌ مجـرّي، لكنـهُ يُخبـر النـاس أنـه مـن أبليتـون - ويسكونسـن. هـاري لديـه الكثيـر مـن الأقنعـة الخفيّـة، وهـي أكثـر أصالـةً مـن الأقنعـة الملموسـة."

سألتُه مازحةً: "هل هاري اسمه الحقيقي حتّى؟"

"كلا. إنه إيريك."

"إيريك؟"

"إيريك فايس، إن كان هذا صحيحًا. لا أحد يُمكنه معرفة ذلك حقًّا عدا والدته." أحصى الكابينات وتباطأ. "ها نحنُ ذا."

توقّفنا خارج مقصورةٍ على بُعد بابَين من مؤخرة السفينة. تذكّرتُ إصرار عمّي على أنّ القتلة غالبًا ما يُعيدون زيارة مسرح الجريمة خاصّتهم، فاستدرتُ في مكاني فاحصةً المنطقة المحيطة. في قُبالتنا كان السياج الحديديّ والبحر الذي لا نهاية له، وعلى جانبي المقصورة تمّ تعليق زوارق النجاة على الحائط مثل عيّنات الحيوانات الثمينة. لم تكن هُنالك أماكن اختباء مُحتَملة، وتساءلتُ كيفَ رُفِعَ جسدُها.

"كيف تعرف مكان حُجرة الآنسة كرينشو؟" سألتُه فجأة، إذ لم يكن حاضرًا عندما تفحّصنا غرفتها. "هل كنتَ هنا من قبل؟ كيف عرفتَ أنّ قطعة القماش تخصّ فستانها؟" خطرَت لي فكرةٌ أخرى وضيّقتُ عينيّ. "هل كنتَ على علاقةٍ معها؟"

"هل هذه غيرة؟ هُنالك ما يكفي منّي للجميع يا آنسة وادزورث. أمّا إذا كنتِ ترغبين في أن تكوني الوحيدة خاصّتي فنحتاجُ إلى معالجة وضع كريسويل. إذا التزمتُ بفتاةٍ فلا أحبُّ المُشاركة بها."

لم أنزل إلى مستوى الردّ على مثل هذه الحماقة، لكنّها أضافَت طبقةً أخرى إلى لُغز الساعات الأخيرة من حياة الآنسة كرينشو. إذا كانت مع سيّد الحلبة فربّما هُناك مَن يُراقب تحرّكاته؟ جعلني ذلك أفكّرُ في كاسي مرةً أخرى. هل كانت تغارُ من مغامراته في أواخر الليالي؟ أم أنّ زوجها تبعه إلى هنا على أمل توريطه في الجرائم؟

ربّتَ مفيستوفيليس على مُقدّمة صدريّته عابسًا، ثمّ قام بتقليب

جيوبه، وتحسّسَ حافة قبّعته، ثم انحنى ليتفحّص نعل حذائه.

"لحظةٌ... أخرى... فقط."

"حقًا؟" سألتُه وأنا أقلبُ عينيّ بمجرّد اكتشافي ما كان يبحث عنه. "كيف لكَ من بين كلّ الناس ألّا تحملَ فاتح أقفال؟"

"هل أبدو هوديني لكِ؟ إنهُ هو ملكُ الأصفاد."

"واضح، وإلّا كنّا قد دخلنا الآن بدلًا من إضاعة الوقت."

قمتُ برفع إحدى دبابيس قبّعتي ودفعتُ سيّد الحلبة جانبًا بجسدي. صفّرَ بإعجاب عندما أدخلتُ الدبّوس في القفل وهززتُه حتى سمعتُ الصوت الخافت لنقر اللسان داخله. لم يكن هوديني الوحيد الذي بوركَ بهذه الموهبة. ربّما إذا هربتُ مع السيرك قد أتدرّب وأطلق على نفسي لقب ملكة الأصفاد. شكرتُ والدي بصمت على هذه الحيلة وأخذتُ نفسًا سريعًا وأنا أفتحُ الباب.

قلتُ من فوق كتفي: "انظر مَن صانع العجائب الآن. ربّما أساعدُ السيد هوديني في هروبه الجريء التالي."

"كيف –"

دخلتُ المقصورة وتوقّفت. رغم كون الكابينة غير مُضاءة إلّا أنّ ضوء القمر تدفّقَ من المدخل المفتوح عبر العتبة، وتمكّنتُ من تمييز هيأة شبحٍ جالس على السرير. إمّا أنّ أحدهم قد كدّسَ الوسائد في شكل بشريّ أو أننا قد اقتحمنا غرفةً مشغولةً بالخطأ.

اصطدمَ مفيستوفيليس بي وأطلقَ شتيمة. "يجب أن نُغلق الباب –"

"فكرةٌ حسَنة، الجوّ باردٌ في الخارج." قالَ الشبح وهو ينهضُ واقفًا. "ربّما يجبُ عليكما قفله أيضًا. لن نرغب في إعطاء أيّ شخص انطباعًا خاطئًا عمّا تفعلانهُ هنا، لِوحدكما بعد منتصف الليل.

لا يبدو الأمر جيّدًا."

تطلّبَ الأمر بضع ثوان لأدرك أنّ صاحب الصوت لم يكن مطلقًا مَن توقّعت. "توماس..." كادَ قلبي يقفزُ خارج صدري في طريق الهروب من الوضع الفظيع. "ماذا تفعل جالسًا هنا في الظلام بحقّ الملكة؟"

ردًا عليّ انبعثَ ضوءٌ من طاولةٍ بجانب السرير، ورفعَ توماس فانوسه مُشيرًا إلى الغرفة. كانت سليمةً تمامًا وكل الأغراض في محلّها.

تم شد زوايا الشراشف بإحكام، وترتيب منضدة الزينة بعناية بالمجوهرات والمكياج. بدا كل شيء طبيعيًا تمامًا، باستثنائنا نحن الثلاثة. من الواضح أنّ أحدهم قد نظّف الغرفة منذ آخر مرة كنّا فيها.

فتحتُ فمي لكنّ الكلمات عجزَت. لم يخلُ سلوك توماس من بعض الغرابة دائمًا، مع ذلك كان هذا غريبًا حتى وفقَ معاييره.

"أحيانًا أستفيدُ من وضع نفسي في آخر مكانٍ معروف للضحيّة. إذا جلستُ بهدوء يُمكنني إعادة إنشاء المشهد." مدّ توماس رأسه. "ما الذي أتى بكما إلى هنا؟ هل اكتشفتُما شيئًا عن الآنسة كرينشو أو..."

كانت نبرته مُتّزنة وودودة بما فيه الكفاية، لكنني رأيتُ شيئًا ما في تعبير وجهه جعلَ فكّي يتقلّص. أجبتُه: "كنّا في نزهةٍ رومانسيّة وقررنا اختتام المساء بزيارة غرفة امرأةٍ ميتة. القُبلات المسروقة قرب الجثث المُتعفّنة آخر موضات الموسم، أنا مدهوشةٌ لأنّكَ لم تجرّبها شخصيًا." قبل أن يصقل ملامحه تمكّنتُ من رؤية الألم في تعبيره.

بحقّك، أيّ نوع من الأسئلة هذا يا كريسويل؟"

فجأةً تراجعَ توماس إلى الوراء حتى إنّني نسيتُ غضبي. تجعّد أنفه وهو يسأل: "ما هذه الرائحة الكريهة بحقّ السماء؟ إنّها مُريعة." قامَ بضرب الهواء من أمام أنفه. "رائحة تعفّن."

"ماذا؟" انحنيتُ إلى الأمام ناسيةً انزعاجي. آخر مرّة شممنا فيها رائحةً فظيعة كانت في الأكاديمية، وأعقبَها اكتشافنا لجثةٍ متحلّلةٍ مؤخرًا. دفعتُ تلك الذكرى بعيدًا إذ لم أرغب في تذكّر الخفافيش في تلك الغرفة التعيسة. شممتُ حولي مُتوقعةً الأسوأ. "أنا لا أشمّ أيّة رائحة غريبة."

"آه، لا تهتمّي." ارتخى توماس. "إنه ببساطة أسلوبُكِ يا آنسة وادزورث. إنهُ نتِن."

انحنى مفيستوفيليس وهو يغصّ بالضحك، بينما نظرتُ إليه بطريقةٍ تعدُ بالقتل في حالة نطقه بكلمةٍ أخرى. استقامَ وتراجعَ ببطء بيدين مرفوعتين، رغمَ اهتزاز صدره بالضحك المكبوت.

"حسنًا. لقد اتخذ هذا منعطفًا دراميًا للغاية." أخرجَ مفيستوفيليس ساعة جيبه كأنّه تذكّر للتوّ موعده مع إبليس. "آنسة وادزورث؟" ألقيتُ نظرة على سيّد الحلبة وهو يسير باتجاه الباب ويفتحه. "الحقيقة سمّ، راقبي الكمّية التي تأخذينَها في المرّة الواحدة."

"هل يُمكن أن تكفّ عن نصائح المُنجّمين؟"

"وكوني أكثر حرصًا في مقدار ما تُقدّمينه منها." نظرَ بحدّة إلى توماس متجاهلًا سخريّتي. "طبتُما مساءً."



# 23
# استنتاجاتٌ وخداع

## مقصورة الآنسة كرينشو - الباخرة إتروريا
## 5 يناير 1889

تجهّمت، إذ لم يُقدّم لي سيّد الحلبة أيّة خدمة بإهدائه تلك الجملة الأخيرة لي قبل الفراق. فورَ إغلاقه الباب جلسَ توماس على السرير، وقد اختفى منه التوتّر في الحال.

"كان ذلك سؤالًا بسيطًا يا وادزورث، وليسَ باتّهام. لقد قلتُها من قبل، سأحترم دومًا رغباتكِ فيما يخصّ الشخص الذي تختارينه لقضاء وقتك أو حياتك معه."

تنهّدت. "أنا أفهمُ سبب استيائك، حقًا، وأعتقدُ أنه يحقّ لك أن تغضب -"

"لستُ غاضبًا."

جاء رده بسرعةٍ تُثبت عكس قوله، لكنني تركتُ الأمر وشأنه. كان شيئًا يُمكننا مُعالجته بمجرّد وصولنا إلى أميركا. "لقد ماتَ شخصٌ آخر يا توماس. يجب أن يأتي عملنا أوّلًا."

"عمليًّا نحن غير واثقين من موته، ربما تم بتر الذراع بشكلٍ صحيح." نقرَ بأصابعه على فخذيه لافتًا انتباهي. "لا يُمكننا نفي كونه

حيًا في مكانٍ ما ما لم نفحص الذراع بدقّة."

سألتُه: "هل تظنّ ذلك حقًا؟ لو لم يتمّ بتر ذراعه بشكل صحيح لنزفَ حتى الموت."

"بالنظر إلى الجرائم الثلاث الأخرى فمن غير المُحتمل أنه على قيد الحياة، لكن الاحتمال لا يزال قائمًا." قام بتعداد الأسباب على أصابعه. "نحنُ على متن سفينة فيها كرنفالٌ متنقّل، والمعدّات الهندسية التي بحوزتهم خطيرة. ربّما كان يحاول تشغيل شيء ما وشوهَ ذراعه. ربما ذُعِرَ من كان معه. تحتوي السفينة نفسها على العديد من الأماكن التي قد يُصاب فيها المرء. لكن هل أعتقد أنَ أيًا من هذه الأحداث هي ما حدثَ فعلًا؟" هزّ رأسه. "لسوء الحظ كلّا. لهذا السبب أحاولُ جمع قطع الأحجية. أعتقدُ أنّ هذا مسرح أولى جرائم القتل، ومنطقيًّا يجب أن تكون الجريمة الأولى أكثرها احتماليةً لارتكاب الأخطاء. إنه المكان الذي يضع فيه القاتل تخيّلاته المُظلمة موضع التنفيذ، لكنّها نادرًا ما تسير كما خطّطَ لها. آملُ أن أجد دليلًا على كيفيّة بدء كل هذا."

"في الظلام؟"

"لقد تسلّلتُ إلى هنا لتوّي، وسمعتُ شخصًا يأتي فأطفأتُ الأضواء." ضاقت عيناه. "هل ظننتِني جالسًا هنا في الظلام أحدّقُ في الحائط؟ ألِهذا بدوتِ مُتفاجئةً للغاية؟" رمقَني بنظرةٍ جافة. "هذا متطرّفٌ زيادة، حتى بالنسبة لي."

"توماس، أنا... لم نكن..."

"رجاءً." - ربّتَ على السرير بجواره ولم تبدُ عليه علامات الوقاحة المعتادة - "لنجلس هنا لِلحظة. هُنالك شيءٌ كنتُ أنوي...

هـل مـا زلـتِ تحبّيـن الاطّـلاع علـى طريقتـي؟"

شـعرتُ أنـهُ غيّـرَ رأيـه فـي منتصـف كلامـه، لكنّنـي سـايرتُه. لقـد عـرضَ علـيّ غصـن زيتـون، فسـحة سـلامٍ لكلينـا لتجـاوز الأمـور التـي لا تهـمّ القضيـة. مشـيتُ إلـى السـرير وجلسـتُ بجانبـه. "سأسـتمتعُ بهـذا كثيـرًا. أخبِرنـي، كيـف يُطبّـق السـيّد تومـاس جيمـس دوريـن كريسـويل اسـتقراءاته علـى مشـهدٍ كهـذا؟"

"تقصديـن تومـاس جيمـس دوريـن كريسـويل الوسـيم والموهـوب بشـكلٍ لا يُصـدّق." بانـت ابتسـامةٌ خفيفـة علـى وجهه. "أبـدأ بسـيناريوهات واضحـة، بالحقائـق الأساسـية. مـا الـذي نعرفـه بالفعـل عـن المشـهد؟"

بـدأتُ بالـكلام مُحاولـةً تذكّـر الغرفـة كمـا كانـت. "حسـنًا، كان هنـاك كأسـان مـن الشـمبانيا، مـع كعكـة مأكولـة جزئيًـا وفسـتانٍ مرمـيّ. لـم نعثـر علـى التـوت السـامّ، لـذا لا بـدّ أن تكـون قـد أكلَتـهُ قبـل الكعكـة."

أومـأ تومـاس برأسـه. "مـع ذلـك، بـدأتُ أتسـاءل عمّـا إذا كان هـذا هـو مـا قتلَهـا بالفعـل أم أنهـم قـد قامـوا بإضعافِهـا جسـديًا فقـط. ممّـا قـد يعنـي..."

"قد يعني أنه كان هُناك أكثر من شخصٍ متورّط."

تسـارعَت نبضـات قلبـي بهـذه النظريـة. كان ذلـك مؤشـرًا آخـر علـى تـورّط الـزوج والزوجـة معًـا بارتـكاب هـذه الأفعـال. لكـن... "ادّعـى مفيسـتوفيليس أنـه قضـى وقتًـا معهـا قبـل إبحـار السـفينة، ثـم أرسـلَ لـه أحدُهـم قطعًـا مـن فسـتانها."

فكّـرَ تومـاس فـي هـذا، ولـو توقّعـتُ ظهـور أيّـة مشـاعر علـى وجهـه بعـد علمـه بعلاقـة سـيّد الحلبـة فقـد تصيبنـي خيبـة أمـل: كان فـي منتهـى البـرود والتحليـل المنطقـيّ. "ربّمـا كان يكـذب. هُنالـك احتمـالٌ قـويّ أنـه

أخذَ قطعًا من الفستان بنفسه، على أمل استخدامه للتضليل."

"لكن بهدف ماذا؟" سألتُه بغير اقتناع. "ألن يجلب ذلك الشكوك إليه؟ بإمكانه التظاهر بسهولة بعدم معرفتها أو عدم دخوله غرفتها. مَن كان لِيعرف؟"

"الأسرار لا تبقى مدفونة طويلًا. من الممكن أن يكون أحدهم قد رآه لذا يقوم بتغطية هذا الاحتمال."

تنهّدتُ آملةً ألّا تتدخّل كراهيّته الشخصية لسيّد الحلبة في استنتاجاته. جلسنا في صمتٍ نُفكّر قبل أن أكسر الهدوء أخيرًا بالقول: "حسنًا، لنبدأ من مكانٍ آخر. لنفترض أن مفيستوفيليس قد جاء إلى هنا وشربَ بعض الشمبانيا، وقاما..." احمررتُ خجلًا ولم أرغب في خوض تفاصيل ما قد حدث بعد ذلك المشروب. "ثمّ غادر. ربما أرسلَ أحدهم إليها الكعكة والتوت، متظاهرًا أنّها عربون حبٍّ منه. لم يكن هناك سوى صحنٌ واحد وشوكة واحدة. ثمّ بعد مرور وقت كافٍ لتوعُّكها قامَ القاتل بخطوته."

"هذا مثيرٌ للإعجاب." لمعَت شرارة المؤامرة في نظرة توماس. "أين ستكون نقطة دخول القاتل المُحتَملة؟"

قلتُ مُشيرةً أمامنا: "هذا سهلٌ للغاية، الباب. إنها الطريقة الوحيدة للدخول إلى هذه الغرفة أو الخروج منها."

"بالضبط، علينا فحصها بحثًا عن أيّ علامات فتح بالقوّة أو" - تصلّب - "انظُري."

حدّقتُ في الباب المغلق. في البداية لم أرَ شيئًا على الإطلاق، ثم بعد التركيز ظهرَت لي بقعٌ صغيرة من الدم على ظهره. "هذا نمطٌ غريب، ألا تعتقد ذلك؟"

فـي خطوتيـن طويلتيـن أخـذَ تومـاس يفحـص البـاب وأنـا خلفـه مباشـرةً. فـرك ذقنـه ربّمـا لمنـع نفسـه مـن لمـس الأدلـة المحتَملـة. واندفعَـت عينـاه علـى كل شـيء، تَحسـبان وتَسـتنتجان بطـرقٍ وددتُ أنـا القيـام بهـا.

"دعينا نعيد تمثيل جريمة القتل يا وادزورث."

رغـمَ الظـروف الأليمـة والقصّـة المروّعـة التـي رواهـا تنائُـر الـدم ابتسـمت، وفعـلَ تومـاس الشـيء ذاتـه. ربمـا كنّـا شـيطانَين متشـابهَين، مثـل فنّانـي مهرجـان ضـوء القمـر. قلـت: "سـأقوم بـدور الضحيـة. أنـتَ قاتـلٌ أفضـل بكثيـر."

"بالفعل." فتحَ الباب وخرج. "لكن لم يتمّ القبض عليّ بعد."

"همجـيّ." قلبـتُ عينـيّ لكنّنـي أغلقـتُ البـاب مـن ورائـه منتظـرة. بعـد لحظـةٍ طـرقَ البـاب ودفعـتُ كل الأفـكار المُشـتّتة جانبًـا. لـم يكـن مـن الصعـب تخيّـل شـعور الآنسـة كرينشـو عندمـا سـمعَت طرقـةٌ ناعمـة علـى غرفتهـا الخاصّـة. هـل كانـت آثـار السـمّ قـد بـدأت بالفعـل؟ هـل ذهبَـت إلـى البـاب علـى أمـل الحصـول علـى مُسـاعدة؟ تسـارعَ قلبـي بسُـرعةٍ كالفـأر وأنـا أفتـحُ البـاب. هـل كانـت تنتظـر زائرهـا أم أنّهـا زيـارةً مفاجئـة؟ ربمـا يبقـى هـذا لغـزًا.

وقـفَ تومـاس وقبعتـه مائلـةٌ للأمـام بملامحـه الحـادّة فـي الظـلّ. رغـمَ معرفتـي بـه إلّا أنّ قشـعريرةً تسـلّلَت عبـرَ فقـرات ظهـري. رفـعَ رأسـه لكننـي لـم أسـتطع رؤيـة عينيـه. كان هـذا الجـزء مـن الممشـى مُظلمًـا حتـى مـع اقتـراب القمـر مـن إنارتـه الكاملـة.

"اسمَع." همستُ له.

كانـت الأمـواج تضـربُ بـدن السـفينة بضوضـاءٍ إيقاعيـة خافتـة،

والبخار يُصدر هسهسة من إحدى المداخن القريبة في ضجيج مُستدام. ربما ساعدَ هذا في تغطية الأصوات المكتومة للصراع إذا كانَ شخصٌ مستيقظًا في المقصورات المجاورة.

قال وهو يُمرّر يديه على إطار الباب: "أظنُّها كانت تعرف المُعتدي. لا توجد خدوشٌ أو علامات خارج الباب تُثبت أنه قد فُتِحَ عنوةً."

"أتفق معك، أو ربما كانت ضعيفة لدرجة أنّها لم ترفض أيّة مُساعدة."

فتحتُ الباب على اتساعه لأسمحَ له بالدخول. بمجرّد عودته إلى الداخل بقيتُ قريبةً منه وأنا أفحصُ بقع الدم. لم تفصل بيننا سوى بضع بوصات وأمكنَني الشعور بحرارة جسده. تساءلتُ إذا كانت الآنسة كرينشو قد شعرَت بنفس الشيء قبل تعرّضها للهجوم. هل وقفَت على مقربةٍ من قاتلها؟ هل شعرَت بدفئه قبل أن يضربها الضربة القاضية؟

أردفت: "لا علامة على وجود صراعٍ هنا أيضًا، لذا يجب أن يكون الهجوم قد حدثَ بعد وقتٍ قصير من السماح له بالدخول."

أومأ توماس برأسه. "كان خاتمها لا يزال على إصبعها لذا لم تحدث سرقة، وإذا تذكّرتُ تفاصيل ذلك الفحص القصير فلم تكن هناك جروحٌ دفاعيّة على يديها، عدا الجروح التي نتجَت من الضغط على اليدين بألم. ما سبب ذلك؟"

فكّرتُ في الأمر للحظة وأنا أحدّقُ مباشرةً في صدر توماس بعد ظهور فكرة في ذهني.

"لأنه كما قلتَ قد ضربها فورَ دخوله إلى الغرفة. إذا كانت

ضعيفـة فلـن تكـون ردود أفعالهـا سـريعة بمـا يكفـي للـردّ عليـه."

هـذه المـرّة عرفـتُ مـا مـرّ بـه تومـاس فـي نقـل نفسـه خـلال قضايانـا الجنائيّـة. بـدلًا مـن أن أكـون فريسـةً أصبحـتُ مُفترسـة. بـاتَ ظلامـي يتـلألأ مثـل عيـون الجائـع فـي وليمـة، ولـم أحـاول إيقـاف أو السـيطرة علـى نزواتـه الضّاريـة.

كان الأمـر رائعًـا ومُرعبًـا فـي نفـس الوقـت، معرفـة كيفيّـة عمـل عقليّة القاتـل ومـا الـذي يريـده، وشـعور حمـل حيـاة شـخصٍ مـا بيـن يديـك. كنـتُ ثابتـةً كَمشـرطي، واثقـةً بقدرتـي علـى اختيـار كيفيّـة إنهـاء كل شـيء بضربـةٍ سـريعة مـن شـفرتي، إنهـاء حياتـه. كان الإحسـاس بالقـوّة شـديدًا ومُسـكِرًا مثـل الشـمبانيا التـي شـربناها أنـا وتومـاس فـي حفلـة الكريسـمس قبـل أسـبوعين. حركـةٌ صغيـرة واحـدة منـي سـتُحدّد مصير تومـاس، الـذي لـم يعُـد مكتوبًـا فـي الأقـدار أو مـن قبـل السـماء، بـل كان وفـقَ مشـيئتي.

لـم أكـن رحيمـةً ولا عطوفـة، كنـتُ أنـا العدالـة وسـيفها البـارد الخاطـف فـي يـدي.

تمسّـكتُ بهـذه الشـخصية، لأجبرَهـا علـى تزويـدي بمعرفـةٍ يُمكننـي اسـتخدامها فـي مصلحتنـا. أمسـكتُ بتومـاس وأدرتُـه لأجعلـه الضحيّـة وأنـا القاتـل الآن.

همست: "آسفةٌ يا كريسويل، لكن هذا سيؤذيك."

قبـل أن يتمكـن مـن الاحتجـاج، وكَزتُـه مرّتيـن فـي صـدره فـي تتابـعٍ سـريع. لـم أشـعر بالأسـف كمـا تخيّلـت، الأمـر الأكثـر إثـارة للقلـق كان الفـرح الأجـوف الـذي انتشـرَ مثـل الظـلام فـي داخلـي. كنـتُ طالبـة طـب جنائـيّ موهوبـة لكـن قاتلـةً موهوبـةً أكثـر. كل مـا احتجـتُ لفعلـه هـو

الاستسلام لهذا الظلام المُتلاطم، والانجراف بعيدًا في مدّه الشرّير.

مثلما تخيّلت، أمسكَت يداه تلقائيًا بجرحه، وحملتُ السكّين المزيّف على أهبّة الاستعداد وأنا أشاهده يضغط بيديه على صدره حيث تخيّلتُ تشكّلَ كدمة. في غضون ثلاثين ثانية كنتُ قد أنهيتُه. إذا تعرّضَت الآنسة كرينشو للضرب بسكين فسيكون من السهل التعامل معها بعد ذلك. لم أستطع تذكّر أيّ جروح ناتجة عن طعنات، لكن تشريح جثتها لم يكن دقيقًا كفاية بسبب الحروق الشديدة التي تعرّضَت إليها. قد يكون هذا سببًا آخر - بالإضافة إلى الحركات المسرحيّة - لإضرام القاتل النار في جثّتها.

لم تطرُف عيناي وأنا ألاحظ التفاصيل بينما كان توماس يترنّح. لم يرفع يديه لدرء هجومي لأنه كان مشغولًا بمحاولة إيقاف تدفّق دمائه، وهذا هو سبب افتقار الآنسة كرينشو للجروح الدفاعيّة.

رفعتُ قبضتي وراوغَها توماس متجنّبًا الضربة التالية. لو كان ينزف حقًا، لكان دمه قد انبثقَ في قوسٍ على الباب، بنفس الشكل الذي رأينا أثره هناك عليها.

"لقد انتهينا... عرفتُ ما حصل!" كدتُ أقفز في مكاني. فركَ توماس صدره وعيناه ثابتتان على سلاحي المُرتجل. ارتخَت قبضتي ومددتُ يدي بحنان لأضعها على موضع قلبه وأنا أعضّ شفتي على تكشيرته. "أنا حقًا آسفةٌ لضربك. لقد انجرفتُ قليلًا مع اللحظة. هل تؤلمك؟"

"ليس كثيرًا. لا تتردّدي في وضع يديك عليّ في أيّ وقتٍ تشائين." غمزَ مردفًا: "رغمَ إنّني أفضّل أن تكون اللمسة أكثر رقّةً في المستقبل."

"عُلِم." قدتهُ إلى الخلف نحو السرير حيث جلس. "هذا لن يُخفّف من كدمتِك لكن أظنّ أنّني اكتشفتُ كيفية حدوث تناثر الدم. يُشير القوس واللطخة الطفيفة إلى وجود جرح في الصدر. كانت تدور ببطء وربما سقطَت متكأةً على الحائط بعد لحظةٍ من إمساكها بصدرها. بعد ذلك لستُ متأكدة ممّا حدث، لكن نمط الدم يتقوّس عندما تستدير، ثم يتشوه إذا تعثّرتَ بالجدار، هذا ما أعرفه على وجه اليقين، وهو بالضبط ما فعلتَه. ليسَ أمرًا مستبعدًا افتراض أنّ الآنسة كرينشو قد طُعِنَت بسكين."

نظرَ لي توماس تلك النظرة الفخورة التي تُشعل دمي. لا شعور أجمل من إعجاب المُقابل بعقلي. "هذا يعني أنّ مَن فعل هذا الفعل قد تعمّدَ قتلها بلا شكّ. لقد تمّ استهدافها لكن لماذا؟"

"أتساءل عمّا إذا... انظُر." التقطتُ ورقة لعب ساقطة بين المنضدة والسرير ورفعتُها. "ستّة الديناري."

أخذَ البطاقة وقلبَها، وفحصَ بعناية كل بوصةٍ منها ثم سلّمها لي عابسًا. "ربما تكون هذه بطاقات تعريفيّة."

حدّقتُ في التصميم المعقّد على ظهرها: غرابٌ بأجنحة متغيّرة اللون تفتح أمام قمرٍ مكتمل، وأشواكٌ فضّية حول الحافات. تتبّعتُ وجود رقم ثمانية المزدوج قرب أسفلها. "أو ربّما تعني هذا أنّ هذا كله جزءٌ من لعبةٍ أكبر، وهي أصعب نوعٍ من ألعاب الخفّة والخداع."



# 24
# تشريح الذراع

## المعمل الجنائى المؤقت - الباخرة إترووريا
## 5 يناير 1889

نظرَ عمّي من خلال عدسةٍ مكبّرة، وأنفهُ على بُعد بوصات من الذراع المقطوع. كنتُ أعلم أنه غاضبٌ مني بعد إمساكه بي لوحدي مع سيّد الحلبة وهو دون قميص، لكنهُ طلبَ مُساعدتي، ولم يهمّ شيءٌ آخر عندما يتعلق الأمر بالطبّ الجنائيّ.

شكرًا للسماء على النّعَم الصغيرة.

أمسكَ توماس بالمفكّرة بعد ارتدائه المئزر واستأنفَ تدوين مُلاحظاته. لم أستطع التخلّص من نوبة الغثيان عندما تذكّرتُ دفاتر المُلاحظات الأخرى التي حزمَها معنا طوال الرحلة، بعضها يحتوي على مُلاحظاتٍ مكتوبة من جاك السفّاح. لم أكن مستعدةً لقراءة المزيد من تفاصيل جرائمه، واحتفظَ توماس بكلّ الألغاز التي اكتشفَها هُناك لنفسه، على الأقل حتّى الآن. لديّ شعورٌ أنّنا سنحتاج إلى التحدّث بشأنها قريبًا.

"الملقط المُسنّن أودري روز." رفعَ العمّ يده منتظرًا. "بسُرعة."

"بلى عمّي."

جمعتُ الأدوات الطبّية اللازمة لهذا التشريح - ملقط مسنن ومشرط ومقصّ وإبرة هاجدورن وخيط - بالقرب من صينيّةٍ فضّية.

"تفضّل." مسحتُ الملقط بخفّة بحامض الكربوليك وسلّمتُه إلى عمّي، الذي ردّ بشخرةٍ، لم تكن شكرًا صريحًا لكنّها أفضل من الصمت الثقيل. شاهدتُه يُقشّر أجزاءً من الجلد قرب مكان الكوع الذي تمّ قطعه - أو عضّه - في هذا المفصل.

تدلّى اللحم في شرائط رفيعة متفرّقة، مثل ثوبٍ قديم تُرِك ليهترئ في خزانةٍ منسيّة. شددتُ كتفيّ سامحةً لبرودة العالِم بالاستقرار في داخلي. لن أشعر بالاشمئزاز ولا الرقّة، لن تُغيّر هذه المشاعر قدَر الضحيّة، لكن العزيمة والقلب المتصلّب قد يُحقّقان له العدالة.

أشارَ لي العمّ بالاقتراب بحاجبَين معقودَين. لقد رفعَ القليل من اللحم الممزّق كاشفًا عن خطٍّ مألوف من البياض المُصفرّ. "هل ترَين عظمَي الزند والكُعبرة؟" سألني فأومأتُ برأسي، مُحاولةً التركيز فقط على العظام وليس على طبقة اللحم الرماديّ المُحيطة بها. "سأقوم بتقشير العضلات والأوتار، صِفي ما ترين. توماس اكتب كلّ شيء."

انحنيتُ حتّى أصبحَ الذراع في مستوى عيني لمُلاحظة كل التفاصيل. "هُنالك أثرُ انقسام على الكعبرة، لكن ليس على عظم الزّند الذي أرى شقًّا فيه. أراهنُ أنه صُنِع بآلةٍ حادّة، قد تكون سكّينًا." ابتلعتُ اشمئزازي. "الانقسام على الكُعبرة على الأرجح بسبب قضم الأسد للذراع ولا علاقة له بعمليّة قطع الطرف."

"جيّد، ممتاز." دفعَ العم الجلد إلى الوراء أكثر بيدَين ثابتَين. "هل تمّ عمل الجروح بعد الوفاة؟"

"أنا -"

عضضتُ شفتي. لم تكن هناك علامات على جلد الساعد ولا آثار إصابة خلال صراع. ألقيتُ نظرةً خاطفة على توماس لكنه كان يُركّز على الكتابة. أخذتُ دقيقةً لتقدير ثقة كلا الرجلَين بي لكشف المُعطيات الجنائيّة بنفسي، ثم سحبتُ كتفي للوراء وأقمتُ جذعي سامحةً للثقة أن تغمرني مثل العباءة.

"أعتقدُ أنّ الجروح قد حدثَت بعد الوفاة، وهي على الأرجح نتيجة قطع الطرف." أشرتُ إلى بقيّة الذراع. "لا توجد خدوش أو جروح، وكلاهما سيكون موجودًا لو قاومَ الضحيّة سكّين المُهاجم."

أدارَ العمّ الذراع لتفقّد الجانب السفلي منها. كان اللحم هناك أكثر شحوبًا من معظم الجثث لفقدانها الكثير من الدم، لكن ليس بشحوب الجثث الطازجة التي درستُها في الأكاديميّة. كانت الزُرقة الرمّية موجودة، تلوّنٌ طفيف واضح على الجانب الأسفل حيث تجمّعَ الدم بفعل الجاذبيّة. إنها تُشير إلى وضع الجثّة بعد الوفاة ولا يُمكن تغييرها بعد عدّة ساعات حتى إذا جرى تبديل وضع الجثّة. إلّا في تلك الحالة الغريبة عندما تم تفريغ الجثة من الدم... لم يكن هُناك تلوّن حينَذاك.

"الزُرقة موجودة." أضفتُ مُلاحظةً لمحة المُفاجأة والفخر في عينيّ عمّي. لقد تعلّمتُ الكثير في الأكاديميّة. "أظنّ أنهُ قد وُضِع على ظهره مُستلقيًا عندما بدأ القاتل بقطعِه. الأدلّة تشير إلى ذلك."

"بالفعل." بدا العمّ مسرورًا وهو يتفقّد الزُرقة بمفرده وقد زالَ انزعاجهُ السابق منّي. نحنُ عائلةٌ غريبة حقًا.

جعّدَ توماس أنفه. "حتّى في غياب ضغط الدم الشرياني فإنّ

مكان حدوث هذا التقطيع يجب أن يكون في الأصل مُتشبّعًا بالدماء. أظنّ أنّ أيّ شخص لن يقدر على تنظيف كل الفوضى المُتخلّفة دون ترك أدلّة."

"نقطة ممتازة." التقطَ عمّي مشرطًا واستخدمه لقطع المزيد من اللحم المدفون. ابتلعتُ ريقي بصعوبة. بغضّ النظر عن عدد المرّات التي شاهدتُها فيه كان ذلك دائمًا مشهدًا مروّعًا. تقطيع اللحم كأنهُ وجبة طعام أمرٌ مُقزّز.

تابعَ العمّ: "لقد قُطِعت العظام بشكلٍ نظيف. مَن قطعَ هذا الطرف لم يستخدم منشارًا أو شفرة مسنّنة." وضعَ المشرط ثم مشى إلى حوض الماء. لم نتكلّم أنا وتوماس عندما غسلَ يديه بالصابون الكاربوليّ. فورَ انتهائه التفتَ إلينا بوجهٍ مُرهَق، وشعرتُ أنه لم يكن بسبب تأخّر الوقت فقط. "نحتاجُ إلى التركيز على أولئك الذين لديهم إمكانية الحصول على شفراتٍ قويّة وناعمة، مثل موظّفي المطبخ وأفراد الطاقم."

تكوّمَ الخوف الثقيل في معدتي الفارغة. "أو ربّما فنّانو الكرنفال المتخصّصين في الشفرات، بناءً على مهاراتهم وقُربهم من هذه الأسلحة."

للحظةٍ لم يتكلّم أحد. كان هنالك قليلٌ من الخيارات الواضحة، رغمَ أنّ أيّ فرد من الفنّانين بإمكانه توجيه الطّعنات.

"هل تظنّين أنّ جيان فعلَ هذا؟" سحبَ توماس انتباهه بعيدًا عن الطرف المقطوع. "عجيبٌ أنه لم يجعلها جزءًا من عرضه المسرحيّ. رمي البطيخ والأناناس والأذرع المقطوعة، يبدو مُناسبًا تمامًا لجرائم القتل المسرحيّة الأخرى."

قلتُ مُتجاهلةً تعليقه الخفيف: "أعتقدُ أنّنا يجبُ أن نُفكّر فيه. نحتاجُ أيضًا إلى إجراء بحث شامل حول الآخرين الذين يُمكنهم الوصول إلى شفراته بعد انتهاء العرض. هل يحتفظ بالشفرات في صندوق مُقفل في الليل أم ينام عليه؟" رفعتُ كتفي. "إذا كان يقفل عليها فيُمكننا توسيع البحث ليشمل أولئك الموهوبين في فتح الأقفال."

قابلتُ نظرات عمّي وتوماس ورأيتُ قلقهما مختلطًا مع قلقي. كانت كلها تكهّنات بالطبع، لكن إذا تم قفل تلك السيوف فعندئذٍ لا يوجد سوى شابٍّ واحد على هذه السفينة توّج نفسه ملكًا للهروب من أيّ قيد وفتح أيّ قفل.

تجاهلتُ الخوف المُنزلق على فقراتي. إذا كان هاري هوديني يُعيد اختراع نفسه، مُرتديًا أقنعةً جديدة غير مرئية في كلّ مدينة، فأفترضُ أنه من الممكن أن يرتدي أكثر تنكّرٍ إقناعًا: رجلٌ بريء غير قادر على ارتكاب أعمال القتل الشنيعة هذه. ربّما لم تكن كاسي وزوجها ينتقمان، بل شخصًا واضحًا وخفيًّا في الوقت نفسه. إذا كان لدى هوديني حبيبةٌ سرّية في أميركا فمَن يعلم كم سرٍّ آخر يُخفي عنّا.

قال توماس وهو يغلق دفتر ملاحظاته: "لنذهب ونُجري بعض الاستفسارات. سنبدأ مع مفيستوفيليس وجيان."

قلت: "إذا ذهَبنا إلى منطقة تدريب الفنانين الآن مُطالِبين باستجواب الجميع، فسوف نواجه حاجزًا أثقل من ضباب لندن."

"ماذا تقترحين إذَن؟" سألَ عمّي الذي لم يعرف تطوّري بعد دراستي في الأكاديمية حتّى هذه اللحظة. شعرتُ بثقةٍ أكبر في

تطبيـق فرضيّتـي، وقلـقٍ أقـلّ بشـأن الخطـأ أو السـخرية منّـي. أخبرَنـي توماس ذات مـرة أنـه لا يخشـى الخطـأ بـل يخشـى عـدم المُحاولـة.

قلـتُ بخبـرةٍ حديثـة فـي أفعـال الخـداع: "نحتـاجُ ببسـاطة إلـى صُنـع أوهـام خاصّـة بنـا. سنسـتخدمُ مبـدأ التضليـل فـي استفسـاراتنا لندعهـم يشـكّون فـي شـيءٍ آخـر. إذا كانـوا يكسـبون رزقهـم باسـتخدام هـذا الشـكل مـن الفـنّ فـلا سـبب يمنعنـا مـن استغلال هـذه الطريقـة بأنفسـنا."

رفعَـت ابتسـامةٌ بطيئـة شـرّيرة حافّتَـي فـم تومـاس. "إذا كانـوا مهرجـان ضـوء القمـر فعلينـا ابتـكار اسـم رائـع لنـا. غُـزاة الحقيقـة، عـذارى الآثـام. حسـنًا..." عـدّل قامتـه وهـو يسـمع تنهيـدة عمّـي الثقيلـة. "هـذا لا ينطبـق بالضـرورة علينـا جميعًـا. سأسـتمرّ فـي التفكيـر فـي الأسـماء."

قلـت: "بينمـا تشـغل نفسـكَ بهـذه المهمّـة الحرجـة، قامـت ليـزا بدعـوة أنيشـا لتنـاول الشـاي فـي الصبـاح. سـأرى مـا يُمكننـي معرفتـه عنهـا وعـن أيّ شـخص قـد يكـون سـيّافًا سـرّيًا." خاطـرتُ بالنظـر إلـى عمّـي وابتسـمت. "لنُخطّـط لاسـتعراض النتائـج التـي توصّلنـا إليهـا قبـل عشـاء الغـد."

سـحبَ تومـاس سـاعة جيبـه وفتحَهـا مُتظاهـرًا بالدّهشـة. "هـذا يمنحنـا ثـلاث عشـرة سـاعة للنـوم والتسـلّل إلـى صفوفهـم، وإطـلاق بعـض الدخـان لإلهائهـم، والاتفـاق علـى اسـم مجموعتنـا، ثـم ارتـداء أبهـى حُللنـا للعشـاء." مـرر يـده عبـر شـعره البُنّـي المُصفّـف بعنايـة. "الحمـدُ للـربّ أنّ الأمـر لا يتطلّـب الكثيـر لجعـل هـذا" - مـرر يـده علـى صـدره - "وسـيمًا بشـكل مُذهـل، علـى عكـس مفيسـتوفيليس."

"يبـدو أنّ كلاكمـا تعلّـمَ مهـاراتٍ جديـدة خـلال وجودكُمـا فـي الأكاديميـة." أخـذَ العـمّ الـذراع بصينيّتـه ووضعـهُ فـي صنـدوق مُبـرّد

أعاره لنا القبطان. "رغمَ أنني لا أفهم فائدة السخرية والمزاح في هذه القضية. نحتاجُ إلى التركيز على تحديد لمَن ينتمي هذا الطرف."

"إنه يُسمّى السحر يا أستاذ، وأعتقدُ أنه سيصل بنا بعيدًا."

استنشقَ توماس بعمق وعيناه ترقصان بمرح. "لا أحد يُمكنه مُقاومة مزحة جيّدة التوقيت."

استدارَ عمّي عن الصندوق المبرد ولم تبدُ عليه أية تسلية. "انصرِفا، اذهبا إلى الفراش ثم قوما بالسّحر هذا لاستخلاص المعلومات من فنّاني الكرنفال في الصباح." أشارَ إلى توماس. "حاول ألّا تُغضب أيًّا منهم. بعضُ سحركَ قد يتمادى كثيرًا."

لم يُخبرني أحد بتوخّي الحذر، ما اعتبرتُه علامةً إيجابية. كانت لديّ فكرةٌ شككتُ في موافقة أيٍّ منهما عليها، لكن من الأفضل التماس الصّفح بعد الواقعة عوضًا عن طلب الإذن مسبقًا. كنتُ آمل فقط ألّا ينزعج توماس كثيرًا من قيامي بذلك العمل لوحدي.

***

حلّ الصباح أسرعَ بكثير مما تخيّلت، واستيقظتُ على صوت طرقٍ على بابي. فركتُ وجهي ووجدتُ بطاقة تاروت عالقة على خدّي. لابد أنني نمت على رزمة البطاقات. قلبَت ليزا عينيها لكنّها لم تقل شيئًا وهي تدفعني نحو خزانة ملابسي.

"لحظةٌ واحدة!" صرخَت لتوفّر لي بعض الوقت للاستعداد. شتمتُ بأكثر الطرق لذعةً وأنا أسرعُ لاختيار فستانٍ لائق وبسيط. بعد بضع دقائق، فتحَت ابنة عمّتي الباب بحركةٍ مسرحيّة قائلةً: "أودّ تقديم أنيشا، المعروفة أيضًا باسم سيّدة الصّولجانات. هذه ابنة خالي أودري روز."

حيّينا بعضنا ثمّ رتّبنا جلوسنا على الكراسي بينما دخلَت الخادمة لتضع سماور الشاي وصينيّة مليئة بحلويّات الإفطار. ملأتُ قدحي ولسعَت أول رشفةٍ لساني. ألقيتُ نظرةً خاطفة على ليزا. بالطبع - لكونها مضيفةً خبيرة - فقد استيقظت مبكرًا وطلبَت المشروبات. وددتُ احتضانها فقط لاهتمامها بالتفاصيل في أوقاتٍ كهذه.

كان من الصعب التعرّف على أنيشا - الفاتنة التي تبتلع النيران - بدون زيّها المستوحى من الجليد. بدلًا من تلك الباروكة الفضّية المُضفرة بكثافة، كان طول شعرها إلى ذقنها، أسودًا مُزرقًا يتدلى بكل انسيابيّة. أمّا لون بشرتها فكان بين البُنّي الذهبيّ والغامق، الآن بعد أن تخلّصَت من ذلك الصّبغ ذي البياض الجليديّ.

تخلّت أنيشا عن مُحاولة موازنة فنجان الشاي في حضنها وجلسَت على الأرض حيث كانت ليزا جالسةً بالفعل. راقبتُها بعيون مُتّسعة وهي ترتشف الشاي نفسه الذي أحرق لساني، ثم تبتسم باستمتاع. قالت غامزةً: "بعد ابتلاع النار كلّ ليلة لا يبدو الشاي ساخنًا أبدًا."

كتمتُ ضحكتي وابتسمَت ليزا بلُطف قبل أن تشرب من فنجانها. لم أرغب بأن أبدو وقحة لذا انضممتُ إليهما على السجّادة السميكة.

"أجرؤ على القول أنّ هذا صحيح." وضعتُ فنجان الشاي والصحن الصغير خاصّتي وراقبتُ البخار يتصاعد مثل ثعبان يضرب الهواء. "كيف بدأتِ بأكل اللهب لأوّل مرّة؟ لا أستطيع تخيّل المُحاولات الأولى. أنتِ في غاية الشجاعة."

قالت أنيشا وهي تُضيّق عينيها: "الأغلبيّة سيقولون في غاية الحماقة."

قدّمتُ لها أكثر تعابير وجهي براءةً ورقّة، وتنهّدَت ليزا بانزعاج لكنّها لم توبّخني لفضولي كما كانت أمّها ستفعل. كانت ضليعةً في استشعار الخطط وعرفَت أنّني على وشك القيام بشيءٍ ما، وبدلًا من التعليق مرّرَت لنا صينيّة من البسكويت على أمل أن تصرُف الحلوى الانتباه عن حماقتي الاجتماعيّة.

أخذَت أنيشا قطعةً من البسكويت وهي تنظر إلى قطع الشوكولاتة قبل الردّ على سؤالي. "لقد علّمَني زوجٌ من صُنّاع العجائب - الدراويش - كيفية ابتلاع اللهب. قالوا أنّ اسمي، الذي يعني تقريبًا 'شخصٌ لا تعرف حياته ظلامًا'، يعني أنّني وُلِدتُ لأحمل النار. النيران كانت طوعَ أمري حتى عند ابتلاعها كاملةً." رفعَت الشاي ثانيةً وسحبَت منه رشفةً طويلة. "كنتُ في أوجّ الصّبا وسهولة الإقناع عندما أغرَوني بِترك منزلي لأوّل مرّة، في وعدٍ خادعٍ بالثراء. أشعرُ بالحرج لأنني وقعتُ فريسةً لكلماتهم الحلوة. فورَ مُوافقتي على المُغادرة أوصلوني وأخذوا أجرتهم ثم غادروا للعثور على شخصٍ آخر لكرنفالٍ آخر."

"هُم مَن يجب أن يخجلوا، لم تفعلي شيئًا خاطئًا." مدّت ليزا يدها لتُمسك بيد الفتاة، وذكّرَتني بمدى موهبتها في استشعار ما يحتاجه الناس وتقديم الدعم الغريزيّ لهم.

أضفت: "ليزا على حقّ. خداعُك للانضمام إلى فرقةٍ مُتنقّلة أمرٌ فظيعٌ من جانبهم."

رفعَت أنيشا كتفها وهي تفصل قطعًا من بسكوتها. "لقد أحضروني إلى هنا وكانت الحياة جيّدة مع كرنفال ضوء القمر. لديّ المال والطعام والأصدقاء، باتَ كلّ شيءٍ على ما يرام."

"مفيستوفيليس مَن فعلَ ذلك بك؟" سألتُها مُحاولةً بجُهدٍ ألّا أدع كوبي يقرع الصينيّة بعد ارتجاف يدي. "هل خدعَكِ لتترُكي منزلك وعائلتك؟"

"إنه -" سقطَ نظر أنيشا لفترةٍ وجيزة في حُضنها قبل أن تُكمل. "إنه يستأجر أناسًا في البلدان التي يزورها للبحث عن المواهب. أيّ شخص يمرّ في... وقتٍ عصيب... يدعونه إلى الكرنفال والتدريبات. الخيار في النهاية خيارُنا، لكنه يجعل الصفقة صعبة الرّفض."

"إذَن هل كل شخص في الكرنفال من بلدٍ مُختلف؟"

"أغلبُهم كذلك. جِيان من الصين، سباستيان من إسبانيا، أندرياس من بافاريا، وكاسي فرنسيّة، رغمَ أنها تتحدّث بلكنةٍ إنجليزية. وأنا من الهند."

"ذكرتِ أنه يبحث عن أولئك الذين يمرّون بأوقاتٍ عصيبة، ماذا تعنينَ بالضبط؟" سألتُ رغمَ نظرة ليزا المُستنكرة.

"لدينا جميعًا أسبابٌ لترك حياتنا وراءنا." تنفّسَت بعمق. "الآن، هل تريدين معرفة كيف أبتلع اللهب؟ هذا ما يُريده الجميع، رغمَ أنّ معظمهم لا يُريدون إفساد جانب السحر أو الوهم في الأمر."

تفحّصتُها للحظةٍ أخرى، مع علمي أنّ التحقيق في ماضيها والكرنفال قد انتهى الآن. لم أعرف تمامًا رأيي بشأن مفيستوفيليس. لم يقُم بإنقاذ أيّ شخصٍ بالضرورة، لكنّني أيضًا لم أستطع القول إنه أضرَّ بهم أو خدعَهم. رغمَ أنهم ربّما لم يرَوا الأمر بهذه الطريقة. قد تبدأ الضّغينة كجرحٍ صغير ثمّ تلتهب مع مرور الوقت. ربّما أرادَ أحدُهم تدمير كرنفال ضوء القمر انتقامًا لأخذِه من منزله وأهله.

سألَت أنيشا: "حسنًا؟ هل تريدين أن تعرفي؟"

قلتُ مُبعِدةً أفكار دوافع الجرائم من رأسي: "بلى رجاءً. كيف تبتلعين النيران دون أن تحترقي؟"

نهضَت لتخطو برشاقةٍ على الأرض كأنّها خشبة المسرح، وتساءلتُ عمّا إذا كان الفنّانون يُمثّلون طوال الوقت، أو إذا قاموا بالتخلّي عن وجودهم بالكامل في سبيل مهنتِهم.

"لاحظي هذه الشمعة." رفعَت أنيشا شمعدانًا من حامله على منضدتي وأضاءَت نهايته، ثم قلبَته رأسًا على عقب. بدأ الشمع يُقطّر نحو الأرض. "أين يذهب اللهب عندما أمسكه بهذه الطريقة؟"

فجأةً فهمتُ قصدها. "بعيدًا عن القاع، أو إذا كان هذا خلال إحدى عروضك لابتعدَ اللهب عن فمك."

"أترين؟" ابتسمَت أنيشا بدفء. "لقد فهمتِني." لفّت كفّها حول الشمعة لتُطفئ اللهب وتُعيده إلى حامله. "يتمّ تطبيق نفس المبدأ عندما ابتلع النار. كلّ ما أفعله هو إبعاد الحرارة عن وجهي ثم النفخ بعناية بينما أضعُ الشعلة في فمي. تحتاجُ معظم الكائنات الحيّة إلى الأوكسجين للتنفّس، حتّى النار. امنعيه عنها وستموت مثل أيّ مخلوق." طوَت نفسها لتجلس على الأرض بقُربي أنا وليزا. "الحيلة الحقيقية تكمن في استغلال قوانين الفيزياء. مثل ذلك العالِم... نيوتن؟ علّمَني مفيستوفيليس كل شيء عنه. لقد كان مُحقًّا، وساعدَني في صقل أدائي."

تغيّرَ صوتها قليلًا عند حديثها عن سيّد الحلبة، بدا فيه إعجابٌ مشوبٌ بقليلٍ من الشوق. تساءلتُ عمّا إذا كان هناك شخصٌ على متن هذه السفينة لم يقع تحت تأثير تعويذته. عدا توماس بالطبع.

"هل يُساعد مفيستوفيليس جميع الفنّانين؟" سألتُ ونظري ثابتٌ

على فنجان الشاي خاصّتي. تخيّلتُ أنه سحرَ الشباب والشابات في كل مدينةٍ أو بلدة مرَّ بها. إذا كانت لديها مشاعرٌ تجاهه غير مُتبادَلة فربّما يكون ذلك دافعًا، وبعد مزجه بالضّغينة يكون سببًا قويًّا. "يبدو ذكيًّا بقدر وسامته."

رمقَتني ليزا بنظرة دهشة لكنّها ضغطَت على شفتَيها، على ما يبدو سأتعرّض لتوبيخٍ جيّد حالَما نصبح لوحدنا. رغمَ آراء الجميع في لندن عن توماس وسلوكيّاته الغريبة إلّا أنّ ليزا أحبّتهُ كثيرًا، ولم يكن اهتمامي بسيّد الحلبة مقبولًا في فلسفتها الرومانسيّة مهما كانت الأسباب.

"مفيستوفيليس..." بدا أنّ أنيشا تصوغ إجابتها بعناية. "إنه موهوبٌ للغاية فيما يفعله، وينتفعُ الكثيرون من الدروس التي اختارَ أن يُعطيها. نحن جميعًا ممتنّون له."

رجعتُ في جلستي وأنا أعبث بالأزرار الموجودة على جانب قفّازاتي. "هل أعطى مثل هذه الدروس لكاسي؟"

فجأةً وجدَت ليزا كوب شايها مثيرًا للفضول فصبَّت تركيزها عليه، في حين بدَت أنيشا عاجزةً عن الكلام.

"هل ترغبين في رؤيته كما لم يرهُ أحدٌ من قبل، عدا الفنّانين؟" سألَتني أنيشا أخيرًا، وأملتُ ألّا تقصد رؤيته عاريًا مثل اليوم الذي أتى فيه إلى هذا العالم. أومأتُ ببطء. "قابليني في ممشى الدرجة الثانية خلال ساعةٍ واحدة، عندها ستفهمين لماذا قد نفعل أيّ شيءٍ من أجله."



طبيب الطاعون



# 25
# التروس والأدوات

## مقصورة أودري روز - الباخرة إتروريا
## 6 يناير 1889

"هلّا شرحتِ لي ما غرضُكِ من هذا الأمر يا ابنة خالي؟"

كانت خدود ليزا زهريّة اللون، في مؤشر واضح على مدى انزعاجها. قد ينبثقُ البخار من أذنيها في أيّة لحظة. ابتلعتُ ضحكةً عصبيّة لِعلمي أنّها لن تحبّ أن أخبرها بأنها ابنة والدتها في هذه اللحظة.

تابعَت قائلةً: "أنا لستُ في موضع حُكم، لكن تبدينَ مفتونةً بمفيستوفيليس بفظاعة. ركّزي على 'الفظاعة'. ماذا عن السيّد كريسويل؟ هل تغيّرَت مشاعرك تجاهه بهذه السرعة؟ كانت رسائلك من الأكاديمية تُشير إلى رومانسيّةٍ هائلة، رغم استيائكِ منه في ذلك الوقت." تفحّصَتني بحدّة تركيزي حينَما أشرّحُ عينةً بِمشرطي. "هل ربحَ مفيستوفيليس قلبكِ بهذه السهولة؟ ظننتُكِ ستَرين أكاذيبه."

قرصتُ الجلد بين إبهامي والسبابة لزيادة التركيز. سألتُها: "أين الفضيحة في الحديث مع شخصٍ ما؟ ليسَ الأمر كما لو أنّني قد ارتبطتُ بمفيستوفيليس. ربّما أستمتعُ ببساطة بالسماع عن استغلاله

للعلوم. لطالما كنتُ مفتونةً بالهندسة، لسنا مُختلفين كثيرًا كما تعلمين."

"هل هذا ما قالهُ لك؟" أعطَتني ليزا نظرةً طويلة فاحصة. "أنّكُما متشابهَين في الطبيعة؟ وأنّكُما تنتميان لبعض؟"

كانت نبرتها مغمورةً بالاستنكار، لكنّني استطعتُ رؤية القلق في وجهها.

"ماذا لو قال هذه الأشياء؟" رفعتُ ذقني باذلةً قصارى جهدي للتظاهر بالسّخط وكرهتُ نفسي أكثر بعدها. كم من الأكاذيب سأضطرُ لقولها قبل انتهاء هذه المهزلة؟ "إنها حقيقة. كلانا يُحبّ العلم، لكن علمه مُبهرجٌ أكثر. هنالك الكثير الذي يُمكنني تعلّمه منه، أمورٌ قد تُساعدني في معرفة المكان الذي أنتمي إليه بالضبط."

"تشريح الموتى أقلّ بهرجة. ربما ينبغي عليك استعارة أحد أقنعته، أو الطلب من مصمّم أزيائه ثوب تشريح جديد. أنا واثقةٌ من أنّ بإمكانه خياطة شيءٍ من شأنه إعادة تشغيل أيّ قلب. أنتِ تنتمين إلى مكان وجود عمّكِ وتوماس، حيث تحلّين الجرائم لأولئك الذين لا يستطيعون فعل ذلك بمُفردهم، لا إلى خشبة مسرحٍ في ثياب مُزيّفة، تقفزين في مدينةٍ مختلفة كلّ ليلة على ذراع رجلٍ يُحبّ العروض أكثر منك."

"لا تكوني عكِرةً يا ابنة عمّتي." قلتُ مُحاولةً عدم الغوص في تفسير جُملتها الأخيرة. "أنا أستمتعُ ببساطة بتعلّم كيفيّة تصميم حيله. إنه حقًا... الآلات والمُعدّات التي يصنعها لا تُصدّق. لو قامَ بالتركيز على ابتكار أدواتٍ طبّية..." فجأةً لم أعُد أتحدّث بأنصاف الحقائق. لو استغلّ مفيستوفيليس عقله في صناعة آلاتٍ تُستخدَم في العمليات

الجراحيـة فهُنـاك احتمـالاتٌ لا حصـرَ لهـا بالشـفاء.

بحثَـت ليـزا فـي وجهـي للحظـة بغيـر اقتنـاع، بينمـا حاربـتُ للحفـاظ علـى تعابيـر وجهـي مجمّـدة فـي القنـاع الـذي كنـتُ أرتديـه. قالـت أخيرًا: "احـذَري مـن إعطـاء قلبـكِ لرجـالٍ مثلـه."

"رجــالٌ مثـل مــاذا؟" مــددتُ يــدي لأمســكَ بيدهــا. "علمــاء و مهندســون؟"

"بل كذّابون."

قلتُ لها: "إنهُ أصلًا مُخادع، صانع عجائب."

"بالضّبـط." أخـذَت ليـزا يدهـا وعقـدَت ذراعيهـا. "كاذبٌ فـي معطـفٍ فاخـر."

للحظـةٍ حرجـة خشـيتُ أن يكـون مفيسـتوفيليس قـد تصـرّفَ فـي اتّفاقنـا ضـدّ مشيئتي، بتركـه رسـالة مجهولـة لِليـزا تحتـوي علـى معلوماتٍ عـن هودينـي. بلعـتُ ريقـي بصعوبـة وشـعرتُ أنّ جـدار الأكاذيـب ينهـار علـيّ. لقـد حـان وقـت الكشـف عـن إحـدى الأسـرار.

"هل... هل كل شيء على ما يرام بينكِ وبين هاري؟"

"بالطبـع، لمـاذا لا يكـون؟" فحصَـت وجهـي وشـفتاها نحـو الأسـفل، لكـن كان هنـاك شـيءٌ فـي عينيهـا، شـيءٌ يشـير إلـى أنّ الأمـور لـم تكـن جيّـدة مثلمـا تدّعـي. "مـا الأمـر؟ مـاذا تُخفيـن عنّـي؟"

لقـد حلّـت اللحظـة التـي خشـيتُها. فجـأةً وأنـا أنظـرُ فـي عينيهـا المُتوسّـلتَين لـم أسـتطع حمـل نفسـي علـى تحطيـم قلبهـا. أمسـكَت بيـدي. إذا كانـت لديهـا شـكوكٌ حـول هودينـي فيجـبُ أن أعطيهـا كل المعلومـات التـي أعرفهـا. سـنصل إلـى اليابسـة فـي يـومٍ واحـد، مـع ذلـك لا يمكننـي دفـع نفسـي لاتّخـاذ هـذه الخطـوة الأخيـرة.

"لو سمحتِ، مهما كان، أريدُ أن أعرف."

سقطتُ على السرير وقلبي يدقّ ببطءٍ كافٍ ليدقّ ساعة الخوف. دون أن أنبس ببنت شفة مددتُ يدي وأخرجتُ الرسالة المُلطّخة من منضدتي. أعطيتُها لِليزا وأبعدتُ عينيّ وهي تجلسُ بجانبي لتقرأها.

"ذلك الوغد الكاذب!" قالت بصوتٍ مُرتجف وهي تُجعّد الورقة. "سأرميه في البحر مثل قطعة قُمامة كما يستحقّ! أين عباءتي؟"

خفتُ من أن تقودها أعصابها إلى مثل هذا التطرّف لذا استجمعتُ شجاعتي وواجهتُها. "ليزا... لا يُمكنكِ مواجهته."

"هل جُننتِ؟" بكت. "بالطبع يجب أن أواجهه!"

"انتظري على الأقل حتّى نصل إلى الميناء. أمامنا الكثير لنواجهه أصلًا. أرجوكِ، أتوسّل إليكِ، انتظري. إنه يومٌ واحد فقط، وبعد ذلك إذا كنتِ راغبةً في القيام بذلك فسوف أساعدُك على رميهِ في المرفأ. أقسِمُ لك."

سارَت ليزا في حلقة حول الغرفة وهي تهزّ رأسها. "تريدينني أن أتصرّف كأنّ لا شيء خطأ؟ هل كنتِ ستفعلينها لو كنتِ في مكاني؟"

قلتُ بصدق: "سأفعلُ كل ما يجب القيام به، خاصّةً إذا تعلّقَ الأمر بوضع التحقيق أولًا."

حدّقَت ليزا في وجهي ولم أستطع تحديد المشاعر التي تغيّرَت في وجهها. "أخبريني من أين حصلتِ على الرسالة؟ هل أعطَتها لكِ أنيشا؟"

"مفيستوفيليس فعلَها. أنا... لم أرغب في تخريب رحلتِك."

"لم تكن هذه مجرّد رحلةٍ بالنسبة لي." ارتجفَت شفتاها. "كان من المفترض أن يغدو مُستقبلي، لقد ضحّيتُ بالكثير." ابتلعَت

ما كانت ستقوله، ثمّ قالت بصوتٍ يضاهي صلابة الألماس: "لا تتخلّي أبدًا عن نفسك لأجل شخصٍ آخر يا أودري روز. الشخص المناسب يريدُكِ تمامًا كما أنت، وإن لم يفعل ذلك؟" تنهّدَت هازّةً رأسها. "انسيه. المُغالاة في قلب الموازين بأيّ اتجاه لا يجلب سوى المشاكل. لقد تخلّيتُ عن منزلي وعائلتي من أجل القُبلات ولعب الورق والوعود الخاوية بالمستقبل. هوديني كاذب وأنا سعيدةٌ لأنني انتهيتُ منه."

"ليزا، أردتُ أن أخبركِ، فقط –"

"أعدُكِ أنّني لن أقول شيئًا في الوقت الحاليّ. سأتصرّف كأنّ كل شيء على ما يُرام، ولن تتشتّت الأضواء لا سمح الله عن العرض القادم لملك البطاقات." نظرَت ليزا إلى الساعة على منضدتي. "من الأفضل أن تُسرعي وإلّا ستتأخّري عن لقائكِ مع أنيشا ومفيستوفيليس. إنه لا يبقى وحيدًا لوقتٍ طويل، فغالبًا ما يلتقي به هاري بعد الإفطار. ذلك يمنحُكِ بضع دقائق فقط معه. تعالي." سحبَت مقعد منضدة الزينة. "اجلسي، سأضفرُ شعرَك."

حدّقتُ في ابنة عمّي للحظةٍ أخرى، راغبةً في كسر الجدار الذي بنَتهُ فجأةً حول نفسها، لكنّني جلست. مرّرَت فرشاةً ذات مقبض فضّي في شعري، ولفّتهُ وشدّتهُ بعناية. تظاهرتُ أنّني لم ألاحظ الدموع المتفرّقة التي انسابَت على خدّها وهي تثبّت براعم حمراء صغيرة في شعري، أو كيفَ امتنعَت عينيها عن اللقاء بعينيّ في المرآة. بدا أنّني لم أكن الوحيدة في عائلتي التي تُخفي أسرارًا في هذه الرحلة الآن.

***

رشّ المحيط رذاذهُ على سياج السفينة، مما أجبرَني على الاقتراب من جانب المقصورات من الممشى لتجنّب الإصابة ببرودةٍ أكثر. بمُساعدة ليزا ارتديتُ فستانًا أكثر تفصيلًا من سابقه، فستانٌ من المخمل البورغندي طويل الأكمام مغطّى بدانتيل أسود رقيق. أضفتُ إليه قفّازات جلديّة وعباءة داكنة، فبدوتُ مثل بقعةٍ من الدّم الجاف. كان ذلك مُلائمًا لما أوشكتُ على القيام به. التضحية عملٌ فوضويّ.

ما لم ترَني ليزا وأنا أضيفُه هو الحزام الجلديّ المُثبَّت على فخذي والمشرط الذي وضعتُه فيه. كان حزام السلاح نفسه الذي صنعتُه لنفسي في رومانيا، وهو أفضل هديّة كريسمس حتّى اليوم. تحرّكَت أصابعي على مُقدّمة صدري مُرتاحةً لوجود شفرتي، رغمَ خطورة الخطّة التي صغتُها في رأسي.

كان الأمرُ قاسيًا ومحفوفًا بالمخاطر، لكن المكافأة ستفوقُ الخطر، كما تمنّيت. لم تسنح لي فرصةٌ للتحدّث مع توماس، لذا اعتمدتُ على قُدرته على استخلاص الحقيقة من قرائن دقيقةٍ أمامه. كنتُ آمل ألّا تُعيقه سُخرية مفيستوفيليس، وألّا يُشتّت انتباهي مدى حُزني على يأس ليزا.

مرّ زوجان شابّان، وعيناهما تجولُ حول سطح السفينة بينما كانا يتمسّكان ببعضهما البعض بقوّة. كانا أوّل مَن قابلتُهم من الناس، ولم تكن نزهتُهما مُريحةً بالقدر اللازم على الإطلاق. في الواقع بدَت مُعظم السفينة في هدوءٍ شديد. تناولَ كثيرٌ من الركاب وجباتهم في مقصوراتِهم وغامروا بالخروج فقط عند الضرورة القصوى. أصبحَت السفينة في النهاية سجنًا جميل المظهر.

واصلتُ السير وأفكاري تتعثّر ببعضها البعض.

في هذا البُعد وسط المُحيط لم تكن هناك نوارسٌ تحلّق فوق رؤوسنا وهي تُغنّي أغانيها الحزينة. بدلًا منها كانت هناك مقتطفات من مُحادثة جاءت من السطح الخشبيّ، مكتومة لدرجةٍ تعذّرَ عليّ فهمها. كان الرجال والنساء في بدلاتٍ وفساتين أقلّ روعةً من تلك التي يرتدونها ركّاب الدرجة الأولى، لكنها مع ذلك عصريّة، يُحدّقون من مقصوراتِهم بينما كنتُ أشقّ طريقي نحو أنيشا. ارتطمَ قلبي بصدري مُحذّرًا لكنّ أوان العودة قد فاتَ الآن. لقد وصلتُ ويجب أن تأخذ الخطّة مجراها.

كان مفيستوفيليس يُدير ظهره إليّ لكنّني ميّزتُه من خلال معطفه القرمزيّ وجزمته اللامعة التي تصل إلى الركبة وحركاته المُختالة. من هذا الاتجاه كان يُشبه زعيم القراصنة. لن أتفاجأ إذا سمعتُ أنه قد أضافَ عرضًا مائيًا بعد وصولنا إلى نيويورك.

"في المرة القادمة قومي بتدوير المشاعل كما لو كانت ساعة جيب متّصلة بسلسلة." قال وهو يؤرجح ساعتَه في دائرةٍ واسعة. "ستمنع السرعة اللهب من الانتشار على طول القضبان المعدنية كما ستبدو رائعةً للجمهور. لكن افعليها بسرعة، فهي معدنيّةٌ وستحرق شفتَيكِ إذا لامسَتها بالخطأ."

نظرَت أنيشا إليه عبر جفونٍ مُنخفضة، وفوجئتُ أنّ سيّد الحلبة لم يُلاحظ إعجابها به. بدَت أنّها تعيشُ على كلّ كلمةٍ أو فكرة يُقدّمها لها.

قُلت: "استنتاجٌ علميٌّ جيّد." استدارَ مفيستوفيليس وبدا مذهولًا من زيارتي المفاجئة، لكنه سعيد. أمسكَ بساعته ثم وضعَها في جيبه

وأنا أتابع: "المعدن يسخنُ بالنار، مَن كان سيُخمّن هذا؟ بعد ذلك قد تُخبِرها أنّ الثلج بارد الملمس."

"آنسة وادزورث، دائمًا من دواعي سروري." ارتعشَ فمه وهو ينحني قليلًا. "حسب خبرتي فالوقوعُ في الحبّ مثل اللعب بالنار، دافئٌ وله طقطقة تتصاعد مع حرارة الشغف..." شخرَت أنيشا وهو يُشير إليها بالتدريب.

"حسنًا، إذا كان المرء غبيًّا بما يكفي للّعب بالنيران فيجبُ ألّا يتفاجأ عندما يحترق."

كان تعبير أنيشا حائرًا في أثناء قيامها بتدوير النيران، مُتيحةً لنا بعض الخصوصية، رغمَ أنّني لاحظتُ انتباهها يتجه بين حينٍ وآخر نحو هدف عواطفها السرّية.

"هل تُحبّين رؤية مساحة العمل خاصّتي؟" سأل مفيستوفيليس بتهذيبٍ ونُبل كذّبَهُما لمعان المُكر في عينيه. "إنها قرب ذلك المُنعطف." ابتسمَ وراء قناعه، كذئبٍ يدعو ذات الرداء الأحمر إلى الغابة المُظلمة. ما لم يعرفه أنّ هذه الفتاة كانت تحمل سلاحًا تحت ثيابها ولديها مجموعةٌ مُتنوّعة من جلود الذئاب المُعلّقة في غرفتها. "أعدُكِ بسلوكٍ أخلاقيّ. مجرّد تروس وأدوات، وربّما قليلٌ من الشّحوم. لا شيء رومانسيّ أكثر من اللازم."

قُلت: "أنتَ تعرف كيف تجذب الفتيات بالتأكيد. بعد ذلك قد تُريني مجموعة الأقنعة الخاصة بك." اقتربتُ للنظر عن كثب إلى عمله الفنّي الأحدث، قناعٌ رماديّ باهت مع دوّاماتٍ بيضاء تشبه السّحب. لاحظتُ انقطاع أنفاسه لحظة اقترابي. "كم تملك منها، ألفًا؟"

"بل أقرب إلى مليون." ابتسمَ مُستعيدًا رباطة جأشه، ثم خاطبَ أنيشا: "تدرّبي على تدوير أحدهما ثم الآخر كما ناقشنا. علينا العمل على توقيت نفث ألسنة اللهب بعدها، أنا على وشك إكمال المحلول الجديد."

أومأت برأسها ثمّ واصلَت عملها، خلال قيامهِ بطيّ يدي على ذراعه واصطحابي عبر الممشى إلى وكره. كنتُ أمزحُ بشأن الأقنعة لكن لن أتفاجأ إذا كان لديه هذا العدد الكبير منها. ربّما احتاجَ إلى تخصيص صندوق ضخم لنقلها أيضًا.

سألتُه: "نفث النار؟ هذا يبدو خطيرًا بعض الشيء، وفظًّا كذلك."

أجاب: "ليس الأمر كما لو أنها ستُطلق اللهب على الجمهور مثل مضغة التبغ. يُمكن إيجاد الخطر في كلّ الأمور حتى العادية منها، وهذا مُملٌّ للغاية. إلامَ أدينُ بمُتعة صُحبتكِ في هذا الوقت المُبكّر؟ لم يحِن وقت الدرس بعد، هل أرسلكِ السيّد كريسويل إلى هنا لكسر علاقتنا الرومانسيّة؟ ظننتُه سيخنقني في مقصورة الآنسة كرينشو. أراهنُ أنه كان يكره مُشاركة ألعابه في طفولته."

"أولًا أنا لستُ لعبة شخص يا سيّدي. وثانيًا إذا كان توماس منزعجًا ألا تعتقد أنه سيأتي ليقف هنا ويتحدّاك لكسب مشاعري؟"

شخرَ مفيستوفيليس. "حسنًا، يبدو أنه من النوع الذي قد يطعن أعداءه." ثم حدّقَ في وجهي. "هل هذا الأمر يجذبُك؟ ربما أبدأ في تحدّي الخاطبين الآخرين في مُبارزات. قد أزيلُ قناعي بعد أن أفوز، لأدعهم ينظرون إلى الوجه الحقيقي لمَن هزمَهم."

"هل تعني وجه عدوّهم اللدود؟"

"لن يعتبروني صديقهم بعد أن يتعرّفوا على 'سيف اللّيل'."

"سيف الليل؟ هل هذا اسم صديقكَ الخياليّ؟"

"تقريبًا." قهقه ضاحكًا. "تعرفين زهر اللّيل السامّ أليس كذلك؟ نباتاتٌ مُثيرة لكنّها قاتلةٌ مثل سيفي، 'سيف الليل'."

"هذا ذكيّ." مرّرَ القلق أصابعه الجليديّة على ظهري. لقد تمّ العثور على البلّادونا - وهي نوعٌ من زهر اللّيل - في جسد الآنسة كرينشو. "هل يحتاج كل فرد في كرنفالك إلى امتلاك سلاح ليتمّ قبوله؟ مثل مجتمعٍ سري من حاملي السيوف ذوي الأقنعة؟"

ضحكَ مرةً أخرى، لكن هذه المرة وددتُ سحب ذراعي منه. "كلّا. جيان وأنا الوحيدان اللّذان نملك سيوفًا. هو يحتاجُها في عرضه، وأنا سيوفي من ماضيّ. للأسف لدينا أمورٌ أكثر أهميّة يجب مُناقشتها. الوقت هو أحد القوانين التي لا أستطيع كسرها، مهما توسّلتُ أو اقترضت أو سرقتُ لا يُمكنني إنتاج المزيد منه. هل من أخبار عن قاتل الركّاب؟ المُستثمرون ليسوا سعداء وأخشى ما سيأتي به المستقبل للكرنفال. لن تُوظّفنا أيّة سفينة سياحية أخرى إذا اعتقدوا أننا نأوي قاتلًا."

فكّرتُ في سؤاله عن بطاقات التاروت ولماذا يُعلّمها لكلّ فنّان لكنّني لم أرغب في أن يشكّ في دوافعي. كما لم أرغب في كشف حقيقة اشتباهي في أنّ التاروت وأوراق اللعب هُما نوعان من الشّفرات، ومعانيهما تُفصّل بوضوح قصّة الجرائم لأيّ شخص قادرٍ على قراءتها. إذا كان هو القاتل فقد يُغيّر أساليبه في القتل.

"ليس بعد، لكن لديّ نظريةٌ أعملُ عليها." بلّلتُ شفتي على أمل ألا أثير شكوكه بفضولي الزائد حول تعليقه العابر. "سيف مَن أكبر؟ سيفكَ أم سيف جيان؟"

توقّف فجأةً وحدّق في وجهي كأنّني قد خلعتُ ملابسي أمامه وأمام الآخرين في ذلك الممشى، ومن بريق الإثارة في عينيه عرفتُ أنه لن يُمانع حدوث ذلك. تطلّبَ الأمر لحظةً أخرى ليتمكّن عقلي من استيعاب التلميح البذيء الذي قلتُه بالخطأ.

تمتمت: "أنا... أعني، أيّهما مصنوعٌ بدقّةٍ أكثر؟"

"ممم." بدأ يمشي مرة أخرى رغمَ أن الابتسامة المُخادعة ما زالت على شفتيه. "بصراحةٍ؟ سأقول سيوفه. سيف اللّيل رائع، لكن سيوف جيان أعمالٌ فنّية."

الآن أنا مَن أوقفَ مسيرنا، إذ لم أتوقع منه إلّا الغرور. "اعتقدتُ أنّ الرجال من أمثالك يكذبون لأجل المُتعة."

"ممّا يجعل الأمر أكثر إمتاعًا لكِ عبر فرز الحقيقة من الأكاذيب."

استمرّ في المشي، لا في عجلةٍ من أمره ولا بارتياب، بل بدا مرتاحًا وخطواتُه واثقة. لم نكن أكثر من زوجَين شابّين نسيرُ على طول الممشى، عدا أنه كان يضع قناعًا سخيفًا وأنا شفرةً مخفيّة، ومعظم أفراد السفينة ارتدوا الخوف مثل معطفٍ جديد. رأيتُه عدة مرات يرفعُ وجهه كأنه يتشمّس، رغم اختفاء الشمس خلف طبقة سميكة من الغيوم. كانت هُناك عاصفةٌ تختمر.

"لقد صُنِعَت سيوف جيان من قِبل خبير سيوف من الإمبراطورية العثمانية في أثناء رحلاته." تابعَ رغمَ عدم استفساري. "معدنها عمليًا يُغنّي وهو يخترقُ الهواء. عليكِ حضور إحدى تدريباته، يُمكنكِ سماعها بشكلٍ أفضل عندما لا يكون هُنالك جمهور."

"هل ينام بالقرب من سيوفه؟ تبدو باهظة الثمن."

"لماذا هذا الفضول حول جيان؟" توقفَ بالقرب من مقصورةٍ في منتصف الممشى. "هل تظنّينه يحتفظ بالجثث في صندوق سيوفه؟"

كان سؤاله خفيفًا لكن شيئًا ما في تعابيره أزعجَني. "ألا يُمكنني الاستفسار عن سيفٍ يُغنّي بلا دافع؟ ليسَ كلّ شيءٍ يدور حولك، أيها الشيء الذي لا يُطاق."

"بلى، لكن..."

"هل تعرف؟ خطرَت لي للتوّ فكرةٌ عظيمة! يجب أن تسمّي عرضه 'جيان سُلطان السيوف المُغنّية'. أراهنُ أنّ الناس سيُحبّون سماع تلك السمفونية. ربما يمكنك تصميم طريقة لتحسين أغنية السيف. هل جرّبتَ استخدام مبدأ طبلة الأذن لتضخيم الصوت؟"

رفعَ مفيستوفيليس كِلا حاجبيه، وهو عملٌ لطالما أعجبَني نظرًا لأنه لم يخلع قناعه قطّ. "هل أنتِ مهتمّةٌ بتوظيف عقلكِ العلميّ لغرض الربح؟" وضعَ يده على قلبه. "هل أقنعتُكِ بالانضمام إلى مهنة العروض بعد بضع ليالٍ فقط؟ أنا أفضل ممّا اعتقدت حقًا، رغمَ أنني لا أستهينُ بمهاراتي في الإغواء على الإطلاق."

"مهنة العروض؟" سألتُه بارتياح لتشتيتي انتباهه. "هل هذا ما تُطلقه على الكرنفال اليوم؟"

"هذا ما يُطلقه بي. تي. بارنوم[1] على السيرك، له وقعٌ جميل أليس كذلك؟"

زفرتُ بسُخرية. "لقد سمعتُ شائعاتٍ عن كونه وغدًا لئيمًا. لستُ واثقة من أنّ اقتباس أيّ شيء منه فكرةٌ صائبة."

---

1- بي. تي. بارنوم: رجل أعمال وفنان أميركي شهير من أوائل من أسسوا مهنة السيرك الاحترافي في العالم في بدايات القرن التاسع عشر. (المُترجم)

"إنه انتهازيّ، مثله مثل معظم رجال الأعمال، وهو أمرٌ لا يتطلّب الاحترام."

أدخلَ مفيستوفيليس مفتاحًا ثم دفع الباب ليفتحه، كاشفًا عن حجرةٍ خالية من أيّ شيء غير الأدوات والمُعدّات. كانت هناك رائحةٌ معدنيّةٌ خفيفة في الهواء، ولأول مرّة لم تكن بسبب الدم المُراق.

قامَ بتشغيل الضوء لأرى أغراضًا عاديّة ممزوجةً بغير التقليديّة منها. قبعاتٌ ذات أجزاء معدنيّة من الداخل، وأقفاص طيور ذات حمائم ميكانيكيّة مغطاة بريشٍ حقيقيّ بدَت نابضةً بالحياة لدرجة أنّني اضطررتُ إلى لمسها للتأكّد من أنّها دُمى. لاحظتُ معطفًا معلّقًا على خطّاف كان الجزء الداخلي منهُ مخيّطًا بالمعدن والتروس، بينما جثمَ ريش الغراب على كتفيه، أملسًا ولامعًا مثل الزيت. تناثرَت البراغي والمسامير وأقنعة أطباء الطاعون[1] عبر منضدة الزينة، وارتجفتُ عندما اقتربتُ من أحدها. كان منقارها الجلديّ جافّ المظهر حتى بدا منحوتًا من العظم. "هذه..."

"مُرعِبة؟" قامَ برفع أحد الأقنعة وتمرير إصبعه ذا القفّاز على المنقار الكبير. تخيّلتُ أنّ تعبير وجهه يدلّ على تفكير، رغم أنه كان صعب التحديد. "هل تعلمين أنه خلال العصور الوسطى، عندما ارتدى أطباء الطاعون هذه، كانوا يضعون روائح عطريّة على طرف المنقار؟ بتلات الورد، توت العرعر، بلسم الليمون والنعناع، للمُساعدة في إبعاد روائح الموت الفاسدة. كما سُمِحَ لهم بإجراء تشريح لجثث الموتى، رغم أنه كان ممنوعًا على الآخرين في تلك

1- أطباء الطاعون: الأطباء الذين عالجوا مرضى وباء الطاعون القاتل الذي اجتاح أوروبا في القرنين السادس والسابع عشر، اشتهروا بزيّهم المميّز الذي اقترن باقتراب الموت. (المُترجم)

الأيـام. شـخصٌ مثلـكِ كان سـيواجه تُهمًـا خطيـرة."

"ما علاقة هذا بالكرنفال خاصّتك؟"

بـدلاً مـن الـردّ المُباشـر اسـتدارَ ورفـعَ معطفًـا أسـود ذا قلنسـوة مـن مـكان تعليقـه ليرتديـه مـع نظـاراتٍ زجاجيّـة دائريـة وأخيـرًا قنـاع الطاعون. واجهَنـي ببـطء، واقفًـا هنـاك دون حركـة، مرتديًـا السّـواد بالكامـل عـدا القنـاع العظمـيّ الأبيـض. مـدّ يـده لأخـذ قبّعـة صغيـرة، أضافَهـا لإكمـال مظهـره كطبيـب طاعـون نبيـل أتـى لمُعاينـة أشـباه الموتـى.

سـارَت رعشـاتٌ علـى أطرافـي. كان صمتـهُ مُخيفًـا مثـل زيّـه، إن لـم يكـن أكثـر.

"حسـنًا؟" سـألتُه وأنـا أكبـحُ جمـاح أعصابـي. "مـاذا تُخطّـط للقيـام بـه فـي هـذه الأزيـاء؟"

تقدّمَ نحوي ببطء، دائرًا حولي كما يفعل النسر بجثّةٍ جديدة.

"الآن قلبُـكِ يخفـقُ بشـدّة." اقتـربَ مفيسـتوفيليس. "أنفاسُـك تتسـارع شـيئًا فشـيئًا، وأنـا أجـذبُ كامـل انتباهـك، وكامـل خوفـكِ وإثارتِـك. لقـد وعـدتُ بثـلاث أمـور فـي عـرض الافتتـاح يـا آنسـة وادزورث، هـل تذكُرينهـا؟"

رفضـتُ الخـوف. لقـد قـال أن كرنفالـه ملـيءٌ بالسـحر والشّـيطنة والفوضـى. "بلـى."

كان وجهــه مخفيًّــا بالكامــل خلــف هــذا القنــاع الجديــد، لكنّنــي تخيّلـتُ الابتسـامة الشـيطانيّة التـي ابتسـمَها لمـرّاتٍ لا تُحصـى مـن قبـل. "عندمـا يمتلـئ العـرض الختامـيّ بجيـش مـن أطبـاء الطاعـون أعتقـدُ أنـهُ سـتكون هنـاك بعـض الفوضـى فـي الصالـة. ألا توافقيـن؟"

مشهدٌ قوطيٌّ مُرعب بالفعل.

قلتُ بهدوء: "ربّما مع حقيقة مقتل عدّة شابّات وتقطيع رجلٍ واحد على الأقل يجبُ عليكَ إعادة التفكير في هذا. لو كنتُ في مكانكَ فلن أرتديه." أومأتُ نحو زيٍّ آخر مُلقى على السرير. كان لونه بين الخُزامى والرماديّ، زيٌّ خياليّ آخر لكرنفال ضوء القمر، على كتفيه حراشف سمك فضّية مثل الدروع، وعلى صدره الأسود الفاحِم حراشف سوداء. "لمَن هذا؟"

استدارَ مفيستوفيليس وهو يخلع زيّه الرهيب ويُعيد وضع قناعه السابق، ثم أشارَ إلى طاولة العمل خاصّته. كان عليها القناع الأدقّ تفاصيلًا الذي رأيتُه في حياتي. لم أعرف كيف فاتَتني رؤيته خلال أوّل مسحٍ للغرفة لكنها مليئةٌ بالأشياء اللافتة للنظر. كان هذا القناع أشبه بخوذةِ حربٍ رومانيّة، تزدانُ بفكوك مفتوحة تحتوي على أنياب، بالأحرى جمجمة تنّين، كما أدركتُ عند الفحص الدّقيق.

"طلبَت أنيشا إعادة ترتيب عرضها لابتكار شيءٍ لا يُنسى." لمسَ خامة القماش الجميلة لذلك الزيّ. "ترغبُ في أن تُعرَف باسم ملكة التنّين بدلًا من كونها آكلة نار تقليديّة، ونفّذتُ لها ما أرادَت. الآن بمُساعدة محلولٍ خاصّ صنعتُه لن تبتلع النيران فحسب بل ستنفثها."

"لكن هذا يبدو –"

قاطعَني: "خطيرًا؟ ليس بخطورة مُرافقة شاب إلى غرفته بمُفرده مع أقنعته وآلاته. أخبريني..." قال وهو يُغلق الباب: "متى بدأتِ في الاعتقاد بأنّ لي علاقةٌ بجرائم القتل؟"



# 26
# جاسوسةٌ فى ثيابٍ جميلة

## مقصورة عمل مفيستوفيليس - الباخرة إتروريا
## 6 يناير 1889

أبقيتُ يدي على النصل المخفيّ المُغلّف على فخذي وأنا أسأل مفيستوفيليس: "مَن ذكرَ شيئًا عن الذّنب؟ ما لم يكن لديكَ شيءٌ لم تُخبرني به. هل عندكَ أخبارٌ تُشاركها معي؟"

بدا مستغربًا نوعًا ما لأنّني لم أحاول الابتعاد عنه، وقال بعد أن انحنى على الباب بذراعَين معقودتَين: "مُشكلتي أنّكِ تجوبينَ هذه السفينة وتتظاهرينَ بالاهتمام بي أمام الفنّانين، في حين أنّكِ في الواقع مجرّد جاسوسة لعمّكِ في ثيابٍ جميلة."

"أنتَ مَن أرادَهُم أن يعتقدوا بوجود علاقةٍ بيننا! وأنا أشعرُ بإهانةٍ كبيرة لذلك." شددتُ قامتي. "لستُ جاسوسةً لأحد." كنتُ أكذب بالتأكيد، لكنه لم يتّهمني بذلك حتّى الآن. "أنا أفعلُ بالضبط ما طلبتَه وفقًا لصفقتِنا. إذا كنتَ مُستاءً لهذا الحدّ فربّما حان وقت تغيير الشروط."

قال: "لا تُهيني ذكائي. نعم، كنتُ أريدهم أن يرَونا معًا وأن يعملوا بجديّةٍ أكبر لتعليمكِ الحيل من أجل العرض الختاميّ، لكنّني لم أذكُر في اتّفاقنا المُغازلة أو التحديق في وجهي عندما تظنّينني غير

مُنتبه. تدفعينَني للشكّ أنّكِ بين لقائنا في مُنتصف الليل وتشريح ما قبل الفجر وجدتِ نفسكِ تفكّرين في نعومة شعري، وزاوية فكّي الحادّة..."

"وغطرسة سلوكك." قلبتُ عينيّ. "ربّما أستمتعُ بصُحبتك رغمَ كلّ شيء. إذا كنتَ واثقًا من نفسك فلماذا يصعُب عليكَ تصديق ذلك؟"

"إذَن هذه النظرات حقيقيّة؟" تفحّصَني عن كثب ونزلَ انتباهه إلى شفتيّ ليبقى هناك. بعد لحظةٍ قام بإطفاء الأضواء ثم تحرّكَ نحوي ببطء. كانَ قلبي الشيء الوحيد الذي لم يُجاري ثباتي المُزيّف، وأخذَ نبضي يضطرب عند قُربه المُتزايد.

لم يذكر عمّي عاقبة عصياني سابقًا، لكن إذا اكتشفَ أنني قد خرقتُ قواعده مرة أخرى... مع ذلك تمسّكتُ بموقفي. مدّ مفيستوفيليس رأسه، مُتفحّصًا أنفاسي المُنتظمة وكل رمشةٍ بطيئةٍ لعينيّ، باحثًا عن كذبة لم يستطع إيجادها. حملتُ في ذهني صورةً لابتسامة توماس الماكرة وطابَقتُها على الشابّ الذي أمامي. مدّ يده أخيرًا ليدفع برفقٍ خصلة شعر طائشة خلف أذني.

"هل أنتِ مُتأكّدة أنّ هذا ما تُريدينني أن أصدّقهُ يا آنسة وادزورث؟ هل أنتِ هنا، في هذه المقصورة منفردةً بي، نتيجة اختيارك أنتِ... بإرادتك الحرّة... دونَ دافع مُعيّن؟ هل ترغبين ببساطة في قضاء الصباح معي؟"

أومأتُ برأسي، دون ثقةٍ في ثبات صوتي عندما تكون أعصابي على وشك الانهيار. حينَها رأيتُ الجوع في عينيه، الشوق الذي لم يستطع تغطيته بأيّ قناع. كنتُ أعلم أنه يُريد تقبيلي، رغمَ أنّني

لستُ مغرورةً بما يكفي للظنّ بأنهُ لن يُحدّق في أيّ شابّةٍ أخرى بنفس الطريقة. كان انتهازيًا، وهذه فرصةٌ مثاليّة. امتدّت أصابعُه مرةً أخرى دون أن يلمسني بل كان في انتظار الإذن.

في ذلك القُرب استطعتُ شمّ رائحة الكولونيا خاصّته، ذكّرتني بالعطريّات المُستخدمة في قناع الطاعون، لكنّها كانت قويّةً وغير مُخيفة. ربما كان ساحرًا حقًا، لأنه هنا - في غرفةٍ معزولة أسفل العالَم الذي أعرفُه - لم أستطِع مقاومة الوقوع تحت سحره.

في الظلام كان من السّهل نسيان أنه ليسَ الشابّ الذي ظللتُ أفكّر فيه، الشخص الذي ألفتُ شفتَيه مثل شفتيّ. خفقَ قلبي عندما مالَ نحوي ووجهه قريبٌ جدًا من وجهي. لاحظتُ شعرًا خفيفًا على بشرته، كما لو لم يكن لديه وقتٌ للحلاقة هذا الصباح. اللعنةُ عليّ، لكنّني تقتُ للشعور بخشونتها على بشرتي، بتشابهها واختلافها عن بشرة توماس. لا بدّ أنّ شيئًا في تعبيري قد تغيّرَ ليُطلق له العنان. مرّرَ أصابعهُ في شعري ليجذبني بلطفٍ ولم أقاومه.

رفعتُ ذقني مع علمي أنّها كانت أخطر خدعةٍ على الإطلاق، التظاهُر بأنه شخصٌ آخر والتّوق لمذاق شفتيه، والإحساس بتخريمات قناعه تحت أطراف أصابعي. راحَ فمه يحوم حول فمي، يتشاركان الأنفاس لكن دون لمس، ليسَ بعد...

همسَ على شفتيّ: "لقد فكّرتُ في القيام بهذا طوال الأسبوع. هل... هل أنتِ متأكّدة -"

فُتِح الباب فجأةً. "هل أكملتَ الأصفاد الجديدة؟ ليزا في مزاجٍ سيّء ولا شيء لديّ لفعلهِ أفضل من -"

ابتعدتُ عن سيّد الحلبة، ووجهي مشتعلٌ بينما أغلقَ هوديني

فمه. بدا فنّان الهروب على وشك القيام بهروبه، وهو يقف لالتقاط أنفاسه متجمّدًا بالحَيرة.

"آه... آسف على المقاطعة. لم تذكُر أنيشا..." أشارَ هوديني إلينا دون النظر إلى أعيُننا. "سأعود من أجل الأصفاد."

تسللَ خارجًا من الغرفة قبل أن يستعيد مفيستوفيليس رباطة جأشه. جمعتُ أنفاسي ممتنّةً للمُقاطعة، رغمَ أنني لم أتفاجأ. ذكرَت ليزا أنّ هوديني يلتقي بسيّد الحلبة في هذا الوقت تقريبًا، وهو أمرٌ كنتُ أعوّل عليه. لقد رسمتُ خطّتي على عجلٍ خلال سيري إلى هنا، لكن مع أيّ حظ فقد لعبتُ دوري بشكلٍ مُقنع. القيل والقال عملةٌ يُنفقها الجميع. سيبدأ التهامس بين الفنّانين بشأن العلاقة السرّية بيني وبين سيّد الحلبة. ربما شكّوا فيها من قبل، لكن الآن هُنالك 'دليلٌ' على مشاعرنا، خدعةٌ لإبقاء تركيزهم على حيثُ أردت.

ابتعدتُ عن مفيستوفيليس، مُتيحةً لنا مساحةً للتنفّس وأنا أمسحُ مُقدّمة تنّورتي. لو تأخّرَ مجيء هوديني للحظاتٍ أخرى لوقعتُ في الفخّ الذي نصَبتُه بنفسي. فركَ مفيستوفيليس قفا رقبته، وبدا في حيرةٍ من أمره بشأن ما يقول. "يجبُ أن أعتذر عن جرأتي يا آنسة وادزورث. لم أقصد أن أكونَ بهذه الوقاحة -"

"رجاءً، لا داعٍ للقلق بشأن ما كان مُمكن الحدوث." لوّحتُ بيدي في الهواء ولم أشعر بنصف القوّة التي بدوتُ عليها. كانت ركبتاي ترتجفان وقلبي يدقّ بشكلٍ محموم. لقد أحببتُ توماس، لكنّني لم أستطع إنكار جاذبيّة سيّد الحلبة. هل من المُمكن تقمّص دور شخصيّةٍ أخرى لدرجة الدخول بالفعل في حياتها؟ "الآن أنا بحاجة لفحص سيوف جيان. أعلمُ أنّنا كنّا نمزح من قبل، لكن هل يحتفظ

بها جيان في مكانٍ مُقفَل؟ هل هي مع سيفك؟"

بدا سيّد الحلبة مُترددًا في إبعاد المحادثة عن قُبلتنا المُحتَملة لكنهُ رضخ.

"إلى جانب وتحت مخزن الحيوانات، هُناك نحتفظ بصناديق مُعدّات العروض. الخيَم والحبال ومعظم الأدوات التي نستخدمُها هناك، بما في ذلك الصناديق التي تحتوي على سيوف جيان. إنها مطليةٌ باللون الأزرق اللازورديّ ومغطاةٌ بقطعٍ من بلاط الفسيفساء، لا يُمكنكِ تفويتها."

انتبهتُ إلى عدم ذكره لمكان سيف اللّيل. "هل ستكون الأمور على ما يرام إذا ألقيتُ نظرةً هناك؟"

لم يُجِب مُباشرةً بل فكر قليلًا. "ما علاقة هذا بالنساء المقتولات؟"

"يتعلّق الأمر بالذراع المقطوع في الواقع." تولّدَ لديّ انطباع أنني إذا ابتعدتُ كثيرًا عن الحقيقة فسوف يكشف كلّ أكاذيبي. "لديّ شكٌّ في وجود رابط."

"مُمتاز." جلسَ على كرسي أمام منضدة عمله المؤقتة، ليلتقط بضع زجاجاتٍ مملوءة بسائلٍ صافٍ ومساحيق داكنة رتّبَها قرب بعضها البعض. "يُمكنكِ التحقيق في أيّ شيء له علاقة بالكرنفال. لكنّني أحذّرُك، لن يتقبّل كلّ الفنّانين التطفّل على أغراضهم. قد ترغبين في الذهاب بمُفردك وحاولي ألا يراكِ أحد." ابتسمَ بخجل. "أودُّ أن أرافقكِ لكن لديّ بعض العمل لأقوم به قبل عرض الليلة. إذا سنحَت لي فرصةٌ لمُرافقتكِ فسأفعل." عندما رفعتُ حاجبي أشارَ إلى الزجاجات المُغلقة بالفلّين. "نيران التنّين، إنّها ليسَت لأداء الليلة لكن

سأعملُ عليها فورَ ذهابك."

"هل كنتَ ستُريني عرض هوديني الجديد في الليلة الماضية؟"

حاولتُ ألّا أبيّن ارتياحي لكوني وحيدةً في بحثي؛ لم أكن واثقةً من مُقاطعةٍ أخرى إذا عزمَ على تقبيلي ثانيةً. "هل هُناك أيّة تلميحات حول ما تعمل عليه؟"

قال بابتسامةٍ واسعة. "أمرٌ مُذهلٌ للغاية."

***

نزلتُ في طريقي عبر ممرّاتٍ دهليزيّة من المعادن الملتوية والبراغي الباهتة، ولاحظتُ امتلاء أجزاء من السفينة بالمُقارنة مع أجزاء أخرى فارغة. مع ذلك لم يكتمل الصمت قطّ. كان بالإمكان سماع بعض الاهتزازات أو الحركات المكتومة وكذلك الشعور بها، سواءٌ من خلال أصابعي المُتحرّكة على الجدران أو عبر نعل حذائي الحريريّ. كانت السفينة تعجُّ الحياة بحركةٍ مستمرّة، بمُحرّكاتها التي تستهلك الطاقة لنفث البخار أو الأشرعة المُساعدة التي تمدّ أذرعها لترويض الرياح. كانت أشبهُ بتنّينٍ معدنيّ يطير على ارتفاعٍ مُنخفض فوق البحر. دفعتُ هذه الأفكار بعيدًا وركّزتُ على ما حولي.

لقد تمّ استخدام هذه الممرّات الضيّقة من قبل الطاقم، مخفيّةً ومُظلمة، محصورةً في قلب إتروريا. كانت الأبواب مُتباعدة بشكلٍ متساوٍ تقريبًا، تؤدي إلى مقصورات الخدم أو ربّما للتخزين. حفّت تنّورتي بعلو دقات قلبي النابضة في عروقي وأنا أنتقلُ بين الممرّات ذات الإنارة الخافتة. كنتُ آمل تجنّب لقاء أيّ شخص، رغمَ أنّ القبطان قد أبلغَ الطاقم بتحقيقنا إلّا أنّني لم أرغب في أن يراني أحد.

تردّدت أصوات قرع الأطباق مع كلماتٍ مخنوقة عبر الممرّ،

فأسرعتُ بدلًا من التوقّف للاستماع. وفقًا للتوجيهات التي أعطاني إيّاها مفيستوفيليس كنتُ على وشك الوصول إلى الغرفة التي حُفِظَت فيها السيوف. سمعتُ وقع خُطى فجأةً من خلف الزاوية، بطيئةً وثابتة. مَن سارَ نحوي لم يكن على الأغلب من أفراد الطاقم المُسرعين، ممّا يعني أنه ربما يكون فنّان كرنفال.

ألقيتُ نظرةً حولي وكادَ قلبي ينفجر وأنا أبحثُ في خياراتي القليلة للاختباء، قبل أن أهرع إلى أقرب باب. سحبتُ المقبض لكنهُ كان مُغلقًا. ركضتُ إلى الأخرى مع انتباهي لاقتراب الخطى خلفي. بابٌ مُغلق آخر. "أيها الربّ الرحيم." يا للحظّ العاثر. جرّبتُ مقبض الباب الثالثة وكدتُ أجثو على ركبتيّ شاكرةً عندما فتحتُها. مالَ الظلّ حول الزاوية وقبل أن يظهر صاحبه تسلّلتُ إلى الغرفة المُظلمة، مُغلقةً الباب بنقرةٍ خفيفة.

كلمة 'غُرفة' تسميةٌ كريمة، إذ لحُسن حظي أو تعاسته أن المطاف انتهى بي في خزانة مكانس صغيرةٍ ومكتظّةٍ للغاية. ضربَت العصي ظهري وأطرافي وحاربَت لاستعادة مساحتها. وقفتُ بلا حراك، داعيةً السماء لئلّا يسقط شيءٌ على الأرض. لسعَت رائحة المُنظف الحادّة أنفي، وانضمّت ذرات الغبار إلى المعركة. تلاطمَ محلولٌ في دلوٍ مملوء به على الجانبين حتى بلّلَ حذائي.

شعرتُ بعطسةٍ قادمة، واستنجدتُ بكلّ قدّيسٍ عرفتُه لنزع فتيلها قبل أن تنفجر لتفضح مكاني. كانت العمّة أميليا سترفع حاجبًا، مُدّعيةً أنه هذه لعنة العاصي وأنّ الالتزام بحضور الكنيسة من شأنه منع مثل هذه الأمور.

زممتُ شفتيّ، كأنّ بإمكاني كبت العطسة بقوّة الإرادة لِوحدها،

ودمعَت عيناي. لقد تباطأ السائر في الممرّ، وضغطتُ أذني على الباب مُستمعة. كان يقوم باختبار مقابض الأبواب.

قاومتُ الرغبة في ضرب رأسي بالمعدن. بدا أنّ العطسة ستُحرّرني من وصوله الوشيك، مما سمحَ لكتفي بالاسترخاء، لكن لوقتٍ قصير فقط. قبل أن أتمكّن من كتمها عطستُ بصوتٍ عالٍ لا لبسَ فيه.

"مُعافاة."

كدتُ أقول شكرًا لك ثم جمدت. الشخص الذي اختبئتُ منه قد فتحَ الباب ودخلَ معي قبل أن يُغلقه بسرعة. صُدِمتُ للحظة، الخزانة كانت بالكاد تكفيني، والآن معي...

"كريسويل؟ ماذا تفعل بحقّ الملكة؟"

لم أتمكّن من رؤية ابتسامته لكنّني أقسمُ أنه أمكنَني الشعور بها. "أتبعُكِ في الزوايا المُظلمة المهجورة بالطبع. ماذا عليّ أن أفعل غير هذا؟ عمّكِ يتفحّص الطرف المقطوع ثانيةً. بعد محاولة التحدّث إلى الدكتور آردن دون جدوى توقّفتُ عند مقصورتك، لكن ليزا أخبرَتني أنك ذاهبة للتجوّل في طابق الدرجة الثالثة." شعرتُ بكتفه يرتفع. "حاولتُ لفت انتباهك لكنّكِ كنتِ تركضين إلى السلّم."

قلبتُ عيني. "لا تبدو مُلاحقتي إلى الخزانة أفضل فكرة لديك."

"لكنها جيّدة، أليسَ كذلك؟" سأل وقبل أن أتمكّن من الرد ضغطَ شفتيه برفقٍ على شفتيّ. اشتعلَت جذوة الرغبة، وفجأةً صارَ البقاء معه لوحدنا في مكان مُظلم منسيّ أكثر جاذبيّة. دفعتُ قُبلتي لسيّد الحلبة من ذهني، لا شيء يُمكن أن يُقارَن بهذا. كان مفيستوفيليس مجرّد وهم، وتوماس هو الحقيقة. "أترَين؟ كانت خطّةً رائعة."

تنهّدت. كان مُحقًا لكن الرّغبة في تقبيله والحاجة إلى استغلال وقتنا بحكمة شيئان يجب أن ينفصلا عن بعضهما في الوقت الحالي. ثم هناك مسألة قُبلتي الوشيكة مع مفيستوفيليس التي احتَجنا إلى مُناقشتها في نهاية المطاف. قد لا يحرص توماس على الاختلاء بي بعد أن يعرف ذلك.

وضعتُ يدي على صدره مانعةً المزيد من التقبيل. "سيوف جيان محفوظةٌ في الغرفة المجاورة، وآملُ أنه إذا جرى استخدامها في أيّ من الهجمات سيكون هنالك دليلٌ عليها. لقد تمّ قطع تلك الذراع بشكل عنيف ولا بدّ من وجود علامات على السلاح المُستخدم. إذا أردنا التحقيق فنحن بحاجةٍ للإسراع، سيستعدّ الفنّانون قريبًا لتدريبات العرض الختاميّ."

"لقد كنتِ مشغولةً هذا الصباح." فتحَ توماس الباب ثم فرك يديه. "كيف تعرفين وقت تدريباتهم؟ هل تمكّنتِ من سحر الكرنفال برُمّته بمُفردك؟"

وخزَني الأسف في صميم قلبي. أردتُ إخباره عن مغامرتي مع سيّد الحلبة وعن صفقتنا اللعينة، لكن ذلك تطلّبَ وقتًا للكشف عن خطّتي بالكامل، والوقتُ شيءٌ كنا نفتقر إليه بشدّة. بدلًا من فتح المزيد من مجالات المناقشة ابتسمتُ بتردّد قائلةً: "ربّما."

"سيوفٌ وأسرار وقُبلات مسروقة." لمعَت عيناه بسرور. "أنتِ تتحدّثين بلُغة قلبي المُعقّد يا وادزورث. أنا رجلٌ محظوظٌ جدًا."

كنتُ آمل أنه لن يُغيّر اعتقاده هذا بعد أن يعرف تفاصيل نشاطاتي الصباحيّة لاحقًا. "تعال يا كريسويل. لدينا غرفةٌ تنتظر التحقيق."



# 27
# شبكةٌ من الأوهام

## مخزن الكرنفال - الباخرة إتروريا
## 6 يناير 1889

دخلنا غرفة التخزين أنا وتوماس بحذرٍ شديد، دون النطق بكلمة أو حتى التنفّس بعمق لِحين التأكّد من كوننا لوحدنا. كانت الغرفة كبيرةً وكهفيّة، مطليّةً بلون الفولاذ الرماديّ لسفينةٍ حربيّة. تدلّت مصابيح إديسون من مسافاتٍ متباعدة في السقف، تئزّ عندما يُحرّكها توماس خلال مروره.

لا أنكر كونها مُخيفة. لم تكن هناك حيواناتٍ في أقفاص لكن بإمكاني أن أقسِمَ أنّني شعرتُ بعيونٍ خلف ظهري في أثناء تسلّلي البطيء عبر ممرّاتٍ من الصناديق المكدّسة من جميع الأشكال والأحجام والألوان. لم أرَ إشارةً على أيّ صندوق تُحدّد انتماءهُ إلى أيّ فنّان أو عرض، وكنتُ شاكرةً للوصف الذي قدمهُ لي مفيستوفيليس. لولا ذلك لأمكنَنا قضاء ما تبقى من الرحلة في فتح كلّ واحدٍ منها.

همستُ فوق كتفي: "نحن نبحث عن صندوق من اللازورد وبلاط الفسيفساء، هناك أكثر من واحد." هدأ توماس للحظة، والتفتُّ متوقعةً أن أراهُ مشغولًا بشيءٍ ما، لكنني تفاجأتُ بكونه ساكنًا. "ماذا؟"

نفَضَ نفسه من الأفكار التي انتابَته. "انظري حولكِ يا وادزورث. هناك صناديق فوق صناديق فوق صناديق."

قلقتُ من أنّ قلّة النوم قد جعلَتهُ غبيًّا بعض الشيء. "بلى، أمرٌ غير متوقّع مطلقًا في غرف التخزين."

"أعني أنّ هناك أماكن عديدة لإخفاء الأدلّة... والجثث." مرّر يده على أقرب صندوق، أسودٌ لامع لدرجةٍ يُمكن رؤية انعكاسات صورنا فيه. "وهذه ببساطة إحدى الغرف. فكّري في عدد المساحات الموجودة على هذه السفينة. إذا بدأ القاتل في تقطيع أوصال الجثث فلا داعٍ لرميها في البحر. يُمكنه حفظها بأمان ثمّ التخلّص منها خلال الطريق إلى الوجهة القادمة." ربّتَ على جانب الصندوق. "كما أنّ الجثث لن تحتاج إلى صناديق كبيرة بحجم التوابيت. إذا كانت مُقطّعة فيُمكن وضعها في أيّ مكان. ربّما نقف وسط مقبرةٍ حقيقيّة في هذه اللحظة بالذات. يزعُم القبطان أنّ الطوابق العُليا قد تم تفتيشها بدقّة ومع ذلك لم نعثر بعد على باقي الجسد الذي تعود إليه الذراع."

نشبَت قشعريرةٌ أظافرها في أسفل ظهري وفوق ذراعيّ، ومضَت لمبةُ ضوء فوقنا جاذبةً فراشةً خفيّة ضربَت نفسها مرارًا وتكرارًا عليها. لم تُزعجني الجثث بل أولئك المسؤولين عن وجودها. "لنُسرع، ليس لدينا الكثير من الوقت."

انطلقنا في ممرٍّ تلو الآخر متفحّصين الصناديق. في نهاية إحدى الممرّات العريضة لاحظتُ صندوقًا كبيرًا قائمًا مغطى بقطعة قماش داكنة. كان أكبر بكثير من التابوت، ربما في ضعف حجمه، شيءٌ قد يستوجب التحقيق في وقتٍ آخر.

قُلت: "يجب أن نفترق، لنُغطّي مساحةً أكبر بشكل أسرع."

أومأ توماس برأسه واتجهَ نحو الممرّ المُجاور لي. كرهتُ كوني في هذا العُمق من الغرفة، إذ من المستحيل تقريبًا من هنا معرفة ما إذا دخلَ أحدُهم. قد يتربّص بنا شخصٌ في إحدى الممرات بانتظار إطباق الفخّ علينا. كنت قد بدأتُ للتوّ في الممرّ التالي عندما نادى توماس: "أعتقدُ أنني وجدتُه، تعالي والقي نظرة."

ركضتُ إلى حيث انحنى على صندوقٍ طويل. لقد كان أجمل ممّا تخيّلت، لونه الأزرق يتباين بجمال مع البلاطات التي عكسَت الضوء مثل قطع زجاجٍ مكسورة. انحنيتُ ولاحظتُ أقفالًا على طرفيه، فمددتُ يدي إلى دبّوس قبّعتي ثمّ توقّفت عندما فتحهُ توماس. التقت عيناه بنظراتي وهو يبتسم ابتسامةً عريضة. "مفيستوفيليس وهوديني ليسا الوحيدَين اللّذَين يقومان بالحيل. يجب أن ترَين ما يُمكنني فعله بـ -"

قالَ مفيستوفيليس فجأةً من نهاية الممرّ: "آنسة وادزورث، أرى أنّكِ اشتقتِ إليّ لدرجة إحضار بديلٍ عني." التفتَ إلى توماس عابسًا ثم انخفضَ انتباهه إلى الصندوق المفتوح عند أقدامنا. "هذه الغرفة محظورةٌ على الغرباء. كنتُ أتأكد من أنها شقّت طريقها بأمان إلى هنا."

"هل هكذا عرفتِ في أيّ وقتٍ يتدرّب الفنّانون؟" سألَ توماس بنبرةٍ مُحايدة. "كنتِ معهُ هذا الصباح؟"

شعرتُ بصوتي يختفي فجأةً. بلّلتُ شفتي بنبضٍ مُسرع. "بلى..."

ابتسمَ مفيستوفيليس: "يجب على المرء دائمًا احترام خيار السيّدة. يُمكنكَ الذهاب الآن يا سيّد كريسويل. سأصطحبُ سيّدتنا إلى مقصورتها قريبًا جدًا."

كان توماس تجسيدًا لضبط النفس وهو يتجاهل سيّد الحلبة لتلتقي عيناه بعينيّ. لم أرغب في ذهابه ولا شعوره بالهزيمة أمامَ سيّد الحلبة ثانيةً، لكن إذا أرَدنا حلّ هذه الجرائم فأحتاجُ إلى إطاعة عقلي على أمل أن يتحمّل قلبي الألم. كنتُ بين الاثنين، لكنّني فعلتُ ما يجب القيام به من أجل الصالح العام لنجاح التحقيق.

آلمَني فعل ذلك للغاية لكنّني مشيتُ خطوةً نحو مفيستوفيليس. كنتُ آمل أن يستنتج توماس الحقيقة لكن نظرةً مُؤلمة بانت في عينيه. هزّ رأسه في إيماءةٍ وحزنَ قلبي.

"ممتاز. سنُنهي نقاشنا لاحقًا يا وادزورث."

نظرَ إلى سيّد الحلبة مرةً أخيرة ثم خرج من الباب بأكتافٍ متصلّبة وأيادٍ مشدودة. وقفتُ هناك بلا حراك، أتساءلُ عمّا إذا كنتُ قد غيّرتُ مستقبلي عن غير قصد. كان القدر أمرًا مُتقلّبًا.

قال مفيستوفيليس: "يا للأسف، سوف تُحطّمين قلبه. رغمَ أنه من المُمتع مُشاهدته وهو يرمي نفسه على نصل حيرتِك."

حسبتُ إلى خمسة على أمل استعادة رباطة جأشي. "حقًا؟ هل تريد معرفة رأيي فيك؟"

أومأ برأسه. "أنِريني. لا بدّ أنه مُسلٍّ."

"أنتَ متعجرفٌ ومُخادع وتُبالغ في تقدير ذكائك." قمتُ بِعدّها على أصابعي. "هل أستمرّ؟"

عقدَ حاجبيه وبدا مُحتارًا حقًا. "لقد نسيتِ أهم الصفات: وسيمٌ وأنيق الملبس. متى آخر مرة رأيتِ فيها معطفًا بهذا الجمال؟"

"أنتَ سخيف."

"أنا صريح." ابتسم. "أنتِ ببساطة منزعجةٌ من استمتاعكِ

بصُحبتي. أنا أدفعُكِ للتفكير وتوسيع نظريّاتك وأفكاركِ العلميّة. أنا أصلُ لدواخلكِ وأنتِ تكرهين هذا."

"بلى،" وافقتُ بإيماءة. "تصلُ إليها مثل المشرط."

رفعَ مفيستوفيليس كتفه: "ممّا يعني أنّني ناعمٌ وحادٌّ كالشفرة. هل ينبغي لنا شرب الشاي خلال مُناقشة المزيد من صفاتي الجذّابة؟ أم ننتقلُ مباشرةً إلى التقبيل؟ يجب أن أعترف أنني كنتُ أحلم بقُبلتنا الوشيكة تلك بلا توقّف. سوف أُغرِق هوديني عندما أراه في المرة القادمة. مع هذا يبدو أنّكِ وجدتِ طرقًا أخرى لشغل نفسك عنها. أقولها بصراحة: كريسويل وسيمٌ لكنّني ما زلتُ أتفوّق عليه في الوسامة، بسبب مظهري المُظلم المليء بالحزن. كما أنه لا يستطيع مُنافسة قناعي."

"بصراحة؟" فركتُ صدغيّ. "أنتَ أكثر شخصٍ مُستفزّ عرفتُه على الإطلاق."

"شرفٌ مميّزٌ آخر." انحنى في تحيّة. "أنا واثقٌ من أنّ السيد كريسويل سينزعجُ من هذا البيان أيضًا. المركز الثاني ليسَ كالأوّل، أليسَ كذلك؟ رغمَ أنه شيءٌ يجب أن يعتاد عليه كلما كانَ بالقُرب مني. قد يحتاج إلى بعض المواساة ليتخطّى هذه الفترة، المسكين. سأسأل إيزابيلا إذا كانت على مستوى المهمّة، لقد ذكرَتهُ عدّة مرّات حتى الآن."

راقبَني كالصقر المُتطلّع إلى وجبةٍ مُحتَملة ولم أقُل شيئًا. كان مفيستوفيليس يحاول استفزازي لانتزاع الحقيقة مني، لكنه يحتاج إلى فعل أكثر من ذلك. "أنتَ تُشتّت تركيزي."

"هذه مشكلةٌ مُشتركة بين معظم النساء، وبعض الرجال الذين

يلتقون بي." تلاشَت الفكاهة من نظراته كشمعةٍ قد انطفأت. "لقد حذّرتُك من مخاطر النزول إلى هُنا، أليس كذلك؟ هل لديكِ فكرةٌ عن نوع المشكلة التي كنتِ ستُسبّبينها لو... اللّعنة!"

ألقيتُ نظرةً خاطفة فوق كتفي لأرى ما الذي أزعجه لتلك الدرجة. لقد سارَ أندرياس وجيان في الممرّ ورأساهُما مُتقاربان في حوارٍ غير مسموع. كان من الغريب رؤيتهما في قمصان وسراويل عاديّة بدلًا من أزياء العروض البرّاقة.

قبل أن أتمكّن من معرفة تفاصيلٍ أخرى لفّ مفيستوفيليس ذراعه على عجلٍ حولي وجذبَني إليه ليضغط على شفتيّ بقُبلةٍ عفيفة. سمعتُ حركة الخشب على المعدن وأدركتُ أنّ سيّد الحلبة كان يُعيد صندوق السيوف إلى مكانه، مُستخدمًا قُبلتنا كَحيلة.

أغمضتُ عينيّ وحاولتُ ألّا أفكّر في روعة شفتيه بنعومتها ورقّتها، التي ناقضَت تبجّح لسانه الحادّ. بعد ثوانٍ تراجعَ مفيستوفيليس وكان تعبيره مزيجًا من البهجة الشريرة مع شيء من الاعتذار. تساءلتُ عمّا إذا بدوتُ مُرتبكةً ومذهولة بقدر الأفكار التي في رأسي. أعطى الفنّانَين ابتسامةً كسولة دون أن يرفع ذراعه من خصري، وهو شيءٌ جيّد إذ كنتُ على وشك السقوط. ضغطَ عليّ بلُطف في تحذير. "أليسَ الوقت مبكّرًا بعض الشيء لكما؟ كما هو واضح لم أتوقع مجيء شخصٍ لفترةٍ من الوقت، بالأحرى لم نكن نتوقع أحدًا. كنتُ أعطي الآنسة وادزورث الجولة الكبرى."

"أهذا ما كنتُما تفعلانه؟" سأل جيان ولم يُكلّف نفسه عناء إخفاء التكذيب في لهجته. "جولةٌ بين المُعدّات؟ أراهنُ في المرة القادمة أنكُما ستتجوّلان في المراحيض."

سخنَ خدّي لكنّني لم أجرؤ على جداله. تركَ جيان نظرته القاتمة تسقط على وجهي ولم يكن بإمكاني سوى التخمين، هل رآني فتاةً حمقاء أخرى وقعَت في شبكة أوهام مفيستوفيليس؟ أم ضحيّةً جديدة يُضيفها إلى قائمته؟ انزلقَ انتباهي إلى أندرياس، كان وجهه مُحمرًّا بقدر احمرار ليزا في وقتٍ سابق. لم أستطع معرفة ما إذا كان مُحرجًا من أجلي أو بسبب الفعل غير اللائق الذي فعلتُه مع سيّد الحلبة. ربّما شعر بخيبة أمل لأنّني تجاهلتُ قراءة التاروت خاصّتهُ ولم أبتعد عن السّاحر.

"تكلّم بتهذيب." أمسكَ مفيستوفيليس بيدي ليُرافقني بالخروج من هناك. "أتوقعُ حضور كلاكما في الصالة بحلول الساعة الحادية عشرة، عرض الليلة يتطلّب أيادٍ إضافية. واستمرّوا في التدريب على ما عرضتُه لكم فيما يخصّ الختام، نحتاج لمُساعدة هؤلاء الناس على نسيان جرائم القتل وتذكُّر كرنفال ضوء القمر فقط."

دون قول المزيد ترَكنا الفنانين ليأخذوا أغراضهم. عندما دخلنا الممرّ فكّرتُ في كلا الشابّين، وقرّرتُ أنّ أحدهما قد يكون القاتل الذي نبحث عنه. بدا أندرياس هادئًا وخجولًا، لكن في مجموعةٍ من صانعي العجائب قد يكون هذا هو الوهم خاصّته.

"حسنًا؟" قال مفيستوفيليس فورَ وصولنا إلى الممرّ التالي. "هل وجدتِ أيّ شيء يستحقّ العناء أم كانت تلك مضيعةٌ هائلة للوقت؟ لا يعني ذلك أنّ قُبلتنا لم تستحقّ العناء فقد كانت لطيفةً جدًا، ألا توافقين؟"

"هذا يعتمدُ على ما إذا كان هذا يعودُ لك أم لا." ظهر توماس من خلف الزاوية حاملًا خاتمًا في راحة يده، على شكل رأس

أسد مُحاطٌ بأشواك وفي عينيه ياقوتتان حمراوان بلون الدم. كان الخاتمُ مُذهلًا، وبدا أنّه قد صدمَ سيّد الحلبة بالتأكيد، الذي وقف في منتهى السكون. لم أصدّق أن ردّ فعله كان بسبب ظهور صديقي المُفاجئ. "من الغريب أن يحتفظُ سيّافكَ بهذا في صندوقه، وغريبٌ أكثر أن تُرسلَ الآنسة وادزورث إليه مباشرةً ثم تتبعها إلى هُناك." بدا مفيستوفيليس مستعدًا لطرح توماس أرضًا من أجل استعادته لكنهُ بقيَ في مكانه. "هذا شعار عائلتك، أليسَ كذلك؟ أم أنّها هويةٌ مسروقةٌ أخرى تقمّصتَها؟"

ردّ: "إنه مُلكي، ولم أسرق شيئًا سيّد كريسويل."

سحبتُ ذراعي من مفيستوفيليس. لم أشكّ في كيفية معرفة توماس لِصاحب الخاتم، ما دام واثقًا بهذا القدر فأنا كذلك. "هل وضعتَ خاتمكَ هُناك لأجده؟ ما اللعبة التي تلعبها؟"

قالَ بهدوء: "قد ألعبُ دور الشرّير لكن هذا لا يجعلني كذلك. ربّما يجب أن تسألوا أنفسكم: إن لم يكن أنا فمَن؟ مَن يودّ إثارة الشكوك حولي؟ مَن يستفيد من وضع الكرنفال موضع اتّهام؟" هزّ رأسه، وانعكسَ الضوء عن القناع. "اتخاذ قرار بشأن شخصٍ قبل التعرّف عليه يجعل المرء عرضةً للشرّ الحقيقي. لستُ الشرّير في هذه الحكاية، مهما حاولتُما اتّهامي. لقد سُرِقَ خاتمي في بداية الأسبوع. لم أرغب في مُشاركة المعلومة."

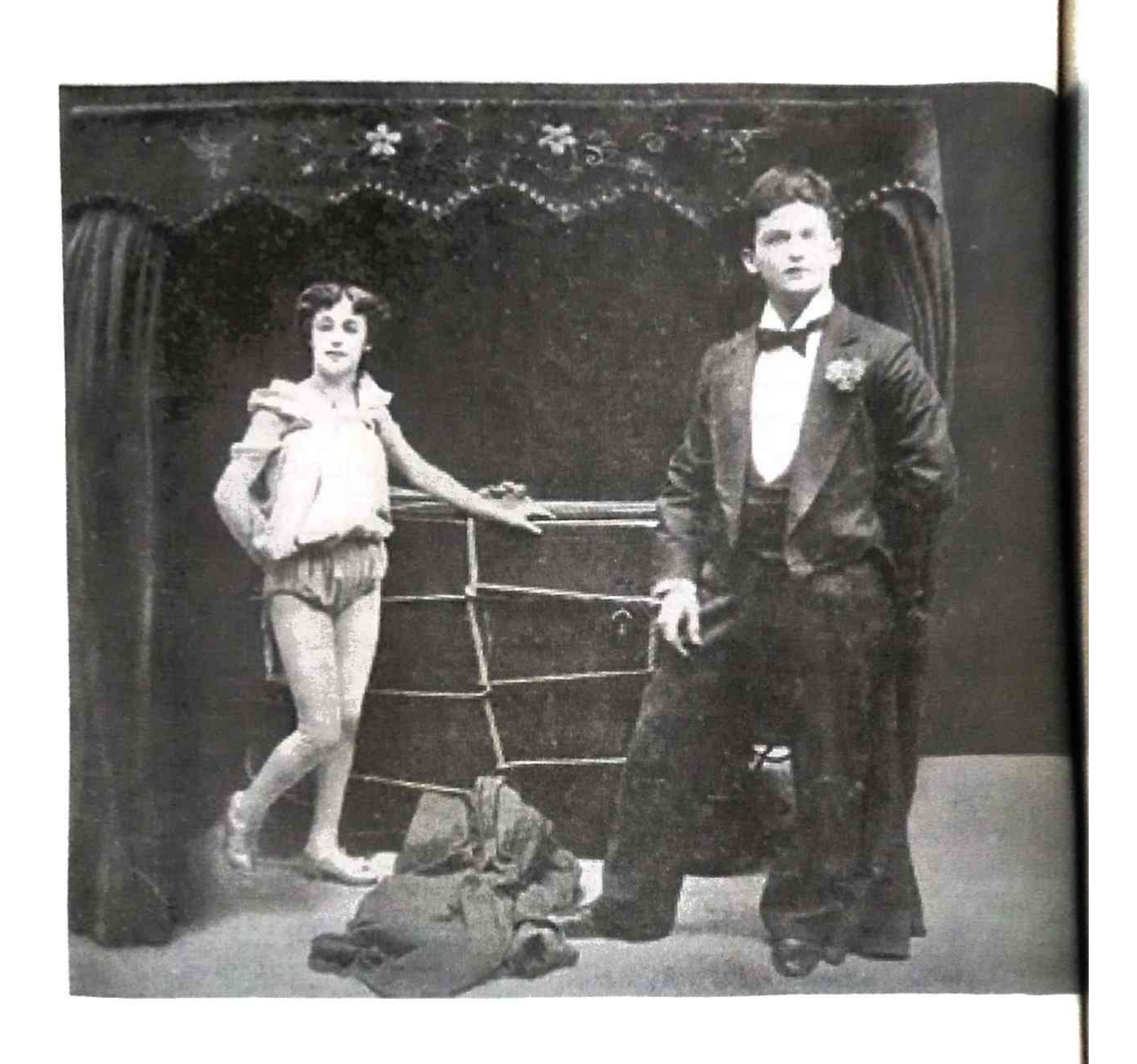
كان مُحقًا، بغض النظر عن مدى رغبتي في الاختلاف معه. لقد سارَعنا إلى إلقاء اللوم عليه وتوقّعنا الأسوأ منه بناءً على عواطفنا وليسَ الحقائق. كانت هذه القاعدة الأولى للعالِم والمُحقق الجيّد، وقد كسرناها.

أردف: "هل يُمكن لأيٍّ منكما التفكير في شخصٍ يسعى للانتقام؟ شخصيًا يُمكنني بالتأكيد، لكن في النهاية لستُ الشخص الذي يُضيّع وقته في صياغة شروحات لتبرير أفعالي الشرّيرة. أودّ اقتراح تدوير عدسة البحث نحو الطبقة العُليا. أينَ الدكتور آردن؟ إنه يختفي لمُعظم الرحلة ومع ذلك كل ما تفعلونه هو طرق بابه عدّة مرات؟ وماذا عن والد الآنسة كرينشو؟ هل يُمكن لرجلٍ بمركزه أن يقبلَ مصير ابنته ببساطة؟ هل سيجلس اللورد بأدب وهو يعلم أن فتاته الثمينة قد فضّلَت فنّان كرنفال متواضع على عائلتها ودفعَت حياتها ثمنًا لذلك؟ أم سيقوم بتدمير ما دمّره؟"

"إذَن هل أقمتَ علاقةً سرّية معها؟" سألتُه وأنا أشعر بعدم الارتياح في قلبي.

قال: "كانت فتاةً وحيدة تُريد صديقًا، وأنا أيضًا سئمتُ من كوني لِوحدي. لقد استمعتُ إلى مخاوفها، لكن هذا كلّ ما حدثَ بيننا."

نظرَ مفيستوفيليس إلى خاتمهِ لكنه لم يتحرّك لاستعادته، في مفاجأةٍ أخرى. دون أن ينبس ببنت شفة تجاوزَ توماس، تاركنا كلانا لنُعيد التفكير بصمت في قائمة المشتبه بهم. كان خطابه مؤثّرًا، بكلماته الحادّة المُختارة بعين الرّامي الخبير، الذي يعرف كيف يُصوّب ويصيبُ هدفه، لكنّني لم أعرف إن كانت تلك الرمية بهدف تشتيت الانتباه أو درء الخطر عن النّفس.



هاري هوديني مع زوجته بيس



# 28
# الهروب من عُلبة الحليب

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 6 يناير 1889

اشتدّت إنارة الثريّات بشكلٍ ساطع ثم خفتَت، وهي العلامة المعروفة لدينا على وشك بدء العرض. توقّفَت معظم الأحاديث في الصالة، رغمَ أنّ العبارات المتفرّقة لم تكفّ تمامًا. تضاعفَت دقّات قلبي ثلاث مرات تقريبًا، لكنّني لم أستطع معرفة ما إذا كنتُ خائفةً حقًا ممّا قد يحدث. لم يُعلن القاتل عن ضحيّته الأخيرة بطريقةٍ مسرحيّة بعد، وعرفتُ في أعماقي أنّها مسألة وقت قبل أن يكشف عن ذبحٍ مروّعٍ آخر بطريقةٍ شيطانيّة.

أكّدَت نظرةٌ واحدة على الجمهور - الأقلّ عددًا من الليالي السابقة بوضوح - أنّني لستُ الضيف الوحيد الذي ينتابهُ القلق بشأن القادم من الأحداث. برزَت المقاعد الخالية مثل أسنان مفقودة في تكشيرةٍ قسريّة. ليلةٌ أخرى من الرّعب قد تدفع الجمهور للاختفاء تمامًا.

همسَ توماس: "لا أصدّقُ أنّ عمّكِ أصرّ على أن نتجسّس على هذا العرض. بيدَ أنّني لا أشكو؛ هذا أكثر مُتعةً بكثير من قضاء

الأمسية وأنفي في طرفٍ مقطوع، أو الاستماع إلى نُباح نوروود على أفراد الطاقم."

تنهّدت. دع الأمر لتوماس لتخفيف ثُقل الليلة عبر مُقارنة العشاء بتشريح جثّة. لم يأتِ على ذكر كلمةٍ عن أنشطتي الصباحيّة، وقرّرتُ ترك الموضوع يمرّ في الوقت الحالي. كنتُ ممتنّةً أيضًا لأنّ عمّي سيُفوّت احتمال رؤية ليزا على المسرح مرةً أخرى. فورَ اكتشافها أنه لن يحضر عشاء الصالة قامَت بالتخطيط لتقديم المُساعدة في عرض هاري. حشرَ القلق نفسه بين لوحَي كتفي. كنتُ آمل أنّها لم تُخطّط لدورٍ مسرحيّ خاصّ بها الليلة. تنحنحَ توماس وهززتُ نفسي لأخرجَ من أفكاري.

قُلت: "نعم. حسنًا، عندما يضطرّ المرء إلى الاختيار بين الحمام المُتبّل واللحم المُتعفّن فالقرارُ صعبٌ للغاية."

"لا تقلقي." ابتسمَ توماس بمُكر. "سيكون هناك متّسعٌ من الوقت للّحم المُتعفّن بعد تناول الحلوى. لقد وعدتُ عمّكِ أنّني سأساعدُه مباشرةً بعد العرض. نرحّبُ بكِ كثيرًا للانضمام، ما لم تكن لديكِ المزيد من الخطط الشائنة لتنفيذها."

كانت نبرة توماس خفيفة لكنّني بقيتُ أرى ظلال الشكّ تتسلّل عبرَ تعابير وجهه. بذلتُ قصارى جهدي للابتسام، رغمَ شعوري المُفاجئ بالغرق. كان عليّ التدريب للعرض الختاميّ وأن ألتقي بسيّد الحلبة للحصول على درسٍ آخر. آملُ جمع المزيد من المعلومات حول القاتل لجعل الأمر برُمّته جديرًا بالاهتمام.

"بالطبع سأُساعِدكم الليلة."

بدا أنّ عمّي قد سامحَني على خرقي لقاعدته الوحيدة، وصبَّ

تركيزه الآن بالكامل على حلّ لُغز هذه السفينة. لقد آمنَ بفكرة أنّ القتلة يتردّدون على مسرح جرائمهم، رغمَ أنّ آخرين في مهنته سخروا من ذلك. نظرًا لأنّ شخصًا كان يستهدف ركّاب الدرجة الأولى فقد أمرَنا بمُواصلة الاندماج الاجتماعي، ومُلاحظة أيّ شيء غريب ولو قليلًا. كان علينا أن نصبح جواسيس ومُتدرّبين ومُحقّقين في آنٍ واحد، وهو تحدٍّ تُقنا إلى قبوله.

قطعَت السيدة هارفي لحم حمامَها المُحمّص، إمّا متعمّدةً عدم الاستماع إلى حديثنا المُقزّز وإمّا تائهةً في أفكارها الخاصّة. ارتشفتُ من كأس الماء خاصّتي وتركيزي على المسرح بعدَما خفتَت الأضواء وبقيَت كذلك. بعد لحظةٍ ظهرَ مفيستوفيليس، وهو يرتفع من حفرةٍ مُظلمة تحت مركز المسرح مُحاطًا بسحابة الدُخان المعتادة. قدّمَ قلبي قفزة حماسٍ رغمًا عني.

لأوّل مرةٍ أدركتُ أنه يُشبه طائر الفينيق الذي ينهضُ من بين الرماد. في أثناء عملي على كشف الغموض المُحيط بجرائم القتل لم أنجح في كشف أيّة أدلّة عنه أو عمّن كان قبل أن يتّخذ شخصيّته المسرحيّة هذه. ربّما أحرقَ حياته القديمة عن بُكرة أبيها وارتقى إلى شيءٍ لا يُمكن المساسُ به.

هتفَ مفيستوفيليس: "مرحبًا بكم في الليلة السادسة من أعظم عرضٍ عبر البحار. الليلة سوف تشهدون أروع هروبٍ في عصرنا. أو ربّما... ربّما ترَون نهاية حياة شابّ أمامَ أعيُنكم. لا أضمنُ أنّ الفنّان القادم سيَنجو. النصر سيجعلهُ أسطورة، لكنّ الفشل يعني الموت غرقًا."

كان الصّمت الذي أعقبَ بيانه ملموسًا. لم يرغب أحد في رؤية

رجلٍ يغرق، خاصّةً بعد الليالي القليلة الماضية. كنتُ أعرف أهميّة مُواصلة الحياة بعد أحداث الموت، لكنّ هذا بدا فظًّا بعض الشيء بالنظر إلى الظروف.

صفّقَ مفيستوفيليس بيديه مرّتين، وقامَت المُساعِدتان بدحرجة شيءٍ على المسرح مغطّى بستارةٍ مخمليّة. لقد بذلَت ابنة عمّتي وإيزابيلا جهدًا كبيرًا لدفع الشيء الضخم إلى مُنتصف الأرضيّة، وشقّ الخوف طريقه عبرَ جسدي.

"ما ترَونه هنا هو إناءٌ من الحديد المُغلوَن مملوءٌ بالماء حتى قمّته." أومأ مفيستوفيليس نحو إيزابيلا وليزا، لتنزعا الستار عن عُلبة الحليب الكبيرة.

"لن يغمر هوديني نفسه في علبة الحليب هذه فحسب، بل سنقوم بوضع أقفالٍ ضخمة عليها، لضمان عدم تمكّنه من الهروب."

تعالَت همهمات وبدا أنّ الغرفة تأخذ نفَسًا جماعيًا. كان دخول علبةٍ مملوءةٍ بالماء خطيرًا بما يكفي، لكنّ إقفالها مستوى جديدٌ من الجنون. سمحَ مفيستوفيليس للقلق بأن ينضج، مُستمتعًا بالعذاب المُتصاعد لزبائن الكرنفال. بإمكاني أن أُقسِم أنّ عينيه تلألأتا أكثر أمام رهبَتهم.

قال بنبرةٍ هادئة: "حسنًا، ليهدأ الجميع. سأسمحُ لِهوديني بشرف إعلان الباقي." ألقى مفيستوفيليس بيديه إلى كلا الجانبين، مُرحّبًا بنجم مسرحه الليلة. "انظروا إلى ما لا يُصدّق، المستحيل، فنّان الهروب المُرعب الأوحد في القرن التاسع عشر! سيّداتي وسادتي، أقدّمُ لكم هوديني العظيم!"

كان الجمهور هادئًا في أغلب وقت صعود مفيستوفيليس على

المنصة، لكن عندما دخل هوديني هذا المساء باتَ الصمتُ المُطبق كائنًا حيًّا يتنفّس، وسط الظلام وثُقل الأجواء وخفقان الدّم في العروق مع انعدام الضوضاء التام. لقد سمعتُ من قبل عن الهدوء الذي يُمكّنك من سماع وقوع الدبّوس، لكن الحقيقة في حضور هوديني أكثر من ذلك بكثير. بإمكاني أن أُقسِم أنّني سمعتُ كلّ انقباضٍ في قلبي، وكلّ جزيئة أوكسجين تنفّستُها بالكاد، سمعتُها بوضوحٍ في رأسي.

كانَ مفيستوفيليس مُحقًا مرةً أخرى: من المُقدّر أن يصبح هاري هوديني أسطورة، وهيبة حضوره لِوحدها سببٌ كافٍ. كان رجلًا متوسط القامة ذا قوّةٍ غير عاديّة، على الأقل في هذه الليلة، بعد أن رأيناه جميعًا وهو يُحوّل الموت إلى مشهدٍ للناظرين.

همسَ توماس مُتكئًا: "ذلك دراميٌّ زيادة حسبَ ذوقي. كم عدد الصفات التي يُمكن للمرء استخدامها في نفس الجملة؟ قد يحتاج مفيستو إلى معجم لغويّ. ربما أهديهِ واحدًا."

"صه." وبّخَتهُ السيّدة هارفي، وانصبّ انتباهها على الشاب ذي الشعر الداكن الملفوف في رداءٍ فاخر. دون مُقدّمات أسقطَ هوديني الرداء، وغمرَت الحرارة خدّي. شهقَت النساء والرجال سواسية في أرجاء الغرفة. لم أرَ قطّ رجلًا في ثيابه الداخليّة، وكان هوديني عاريًا تقريبًا.

"آه، يا إلهي." قالت السيدة هارفي وهي تأخذ رشفةً طويلة من الماء المثلّج. "لقد مرّ زمنٌ منذ آخر مرّةٍ رأيتُ فيها رجلًا دون ملابس. السيّد هارفي المسكين، ليرحم الربّ روحه. كان –"

قاطعَها توماس وهو يُعطيها نظرة رهبةٍ خالصة: "رجاءً، أرجوكِ

لا تشرحي التفاصيل. من الأفضل ترك بعض الأمور للمخيلة، وحتى عندَها قد لا نرغب في خوض هذا الطريق الإبداعيّ."

"هُف." التقطَت السيّدة هارفي مروحتها لتلوّح بها بثبات، ليس بسبب الضّيق بل لِتأثير الشابّ الذي تجوّل في ملابسه الداخليّة. بدا أنه يمتصّ كل الانتباه.

حافظَت ليزا - المُساعدة الجريئة دومًا - على ابتسامتها، رغمَ قدرتي على رؤية التوتّر عليها. لم أتحدّث معها بعد لأرى كيف سارَ الأمر بينها وبين هوديني بعد قراءتها لرسالة الحبّ تلك، وسأفعلُ ذلك فور انتهاء العرض. إذا نجحَت في هذا العمل دون أن تفضح مدى استيائها فقد تنجح في الوصول إلى نيويورك دون أن ترميه في المُحيط.

"الساعة، لُطفًا!" هدرَ صوت هوديني بالأمر، وقامَت المُساعدتان بجلب ساعة ضخمة على بُعد بضعة أقدام من علبة الحليب. انحرفَت نظرته إلى ليزا ثم انتقلَت بسُرعة. "الآن،" خاطبَ الجمهور "أنا بحاجة إلى متطوّع. مَن يأتي ليُفتّش سجني بحثًا عن أيّ خلل؟"

ارتفعَت ذراع توماس في الهواء مباشرةً، وركلتُه من تحت الطاولة لكن لم أُصِبه. تخطّى فنّان الهروب صديقي لصالح رجلٍ ضخم البُنية يبلغ عمره حوالي خمسة وأربعين عامًا. ضربَ الرجل بالعصا على جانب العُلبة، وأثبتَت الرنّة أنّها غير مزيّفة. قام بعمل تجوّلٍ دقيق والتنصّت على كل جانب من جوانب عُلبة الحليب. حتى أنه رفعَ الغطاء وتفقّدهُ جيّدًا، وبعد أن شعر بالرضا أومأ إليهم في تحيّة ثمّ عادَ إلى طاولته.

صرخَ هوديني بصوتٍ واضحٍ وعالٍ: "كما شاهدتُم لا توجد

حيل. أريدُكم جميعًا أن تحبسوا أنفاسكم وتُراقبوا مرور الثواني."
أشارَ نحو ساعة الإيقاف. "ابدؤوا العدّ... الآن!"

ضغطَ مفيستوفيليس على زرٍّ في جانب الساعة لتحريك عقرب الثواني. لم يبقَ على خشبة المسرح للمُساعدة من قبل، وتساءلتُ عمّا إذا كان موجودًا الليلة فقط لمُراقبة أيّ شيءٍ يبعث على الرّيبة.

تنفّسَ الجميع بعُمق مع بدء تكتكات الساعة ثم حبسوا أنفاسهم لأطول فترة ممكنة. أغلبُهم زفرَ بعد مرور ثلاثين ثانية، بعضهم أكثر بقليل بعد الأربعين، والجميع تقريبًا أطلقوا أنفاسهم قبل مرور دقيقة. بينما بقيَت خدود توماس مُنتفخة، وبدا أنّ نقص الأوكسجين لم يُصِبه باستياءٍ أكثر من رؤية الشابّ شبه العاري على خشبة المسرح.
ابتسمَ هوديني عندما حرّرَ صديقي أنفاسه أخيرًا.

"الآن، أطلبُ منكم جميعًا أن تحبسوا أنفاسكم مرةً أخرى، لكن أولًا..."

سارَ على خشبة المسرح غير مكترثٍ بفخّ الموت الكامن خلفه. دون مزيد من الكلام تسلّقَ علبة الحليب ونزلَ فيها. انسكبَت المياه على الجانبين، مما أجبرَ مُساعِدتَيه على الابتعاد أو الوقوف في البُركة المُتنامية.

"لن تكون تسميتي بمَلك الأصفاد صحيحةً دون أصفادي، أليس كذلك؟ ليزا، يُرجى إحضار أصفادي."

أدّى استخدامه لآداب الحديث إلى ظهور شبح ابتسامة على وجه مفيستوفيليس المُحايد. لقد كان مُتعلّمًا سريعًا، وهو أمرٌ ذو قيمةٍ عالية في هذا العمل.

تقدّمَت ليزا بابتسامتها الثابتة حاملةً الأصفاد في يدها، وفي تلك

اللحظة غضبَ الجمهور. صرخَ أحدهم: "هذا جنون! لا أحد يُريد التفرّج على رجلٍ يغرق. أين فنّانة النار؟ أخرِجوا العرّاف!"

أدارَ مفيستوفيليس رأسه من مكانه قُرب ساعة التوقيت العملاقة. "إذا كنتَ تخشى الموت فعليكَ بالمُغادرة الآن. لا هوديني ولا أنا نضمنُ نجاته. النّشادر مُتاحةٌ للجميع ولكلّ مَن يحتاج إليها."

"لقد ماتَ أناس! هذا غير مقبول." هزّ الرجل رأسه وانطلقَ خارجًا من المكان. لم يعترض أحدٌ غيره على فكرة رؤية رجل يحتمل أن يغرق أمام أعينهم، وهو ما كان مُثيرًا للقلق. قد يكون أيٌّ من هؤلاء الركاب - المُتلهّفين لرؤية الموت - متورطًا في جرائم القتل، أو قد يُصبح الضحيّة التالية.

انجرفَ نظري إلى ابنة عمّتي وهي لا تزال تبتسم خلف قناعها. رغمَ غضبها من هوديني لكن لو كانت هناك علاماتٌ على احتمال فشل هذا العرض فَلن تتمكّن من الحفاظ على وضعها الهادئ ذاك، كما تمنّيت. زحفَ القلق إلى أفكاري. إذا حدثَ خطأ ما فمن السهل إلقاء اللوم على خللٍ في المُعدّات. مع ذلك هل سيكون هذا هادئًا زيادة بالنسبة لقاتلٍ يتمتّع بالعروض المسرحيّة؟ أم أنّ قتل رجل يوشك على أن يغدو أسطورةً في مجاله سيكون كافيًا لمُعادلة ذلك؟

رفعَ هوديني ذراعيه في انتظار وضع الأصفاد، التي أحكمَتها ليزا على معصميه بنقرة عالية تردّدَ وقعُها وسط الصمت. نظرَ إليها من زاوية عينه ثمّ رفعَ الأصفاد بفخر.

"هذه أصفاد شرطة نظاميّة." قامَ بشدّها لإثبات مدى قوّتها. "بمجرّد أن أغوص تحت الماء وتضع مُساعِدتاي الغطاء أطلبُ منكم

جميعًا أن تحبسوا أنفاسكم بالتزامن مع الساعة."

تبادلَ هوديني مع مفيستوفيليس نظرةً طويلة، حتّى أومأ سيّد الحلبة أخيرًا. كان المنطق يُخبرني بأنّ كل شيء سيكون على ما يرام، إلّا أنّني شعرت بوخزٍ في راحتَي يديّ عندما قامَ هوديني بغمر نفسه في الإناء بعد أن أخذَ نفَسًا عميقًا. قامَت ليزا وإيزابيلا بتأمين غطاء العلبة على الفور، وفي نفس اللحظة ضغط مفيستوفيليس مؤقّت الساعة. بدا أنّهم تدرّبوا جيدًا على ذلك. كانت هذه تجربةً علميّة لا تحتمل الخطأ، ليس فقط لأجل هوديني بل لمصير الكرنفال.

تكتكَت الساعة وحبستُ أنفاسي مع الجمهور، حتى أقنعتُ نفسي أنّ عينيّ ستنفجران إذا لم أطلِقها. تردّد صدى عقرب الثواني بينما ظلّ هوديني تحت الماء، ثمّ تعالَت المزيد من شهقات الحاضرين في صالة الطعام. مرّت ثمانٌ وأربعون ثانية وفنّان الهروب ما زال مغمورًا بالمياه. تحرّكَت ليزا وإيزابيلا قليلًا مع تجمّد الابتسامات الجميلة في مكانها. نادى مفيستوفيليس: "دقيقةٌ واحدة."

نقرَ توماس على الطاولة مع تكتكة الساعة، مُزيدًا من إثارة أعصابي. تقلّص فكّي طويلًا حتى آلمَني، وعند الدقيقة ونصف قامَت ليزا وإيزابيلا برفع غطاء العلبة. اندفعَ هوديني إلى أعلى ولا تزال يداهُ مكبّلةً بالأغلال، وهو يسحبُ نفسًا مُتقطّعًا. تناثرَ الماء على المسرح بصوتٍ اقترب من تلاطم أمواج المُحيط في الخارج.

سحبَ هوديني أنفاسًا أكثر عُمقًا وتلألأت عيناه. "هذه المرة، بدلًا من مجرّد عرضٍ توضيحي ستقومُ مُساعِدتاي أيضًا بإقفال الغطاء، ممّا يجعل الهروب شبه مستحيل. إمّا سأحرّر نفسي..."

مشى مفيستوفيليس وربّتَ على كتفه. "أو نرمي جثّتكَ في البحر."

نهضَ عددٌ قليل من الحاضرين وغادروا الغرفة بهدوء. كان ضوء الممرّ يومض في كلّ مرةٍ يتم فيها فتح الباب وإغلاقه، وتُضيف الإضاءة قلقًا إلى قلقي المُتزايد. غاصَ هوديني تحت الماء وأمّنَت ليزا وإيزابيلا الغطاء فوقه هذه المرة بزوجٍ من الأقفال الكبيرة، وبينما فعلَتا ذلك بدأ سيّد الحلبة في تشغيل الساعة. لقد استغرقَ إغلاق الغطاء ما يُقارب ثلاثين ثانية. بدا هوديني مُنهكًا بعد قيامه بالعرض التجريبيّ، ومن الجنون تكرار القيام بذلك بهذه السرعة؛ كانت هذه رغبةٌ صريحة في الموت.

دقّ قلبي بشكل محموم باحثًا عن مخرج. لا بدّ من وجود تفسير للخدعة، لكنّني لم أتمكّن من تحديده. هذه المرّة غطّت ليزا وإيزابيلا علبة الحليب بستارةٍ حاجزة من المخمل الأزرق الغامق مع ألف نجمةٍ فضّية مطرزةٍ عليها.

لم أستطع معرفة أيّهما أسوأ، نقر توماس أم تكتكة الساعة المستمرة. قامَت السيّدة هارفي بطيّ منديلها في حجرها، وعيناها ثابتتان على الستارة المرصّعة بالنجوم. تحرّكتُ في مقعدي. هُنالك الكثير من الأمور المُلحّة التي يجب الاهتمام بها: الطرف المقطوع، النساء المقتولات، هوية القاتل الذي قد يكون معنا في هذه الغرفة بالذات... لكن قلبي نبضَ بإثارةٍ ممّا كان يحدث خلف تلك الستارة.

قال مفيستوفيليس: "دقيقةٌ وثلاثون ثانية." ربّما بدأتُ أتخيّل بعض التوتر في نبرته. احتجَّ الركاب مع مرور الثواني، وما بدأ كمُتعةٍ تحوّلَ إلى ذعر. تراجعَت قلّةٌ من الناس عن مقاعدهم شادّين قبضاتهم على جوانبهم.

"دقيقتان." نقرَت قدم مفيستوفيليس بإيقاعٍ أسرع من عقارب

الساعة. بدأت ذراعا ليزا وإيزابيلا بالارتجاف لتتمايل الستارة معهما.

"دقيقتان وثلاثون ثانية."

"ساعِدوه!" صرخَ رجلٌ وتبعهُ آخر. "أخرجوه!"

"لا بدّ أنّ هناك خطأ!" صرخ راكبٌ ثالث. أمسى الجمهور مذعورًا، وتعالَت المزيد من المُناشدات. مع ذلك أبقى سيّد الحلبة تركيزه على عقرب الثواني الدائر.

"ثلاث دقائق!" صرخَ والعرق يُبلّل جبينه. إمّا أنه كان الممثل الأكثر موهبةً في العالم أو أنّ شيئًا ما قد جرى بشكلٍ خاطئ.

حدّقتُ في ابنة عمّتي، ملاحظةً كيف ظلّت عيناها تندفع نحو الساعة. الآن باتَ كلّ الحاضرين يقفون على أقدامهم، صارخين مُطالبين باتّخاذ إجراء للإنقاذ. كنتُ على وشك القفز على خشبة المسرح لفتح تلك العلبة اللعينة بنفسي عندما صَرخَ مفيستوفيليس: "تحقّقوا منهُ الآن!"

سقطَت الستارة في لحظةٍ كاشفةً عن هوديني مُبلّلًا بالكامل دون قيود. انحنى انحناءةً طويلة بينما انفجرَ الجمهور بالتصفيق الحارّ والصفير الحادّ.

تمتمت: "لا أصدّق ذلك. كيف تمكّنَ من إعادة الأقفال على العُلبة بحقّ السماء؟"

فتحَ توماس فمه لكنّ السيدة هارفي أسكتَتهُ بنظرة. "لا كلمة منك يا عزيزي، وإلّا أقسمُ أنّني سأكملُ سرد قصّتي عن السيّد هارفي المسكين وملابسه الداخليّة."

لم أرَ توماس قطّ يُغلق فمه بهذه السرعة. رغبتُ في الابتسام لكنّني وجدتُه أمرًا عسيرًا بعدما انتبهتُ إلى هوديني، كان هُنالك شيءٌ

في لمعان عينيه أرسلَ قشعريراتٍ على ذراعيّ. لقد واتاني إحساسٌ قويّ أنهُ هو الضحيّة التالية، مع شعورٍ مُقلِق أنه كان يعرفُ ذلك.



# 29
# اكتشافٌ مُخيف

## ممشى الدرجة الثالثة - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

لسعَت الرياح وجهي وعينيّ لتجعلهُما تدمعان وأنا أُسرِع عبر سطح الدرجة الثالثة المهجور. في هذه الساعة كانت الشمس مجرّد خطٍّ في الأفق، يُلطّخ الماء باللون القرمزيّ الغامق خلال تخلّلها عبر الأمواج. أبعدتُ صور حمّامات الدّم عن ذهني وتحرّكتُ بأسرع ما يُمكن إلى المختبر المؤقت. قامَ خادمٌ شاحب بتسليمي مُلاحظةً من عمّي جاء فيها "أنتِ مطلوبةٌ في المختبر، على الفور."

كنتُ أرتدي فستانًا بسيطًا من الموسلين وألبستُ قدميّ أوّل حذاءٍ أمكنَني العثور عليه، حذاءٌ حريريّ لطيف يفي بالغرض، رغمَ أنّ توماس سيرفع حاجبه عليه بالتأكيد كما فعلَ في الماضي. إغاظتُه لم تكن بأهمّية سُرعة الوصول.

كانت هناك هالةٌ من الاستعجال في الجوّ، ولم يسَعني إلا استنشاقها بأنفاسٍ عميقة دافعةً أطرافي إلى الحركة. لم أحتَج إلى امتلاك مهارة توماس في الاستنتاج لأعرف أنّهم عثروا على جثّة جديدة. لن يُرسل لي العمّ هذا مُبكرًا لو كان الأمر يتعلّق بالطرف

المقطوع فحسب. لقد أجرينا بالفعل تشريحًا شاملًا عليها، وفي الحقيقة لم نخرج منها بالشيء الكثير. هذا أمرٌ أسوأ، أسوأ بكثير.

هبّ تيّارٌ آخر من الهواء الجليديّ عبر الممرّ ليُجبرني على دفن أنفي في فراء ياقتي. كانت العاصفة المُهدّدة على وشك شنّ هجومها. اندفعَت خطواتي فوق سطح السفينة، وكانت الشرائح الخشبية ببرودة هواء الشتاء الذي جمّد السياج. شعرتُ بوخزٍ في ظهري بين كتفيّ فتوقّفت لألقي نظرةً على السطح الفارغ، كما اعتقدت على الأقل. في هذا الوقت المُبكر من الصباح، قبل ارتفاع الشمس وتلوّن السماء بألوانٍ تتدرّج بين الدماء والظلال، كان من الصعب معرفة مَن قد يلوذ في الجدران مُتربّصًا.

حدّقتُ للحظةٍ أخرى ثم استدرتُ وواصلتُ السير. عندما وصلتُ إلى مدخل الدرج توقّفتُ ثانيةً لأستمع لأيّ صوت يُطاردني. ضربَت الأمواج جانب السفينة بشكلٍ مُطّرد، وجاء عواءٌ مُنخفض للرياح الهابّة عبر السطح الشبيه بالنفق. كما هسهسَ البخار مُبتعدًا عن المداخن. لكن لا وقع خُطى رغمَ ذلك، كنتُ وحيدةً برفقة خيالي المُبدع.

دون تفكير لمستُ النصل المخفيّ على فخذي. بغضّ النظر عن مدى تعبي أو استعجالي في اختيار الملابس والحذاء فقد حرصتُ على عدم الخروج دون وسيلةٍ لحماية نفسي. لقد بقيَت حقيقةٌ واحدة: شخصٌ على متن هذه السفينة كان يخطف الضحايا كاللآلئ المُنتزَعة من محّاراتها ويعرضهم بطرقٍ مُروّعة. لن يتمّ أخذي دون قتال.

ارتحتُ لكوني وحيدة، ودخلتُ في الإضاءة الخافتة للسلالم

الضيّقة حيث بدأت حبّات العرق بالتكوّن وأنا أنزلُ تدريجيًا في بطن السفينة الدافئ للغاية. هنا ظهرَت أصواتٌ جديدة، ضجيج آلات مراجل الماء وهي تعمل للحفاظ على استمرارية رحلتنا عبر البحر. استقبلَتني رائحةٌ مألوفة بشكلٍ فظيع أيضًا، لتُوجّهني إلى مصدرها كلّما اقتربت. تغلغلَت الرائحة الكريهة للتعفّن البشري في الفضاء، وازدادَت سوءًا بسبب حرارة المراجل. تذكّرتُ أقنعة الطاعون الخاصة بمفيستوفيليس، متمنّيةً شمّ بعض الأعشاب الآن. أيّ رائحة أفضل من ملء الأنف بالتحلّل.

وصلتُ أخيرًا إلى أسفل الدرج وأسرعتُ عبر الممرّ، ثم كدتُ أنزلق خلال انعطافي إلى المختبر. نظرَ العمّ إليّ بوجهٍ قاتم. كما ظننت، كانت هُنالك جثةٌ مغطّاة على طاولة الفحص أمامه.

قلتُ على سبيل التحيّة: "عمّي." أخذتُ نفَسًا لتثبيت نفسي ودخلتُ الغرفة. لم يكن توماس قد وصل بعد، لكنّني توقّعتُ انضمامه إلينا قريبًا. استغرق الأمر لحظةً لكن رائحة الموت القويّة استقرّت في خلفيّةٍ غير مُريحة بالكاد احتلّت مساحةً من أفكاري.

"استعدّي للتشريح، أريدُ فحص القلب والمعدة والأمعاء، أو ما تبقى منها على الأقل." سلّمَني عمّي مئزرًا. "سنبدأ قريبًا."

"نعم سيّدي."

مشيتُ إلى حقيبة العمّ الطبّية، وأخرجتُ الأدوات اللازمة للفحص الكامل واحدةً تلو الأخرى لأضعَها في صفٍّ واحد على صينيّة: منشار عظام، ملقط مُسنّن، قواطع أضلاع، مشارط، مبضع أمعاء، إزميل جمجمة للاحتياط، وإبرة هاجيدورن لخياطة الجثة في النهاية.

قال العمّ وهو يربط مئزره ويُشمّر أكمام قميصه.: "المطرقة ذات الخطّاف في الجيب الجانبيّ." أومأتُ برأسي وبدأتُ في إخراجها بينما كان يفرك يديه وذراعيه بالصابون الكاربوليّ. كنّا مخلوقاتٍ ذات عاداتٍ أنا وهو، كلاهما نجدُ الراحة في طقوس ما قبل التشريح.

لفتَت خطواتٌ مُسرعة انتباهي بينما قفزَ توماس عمليًّا إلى الغرفة. لم يُكلّف نفسه عناء ارتداء السترة، وقميصُه الأبيض مجعّدٌ كما لو كان نائمًا في تلك الملابس. حتّى عندما كنا نُحقّق في الأنفاق السرّية أسفل قلعة بران لم أره أشعثًا إلى هذا الحدّ. بدا أنه لم يلبث في الفراش لفترةٍ طويلة قبل أن يستيقظ، ولم أكن متأكّدة من رغبتي في معرفة سبب انشغاله.

تحرّكَت عضلةٌ في فكّه بينما ارتفعَت عيناه من الجثة المغطاة لتلتقي بعينيّ عبر الغرفة. كنّا نعلم أنّها مسألة وقت فقط قبل ظهور جثة أخرى، لكن الأمر لم يجعل التعامل معها أسهل. أعطيتُه إيماءةً مُشجّعة، على أمل أن يقرأ الحزن في وجهي. لقد أظهرَ مجال دراستِنا الذي اخترناه الجانب المُظلم للحياة، وكان من الصعب عدم الانجذاب إلى هاويتِه. اليوم الذي يسهُل فيه تقبُّل الموت هو اليوم الذي أحتاجُ فيه إلى نبذ شفراتي إلى الأبد. انطلاقًا من تعبير وجهه فقد شعرَ توماس بنفس الشيء.

"أعتذرُ عن التأخير يا أستاذ." أخرجَ دفتر ملاحظات وقلمًا ووضع نفسه قُرب طاولة الفحص. "آنسة وادزورث." مالَ ذقنه في تحيّةٍ رسميّة. "ماذا فاتَني؟"

"لقد بدأنا للتوّ." أجابَ العمّ وهو يقف فوق الجثّة. "تمّ العثور على الجثة في عنبر الشحن منذ حوالي خمسة وثلاثين دقيقة،

محشوةً في صندوقٍ خشبيّ." رفعَ نظّاراته وضغطَ على جسر أنفه. "جذبَت الرائحة انتباه أحد أفراد الطاقم وأبلغَ الضابط. الجثّة تختلفُ عن الأخرَيات، جهّزوا أنفسكُم."

بلعتُ عُصارة معدتي التي حرقَت حلقي.

كان عمّي يُدوّن مُلاحظاتٍ علميّة دقيقة لسنواتٍ أكثر من عُمري، مُضيفًا إلى النظريّات والنتائج العلميّة للأطباء الآخرين، مثل الدكتور رودولف فيرتشو الذي طوّرَ بروتوكولاتٍ تشريحيّة مُوحّدة. وجدَ كلا الرجلَين أنّ رائحة التعفّن تخرج في الهواء بعد يومين أو ثلاثة أيام من الوفاة. أمّا الروائح الشديدة، مثل تلك التي من جثّة هذه الغرفة فتخرجُ في اليوم الخامس. هذا يعني أنّ الآنسة كرينشو ربّما لم تكن أولى الضحايا في النهاية.

"لِنبدأ." سحبَ العم الكفن إلى أسفل، كاشفًا عن جسدٍ أنثويّ متغيّر اللون، عارٍ عدا بضع قطعٍ من القماش التي غطّت أجزاءً منه. كان ذلك آخر شيءٍ لائق تلقّتهُ، من المؤكد أنّ قاتلها لم يكن لطيفًا أو حذرًا مع شخصِها.

نزلَ نظري بسُرعة إلى أسفل ثمّ تجمّد. كانت الجروح ظاهرةً على حلقها، وجذعُها مفتوح... بتعبيرٍ أدقّ لقد تمّ شقُّه. كتمتُ شهقةً من الوضع الوحشيّ للضحيّة. كان العمّ على حق، هذا القتل مختلفٌ عن الآخرين. لقد جرى قتل الضحايا السابقة بسُرعة - رغمَ فظاعة الطريقة - وتلقّت جثثهم أكبر قدرٍ من الضرر بعد الوفاة. لكن هذه المرأة طُعِنَت وجُرِحَت مرارًا وهي لا تزال تتنفّس. بدا الأمر كما لو أنّ قاتلًا مُختلفًا قد هاجمَها، وهو شيءٌ مستحيل.

أصبحَ كلّ شيءٍ في الغرفة الدافئة فجأةً ساخنًا لدرجةٍ تفوقُ

التحمّل. أخذتُ أنفاسًا قليلة على أمل تهدئة ضربات قلبي المُضطربة. كان جاك السفّاح ميتًا، من غير المُمكن أن يرتكب هذه الجريمة بيده، لكن تشابُه نمط الجروح كان مُذهلًا. تمنّى جزءٌ مني إلقاء الأدوات الطبّية على الطاولة والركض، الهرب بعيدًا عن هذه الجثة وجرائم القتل العنيفة التي بدَت بلا نهايةٍ أبدًا.

لكن على متن هذه السفينة، في وسط المحيط الأطلسي العظيم، لم يكن هُنالك مكانٌ للهروب. لم يُزعجني الموت، بل ذكريات قضيّة السفّاح. انحنى توماس بقُربي هامسًا: "إنها مُعادلة يا وادزورث. ابحثي عن القرائن واجمعيها ببعضها."

أومأتُ برأسي ردًا على ذلك، وهدأت فورةُ المشاعر. أعدتُ الصينيّة إلى المنضدة وأعطيتُ عمّي شريط القياس. ظاهريًا كنتُ متينةً مثل السفينة، بينما في الداخل مُضطرمة العواطف مثل المياه التي أبحرنا عبرها. لم أكن واثقةً من أنّ قضية السفّاح ستترُكني في سلام.

قاسَ عمّي الجسد من القدم إلى قمة الرأس بكفاءة، ثم أبلغَ توماس: "طول المتوفّاة مئةٌ واثنان وستين سنتيمترا ونصف، الشعر بُنّي بطول الكتفين، قوقازيّة. الوزن المُقدّر من ثمانية أحجار[1] إلى ثمانية ونصف." مسحتُ المبضع وسلّمتُه لعمّي قبل أن يطلبه، ثم جهّزتُ الملقط المُسنّن. "هُنالك تلوّن أخضر في منتصف البطن."

قامَ بضغط العين المغلقة بلُطف فاحصًا مرونتها، وحاولتُ ألّا أنظر وهو يفتح الجفون. لسببٍ ما كان فحص العيون الأقلّ تفضيلًا لديّ. قال: "العيون حليبيّة وبارزة قليلًا. الحرارة في عنبر الشحن

---

1 - الحجر: وحدة قياس وزن قديمة تساوي 6.35 كيلوغرام. (المُترجم)

معتدلةٌ إلى باردة، من الفحص الخارجي أقدّرُ وقت الوفاة من اثنين وسبعين إلى ستٍّ وتسعينَ ساعةً مضَت."

اكتملَ فحصنا الخارجيّ، وحان الوقت الآن لاكتشاف القرائن التي تركَها القاتل. شدّ العمّ جلد عظمة الترقوة وضغطَ على مشرطه حتى تشقّقَ الجلد في أعقابه. كرّر الحركة على الجانب الآخر قبل سحب الشفرة لأسفل مركز الجسد، لإكمال الشقّ على شكل حرف Y. كان الجذع مشقوقًا أصلًا لذا لم يضطرّ إلى قطع شيء أسفل الأضلاع.

بمجرّد أن فتحَ عمّي عظم القصّ قمتُ بفتح وتثبيت القفص الصدريّ دون أن يطلب منّي ذلك. نخرَ مُوافقًا وهو ثناءٌ كبير مع الأخذ بالاعتبار أنّ اهتمامه لم يتزعزع عن الجثّة منذ بدء التشريح. كانت الرائحة قوية بما يكفي لتنزلق بضع دموع طائشة على وجهي. فركتُ خدّي على كتفي، ثم حضّرتُ جرّة حفظ العيّنات في حال احتاجها العمّ.

"توجد تمزّقات في الأمعاء، كبيرةٌ وصغيرة." انحنى أكثر حتى صارَ أنفه على بُعد كفٍّ عن التجويف المكشوف، وأخذَ المبضع ليُحرّك العضلات بحذر. "على الأضلاع علامات ضرب بشفرة سكّين. لقد تمّ طعن الضحيّة مرارًا وتكرارًا قبل أن تُنتزَع بعض أحشائها."

مؤشرٌ قويّ على أنّ مَن ارتكبَ هذه الجريمة كان في نوبة غضب. لم تكن هذه جريمةً عشوائية، بل تضمّنَت الكثير من العاطفة والحقد.

تراجعَ العمّ وهو يُجفّف عرق جبينه. "الآثار على العظام تُشبه مظهريًا تلك الموجودة على الطرف المقطوع، لكن الفحص الدقيق

بالمجهر ضروريّ لحسم الأمر. كما إنّها تُذكّرنا بالجروح التي خلّفها جاك السفّاح، وبشكلٍ لافتٍ للنظر." توقّفنا جميعًا للحظة، دون رغبةٍ في إعلان استحالة ذلك بصوتٍ عال. "توماس، هل هُناك مُشكلة؟"

"أعتذرُ يا أستاذ." أسرعَ قلم توماس عبر المفكّرة، مُلتقطًا كل كلمةٍ وتفصيلة بنفس دقّة عمل عمّي في فتح الموتى، وأجبرتُ نفسي على التركيز على حركاته السريعة الواثقة.

عدتُ إلى العمل حينَما قطعَ عمّي المعدة، كاشفًا عن المزيد من الدلائل على وقت الوفاة. "محتويات المعدة مهضومةٌ في الغالب." سحبَ يديه المُلطّخة بلونِ الصدأ ونظرَ إليّ من فوق نظّاراته. "ماذا يعني ذلك يا أودري روز؟"

"حدوث الوفاة في وقتٍ بين وجبتَين." انحنيتُ فوق التجويف لإلقاء نظرةٍ أفضل. تنحّى عمّي جانبًا، لاعبًا دور أستاذ الطبّ الجنائيّ كالمُعتاد. "إذا كان عليّ التخمين فسأقولُ أنّها قد قُتِلت في وقتٍ متأخر جدًا من الليل، أو في ساعات الصباح الباكر قبل وجبتِها الأولى."

"جيّد." ضغطَ العمّ باصبعه حول المعدة الفارغة للتأكّد من أننا لن نُفوّت شيئًا. "الآن نحتاج فقط إلى معرفة مَن تمّ الإبلاغ عن فُقدانه للقُبطان. ثيابُها مطويةٌ هناك، يجب أن يتعرّف عليها شخصٌ ما."

تابعتُ نظرته إلى كومةٍ من الملابس الممزّقة والبالية. نظرًا للشقوق والبُقع عليها فلم تكن الفتاة من ركّاب الدرجة الأولى. كانت حياتها على الأرجح صعبة ولا تستحقّ أن تنتهي بهذه الطريقة القاسية. جذبَ الارتياع كتفيّ إلى أسفل. تشريح جثّة على لوح من المعدن البارد أمرٌ صعب لكنه ليسَ مستحيلًا، مع ذلك فربطٌ

الأسـماء والحيَـوات بالضحايـا مؤثّـرٌ للغايــة.

سـألَ تومـاس: "هـل أقـولُ مـا نُفكّـر فيـه جميعًـا، أنّ هـذه الجريمـة تبـدو مُنفصلـةً عـن الأخرَيـات؟"

نظـرَ العـمّ مـرةً أخـرى إلـى الجسـد بتعبيـرٍ بـارد. "سـنتعامل مـع هـذه كمـا نتعامـل مـع جميـع الحـالات ولا نُقـدّم أيّـة افتراضـات مُسـبقة. مـاذا استنتجتَ أيضًـا؟"

"بمـا أنّ هـذه الجثّـة أنثـى وجميـع أطرافهـا موجـودة فلدينـا مشـكلةٌ أخـرى." أغلـق تومـاس دفتـر ملاحظاتـه ثـم وقـفَ بجانبـي. "لا يـزال هناك جسـدٌ آخـر هُنـاك. هـل تـمّ تفتيـش جميـع الصناديـق فـي عنبـر الشـحن؟"

هزّ عمّي رأسه. "لم يُوافق الكابتن نوروود على ذلك."

فركـتُ صدغـي، باذلـةً قصـارى جهـدي لتهدئـة غضبـي النابـض. "إذًا يُفضّـل قُبطاننـا الانتظـار حتـى تفـوح رائحـة تعفّـن الضحيّـة التاليـة فـي ممـرّات السـفينة؟ إنـه لأمـرٌ سـيّء بمـا فيـه الكفايـة رفضُـه الطلـب مـن اللـورد كرينشـو الامتثـال لتحقيقاتنـا، وهـو حسـاسٌ للغايـة بشـأن حاجـة الدكتـور آردن لحبـس نفسـه فـي غرفتـه، لكـن متـى سـيقلق بشـأن الضحايـا؟ يبـدو أنـه لا يُريـد حـلّ هـذه الجرائـم، ربّمـا هـو الرجـل الـذي نبحـث عنـه."

خطـى تومـاس فـي مُحيـط الغرفـة الصغيـرة، وهـو يجـرّ ياقتـه. لقـد انغمسـتُ فـي تشـريح الجثـة حتّـى نسـيتُ حـرارة الجـوّ هنـا. تحـرّكَ فـي اتجـاه ثـمّ الآخـر، فـي حركـةٍ مسـتمرة مثـل أفـكاره.

توقـفَ قائـلًا: "غطرسـتُه صفـةٌ قبيحـة، لكنّنـي لا أعتقـدُ أنـه سـوف يُشـنَق بسـببها. سـيّد الحلبـة سـاحرٌ ومُتهـوّر، مُختـالٌ بنفسـه للغايـة ولديـه إفـراطٌ فـي الأفعـال الدراميّـة."

قُلت: "هـذه الصفـات رغـمَ أنهـا مُزعجـة لا تعنـي أن مفيسـتوفيليس هـو القاتـل. إن لـم يكـن القبطـان أو سـيّد الحلبـة، فمَـن غيرهُمـا؟"

وضـعَ تومـاس يديـه فـي جيوبـه. "أودّ القـول أنّ جيـان واضـحٌ للغايـة، رغـم أنـه لا يـزال مُشـتبهًا بـه. وأندريـاس المُذهـل هـادئٌ بمـا يكفـي ليكـون مُرعبًـا. إنـه مـن النـوع الـذي يُحنّـط الحيوانـات ويحفظهـا فـي حُفرٍ مُخبّـأة. لكنّنـا نُركّـز علـى الرجـال فقـط بينمـا يُمكـن اعتبـار القاتـل أنثـى."

"فـارس السـيوف، البهلـول، القدّيـس، فنّـان الهـروب، سـيّد الحلبـة، والآن لدينـا أيضًـا الامبراطـورة وسـيّدة الصولجانـات." قلـتُ مُثرثـرةً أسـماء الفنّانيـن المسـرحيّة. كان مـن اللافـت للنظـر قُدرتنـا جميعًـا علـى المحافظـة علـى تعابيـر وجوهنـا خـلال تعـداد القتلـة المُحتمَليـن. "مـن بيـن هـؤلاء هـل تعتقـد أنّ القاتـل امـرأة؟"

سـحبَ تومـاس سـاعة جيبـه. "أيًـا كان المسـؤول فنحـنُ بحاجـة إلـى معرفتـه بسُـرعة. بمجـرّد وصولنـا إلـى الشـواطئ الأمريكيـة سـوف يُفلـت القاتـل - أو القتلـة - مـن أيادينـا."



# 30
# أعظم خدعة على الإطلاق

## ورشة عمل مفيستوفيليس - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

رفعتُ يدي لطرق باب ورشة مفيستوفيليس عندما فُتِح، لنجفلَ أنا وأندرياس الذي لم يتوقّع اصطدامه بي خلال خروجه. ألقى العرّاف نظرةً على وجهي ثم رفعَ يديه متعثّرًا إلى الوراء. "لا تضرُبيني يا آنسة، رجاءً. لقد أخبرتُكِ أنّ المرآة السحرية أفضل من التاروت، لكنّكِ لم تستمعي إليّ!"

"ماذا؟" سألتُه غير واثقةٍ ممّا إذا كان يجبُ عليّ الشعور بالإهانة. "هل صفعَتكَ الكثير من الفتيات بعد قراءة الطّالع؟ ظننتُ أنّنا أصدقاء... كنتُ أتدرّب على خُدعة البطاقات تلك، التغيير المُفاجئ، هل تذكُر؟"

ضحكَ مفيستوفيليس من مكانٍ ما في المقصورة خلفه، وتجعّد وجه أندرياس. "لا تكترث يا صديقي. لو أخرجتَ لها تلك المرآة البائسة لكانت قد ركلَتك.

" ظهر سيّد الحلبة في المدخل وهو يُربّت بيده على كتف العرّاف. "نظرةٌ واحدة على تلك المرآة القذرة كفيلةٌ بدفع جميع

الفتيات الذكيّات للركض نحو خادماتهنّ ومواد التنظيف. الآن، أعِد إليها البروش واذهب في طريقك." "ماذا؟" تحسّستُ ما حول عباءتي مُدركةً فُقدان البروش. "كيف؟"

"تفضّلي." دفعَ أندرياس البروش نحوي ثم رفعَ عباءته من الخطّاف قُرب الباب ونفخَ بسُخط. "المرآة ترى المُستقبل، ولا شيء مُحرجٌ فيها. إنها قطعةٌ أثرية، ومسحة الصدأ تُضفي عليها طابعًا مُميزًا تستمتعُ به الأرواح."

قال مفيستوفيليس: "مهما فعلت فلا تُكرّر هذا الكلام أمام هاري، أنتَ تعرف رأيه بأولئك الذين يدّعون التحدّث إلى الأرواح أو التنبّؤ بالمُستقبل. وكم مرّة يجب أن أخبركَ بعدم السرقة من الزبائن؟ إنه أمرٌ سيّء لأعمالنا."

"هاري هوديني أحمق، وهي لم تعُد زبونةً بعد الآن، أليسَ كذلك؟" أعطى أندرياس سيّد الحلبة نظرة استعلاء قبل أن ينطلق نحو ضوء الصباح.

"إنه حسّاسٌ زيادة بشأن أنتيكتهِ البافاريّة ذات التنبّؤات." أشارَ مفيستوفيليس إليّ بأن أخطو إلى الداخل قبل إغلاقه الباب. طافَت ذرّات الغبار لامعةً في أعمدة أشعة شمس الصباح القويّة. "أراهنُ أنه قد سرقَها من متجرٍ حقير في بلدةٍ ألمانيّة لا اسم لها." "أهذا ما تُريد التعليق عليه؟ ماذا عن البروش خاصّتي؟" استدرتُ وأملتُ رأسي. "هل لدى أندرياس عادة السّرقة؟"

"كلا، إنهُ يكسبُ قوت يومه منها." مشى إلى منضدة عمله وعبث ببعض قطع القفص الميكانيكي الذي كان يصنعه. "وقبل أن تسألي فقد قمتُ بالفعل بفحص غرفته بحثًا عن أدلّةٍ أو سكاكين أو

غيرها من لوازم القتل. كان كلّ شيء في حالةٍ من الفوضى لكن لم أجد دماءً أو أجساد."

"حسنًا، أنا لا أثقُ به."

"قرارٌ حكيم من جانبك، لهذا السبب يجب أن ترتعبي مني." من نبرتهِ لم أعتقد أنه كان يمزح حقًا. "تقول الشائعات أنه تم اكتشاف جثةٍ أخرى هذا الصباح. هل هذا سبب مُباركتي بحضورك؟"

سألتُه: "كيف تعرف ذلك؟ هل عقدتَ صفقاتٍ ليليّةٍ أخرى مع جواسيس؟"

"هل تغارين؟" نظر إليّ من فوق كتفه، ورفعَت ابتسامةٌ أحد جانبي فمه. "أخبرَتني ابنة عمّتك عندما رأيتُها هذا الصباح. لقد وجدَت مُلاحظةً تركتِها في غرفتك."

"آه." كان تفسيرًا بسيطًا بما يكفي، لكنّني لم أعرف تمامًا ما يجبُ استخلاصه منه. "لماذا احتجتَ للتحدث مع ابنة عمّتي في هذا الوقت المبكّر؟"

"فهمتُ أنّكِ أخيرًا أعطيتِها خطاب هاري." استدارَ بالكامل في كرسيه ليُواجهني. "كانت حادّة المزاج للغاية، وهي ليسَت علامة فتاة تُحبّ شريكها بسعادة. كما بدا أنّني أزعجتُها بالطّرق على باب المقصورة مثل... كيف قالتها؟ 'قطّةٌ سائبة في موسم التزاوج'. ذلك هو المصطلح. لقد هدّدَت بإخصائي، تخيّلي ذلك."

لسببٍ سخيف سخنَ خدّي على تلك الفكرة. "لماذا أردتَ رؤيتي في ذلك الوقت المُبكّر إذن؟"

نظرَ إليّ كأنّ سؤالي غبيّ نوعًا ما. "لأدعوكِ لتناول الإفطار، لكنّني تراجعتُ عن الأمر عندما عرفتُ مكانك. التشريح والشاي لا

يبدوان جذّابَين معًا، رغمَ أنّ ذوقكِ قد يكون أبشع من ذوقي." قلبتُ عينيّ. "أخبريني،" - أصبحَت نبرتهُ جادةً فجأة - "ماذا اكتشفتُم؟"

تردّدتُ غير واثقةٍ من مقدار المعلومات التي يُمكنني مُشاركتها معه. طبقًا لمعلوماتي فأنا غالبًا قد وقفتُ أمام الرجل الذي قتلَ كلّ هؤلاء النساء. "ما مدى معرفتكَ بالأشخاص الذين يُشكّلون جزءًا من كرنفالِك؟"

"ما مدى معرفتنا بأيّ شخصٍ حقًا يا آنسة وادزورث؟"

"لا تبدأ في المراوغة." عقدتُ ذراعيّ. "إذا كنتَ ترغب في سماع نظريّاتي فيجبُ أن تُشارك بإفاداتِك. قُل لي بمَن تثق وبمَن لا تثق، نحن بحاجة إلى تضييق نطاق المُشتَبه بهم. قد تفيدُنا أيّ معلومة."

"ليسَ لديّ رفاهيّة الوثوق بأيّ شخص." أشارَ إلى القناع الذي على وجهه. "لو فعلتُ ذلك فلن أُخفي نفسي مثل اللصوص. هل أؤمن بالأشخاص الذين يعملون عندي؟ بلى. أعتقدُ أنّهم جميعًا فريدون ورائعون، وقد أُسيءَ فهمُهم بشكلٍ فظيع. أعرفُ أيضًا أنّ لديهم جميعًا ماضٍ تعيس، معظمُهم مُجرمون."

"حتّى أنيشا؟" سألتُ بشكّ. "لقد كذبتَ عليها وأخذتَها من منزلها وعائلتها. يُمكنني القول بثقة أنّكَ أنتَ مَن أجرى تلك الصفقة."

"هل هذا كل ما قالتهُ عن ماضيها؟ هذا مُثير."

طلبَ مني الجلوس على أريكةٍ تكدّسَت عليها لفائفٌ من الأقمشة والأزياء، وفعلتُ ذلك على مضض.

"هل لكِ بسماع قصّةٍ يا آنسة وادزورث؟"

بذلتُ قصارى جهدي لكي لا أُبدي نفاد صبري. كلّ شيء عندهُ

كانَ لغـزًا. "هـل سـتكون مُفيـدةً للقضيّـة؟"

قـال: "فـي النهايـة بلـى، لكـن قـد يسـتغرق الأمـر دقيقـةً للوصـول إلـى هُنـاك."

"حسنًا إذًا، أخبرني."

"لقـد علّمَنـي جـدّي أفضـل حيلـه." فاجأنـي مفيسـتوفيليس بتفاصيـل حقيقيـة عـن عائلتـه. كان هنالـك حـزنٌ فـي نظرتـه جعلـه يبـدو مثـل باقـي الشـباب الطبيعيّيـن، باسـتثناء قناعـهِ الملعـون. هـزّ رأسـه. "رغـمَ شـكّي فـي سـرور والـدي لسـماع ذلـك."

"ماذا علّمكَ جدّك؟"

ابتسمَ ابتسامة مشوبةً بالحزن. "أن أحلم."

عقـدتُ حاجبـيّ. لـم يكـن هـذا مـا توقّعتُـه علـى الإطـلاق، لكنـه مـن خُصـال مفيسـتوفيليس. "نعـم، لكـن هـل كان خبيـرًا فـي الهندسـة؟ هـل أوضـحَ لـكَ كيـف تصنـع قبّعـات سـحريّة وصناديـق خادعـة تقسـمُ النـاس إلـى نصفَيـن؟ بالتأكيـد هـذا أكثـر قيمـةً فـي عملـك مـن مجـرّد حلـم."

"أعظم خدعةٍ على الإطلاق هي الحُلم بلا حدود."

قُلت: "الكلّ يحلم يا مفيستوفيليس. لا حيلة في ذلك."

وقـف سـيّد الحلبـة والتقـطَ بالـون هـواء سـاخن بحجـم دُميـة. طلـبَ منـي الاقتـراب ثـم رفعـهُ فـي الهـواء، وشـاهدهُ يتعلّـق بيننـا بشـكلٍ جميـل، بخطوطـه الزرقـاء الفاتحـة والأقمـار الهلاليـة واللآلـئ الصغيـرة. عـن قُـرب اسـتطعتُ رؤيـة أنّ سـلّة الخـوص الصغيـرة خاصّتـهُ منسـوجةٌ بخيـوط فضّيـة.

قـال ومـا زالـت عينـاه علـى البالـون: "الأحـلامُ أمـورٌ عجيبـة. بالتأكيد كلّ شـخص يمتلـك القـدرة علـى وضـع رأسـه علـى الوسـادة والتخيّـل،

لكن القيام بذلك دون قيود أو شكوك شيءٌ آخر تمامًا. الأحلام لا حدود لها وهي عديمة الشكل، تستمدّ قوّتها وشكلها من تخيّلات الفرد. إنّها رغبات." نظر إليّ، ثم مدّ يده ليأخذ دبّوس قبعتي. "كل ما يتطلبه الأمر هو شطيّةٌ واحدة من الشكّ تُثبّت نفسها فيها" - ثقبَ البالون بسُرعةٍ بدبّوسي، وتطايرَ هواؤه وهو ينزل على الأرض - "لتنكمشَ وتسقط. إذا كنتِ تستطيعين الحُلم بلا حدود يُمكِنكُ التحليق إلى ارتفاعاتٍ كبيرة. دعي سحر خيالكِ يُحرّرك."

"هل يُوافق جدّك على الكرنفال خاصّتك؟" سألتُ آملةً ألّا يكون السؤال فظًا. "أم أنّ هذا هو سبب ارتدائكَ للقناع؟"

حدّق مفيستوفيليس في البالون المُدمّر. "لا ترغب عائلتي في معرفة شيء عن عرضي. يتعمّدون التصرّف كأنّني غير موجود، أنا والكرنفال. بصفتي وريثًا احتياطيًا لم يُطلَب مني أبدًا أن أكون الرجل الصّالح أو اللائق. أنا ببساطة أحتاجُ إلى الوجود للاحتياط في حالة حدوث مكروه لابنهم المُفضّل."

لم أستطع إيجاد أثرٍ للمرارة رغم قسوة كلماته الصريحة. تاقَ جزءٌ مني لتهدئته ومواساته بينما امتنعَ جانبي الأكثر عقلانية عن التصرّف العفويّ.

"لقد توفّي جدّي وذوى والدي. لا يزال حيًّا، لكنّ أخي مَن قامَ بإدارة شؤون الأملاك في الغالب. قالوا إنه من الأفضل لو لم أُغضِب والدي بأحلامي الفاشلة خلال تعافيه. كانت عروضي للمُخادعين وغيرهم من اللصوص الوضيعين، أناسٌ من المفترض أن أتوخّى بالغَ الحذر منهم، لأنّ والدتي من القسطنطينية. كانوا قلقين من تحدُّث المجتمع عني بشكل سيّء أكثر ممّا كان أصلًا."

"أنا آسفة." انقبضَ قلبي. كانت والدتي نصف هنديّة، وقد واجهَت أحيانًا تحيّزات مُماثلة من صغار العقول. "أعرفُ صعوبة الرغبة في نيل رضا والدَيك، حتى لو كان هذا آخر شيءٍ تُريده حقًا."

فركَ مفيستوفيليس قناعه لكنه لم يخلعه. "بلى، حسنًا" - صارَ صوته خشنًا بعض الشيء - "الآن تفهمين لماذا هذا الخاتم مهمٌّ جدًا بالنسبة لي. ربّما أصَبتُ عائلتي بخيبة أمل، لكنني لستُ مستعدًا بالكامل للتخلّي عنهم. أصرّ جدّي على أن آخذ الخاتم بمجرّد وفاته، وهو آخر رابطٍ لي معه."

اتجهت يدي لا شعوريًا إلى قلادة القلب حول عنقي؛ سيجنّ جنوني إذا حدثَ شيءٌ لقلادة والدتي. تذكّرتُ الشوق في عيني مفيستوفيليس عندما أخرجَ توماس خاتمه. لو كنتُ بمكانه لَخنقتُ المُقابل حتى استردّه.

"لماذا لم تُخبر أحدًا أنّ خاتم عائلتكَ مفقود؟"

ابتسمَ ابتسامةً شرسة أكثر من كونها لطيفة. "لستُ بحاجةٍ إلى أن يعلم أيّ شخص بهويّتي الحقيقية. مَن يدري أيّ نوع من الابتزاز قد يُستخدَم إذا تمّ اكتشاف اسمي. قوم الكرنفال رائعون لكنّهم عمليّون أيضًا، إنهم بحاجةٍ إلى المال ويكسبونه بأيّ طريقةٍ مُمكنة."

"إذًا هل تظنّ أنّ جيان أو أندرياس قد سرقَ خاتمك؟"

"لستُ واثقًا مَن سرقه. كلّهم أعزاءٌ عليّ، لكن لا فكرة لديّ عن عُمق بعض ندوبهم."

"هذا مُريع."

"هذه هي الحياة يا عزيزتي." رفعَ كتفه. "إنهم رواسب المجتمع،

المنبوذون وما يُسمّى بالمِسوخ. عندما يُلصق الآخرون بكِ هذه التسمية فسوف تتمسّكين بنفسكِ وتعيشين وفق قوانينكِ الخاصّة. بمَن يُمكنكِ الوثوق عندما ينقلب العالم كلّه ضدّكِ بوحشيّة؟ وباسم ماذا؟ هل لأنّنا نختار العيش وفقًا لقواعدِنا الخاصّة؟ لأنّ الشابّة تُفضّل تغطية نفسها بالحبر بدلًا من الحرير؟ أم لأنّ الشخص يستمتع بابتلاع اللهب بدلًا من كنس الأزقّة في الطرف الشرقيّ من لندن؟" شدّ قبضتَيه على جانبيه. "لا يُمكنني لومهم على عض اليد التي تُطعمهم، بعد علمي بحقيقة أنّ المجتمع قد ركلَهم حتّى تعلّموا ضرب أيّ شخص يجرؤ على الاقتراب منهم. قد نتحدّ معًا في الفرقة لكنّنا سنكون دومًا مُنفصلين أيضًا. هذا الكرنفال موطنهم في الوقت الحالي، لكنه لن يبقى كذلك بالنسبة للبعض. هُنالك دائمًا حلمٌ أعظم أو هدفٌ أكبر يجبُ تحقيقه. هذا هو ثمن الحُلم بلا حدود... هذا هو الجانب المُظلم من الأعمال الاستعراضيّة."

فكّرتُ في أحد الفنّانين على وجه الخصوص. "مثل هوديني؟"

حملَ مفيستوفيليس البالون الساقط ليرميه في صندوق قُمامة. "مثله، ومثل جيان، وأنيشا، وأندرياس، وكاسي وحتّى سباستيان. نحنُ جميعًا إخوةٌ وأخوات في هذا الجنون، حتّى النهاية. أنا لا أحبّ التفكير فيهم على أنّهم لصوصٌ أو أوغاد أو حتّى قتلة، كما قد تقترحين، ليسَ عندما يعتبرُهم الكثيرون هكذا. لكن تبقى حقيقة أنّني لا أملك رفاهية استبعاد أيّ شخص، رغمَ أنني أميل إلى الاعتقاد بأنه ليسَ شخصًا من فرقتي. لا أعرفُ الكثير عن القبطان، لكنه... لستُ متأكدًا. يبدو أنه يسعى إلى المجد. لا أعرف ماذا يفعل بخاتمي أو لماذا يقتل ركّابه، لكنّني أيضًا لا أستطيع استبعاد سرقته أو قتله لهؤلاء

الأشخاص. ربّما قام أحد أفراد طاقمه بهذه الأعمال نيابةً عنه. قد يحلم بامتلاك سفينته الخاصّة. الخاتم خاصّتي يجلبُ ثمنًا باهظًا، وإذا انتهى به الأمر 'بإنقاذنا' عبرَ إيجاد 'القاتل الحقيقيّ' فسوفَ يُعتبَر بطلًا، أليس كذلك؟"

قلتُ مُفكرةً في بداية حديثنا: "كنتُ أظنّ الأحلام أمورًا جيّدة."

"آه بلى، لكن لا يُمكنك نسيان أنّ الكوابيس غالبًا ما تبدأ كأحلام."

"إذا أصبحَ الحلم عبئًا كبيرًا فلماذا لا نتخلّى عنه؟ لديكَ القدرة على تركه، أنا واثقةٌ من أنّ عائلتك سوف تُرحّب بكَ بكل سرور."

ابتسمَ لي ابتسامةً حزينة وظننتُها أصدق شيءٍ رأيتُه من السّاحر.

"الأمر ليسَ بهذه البساطة مطلقًا. تقومين بإنشاء مهربٍ لشخصٍ آخر، مُدركةً في اللحظة الأخيرة أنّكِ قد حبستِ نفسكِ في قفص من تصميمكِ الخاصّ. بحلول ذلك الوقت يكون الأوان قد فات، لقد اتّخذ العرض أسطورته الخاصّة وأنتِ عاجزةٌ عن هزيمة تلك القضبان، لذا تخضعينَ للفنّ خاصّتكِ وتسمحين للعالم بافتراسكِ مع علمكِ بالثمن. كلّ عرضٍ يأخذ شيئًا أكثر من روحك."

"هذا يبدو... مُمتعًا. لكن هل ما زلتَ تستمتعُ به؟"

"هل تُريدين مني رفع قناعي لأجلكِ يا آنسة وادزورث؟ تُريدين الحقيقة، وستكونُ لك." اقتربَ مني لكنّني لم أتراجع. "أنتِ تُحبّينه وتكرهينه على حدٍّ سواء، هذا الوحش المفترس الذي يتغذّى حتى تقتربين من الهلاك ولا يُفكّر أبدًا في ردّ الجميل. لكن لا يُمكنكِ لومه، فأنتِ تفهمين أنانيّته، لقد كنتِ أنانيّةً ذات يومٍ أيضًا. لذلك تختلقينَ الأعذار له، تُغذّينه، تُحبّينه، وتُحوّلينه إلى وحشٍ عملاق لدرجة أنه لن يشبع بما تُقدّمينه. عليكِ إمّا القضاء عليه بالكامل -

علـى مسـؤوليّتكِ الخاصّـة - أو الاسـتمرار حتـى تُسـدَل آخـر سـتارة بعـد أن تُحيّيـن الجمهـور التحيّـة الأخيـرة."

انزلقَـت دمعـةٌ علـى خـدّي. "هـذا أمـرٌ محـزنٌ للغايـة يـا مفيسـتو فيليس ."

"هـذه هـي طبيعـة العـرض، فهـو لا ينتهـي أبـدًا بـل ينـام مؤقتًـا ثـمّ يسـتيقظ ويُعيـد الكـرّة مـرّةً أخـرى. أمّـا الفنّانـون الذيـن تَرينهـم هُنـاك فـلا ينتمـون إلـى أيّ مـكان آخـر. لا وطـن لهـم سـوى ذلـك الموجـود تحـت أضـواء المسـرح والخيَـم المُخطّطـة. العـرض هـو الوطـن، ونحـن جميعًـا مدينـون إليـه لدرجـةٍ لا يُمكننـا تركُـه."

"كلّكم تشعرون بهذا الشعور؟"

"آكلـة النـار، السـيّاف، والرجـل الـذي يـكاد يغـرق كلّ ليلـة... هـل تعتقديـن أنـه سـيتمّ الترحيـب بهـم فـي الحلقـات التـي تنتميـن إليهـا؟" هـزّ رأسـه. "لقـد احتقرهـم المجتمـع، وحوّلَهـم إلـى عـروضٍ عجيبـةٍ غريبـة، والآن هُـم فقـط مهتمّـون ويُصفّقـون لهـم بسـبب بريـق تلـك السـتائر المخمليّـة، وجاذبيّـة السّـحر والغمـوض. إذا واجهـوا نفـس الفنّانيـن فـي الشـارع فلـن يكونـوا لطفـاء أو مُتقبّليـن. إنهـا حقيقـةٌ مُحزنـة أنّنـا لا نعيـش فـي عالـم تُقبَـلُ فيـه الاختلافـات. حتـى ذلـك الوقـت يـا آنسـة وادزورث سـأوفرُ وطنًـا للمنبوذيـن وغيـر المرغـوب فيهـم، حتـى لـو كان ذلـك يعنـي فقـدان أجـزاء مـن روحـي لذلـك الوحـش النّهـم صعـب الإرضـاء الـذي أطلـقَ عليـه السـيّد بارنـوم تسـمية عمـل العـروض."

لـم أعـرف مـاذا أقـول. كان هُنالـك الكثيـر علـى المحـكّ بالنسـبة لمفيسـتوفيليس، أكثـر ممـا تصـوّرتُ، وبنفـس القـدر سيخسـر كلّ مَـن شـاركَ فـي الكرنفـال. كانـوا عائلـةً مـن النفـوس المنبـوذة، ضاعـوا حتّـى

وجدوا وطنَهم مع بعضهم البعض. سوف يُحطّمهم كون أحدهم هو الوحش الذي حاولوا جاهِدين إبعاده عن واقعهم. كانوا عائلةً مُختارة تُقدّمُ الأحلام وتعيشُ في كابوس. آلَمَني صدري. لم أرغب في تحطيم أيّ قلبٍ من قلوبهم، لكنني لم أستطِع التغاضي عن الجرائم.

"إذا كان القاتل أحد الفنّانين..." تنهّدت. "سيكون من الأفضل ألّا يُعرقل الكرنفال التحقيق، وأنا لا أعني أفضل لي أو لعمّي." أردفتُ عقب نظرة الشكّ في وجهه. "أعلمُ أنكَ تعتني بفرقتِك، لكن إذا انتشرَت أخبارٌ عن إيوائكَ لِقاتل فسوف يتحطّم كلّ ما قمتَ ببنائه. سواءٌ أكان وحشًا أم لا، هذا العرض سينتهي أمرُه."

أخذَ مفيستوفيليس نفسًا مُضطربًا. "إذا طلبتُ منهم الانقلاب على بعضهم البعض فسوف ينتهي الأمر بشكلٍ سيّء مهما حدث." هزّ رأسه. "كفانا من كلّ ذلك. هل يعتزم السيد كريسويل إعادة الخاتم خاصّتي قريبًا، أم أنه يتجوّل ليلًا وهو يرتديه، مُتمنيًا لو كان بِوسامتي؟"

استغربتُ من التغيير المُفاجئ في الموضوع، لكن لم أوضّح ذلك. "سوف أتأكّد من استرجاعِكَ لخاتمِك."

"عرفتُ أنّكِ أعجبتِني لسببٍ وجيه." قال مُقدّمًا ذراعه. "تعالي، لقد حان وقت الإفطار تقريبًا. أنا متأكدٌ من أن السيّد كريسويل سيستمتعُ بقضاء الوقت معكِ قبل عرض الليلة."

تردّدتُ قبل أن آخذَ ذراعه. "كان لديّ انطباع أنكَ تُريد إبعادي عن توماس قدر الإمكان."

"لا تعتقِدي أنّني سأغامرُ بالتصرّف بِبسالة الآن يا آنسة وادزورث.

ما زلتُ نفس الوغد الذي قابلتِه منذُ بضعة أيّام." عادَ بعض المُكر إلى عينيه. "أنا ببساطةٍ أريدُ أن أسرقكِ من أمام عينيه مُباشرة."

لم أزعِج نفسي بالردّ. لِيعتقد مفيستوفيليس أنهُ يستطيع تحقيق أكبر خُدعةٍ مُمكنة. كنتُ أعلم أن لا أحد لديه ما يكفي من السحر لِخطف قلبي من توماس كريسويل. على الأقل تلك هي الحقيقة وفقَ اعتقادي، لكن في عالمٍ يصعُب فيه تمييز الأوهام عن الواقع كان من الصعب التيقّن من ذلك تمامًا.



# 31
# طريقةٌ للإلهاء

## مُقدّمة السفينة - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

رمى جيان خناجرهُ المُرصّعة بالجواهر في الهواء باستقامةٍ في تتابعٍ سريع، ثمّ تلقّفَها كأنّها لم تكن أكثر خطورةً من التفاح أو البرتقال. بدا من السابق لأوانه أن أتعلّمَ السيطرة على أسلحةٍ كهذه. راقبَ ردّة فعلي من زاوية عينه وفمه مضغوطٌ في خطٍّ أفقيّ. لقد أوضحَ تمامًا أنه لا يهتمّ بي أو بحضوري في الكرنفال، رغمَ أنّ ذنبي الوحيد حتى الآن هو الوجود بالقُرب منهم، على حدّ علمه بالطّبع.

"هل هذا ما ستُعلّمني إيّاه هذا الصباح؟" سألتُ على أمل أن أبدو غير مُكترثةٍ مثله. "أم سوف ألعبُ دورًا مختلفًا في الختام؟ لم يُخبرني أحدٌ بما عليّ فعله بالضبط."

نظرَ أندرياس إلينا وهو يعضّ شفّته السفلى. "في الواقع،" - حملَ شريطًا سميكًا طويلًا للأعلى بتعبير مُحرَج بعض الشيء - "الآن ستقفين مُقابل هذا اللوح، مُرتديةً هذا. لستُ متأكدًا بشأن الختام، لم يُخبر مفيستوفيليس أيًا منا بما سنفعلهُ حتى اللحظة."

تابعتُ إلى حيث أشار وهززتُ رأسي. "كلّا. تعلّم كيفية رمي

السكاكين أو استخدام السيف شيء، والوقوف معصوبة العينين على لوحٍ كهدف تصويب شيءٌ آخر تمامًا. هذا محض جنون."

رفعَ جيان حاجبه. "هل أنتِ خائفة؟"

التفتُّ لأحدّق فيه. من الواضح أنه تحت تأثير الجنّية الخضراء مرة أخرى، أو أنه مخبولٌ تمامًا. "بالطبع أنا خائفة! أيّ شخص لديه حبّةٌ من المنطق سيخاف. تريد رمي الخناجر عليّ وأنتَ لا تُحبّني."

"مهارتي في التصويب جيّدة جدًا."

أشرتُ إلى نفسي لأركّز على النقطة. "ويجبُ أن أثق ببساطة في أنّكَ لن تُخطئ عن قصد؟"

تحرّكَ أندرياس بجانبي. "هل تريدين مني الوقوف أوّلًا؟"

"هل ستعصبُ عينيكَ وتتركه يرمي عليكَ السكاكين؟" هززتُ رأسي. "أنتُما مجنونان، وبشكلٍ مُطلق."

رغمَ جنون الفكرة لكن كان من الصعب نسيان كيف قُتِلَت الآنسة بريسكوت. كيف أصابَت السكين هدفها دون خطأ لتشقّ عمودها الفقريّ وتخترق أعضاءها الداخلية. إذا كان جيان جيّدًا كما ادّعى هو وأندرياس فَمن المُحال أن أقفَ هُناك لأقدّمَ نفسي مثل خروف القرابين.

نفختُ نفَسًا. أخبرَني المنطق أنّ الأمر خطير وأن عليّ الهرب من الغرفة، لكنّني احتجتُ إلى القيام بذلك. إن لم يكن لي فلأجل الآنسة بريسكوت. كان الوقت ينفد وعليّ جمع أكبر قدر مُمكن من المعلومات، إن لم نكتشف مَن خلف جرائم القتل هذه فسوف يُفلت في شوارع نيويورك الصاخبة ويضيع في ضجيجها إلى الأبد. مُشاهدة قُدرات جيان في الرّماية عن كثب ستُفيد بحثي. قُلت: "حسنًا، لكن

إذا أخطأت فلن يكون مفيستوفيليس سعيدًا."

لم يتغيّر تعبير جيان الصخريّ، لكن بإمكاني أن أُقسِم أنّ بريقًا إضافيًّا ظهرَ في نظرته. دون مزيدٍ من الكلام درتُ على عقبيّ بأكبر قدرٍ من الكرامة التي استطعتُ ضخّها في الحركة لأصعد إلى لوحة الهدف.

قامَ أندرياس بربط العِصابة حول رأسي ثمّ انحنى ليهمس: "أنا آسفٌ لسرقة البروش خاصّتكِ في وقتٍ سابق... إنها خدعةٌ ما زلتُ أعمل عليها. أُقسِمُ أنّني كنتُ سأعيدهُ لك."

"تأكّد من أنّ جيان لن يُخطئ وسوف أغفرُ لكَ كل شيء."

ربّتَ على ذراعي وأدارَني لكي أقف جانبيًّا مُقابل اللوح الخشبي. لم أستطع حتى التنفّس بعمق عندما تراجعَ إلى الوراء وصرخَ جيان: "استعدّي!"

خدرَت راحتا يديّ. غمرَتني فجأةً حاجةٌ إلى استخدام الحمّام أو العطس أو خدش حكّةٍ وهميّة في ذراعي. تجمّدَت عضلاتي بإحكام حتّى خلتُها ترتعش من فرط مُحاولتها للثبات. قبل أن تنتابني نوبةٌ حقيقيّة من الهستيريا شعرتُ بضربةِ هواء بالقُرب من كاحلي، متبوعةً بصوتِ طعن النّصل للخشب.

زفرتُ وكدتُ أرتخي بارتياح. لحُسن الحظّ لم يكن لديّ وقتٌ لأخذ نفسٍ عميق؛ إذ انطلقَت ثلاثُ شفراتٍ أخرى في تتابعٍ ناريّ سريع تئزُّ بجوار جسدي، ناشبةً نفسها في الخشب بدقّةٍ رهيبة. واحدة بالقرب من ركبتي، والأخرى أسفل الورك، والأخيرة قُرب أضلاعي.

"نار، نار!" صاحَ جيان، وتمنّيتُ بصدق أنه سيرمي آخر شفراته،

وأنّني لم أجد طريقةً سحريّة للاشتعال الذاتيّ من الخوف.

طارَ نصلان آخران، وشعرتُ بالنسيم الطفيف قريبًا بشكلٍ مُذهل من أكمامي. امتننتُ لانتهاء هذا الدرس المزعوم، وبدأتُ بإزالة عصابة عيني عندما شقّت سكينٌ أخرى الهواء، مُثبّتةً نفسها في الشريط الذي أمسكتُه. سالَ الدفء من جانب وجهي، وأزلتُ بقية العصابة بعينين مُتّسعتَين ثمّ رفعتُ يدي إلى أذني لأراها مُبلّلة بالدماء.

هزّ جيان رأسه. "لقد حذّرتُكِ من التحرّك." دون أيّ اعتذار جمعَ سكاكينه وغادرَ غرفة التدريب، تاركًا أندرياس في اضطرابٍ لعلاج جرحي السطحيّ. راح يركض بين الصناديق باحثًا عن قطعة قماشٍ لإيقاف الدم، ولم أستطِع منع نفسي من التساؤل كم فوضى أخرى قد يُنظفّها لأجل جيان.

***

عقدتُ ذراعيّ فوق صدري وغرستُ قدميّ بقوّة. "لا يوجد سببٌ وجيه لكَ لتحتفظ بخاتمه كرهينةٍ يا كريسويل."

"أنا أعترض، وبكلّ احترام يا وادزورث." رفعَ توماس ذقنه، عنيدًا مثل البغل. "قد يكون نافعًا كدليل. لا يُمكننا إعادته ببساطة لأنه طلبَ ذلك بلُطف."

صررتُ على أسناني. "أنتَ غير ناضج وتعرفُ ذلك. هذا لا علاقة له بالقضية، بل بكُرهكَ لمفيستوفيليس."

لمعَ في عينيه شيءٌ شبيهٌ بالانزعاج. "هل هذا رأيُكِ بي الآن؟ أنّني أحتفظُ بممتلكات شخصٍ بدافع الغيرة؟"

رفعتُ كتفي. "لم تُعطِ سببًا أفضل للاحتفاظ بالخاتم."

قال وهو يتفحّصني: "لقد اقتربتِ أكثر من اللازم من هذه القضيّة. مهما كانت الصفقة التي قُمتِ بها فقد حانَ الوقت لإلغائها. سنحلّ جرائم القتل بطريقةٍ أخرى، لا داعٍ لأن تكوني مُتورّطة بهذه الطريقة."

"أنا آسفة توماس، لكن لا بدّ لي من إتمام ما بدأتُه."

هزّ رأسه، وقبل أن يتمكّن من قول شيءٍ آخر سارعَ العمّ وليزا حول المُنعطف، وعندما شاهَدانا قرب المُقدّمة زادا من سُرعتهما. كانت الدموع تلمع على خدّي ابنة عمّتي في شمس الصباح المُتأخّرة، مما أدى إلى هيجان مشاعري. تركتُ خلافي مع توماس واندفعتُ إلى الأمام، مُمسكةً بيديها في يديّ. "ماذا حدث؟ ما الخَطب؟" أجابَت وهي تنتحب: "السيّدة هارفي... إنّها مفقودة."

"ماذا؟" ارتفعَ صوت توماس قبل أن يكتمهُ في ثبات. "هل فحصتُم مقصورتها؟ إنها تغفو هُناك دائمًا."

هزّ عمّي رأسه. "كان أوّل مكانٍ بحثنا فيه. تفقّدنا أيضًا غرفة الإفطار والصالة وردهة السيّدات والممشى الأيمن."

ضربَت قشعريرةٌ ظهري مع هبوب النسيم. "يجب أن تكون في مكانٍ ما."

"لقد بحثنا في كلّ مكان." ارتجفَت شفة ليزا السفلى. "لقد اختفَت ببساطة."

دون كلام انطلقَ توماس راكضًا على سطح السفينة، وهو يُمسك بقبعته خلال اندفاعه نحو مقصورة مُرافقته. تطلّبَ الأمر كل ما عندي من ضبط النفس حتى لا أذهبَ وراءه. لم أستطع فهم عواطفه – إذ لم يقُل ذلك قطّ – لكن السيّدة هارفي كانت أقرب شخصٍ إلى أمّه،

وسوف يتحطّم إذا حدثَ لها مكروه. تألّمَ قلبي من فكرة وقوعها في نهايةٍ تعيسة. لقد أحببتُ السيّدة هارفي كثيرًا، هي ولُطفها ودواء السّفر خاصّتها.

انزلقَ شعورٌ مُظلم في داخلي. إذا كانت السيّدة هارفي مفقودة... فقد يعني ذلك أنّ القاتل اختارَها على وجه التحديد لإلحاق أكبر قدرٍ من الضّرر بصديقي. إذا لم يستطِع توماس استغلال مهاراته في التحقيق فقد يُفلت مَن قتلَ هؤلاء الشابّات بسهولة. لم أرغب في التفكير في أنّ مفيستوفيليس هو المسؤول، لكن تلك الخطّة الماكرة كانت شبيهةً بخططه. لقد اختلقَ بالفعل هجوم الأسد عليه لأسبابٍ ما زلتُ لا أفهمها. ربّما قامَ أيضًا بترك خاتمه في صندوق السيوف على أمل أن يأخذهُ توماس. هل كانت كلّ تفصيلةٍ غريبة شيئًا تمّ التفكير فيه بدقّة أو تمنّيه، ليؤدي كل ذلك إلى تشابكاتٍ عاطفيّة وروابط مفقودة؟

أمسكتُ عباءتي بقوّة ونظرتُ حولي. لم يخرج أحدٌ اليوم تقريبًا، إمّا خوفًا من الجثث التي يجري العثور عليها باستمرار وإمّا بسبب العاصفة الوشيكة.

"لنُسرع." أمسكتُ بيد ليزا وتحرّكتُ بسرعة عبر الممشى على أمل ألّا أبدو خائفةً كما شعرت. تخلّفَ عمّي عنّا بخطوتين. "أخبريني بكلّ شيء من البداية، كيف اكتشفتِ أنّها مفقودة؟"

"كان علينا تناول الإفطار معًا." تنهّدَت ليزا. "وعدتُها بمنحِها جولةً على مُعدّات هاري وتعريفهُما على بعضهما البعض بعدها..." تباطأ صوتها بشكلٍ طفيف، ممّا جعلَني أتساءل عمّا كانت تُخفيه بشأن هوديني. "لقد كانت مُتحمّسةً للغاية، ولا أستطيع تخيّل أنّها

تعمّدَت تفويت الفرصة. لسببٍ ما استمرّت في سؤالي عمّا إذا كان سيُقدّم عرضًا مائيًا آخر."

هذا يبدو بالتأكيد أحد أفعال السيّدة هارفي. ربتُّ على ذراع ليزا مُحاولةً تهدئتها للحيلولة دون مزيدٍ من الضيق. ساعدَت الحركة أيضًا في إبقائي هادئةً ومُركّزة. كنتُ بحاجةٍ للثبات في حال انهيار توماس. "هل كنتِ ستُقابلينها في مقصورتِنا أم مقصورتها؟"

"كان من المفترض أن نلتقي خارج غرفة الإفطار عند الساعة الثامنة والربع." أخذَت ليزا نفسًا مضطربًا. "كنتُ قد تأخّرتُ قليلًا، لكن بحلول التاسعة إلا ربعًا قرّرتُ تفقّد غرفتها. ظننتُها قد نامَت أكثر من اللزوم. عندما وصلتُ إلى غرفتها وطرقتُها لم يُجِبني أحد."

"ألم تكوني في مقصورتِنا؟" سألتُها فرمقَتني بنظرةٍ دون الخوض في التفاصيل.

بقيَ العمّ يسير وراءنا، صامتًا لكنهُ يقظ. كان من المستحيل تمييز مشاعره، ولم يكن هذا مُفاجئًا لأنه الرجل الذي علّمَنا أنا وتوماس أهميّة فصل المشاعر عن جرائم القتل والتحقيقات.

"ذهبتُ لجلبكِ لكنّكِ كنتِ خارجة، لذا ركضتُ إلى خالي." ألقَت نظرةً فوق كتفها، لطمأنة نفسها أنه لا يزال معنا أو على أمل ألّا يكون قد سمع سؤالي السابق عن مكانها. "لقد وجدتُه في طريقه إلى القبطان وبدأنا البحث في كلّ مكان."

حاولتُ عدم إظهار خوفي. يتطلّب الأمر حدثًا غير عاديّ لمنع السيّدة هارفي من التعرّف على هاري هوديني. "من المحتَمل أنّها تتبادل الحديث مع إحدى السيّدات الأخرَيات. تعرفين مدى تشتّت انتباهها في بعض الأحيان."

لم يعُد بإمكاني معرفة مَن كان يسحب الآخر، ليزا أم أنا. قُمنا بالانعطاف ثم الركض إلى مقصورة السيّدة هارفي. كان الباب مفتوحًا، وتوماس واقفًا في وسط الغرفة وقبضتاه على جانبيه.

"هل -"

رفعَ يده. "لحظةٌ أخرى رجاءً. أنا على وشك..." مشى فجأةً إلى صندوقها وفتح الغطاء. "عباءتها مفقودة وكذلك قفّازاتها. لا شيء في غير محله، مما يعني أنها قُوطِعَت على الأرجح وهي في طريقها لتناول الإفطار."

"كيف عرفتَ أين كانت ذاهبة؟" سألتُه، إذ لم يكن حاضرًا عندما قدّمَت ليزا تلك المعلومة.

"هُناك. الشاي في الكوب الموجود على منضدتِها باردُ الملمس للغاية." أشارَ إليه. "تحت صحنه توجد ورقة عليها تاريخ هذا الصباح، ممّا يعني أنّ الشاي قد وصلَها عندما استيقظَت. نظرًا لعدم وجود علامة على تناول وجبة فليسَ من المُستبعَد افتراض أنّها كانت تتّجه لتناول الإفطار مع ابنة عمّتك. إنها تعمل كمُرافِقة، لذا كان ذلك استنتاجًا سهلًا. الآن،" - دار في مكانه وعيناه تفحصان كلّ شيء مرةً أخرى - "مَن كان سيفتنُها بما يكفي لكي لا تُرسل رسالةً تُفيد بتأخّرها؟"

شعرتُ بدهشة ليزا تملأ المكان. كان عمّي هُناك أيضًا لكنه شهدَ استقراءات توماس مُباشرةً لعدّة مرّات من قبل. بالنسبة إلى ليزا قد يكون الأمر أشبه برؤية قرد سيرك يتحدّث الإنجليزية، أو ربّما مُشاهدة ساحر يُمكنه حقًا صُنع المعجزات. كان توماس مُذهلًا مثل سيّد الحلبة، إن لم يكن أكثر منه. مفيستوفيليس مُذهلٌ في الحيل

الهندسية، لكن توماس يكتشف الحقائق باستخدام فِطنته.

"تعالوا،" قال توماس وهو يخرج فجأةً من الباب. "دعونا نزور مفيستو. وادزورث، هلّا قُدتِنا إلى وكره؟"

اندفَعنا متجاوزين ركاب الدرجة الثالثة الذين احتشدوا على سطح السفينة، ونبض قلبي أسرع من أيّ حصان سباق كلما اقتربنا من ورشة العمل.

كان هُناك أناسٌ أكثر بكثير ممّن رأيتُهم في طريقنا إلى مقصورة السيّدة هارفي. بدا بعضهم مُرهَقين بوجوهٍ شاحبة بينما كان الصقيع يزحف على سياج السفينة. راحَ جسدي يدقّ ناقوس الخطر، لقد حدثَ أمرٌ ما. أمرٌ خلقَ ضجّةً مُتوتّرة ونظراتِ قلق ثقيلة، أم أنّني كنتُ أتخيّل ذلك ببساطة؟ انزلقتُ فوق جزءٍ من ممرٍّ أملس واندفعَت يد توماس لتثبيتي. أمسكتُ بذراعه ولاحظتُ أنّ العمّ قد أخذ ذراع ليزا أيضًا ونحن نُسرع في طريقنا. كلّ خطوةٍ للأمام ملأتني بمزيدٍ من الرّهبة.

فورَ وصولي إلى الورشة أسقطتُ ذراع توماس وطرقتُ باب مفيستوفيليس، بإيقاعٍ أكثر هياجًا من دقّات قلبي. انتظرتُ ثوانٍ ثمّ كررتُ الطرق بصوتٍ أعلى هذه المرّة. تردّد الاهتزاز عبر ذراعي وشعرتُ به في أعماق عظامي، لكنني لم أستطع منع نفسي من ضرب الباب مرارًا وتكرارًا. كان علينا إيجاد السيّدة هارفي. لم أستطع تخيّل... لفّ توماس يده بعنايةٍ فوق يدي لتهدئتي. "إنه ليس هنا يا أودري روز. كل شيءٍ على ما يرام."

حدّقتُ في الباب المُغلق، وفكّي مشدودٌ بالدموع التي كانت تُهدّدني. يجب أن تكون السيّدة هارفي بخير. سحبتُ نفسًا عميقًا

وأعطيتُ نفسًا آخر، وساعدَ الهواء البارد في تخفيف حالة الذُعر المُتفاقمة. قُلت: "حسنًا. دعنا ننتقل إلى عنبر الشحن الخاصّ بالكرنفال، مفيستوفيليس -"

"دكتور وادزورث!" ركّزنا جميعًا على صوت سيّد الحلبة. لم أرتَح للتعبير على وجهه، كان أكثر وحشيّةً وجنونًا ممّا رأيتُه من قبل رغم اختفاء نصفه خلف القناع. "رجاءً تعالوا بسُرعة."

توقّفَ مفيستوفيليس ثم عادَ في الاتجاه الذي أتى منه، دون انتظار لمعرفة ما إذا كنا قد تبعناه. بدا توماس شبه مجنون من القلق لكنه احتفظَ بأفكاره لنفسه، وقادَني إلى السلّم بعد مفيستوفيليس بالسُرعة التي سمحَت بها تنّورتي الضخمة. بدلًا من النزول الى باطن السفينة قمنا بارتقاء الدرج صعودًا مرّتين، وأصوات أحذيتنا تقرع فوق المعدن وترنّ فوقنا وتحتنا.

كان عمّي وليزا خلفنا بينما كدنا نتشبّث أنا وتوماس بذيل معطف مفيستوفيليس القرمزيّ. لم أتفاجأ عندما عبرنا ممشى الدرجة الأولى متوجّهين مباشرةً نحو غرفة الموسيقى. كان مفيستوفيليس قد خاطبَ عمّي بدلًا مني، وهي علامةٌ سيّئة.

دون مقدّماتٍ فتح مفيستوفيليس الباب كاشفًا لحُسن حظّنا عن السيّدة هارفي وهي تبكي في الزاوية، مُتعلّقة بقوّة بأندرياس الشّاحب للغاية. لاحَ جيان خلفهم، وكان تعبيرهُ عاصفًا مثل البحر المُتلاطم، أشبه بتجسيدٍ بشريّ لغضب الربّ.

"السيّدة هارفي." هرعَ توماس إلى جانبها وجثا على ركبتيه، ليفحصها بحثًا عن أيّة جروح أو إصابات. تركَت ليزا العمّ وساعدَت توماس.

هدأت مشاعري لرؤية السيّدة هارفي حيّةً تُرزق، رغمَ اضطرابها بشكلٍ رهيب. كان جسدها يرتجف بالكامل وشفتاها تتحرّك بصمتٍ في صلواتٍ أو تمتمات. تحوّلتُ على الفور إلى وضع العالِم، وسقطَ انتباهي على كل شيء في الغرفة بينما كان توماس يتفحّص مُرافِقته. كانت بطاقات التاروت التي رسمَها مفيستوفيليس - سيرك كسوف الشمس - مبعثرةً على الأرض، والمرآة السحرية مُسندةً على الحائط حيث رأيتُها أخيرًا، ولم يبدُ عليها تغيير.

"هُناك." خاطبَنا مفيستوفيليس أنا وعمّي. "في الصندوق."

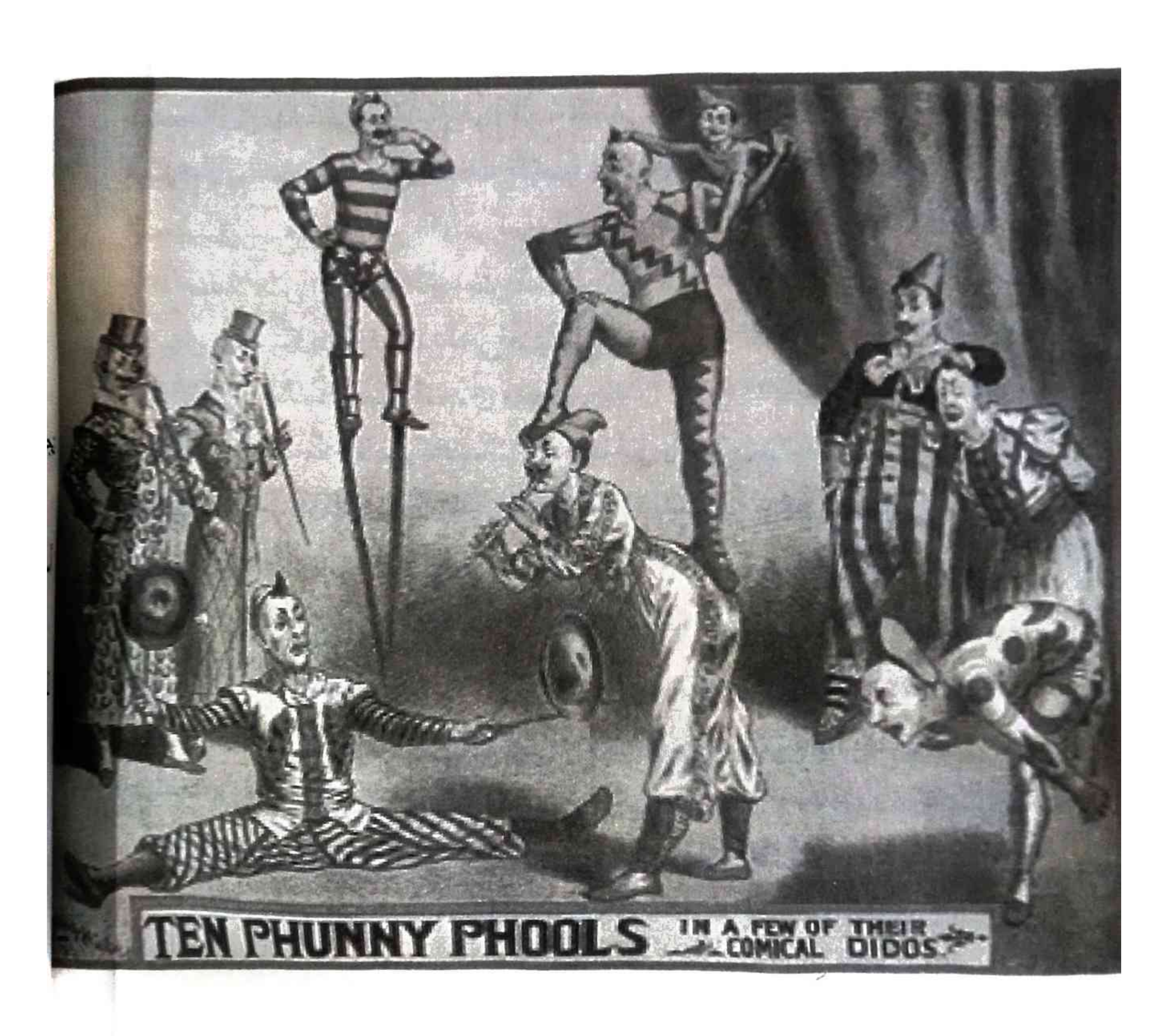
دفعَ العمّ نظاراته إلى أعلى أنفه، وكان تعبيره أصلب من الألواح الخشبية الصقيلة التي وقفنا عليها. جهّزتُ نفسي أيضًا. كان إيجاد جثّة في أيّ مكان آخر غير المختبر المُعقّم يُمثّل تحدّيًا دائمًا لنا. كنّا علماء ولسنا وحوشًا. تسلّلتُ إلى حيث قبع الصندوق وحيدًا خلف كدسٍ من الوسائد المُزيّنة بالشراريب والحرير الناعم والأوشحة البارزة من الجانبين كالأحشاء المنزوعة. أغمضَ أندرياس عينيه بإحكام، وبدا كأنه يتمنّى استحضار تغييرٍ في القدَر.

وصلَ العمّ إلى الصندوق أوّلًا، وتوقّفَ قليلًا قبل أن ينحني لإلقاء نظرة فاحصة. تسارعَت نبضات قلبي مع كلّ خطوة اتّخذتُها؛ كنتُ أعرف أنّ هناك جثة، لكن اكتشاف لمَن تعود أمرٌ بائس. أخيرًا وقفتُ فوق الصندوق ونظرتُ إلى أسفل، فانقبضَت معدتي.

"السيّدة بريسكوت." غطّيتُ فمي بيدي وهززتُ رأسي. الأم التي بدَت مُحطّمةً وضائعة بعد مقتل ابنتها على مائدتنا، التي كانت تُحدق دائمًا في البحر اللامُتناهي. تاقَ جزءٌ مني للجثو وفحصها مُحاولةً إيجاد نبضٍ كنتُ أعرف أنه توقّف منذ فترةٍ طويلة. لم

أستطع فهم كيف سنُخبر كبير القضاة أنّ هذه السفينة لم تأخذ ابنته فحسب بل زوجته أيضًا. ظهرَت الدعوة التي تلقّاها في صدارة ذهني. من الواضح أنّ القاتل أرادَ نساء آل بريسكوت على متن هذه السفينة لقتلهنّ. لكن قتله للسيّدة بريسكوت بهدوء وتركها في صندوق بدا مُختلفًا عن عروضه المسرحيّة المُعتادة. ربما أراد إلقاء اللوم بأيّة طريقة على شخصٍ آخر. ربما يدفعنا وضع جثّتها هنا إلى التحقيق مع أندرياس، فهو في النهاية ضليعٌ في معاني التاروت.

بدلاً من الانهيار تنفّستُ بعُمق. "نحتاج إلى إخطار زوجها على الفور." بالكاد تعرّفتُ على صوتي، كان باردًا وثابتًا على عكس مشاعري المُضطربة. حدّقَ مفيستوفيليس في وجهي قبل الإيماء برأسه. واجهتُ عمّي قائلةً: "لنضَعها في وضعٍ لائق عند التعرّف عليها. احمل ذراعَيها وسأحملُ ساقَيها، سنضعُها على تلك الأريكة في الزاوية."




اللوحة الشهيرة (عشرة مهرجين)



# 32
# خمسة الكوبة

## غرفة الموسيقى - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

"تعال، استقرّ بشرب بعض البراندي." مدّ الكابتن نورووود ذراعه تجاه كبير القضاة. "إذا كان هُناك شيءٌ آخر تحتاجه..."

حدّق كبير القضاة بريسكوت في زوجته دون أن يرمش، ولم أستطع فهم أفكاره.

قال عمّي: "مع كل الاحترام أيّها القبطان، لديّ بعض الأسئلة للقاضي بريسكوت أوّلًا."

تحوّل وجه القبطان إلى اللون القرمزيّ. "ليس الآن يا دكتور. ألا ترى أنه مُحطّم؟"

لم يستجِب كبير القضاة بريسكوت حتى بعد ذكر اسمه. كان غالبًا في صدمة، لكن العمّ على حقّ: كنّا بحاجةٍ إلى الضغط عليه للحصول على معلومات قد تنفعُنا على الفور. للزمن طريقةٌ غريبة في تشويه الحقائق. مع ذلك، رضخَ العمّ. "حسنًا، سنزورهُ لاحقًا."

حالما قادَ القبطان الرجل المصدوم إلى خارج الغرفة، عدتُ إلى جثّة السيّدة بريسكوت، باذلةً قصارى جهدي لمنع نفسي من

تذكّرها في الحياة. لقد وضَعناها على أريكةٍ وأسنَدنا رأسها على وسادةٍ مُطرّزة، مما جعلها تبدو كأنّها في راحةٍ وسلام، وإن كان أبديًّا.

قال عمّي مُوجّهًا انتباهه إلى توماس: "أغلِق الباب بالمزلاج." ثم قامَ بتفحّص مفيستوفيليس كما لو كان نوعًا جديدًا من العفن نحتاجُ إلى التخلّص منه. "خُذ عرّافكَ وسَيّافك واتركونا. سنتحدّث أكثر لاحقًا."

لمعَت عينا جيان قبل أن يقول: "وماذا يُمكن أن يُقال؟ جاءَ أندرياس إلى هنا للتنبّؤ بمُستقبل السيّدة هارفي عبر مرآتهِ السحريّة، عندما -" هزّ رأسه. "إنسَ الأمر، سأكونُ في مقصورتي. تعالَ أندرياس."

نظرَ العرّاف نحو المرآة وهو يعضّ شفّته. "هل سيحدُث أيّ ضرر -"

قُلت: "سأتأكّد من عدم الإضرار بأيٍّ من مُتعلّقاتك." كنتُ أعرف قيمة المرآة لدى أندرياس، ليسَ فقط بسبب قُدرتها المزعومة على رؤية المُستقبل. غادرَ هو وجيان، وانحنى سيّد الحلبة لنا في تحيّةٍ قبل أن يتبعهُما.

قالت ليزا: "سأُرافق السيّدة هارفي إلى غُرفتها." وأضافَت عندما بدا توماس جاهزًا للاحتجاج: "لا تقلق، سأبقى معها حتى تعود."

أمسكتُ بيديّ قريبَتي. "شكرًا لك."

"على الرّحب والسّعة."

أرشدَت ليزا السيّدة هارفي التي لا زالَت تُتمتم إلى الخارج، بينما جاءَ توماس بحقيبة العمّ الطبية. أشار العم إلى أسفل الأريكة. "ضعها هُناك. الآن يا أودري روز، تعالي لفحص الجثة. قولي لي ما

لاحظتِ. توماس هل أنتَ مُستعد؟"

أخرجَ صديقي المُفكرة والقلم من جيب سترته الداخلي بتعبيرٍ قاتم. "نعم يا أستاذ."

"جيّد. أودري روز؟ افعلي ما تدرّبنا عليه."

ابتلعتُ اللُقمة الخياليّة المُتنامية في بلعومي، وأجبرتُ نفسي على رؤية هذه الجثّة الجديدة فقط. تجوّلتُ حول الجسد، مُحاولةً العثور على أيّ دليل قبل أخذ شريط القياس كما فعلَ العمّ سابقًا. "طولُ الضحيّة مئةٌ وسبعةٌ وخمسون سنتيمترًا. شعرُها بُنّي مُحمرّ، مُعتنى به بدقّة. هُناك بعض الأجزاء الرماديّة منه بالقرب من صدغَيها." ثبّتُّ نفسي ورفعتُ جفنَيها للخلف. "لون العيون بُنّي." كتمتُ شهقتي. "هُناك نزيفٌ مُنقّط في بياض العينَين."

عندها تقدّمَ عمّي لفحص العينين. "ممتازٌ يا ابنة أخي. لدينا سببٌ مُحتمل للوفاة وهو الاختناق."

أومأتُ برأسي وأنا أرى ببُطءٍ لحظاتِها الأخيرة تتكشّف في ذهني. لم تكن هُناك علامات خنقٍ على عُنقها ولا خدوش أو كدمات على جسدها؛ مع ذلك فقد كان أحمر شفاهها مُلطّخًا، مما دفعَني للاعتقاد بأنّها قد خُنِقَت بشيءٍ ما. أظهرَت نظرةٌ سريعة حول الغرفة الكثير من أسلحة القتل المُحتمَلة. الوسائد والحرير والأقمشة، يُمكن أن تكون أيٌّ منها الشيء الذي أنهى حياتها. انحنيتُ لرفع يدها مُلاحظةً أنّ الجسد كان دافئ الملمس. لقد قُتِلَت حديثًا. يبدو أنّ أندرياس دخلَ المقصورة مع السيّدة هارفي، لكن لم أعرف متى وصلَ جيان. أحتاجُ إلى التحقيق في مكانه أكثر.

أشرتُ إلى الوسائد والأقمشة قائلةً لعمّي: "إذا كان هذا هو

مسـرح الجريمـة - وأعتقـدُ أنـه كذلـك لأنـه لا يُمكننـي تخيّـل شـخص يسـحب جثّتهـا إلـى هُنـا دون شـهود - فأنـا أراهـنُ أنّنـا سـنجد القليـل مـن أحمـر شـفاهها علـى أي شـيءٍ جـرى اسـتخدامه لخنقهـا."

"بلى. ماذا بعد؟"

مشـيتُ ببُـطء مـن قدمَيهـا إلـى رأسـها وعـدتُ مـرة أخـرى، لأدقّـق فـي كلّ التفاصيـل الخارجيـة. "لقـد تـمّ قـصّ جـزء مـن تنّورتهـا... هُنـاك. تـمّ قـصّ القمـاش فـي خـطٍّ مُنتظـم لا يُمكـن صُنعـه خـلال صـراع. أعتقـدُ أنّ هـذا حـدثَ بعـد القتـل."

وقـفَ تومـاس ليرفـع حافـة تنّورتهـا السـفلية ويفحـص بشـكلٍ أفضـل مـكان القمـاش المفقـود. كانـت التنّـورة جميلـة، شـاحبةً مثـل الثلـج المُتسـاقط للتـوّ مـع أشـرطةٍ مُتداخلـة مـن الفضّـة. كان تبايُـن نقـاء اللـون مـع موتهـا المُفاجـئ شـنيعًا. بـدَت المـرأة جاهـزةً لحفـل زفـاف وليـسَ لِجنـازة.

قـال تومـاس وهـو يسـتقيم: "يبـدو أنّ مَـن ارتكـب هـذه الجريمـة لديـه هـوَسٌ بالأقمشـة الجميلـة، رغـمَ غرابـة هـذا الأمـر. أعتقـدُ أنّ هـذا علـى الأقـل جـزءٌ مـن الدّافـع، لكنّـه علـى الأرجـح ليـس السـبب الرئيسـي."

نظَرنـا نحـنُ الثلاثـة إلـى بعضنـا البعـض، وبـدا أنّ عقولنـا تتسـابقُ فـي اتجاهـاتٍ جديـدة. كان هُنـاك شـخصٌ يتبـادر إلـى الأذهـان على الفـور عند التفكيـر فـي الأقمشـة الجميلـة، سـيّد الحلبـة الشـابّ نفسـه الـذي كنـتُ أدافـعُ عنـه. ألقيـتُ نظـرةً خاطفـة علـى الحريـر المفقـود. لـم يعُـد بإمكانـي إنـكار صعوبـة إخـلاء مفيسـتوفيلس مـن بعـض الذّنـب علـى الأقـل، رغـمَ أنّنـي لـم أسـتطِع أيضًـا إنـكار عـدم اقتناعـي تمامًـا بذلـك الدافـع. لقـد علّمَنـا العـمّ أهمّيـة الثقـة فـي غرائزنـا لكنّنـي لـم أعُـد أسـتطيع فعـل ذلـك،

على الأقل ليسَ عندما يتعلّق الأمر بسيّد الحلبة.

***

خرجَ عشرات الفنّانين مُرتدين أزياءهم من كلّ أركان الغرفة ليشقّوا طريقهم بين الطاولات، صامتين ومُخيفين بشكلٍ ساخر في قبّعات المهرّجين خاصّتهم ذات الأجراس المُتدلّية. كانت أقنعتهم - التي غطّت كامل وجوههم - بيضاء مع ماساتٍ سوداء مرسومة حول أعينهم وامتدّت إلى شفاههم القرمزيّة. بدا أنه بغضّ النظر عن الرّعب الذي تحملهُ فترة ما بعد الظهر فإنّ العروض المسائيّة ستستمرّ. عزفَت سيمفونيةٌ من آلات عصر النهضة لحنًا قديمًا، وبدَت آلات الكمان والقيثارة حزينة ممّا أعطى انطباعًا بأنها قد عادَت إلى الوراء لبضعة قرونٍ من الزمن.

ارتجفتُ رغمًا عني أمام أولئك الفنّانين الشبيهين بالدمى. إذا كان هؤلاء المهرّجون الفينيسيّون[1] مُرعبين، فقد كرهتُ رؤية أقنعة الطاعون تنبضُ بالحياة. كان خيال مفيستوفيليس مكانًا مُظلمًا وخطيرًا.

ذكّرَتني الكشكشة الناتئة من التول الأبيض حول ياقات وأوركة المُهرّجين بصور راقصات الباليه اللاتي تحرّرنَ من هيديز[2] لكن بثمنٍ باهظ. أكملَت مثلثاتٌ سوداء وذهبيّة من القماش تكوين الياقات والتنانير، وشكّلَت أيضًا الصدور والأكمام. لم أعرف مطلقًا كيف يُمكن اعتبار هؤلاء الأشرار مُسلّين، إذ لم يبعثوا أيّ شعورٍ لطيف خلال رقصهم وقفزهم من قدم خفيفة إلى أخرى في طابورٍ هادئ عبر الغرفة.

---

1- المهرّج الفينيسيّ: مهرجون اشتهروا بزيّهم الخاص فاقع الألوان وضحكاتهم المستمرة. (المُترجم)

2- هيديز في الأساطير الإغريقية هو إله العالم السفليّ الشبيه بالجحيم. (المُترجم)

لـم يسَـعني إلّا تخيّـل أنّ أزياءهـم قـد تـمّ تجميعهـا مـن مجموعـة مـن الأقمشـة المسـروقة مـن الضحايـا، وهـي جائـزةٌ مُروّعـة يُمكـن للقاتـل أن يُعجَـب بهـا سـرًّا كل ليلـة. كنـتُ أعلـم أنّ ذلـك غيـر مُحتمـل، لكـن قشـعريرةً سـارَت علـى ذراعـي.

نظـرَ إليهـم تومـاس بالطريقـة التـي يُحـدّق بهـا المـرء فـي حـادثٍ مؤسـف والتـوَت شـفتاه. أردتُ أن أضحـك لكنّنـي لـم أجـد الإرادة لذلـك بعـد ظهـور جثّـة السيّدة بريسكوت. لـم أسـتطع أيضًـا تجاهُـل التوتّـر مـن جدالِنـا السـابق، لقـد اسـتبعدناه مؤقتًـا فـي ضـوء تطـوّرات القضيّـة لكـن الشـعور بعـدم الارتيـاح اسـتمرّ فـي داخلـي.

قـال: "أفهـمُ المُشـعوذين الذيـن يقذفـون اللهـب، لكـن هـذا؟ مـا هدفهـم بالضبـط؟ إنّهـم غربـاءٌ فقـط. بـدأ مفيسـتو يفقـدُ لمسـته. ربّمـا قـامَ بعقـد صفقـةٍ سـيّئة مؤخـرًا، وهـو أمـرٌ مُتوقّـع. لا أحـد مثالـيٌّ مثلـي."

تمتـمَ عمّـي: "هـذا الكرنفـال برُمّتـه غريـب. سـأكون سـعيدًا لانتهائـه، بقيَـت ليلـةٌ أخـرى بعـد هـذه."

رفعَـت ليـزا كتفهـا برِقّـة. لـم تقـدر علـى المُشـاركة فـي العـرض لأنّ عمّـي حاضـرٌ هـذا المسـاء، لكنّهـا لـم تبـدُ مسـتاءةً جـدًّا مـن ذلـك. كان ثوبهـا رائعًـا للغايـة الليلـة، بكريسـتالاته الخرزيّـة المُخيطَـة علـى بتـلاتِ وردٍ ورديّـة. "هـذا بالضبـط هـو الغـرض المنشـود، إذ يكمُـن تميُّزهـم فـي غرابتهـم. أنـتَ تُركّـز عليهـم كثيـرًا، وأراهـنُ أنّـكَ لـم تُلاحـظ مـا تـمّ رفعـهُ إلـى المسـرح."

انتقـلَ انتباهـي إلـى الحركـة التاليـة التـي جـرَت بهـدوء عندمـا كانـت كلّ العيـون تنظـرُ إلـى مـكانٍ آخـر.

جلسَـت ليـزا إلـى الـوراء بنظـرة فخـرٍ علـى وجههـا. حتّـى عمّـي بـدا

مُتفاجئًا للحظة قبل أن يعود لتناول وجبته مرةً أخرى.

"سواءٌ أأحببتُموه أم كرهتُموه عليكم الاعتراف بأنّ مفيستوفيليس بارعٌ حقًا. إنه يعرفُ بالضبط وسائل الإلهاء التي يجب استخدامها." قالت ليزا ثم ركّزَت نظراتها عليّ لكي أؤيّدها، وتمنّيتُ أن أزحف ببطء لأختفي تحت الطاولة. كلامها لا يُساعد موقفي مُطلقًا. "لقد تعلّمَ هاري الكثير في غضون أسابيع قليلة فقط. مفيستوفيليس مُعلّمٌ قدير."

قال عمّي بصوتٍ خافت: "وربّما يكون قاتلًا شرّيرًا أيضًا."

قررتُ التحلّي بالشجاعة كأكثر خُصالي روعةً ونظرتُ إلى توماس. بدا كأنه قد ابتلع ضفدعًا، وسعلتُ بأدب كاتمةً ضحكتي، عندها ابتسمَ ابتسامةً مُتردّدة وفعلتُ ذلك أيضًا. كان من الجيّد أن نعود إلى نفس الصفّ معًا.

قال توماس ببرود: "نعم، سنسمعُ بعد ذلك أنهُ قد سارَ على أمواج البحر."

قُلت: "إذا حاولَ ذلك فأنا واثقةٌ من أنّ جنّيةً أو حوتًا سيبتلعهُ بالكامل." بدا توماس مُعجبًا بالفكرة. التفتُّ إلى ابنة عمّتي وانحنيتُ لتجنّب سماعي من قبل الجالسين على أقرب طاولة. "هل يستخدمُ هاري الحركات المسرحيّة كوسيلة إلهاءٍ لإخفاء شيءٍ أكثر جدّية؟ ماذا، ماذا لو سارَت إحدى تجاربه بشكلٍ خاطئ؟ هل يُخبر أحدًا أم سيُحاول إخفاء الجثث ببساطة؟ عليكِ الاعتراف أنّ الصندوق هو طريقة هوديني المُفضّلة للتخلّص من الأشياء."

حدّقَت ليزا في وجهي كأنّني قد جُننت. "النساء المفقودة والمقتولة ليسَت أفضل طريقة لتنال عروضه الانتشار في الصُحف.

هاري يُريد الشهرة وليسَ العار، الشيء نفسه ينطبق على مفيستوفيليس. لا يُمكنك الاعتقاد أنّ اللوم يقع عليهم حقًا؟"

سألها توماس: "ماذا لو كان هذا ما يُريدكِ أن تُصدّقيه؟ ربما كانت الشهرة مجرّد تضليل. هل تعرفين حقًا ما يسعى وراءه؟"

فتحَت ليزا فمها ثم أغلقَته. تخيّلتُ أنها كانت تأخذ بنصيحة والدتها بالعدّ حتى عشرة قبل التحدّث عندما لا يُمكنها إيجاد كلماتٍ لطيفة بسهولة. "هاري لن يتورط مع أيّ... ماذا؟ هل تعتقدان أنّ مفيستوفيليس قاتلٌ في الواقع؟" شخرَت بخشونة مُتناسيةً اللباقة. "إذا كنتُما تُريدان إلقاء الاتهامات فعليكُما بالتحقيق مع الكابتن نورووود. هل رأيتُما كيف يُعامل طاقمه؟ لن أشكّ في قدرته على رمي الناس في البحر إذا غضب. الرجل كابوسٌ مُطلق."

كنا مُتفقين جميعًا بشأن ذلك، بإمكاني رؤية القبطان وهو يدفع شخصًا من فوق السياج في نوبة غضب. لقد كان شخصيّةً غريبة، أحيانًا لطيفٌ ومُتعاون وعند الغضب في قمّة العُنف والشراسة. لكنّني لم أؤمن بوجود ذرّةٍ من العُنف المسرحيّ لديه في بدلته المُرتّبة تلك.

انحنَت السيّدة هارفي عبر الطاولة، وما زالت شفتاها ترتجفان من الصدمة التي تلقّتها في وقتٍ سابق. رغبتُ في أخذها واحتضانها. رغمَ صدمتها فقد رفضَت الجلوس في غرفتها، كما عرَض عليها توماس البقاء معها لتناول العشاء سويةً لكنّها رفضَت ذلك. شعرتُ أنّ إشاعة ظهور هوديني في ملابسه الداخلية ثانيةً هذه الليلة قد أعطَتها دفعةً قويّة لحضور العرض.

رغمَ أنّ معظم الركّاب الآخرين لم يشعروا بنفس الشعور، كانت

صالـة الطعـام أكثـر فراغًـا هـذه الليلـة ممـا كانَـت عليـه بالأمـس. باتـت السـفينة تتحـوّل ببطء إلـى سـفينة أشـباح، وبـدَت الأماكـن التـي امتـلأت بالحيـاة مسـكونةً وصامتـة.

سـألتنا السـيّدة هارفـي: "مـا تظنّونـه خلـف هـذه السـتارة؟ آمـلُ ألّا تكـون علبـة حليـبٍ أخـرى. لـم يُعجبنـي ذلـك العـرض، الكثيـر مـن التوتّـر مُضـرٌّ بالصحّـة. لا أعتقـدُ أننـي قـادرةٌ علـى تحمّـل رعـبٍ آخـر بهـذه السـرعة."

"ابنـة عمّتـي؟ مـا الأسـرار التـي يُمكنـكِ قولهـا لنـا؟" التفـتُّ إلـى ليـزا مستعدةً لقـول مُزحـة لتخفيـف الأجـواء عندمـا خفتَـت الأضـواء ثـم انطفـأت، تاركـةً إيّانـا فـي ظـلامٍ تخلّلـهُ ضـوء الشـموع الراقـص علـى طاولاتنـا. تمتـمَ العـمّ بشـيءٍ عـن عـدم قُدرتـه علـى رؤيـة طبقـه لكنّنـي قـرّرتُ عـدم التعليـق.

"الضيـوف الكـرام." تعلّـق صـوت مفيسـتوفيليس بـلا جسـدٍ فـي الهـواء مثـل الضبـاب. "الليلـة نطلـبُ منكـم تحويـل انتباهكـم نحـو السـماء، حيـث تُقـدّم الإمبراطـورة أروع عروضهـا. لاحظـوا أنّـهُ لا توجـد شـبكات، وإذا سـقطَت، حسـنًا... دعونـا لا نقلـق بشـأن ذلـك الآن."

أضـاءَ ضـوءٌ واحـد كاسـي وهـي جالسـةٌ علـى أرجوحتِهـا محدّقـةً فـي الجمهـور. كان علـى رأسـها تـاجٌ مـع اثنتـي عشـرة نجمـةٍ مُتلألئـة؛ أمّـا علـى صـدر زيّهـا فقـد خُيطَـت بـذور الرمـان - تُمثّـل حُكمها علـى الأرض وفقًـا لـدرس مفيسـتوفيليس حـول معانـي أوراق التـاروت - كانـت أنيقـةً ومُتغطرسـةً وفخـورةً كالملـكات. تدلّـى شـعرها فـي حلقـاتٍ ذهبيّـة علـى ظهرهـا الليلـة، واسـتطعتُ فهـم كيـفَ جسّـدَت شـخصيّةً ملائكيّـةً مثاليّـة، رغـمَ أنّنـي لـن أُخـدَع بمظهرهـا البـريء ذاك.

بدأ عرضُها ببطء، وهي تتأرجح من أحد طرفي المكان إلى الطرف الآخر، من أرجوحةٍ إلى أخرى، وبدا أنّها تبتهج كلّما تركَت أطراف أصابعها أمان إحدى الأراجيح لتُمسك بالأخرى. تذكّرتُ الرغبة في هذا الشعور بالحرّية عندما حضرتُ أنا وأخي سيركًا خلال فترة جرائم السفّاح. هُنالكَ أمرٌ جميل في ذلك التحليق الحرّ.

أعلنَ ضوءٌ كشّاف ثانٍ انضمام فنّانٍ آخر إلى العرض. قامَ الشاب بالالتواء والانقلاب حتى تقاطعَ مع كاسي وأمسَت حركاتهُما أكثر تعقيدًا.

همسَت ليزا: "هذا سباستيان. إنه يستغلّ زوايا التواءاته بأفضل شكل لهذا العرض."

شاهدتُ فنان طيّ الجسد باهتمامٍ جديد. هل كان قادرًا على قتل النساء على متن هذه السفينة وعرض أجسادهنّ بتلك الطرق المُروّعة؟ لم أتمكّن من التحدّث معه ولاحظتُ خجله في كلّ مرةٍ أقتربُ فيها منه. كان يطير فوقنا ذهابًا وإيابًا، مُتدحرجًا عبر السماء، وأمكنَني بالتأكيد تخيّل القوّة الخفيّة في جسده الرشيق.

استمتعَ بقيّة الحاضرين بالعرض بأدب، رغمَ وجود شعورٍ غامض بالرّهبة الكامنة. تساءلتُ عمّا إذا كانت مخاوفهم من أن تُصبح الأمور مُميتة أم من عدم حدوث ذلك. كان هؤلاء الركاب هم الأقلّ تأثّرًا بالجرائم، رغمَ أنهم قد يقومون بتمثيل أدوارٍ مُعيّنة حتى انتهاء هذا الكابوس.

"سيّداتي وسادتي." تردّد صدى صوت مفيستوفيليس رغم عدم قُدرتنا على رؤيته. "استعدّوا للإثارة. لقد تمّ إعداد مسرحنا، ومن المؤكد أنّ العرض القادم سيُبهركم ويُذهِلكم. يُرجى السيطرة على

أنفسكم بينما يُحاول هوديني العظيم الهروب من الموت مرّةً أخرى في زنزانة التعذيب سيّئة الصّيت خاصّته!"

قامَ توماس بفتح فمه عندما ومضَ ضوءٌ ثالث فجأةً، وارتفعَت الستارة التي تخفي ذلك الشيء على خشبة المسرح بفعل يدٍ غير مرئيّة. لم أتفاجأ من الشهقات أو الصرخات اللاحقة عندما بدأ الناس في استيعاب ما كانوا ينظرون إليه.

كانت 'زنزانة التعذيب' خزّانًا زجاجيًّا مملوءًا بالماء، من داخلها نظرَت إلينا امرأةٌ بعيونٍ بيضاء كالحليب. كنتُ سأظنّها حوريّة البحر من الأساطير لولا وضوح حقيقة أنّها كانت واقعيّةً وميتةً للغاية! بدا أنّ خمسة قلوب قد تمّ طعنُها بقُضبانٍ طويلة عبر أطرافها، التي تغيّرَ لونها من الغمر بالمياه، وعلى الجزء الأمامي من الزجاج عُلِّقَت ورقة لعب لم أستطع رؤية تفاصيلها من مكان جلوسي.

تقيّأ شخصٌ ما بالقرب منّا، لكنني لم أستطِع رفع عينيّ من الخزّان. تطلّبَ الأمر بضع لحظاتٍ للتخلّص من الرعب الذي غمرَني وإدراك أنّ هذه الضحيّة مألوفةٌ بالنسبة لي. لم تكن المرأة في الخزّان سوى السيّدة كرينشو.



# 33
# الدّافع

## صالة العشاء - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

تعثّـرَ المُهرّجـون الفينيسـيّون بالقُـرب مـن المسـرح، ولـم تعُـد خطواتُهـم المضطربـة جـزءًا مـن أدوارهـم بـل مـن الخـوف الـذي كان يثقل القُطـران وهـو يتغلغـلُ فـي أرجـاء الغرفـة. وقفـوا سـاكنين، مُحدّقيـن بصمـتٍ فـي المـرأة الميتـة، وبـدا صمتُهـم مُخيفًـا أكثـر ممّـا كان عليـه وهـم يقفـزون بيـن الموائـد قبـل قليـل.

لـو بقـيَ أيّ أمـلٍ فـي كـون هـذا جـزءًا مُروّعًـا مـن العـرض فقـد تلاشـى علـى الفـور. بعـد ثـوانٍ أدركَ الجمهـور تمامًـا مـا أذهـلَ الفنّانيـن بمـا يكفـي لوقـف موكبَهـم المُخيـف.

تسـاقطَت السـكاكين علـى الأطبـاق، وتعالَـت الشـهقات فـي الغرفـة، وجـاء صـوت ارتطـام جسـدٍ علـى الأرض مُشـيرًا إلـى إغمـاء راكـبٍ واحد علـى الأقـل. لـم أسـتطِع لومهـم. كان مشـهد السـيّدة كرينشـو وهـي تطفـو فـي ذلـك الخـزّان، بعينَيهـا البيضاوَيـن وشـعرها الطويـل المُتعـرّج عبـر المـاء، مُقتبسًـا مـن حكايـات الخيـال، حكايـةٌ مُريعـة لدرجـةٍ لا يُمكـن أن تكـون حقيقيـة.

قفزَ عمّي وتوماس من المقاعد ليندَفعا إلى الخزّان، كما لو كانا مُمثّلَين يقبلان الأدوار خاصّتهما في عرض الرّعب هذا. رميتُ منديلي على المنضدة ووقفتُ مُستعدةً للركض خلفهما، لكنّني لم أرغب في ترك ليزا والسيّدة هارفي وحيدتَين. في خضمّ دويّ الرُعب المستمرّ في جسدي هدّأتني حقيقةٌ واحدة: أنّ بقيّة الأشخاص لم يكونوا في خطرٍ داهم، على الأقل في الوقت الراهن.

صاحَ عمّي في وجه طاقم الكرنفال المتجمّد: "أغلِقوا الستائر!"

على الفور تمّت تلبية الطلب، وسُرعان ما أُسدِلَت الستائر الحبريّة، آخذةً معها منظر الجثّة الغارقة. حدّقتُ في الأقمشة المخمليّة وأفكاري تتلاطم. لو لم يتصرّف توماس والعمّ بهذه السرعة لتمكّنتُ من إقناع نفسي بأنّني اخترعتُ مثل هذا المشهد الرّهيب. جثّةٌ مسرحيّةٌ أخرى، كان الأمر صعب الاستيعاب فعلًا.

في الشهر الماضي درستُ دواخل ضحيّة غرق. لم أستطِع نسيان منظر تلك الشفاه الزرقاء والبطن المنتفخة من ذهني مهما حاولت. لكن ذلك الرجل ماتَ نتيجة حادثٍ شديد، والسيّدة كرينشو لم تكن كذلك.

ظهرَ الكابتن نورووود من مكانٍ ما بالقرب من المنصة وبدأ يأمر أفراد الطاقم كجنرالٍ يقود جيشه. في غضون ثوانٍ من وصوله تم صرف الركاب عبر الأبواب، وبغضّ النظر عن عدد جرائم القتل الغريبة التي شهَدناها فإنّ الزبائن لم يتمكّنوا من جعل مُهمّة الإخلاء سهلة.

سادَت الفوضى والشجارات حول الغرفة، وتمّ جرّ أناسٍ إلى الأرض وسحقهم تحت أقدام الجّمع الهارب. وقفتُ هُناك أطرفُ

عينـيّ دون حـراك، كمـا لـو كنـتُ شـبحًا يتجسّـس علـى مـا يجـري فـي الجّحيـم. بالتأكيـد إذا كانَ الجّحيـم موجـودًا فسـوف يـأوي مشـهدًا مثـل هـذا.

لاحظـتُ انـدلاع حريـقٍ صغيـر قُـرب مؤخـرة الغرفـة نتيجـة سـقوط الشـموع علـى بياضـات المائـدة.

"اذهبـي." تشـبّثَت ليـزا بيـديّ واتّسـعَت عيناهـا لكـن بتصميـم. "عمّـكِ يحتاجُـك هنـاك. سـآخذ السـيّدة هارفـي إلـى غرفتنـا، ثانيـةً." دفعـتُ دمـوع عينـيّ وسـحبَتني ليـزا فـي حُضـنٍ قـويّ. "كلّ شـيء سـيكون علـى مـا يـرام. سـنصل إلـى نيويـورك بحلـول مُنتصـف ليلـة الغـد. نحتـاجُ فقـط إلـى اجتيـاز هـذا اليـوم."

أومـأتُ برأسـي، غيـر قـادرة علـى فعـل المزيـد، ثـم تراجعـت. فـورَ أن شـقّوا طريقهـم نحـو المخـرج، جمعـتُ تنّورتـي وركضـتُ بأسـرع مـا اسـتطعت صاعدةً السـلّم لأختـرقَ السـتائر المخمليّـة. وقفَ مفيسـتوفيلس هُنـاك ويـداه علـى وركـه مُحدّقًـا فـي المـرأة الميتـة.

قـال: "أنـا أخبركُـم، مـن المسـتحيل أن تكـون قـد فعلَـت هـذا بمُفردهـا." دلّـت نبرتـه علـى أنّهـا لـم تكـن المـرّة الأولـى التـي يُقـدّم فيهـا هـذه المعلومـات، وكان يُحـاول البقـاء هادئًـا رغـمَ الجثّـة العائمـة فـي خـزّان عرضـه. أردفَ وهـو يُشـير إلـى الجـزء العلـوي مـن الخـزّان. "هـل تـرَون تلـك الأقفـال؟ لقـد وضعَهـا شـخصٌ فـي مكانهـا. يتطلّـب الأمـر اثنَيـن مـن رجالـي لتركيـب هـذا الخـزان. بمجـرّد دخولهـا للمـاء فـلا توجـد طريقـة مُمكنـة لكـي تُغلـق الغطـاء ثـم تقفلـه. وهـل تعتقـدون حقّـا أنّهـا طعنَـت خمسـة قلـوب ثـم لصقَـت ورقـة اللعـب التـي تحمـل نفـس الاسـم علـى الزجـاج الأمامـي؟"

"مـاذا تعنـي ورقـة خمسـةُ الكوبـة؟" سـألتُ دون قلـقٍ بشـأن إثـارة الشـكوك. "أنـتَ ضليـعٌ فـي قـراءة الطّالـع، أليـس كذلـك؟"

فـركَ مفيسـتوفيليس جبينـه. "الغَيـرة، تعنـي سـوء نيّـة الأشـخاص المُحيطيـن بـك."

قال توماس: "هذا منطقيّ، بالنظر إلى رسالتِها."

"رسـالة؟" انتقلـتُ إلـى جانـب تومـاس ولاحظـتُ وجـود مربّـع مـن الـورق فـي يـده. نظـرَ إلـيّ وسـلّمني الرسـالة بينمـا دارَ عمّـي حـول الخـزّان، فاحصًـا تفاصيلـه. قمـتُ بقـراءة الورقـة بسُـرعة وقلبـي يخفـقُ أمـام الكتابـة المُضطربـة:

"قـادَت أفعالـي إلـى مـوت تلـك الفتـاة. لقـد تعمّـدتُ أن أدفـع لهـا كثيـرًا بعـد أن أُعجِـبَ زوجـي بجمالهـا، ثـم ادّعيـتُ أنهـا قـد سـرقَتنا عندمـا استفسـرَ عـن المـال المفقـود. كنـتُ أريدُهـا أن تعلـم أنّـه رغـمَ جمالهـا الزائـد - نظـرًا لكونهـا فقيـرةً مُتشـرّدة - الـذي جـذبَ أنظـار ومُغـازلات الرجـال المُتزوّجيـن وربّمـا مـا هـو أكثـر، فـإنّ مـا أبقاهـا علـى قيـد الحيـاة هُـم المواطنـون الشـرفاء مثلـي. لقـد كنـتُ حسـودة، وكلّفَتنـي هـذه الخطيئـة أغلـى هديّـة عنـدي: ابنتـي. لا يُمكننـي العيـش بهـذا الذّنـب. أنـا حقًـا آسـفةٌ لـكلّ مـا فعلتُـه."

أعدتُ قراءة الرسالة، عاقدةً حاجبيّ. "عن أيّة فتاةٍ تتحدّث؟"

"هـذا سـؤال السـاعة يـا وادزورث." رفـعَ تومـاس كتفـه. "ربّمـا كانـت تتكلّـم عـن أمـرٍ لـم يحـدث علـى متـن السـفينة. فـي الواقـع،" - أشـارَ إلـى السـطر الثانـي - "أضمـنُ أنّ مـا يُشـير إليـه هـذا قـد حـدثَ قبـل صعـود أيٍّ منهـم علـى هـذه الباخـرة. أعتقـدُ أنّ هـذا هـو دافـع القاتـل."

سـطعَ الفهـم فـي رأسـي مثـل شـروق الشـمس. "كلّ مـا علينـا القيـام

"مـاذا تعنـي ورقـة خمسـةُ الكوبـة؟" سـألتُ دون قلـقٍ بشـأن إثـارة الشـكوك. "أنـتَ ضليـعٌ فـي قـراءة الطّالـع، أليـس كذلـك؟"

فـركَ مفيسـتوفيليس جبينـه. "الغَيـرة، تعنـي سـوء نيّـة الأشـخاص المُحيطيـن بـك."

قال توماس: "هذا منطقيّ، بالنظر إلى رسالتِها."

"رسـالة؟" انتقلـتُ إلـى جانـب تومـاس ولاحظـتُ وجـود مربّـع من الـورق فـي يـده. نظـرَ إلـيّ وسـلّمني الرسـالة بينمـا دارَ عمّـي حـول الخـزّان، فاحصًـا تفاصيلـه. قمـتُ بقـراءة الورقـة بسُـرعة وقلبـي يخفـقُ أمـام الكتابـة المُضطربـة:

"قـادَت أفعالـي إلـى مـوت تلـك الفتـاة. لقـد تعمّـدتُ أن أدفـع لهـا كثيـرًا بعـد أن أُعجِـبَ زوجـي بجمالهـا، ثـم ادّعيـتُ أنهـا قـد سـرقَتنا عندمـا استفسـرَ عـن المـال المفقـود. كنـتُ أريدُهـا أن تعلـم أنّـه رغـمَ جمالهـا الزائـد – نظـرًا لكونهـا فقيـرةً مُتشـرّدة – الـذي جـذبَ أنظـار ومُغـازلات الرجـال المُتزوّجيـن وربّمـا مـا هـو أكثـر، فـإنّ مـا أبقاهـا علـى قيـد الحياة هُـم المواطنـون الشـرفاء مثلـي. لقـد كنـتُ حسـودة، وكلّفَتنـي هـذه الخطيئـة أغلـى هديّـة عنـدي: ابنتـي. لا يُمكنُنـي العيـش بهـذا الذّنب. أنـا حقّـا آسـفةٌ لـكلّ مـا فعلتُـه."

أعدتُ قراءة الرسالة، عاقدةً حاجبيّ. "عن أيّة فتاةٍ تتحدّث؟"

"هـذا سـؤال السـاعة يـا وادزورث." رفـعَ تومـاس كتفـه. "ربّمـا كانـت تتكلّـم عـن أمـرٍ لـم يحـدث علـى متـن السـفينة. فـي الواقـع،" – أشـارَ إلـى السـطر الثانـي – "أضمـنُ أنّ مـا يُشير إليـه هـذا قـد حـدثَ قبـل صعـود أيٍّ منهـم علـى هـذه الباخـرة. أعتقـدُ أنّ هـذا هـو دافـع القاتـل."

سـطعَ الفهـم فـي رأسـي مثـل شـروق الشـمس. "كلّ مـا علينـا القيـام

به هو معرفة إلامَ يُشير هذا، ومن ثمّ سنعرف القاتل."

تحرّك مفيستوفيليس إلى جانبي الآخر وشخرَ قائلًا: "آه، هذا كلّ شيء؟ ينبغي ألّا يكون ذلك صعبًا على الإطلاق."

نظرَ إليه توماس بطريقةٍ جعلَتني أهزّ رأسي، وقال: "ربّما ليس لشخصٍ مثلك، لكن بمقدور شخصٍ يتمتّع بذكاءٍ وفطنةٍ أكبر أن يضع روابط. لاحِظ." أخذَ توماس الرسالة بلُطف وتنحنحَ قارئًا: "رغمَ جمالها الزائد نظرًا لكونها فقيرةً مُتشرّدة... بناءً على هذه الجُملة يُمكن استنتاج أنّ الفتاة المقصودة عملَت في مهنةٍ أقلّ من مستوى السيدة كرينشو، لكنّها ليسَت مُتدنيّة لدرجةٍ تمنع اللقاء بينهما، الأمرُ الذي يقود المرء إلى التفكير في بضعة احتمالات." تمتمَ مفيستوفيليس: "أنتَ لا تُطاق."

ابتسمتُ قائلةً: "لقد بدأ للتوّ."

تجاهلَ توماس التعليق وأخذَ بتعداد الأعمال المُحتملة على أصابعه. "بيع الطعام، بيع الحُلي، وبيع الشرائط أو الحرير. بالنظر إلى مستوى السيّدة كرينشو أشكُّ في أنّها ستقوم بأيّ تسوّق لشراء الموادّ الغذائيّة، تعتبرُ ذلك أدنى منها بكثير وستترك هذه المُهمّة لموظّفي المطبخ. كما لا أستطيع تخيّلها وهي تشتري حُليةً لم تأتِ من متجرٍ معروف، ولن تهتم بأيّ شيءٍ غير باهظ الثمن بما يكفي لتتباهى به أمام السيّدات في جلسات الشاي الأسبوعيّة. قد تكون الزهور أو الشرائط أو الحرير هي الجواب الصحيح، إذ ستُظهر هذه الأشياء مدى ثروتها وقُدرتها على إنفاق الأموال على أشياء تافهة."

هزّ مفيستوفيليس رأسه. "أنتَ ذكيٌّ للغاية، أليسَ كذلك؟"

قال توماس: "بالطبع أنا كذلك. هل من المُفترض أن تكون هذه

إهانة؟ علامَ ستُعلّق بعد، اللون الذهبيّ في عينيّ؟ أم حدّة زاوية فكّي؟"

"الحجم الخارق لِغرورك؟"

انتشرَت ابتسامةٌ شرّيرة ببطء على وجه توماس. "إنه ليس الشيء الوحيد الخارق الذي يُمكنني التباهي به."

"تقصد أنه لو كانَت هذه قصّة فسوف تكون البطل، أليسَ كذلك؟"

"لا تكُن سخيفًا." قال توماس وبدا أنه شعرَ بالإهانة حقًا. "أنا مُظلمٌ وغامض، ومن المُرجّح أن أحضنكَ أو أقتلكَ لمجرّد نزوة. هل يبدو هذا بطوليًّا بالنسبة لك؟ ليس كلّ الأبطال عباقرة وذوي وجوه وسيمة، مع ذلك فقد سخّرتُ مواهبي الهائلة من أجل الصالح العامّ."

"آه، فهمتُ الآن." ارتعشَت شفاه مفيستوفيليس. "أنتَ مُختلّ عقليًا." "أفضّلُ صفة 'مُتقلّب المزاج'. وقعُها أجمل على الآذان."

تنحنحت. "بصراحة، كلاكُما طفوليّ. هل يُمكننا لُطفًا التركيز على المرأة المسكينة في الخزّان؟"

لحُسن الحظّ اختارَ جيان وهوديني وأندرياس العودة إلى الكواليس في تلك اللحظة، شحبَ كلٌّ منهم لرؤية الجثّة لكنّهم تمكّنوا بأعجوبة من إبعاد أنظارهم عنها دون الإصابة بالغثيان. لاحظتُ وقوف أنيشا خلف الستائر بالقرب من سباستيان وكاسي، وعلى وجوههم تعابير مُتماثلة من الصدمة والرّعب.

نظرَ هاري إلى مفيستوفيليس نظرةً ثابتة. "الجميع يتحدّثون عن إيقاف الكرنفال حتّى الوصول إلى نيويورك، ومن ثمّ تركه إلى الأبد."

كان على وجه سيّد الحلبة تعبيرٌ كئيب، بدا كأنه استسلم لحقيقة أنّ أحلامه تجاوزَت مرحلة الإنقاذ. انتفضَ شيءٌ في أعماقي تائقًا لإصلاح الوضع برُمّته. قبل أن يتمكّن مفيستوفيليس من التعليق تقدّمتُ قائلةً: "نحنُ على وشك حلّ جرائم القتل." رفعتُ صوتي حتى يسمعوني، على أمل أن أبدو أكثر ثقةً بهذه الحقيقة ممّا شعرتُ به. "لقد اكتشَفنا بالفعل مهنة الفتاة التي وصفَتها السيّدة كرينشو في رسالتها. لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا لجمع باقي قطع الأُحجية."

ألقيتُ نظرةً خاطفة على كلّ فنان، ثم نظرتُ إلى مفيستوفيليس. كان من الصعب تمييز شيء بالتأكيد خلف قناعه، لكن بإمكاني أن أُقسم أنني رأيتُ امتنانًا في عينيه.

قُلت: "يجب أن تستمرّ العروض. هذا ما تفعلونه جميعًا. امنحوا الركّاب شيئًا من الأمل والإلهاء، هُم بحاجتِه وأنتُم كذلك، أكثر من أيّ وقت مضى. لنجعل العرض الختاميّ شيئًا يستحق التذكّر."



# 34
# مُشتبهٌ به مُذهِل

## ممشى الدرجة الأولى - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

"كلا، كلا، كلا." نزّلَت أنيشا يدي المكشوفة عدّة بوصات. "إذا حملتِ العصا بهذا القُرب من اللهب فسوف تُشعلين النار في نفسك. تنّورات أزيائنا قابلةٌ للاشتعال بوجود ذلك التّول. يجب أن تُبقيه بالقُرب من النهاية. جيّد، الآن حرّكيه ببُطء، تخيّلي أنّكِ ترسمين على السماء باللهب."

رفعتُ حاجبي. "أرسمُ على السماء باللهب؟ تبدو كأنّها لوحةٌ دراميّة بالفعل."

ابتسمَت أنيشا ببطء. لقد مرّت ساعات قليلة فقط على اكتشاف جثة السيّدة كرينشو، ولا زال التوتّر طاغيًا. "لقد اعتدتُ الرسم قبل أن تُصبح حياتي على هذا النحو." تلاشَت الابتسامة. "شجّعَت عائلتي إبداعي، رغم أنّهم لم يُوافقوا أبدًا على السيرك."

مرّت بضع لحظات من الصمت بيننا لم يقطعها سوى طقطقة النار الناعمة. لو لم أكن أحمل شعلةً لاحتضنتُها. "حسنًا، أنتِ الآن تجسيدٌ حيّ للعمل الفنّي، وهذا أمرٌ لا يُصدّق -"

"لقد قرأتُ الرسالة! كيف تنكُرها؟" سمعتُ صوت ليزا الثاقب، وأغمضتُ عينيّ لفترةٍ وجيزة. لم أتفاجأ لكنّني كرهتُ حقيقة أنّ قريبَتي قد أطلقَت العنان لنفسها الآن. كنّا قريبين جدًا من نيويورك، وبإمكانها الانتظار لفترةٍ أطول قليلًا. "انتهى الأمر، انتهينا! لا أرغبُ في رؤيتكَ أو التحدّث إليكَ بعد الآن!"

"لم أكتب رسالةً إلى أحد!"

دخلَت ليزا صالة الطعام غاضبةً، بوجهها المُحمرّ للغاية، مُتجاهلةً كل مُحاولات هوديني لإيقافها. تبادلنا أنا وأنيشا نظرات التوتّر لكنّنا أبقَينا أفواهنا مُغلقة. تمنّيت أن أعود إلى الأرجوحة مع كاسي وسيباستيان، بعيدًا عن الألعاب الناريّة التي كانت تجري خارج المسرح. أثبتَت نظرةٌ أخرى في اتجاه أنيشا أنها شعرَت بالشيء نفسه، فقد حدّقَت آكلة اللهب بحزنٍ نحو الستائر، مُتمنّيةً على الأرجح امتلاك مهارات الهروب التي امتازَ بها هوديني.

"ليزا، المرأة الوحيدة التي أكتبُ إليها هي أمّي! يجب أن تُصدّقيني -"

"لا يا هاري، لا يجب أن أفعل أيّ شيء!" سارعَت عبر الغرفة وألقَت قناعها عند قدميه. "خُذ أكاذيبك وقُم ببيعها لشخصٍ آخر. لقد انتهَت هذه المُحادثة!"

"أُقسِم -"

خطا مفيستوفيليس داخل الغرفة مع جيان وأندرياس، وتوقّفَ عندما رآنا أنا وأنيشا مُمسكتَين بهراواتنا المُشتعلة وليزا وهاري يجوبان المكان. "مُشاجرات العُشّاق ممنوعة خلال التمرينات. يُرجى حفظ الدراما الزائدة للعروض الخاصّة فقط."

رمقَت ليزا سيّد الحلبة بأقسى نظرةٍ لديها ورفعَت ذقنها. "لقد انتهَينا. تأكّد من بقائه بعيدًا عنّي، أو سيكون لديك عرضٌ جديدٌ تمامًا بين يديك."

قالَتها وأغلقَت الباب، قارعةً الأواني الزجاجية التي تمّ إعدادها بالفعل لعشاء ليلة الغد. همَّ هاري بمُلاحقتها لكن مفيستوفيليس أوقفهُ بوضع يده على صدره. "دَعها تهدأ. ليسَ من الحكمة مطلقًا الضغط على شخصٍ غاضب."

"لكنّني لم أفعل شيئًا خاطئًا!"

"لنُحضر لأنفسنا مشروبًا لطيفًا." لفّ مفيستوفيليس ذراعه حول فنّان الهروب ورافقَهُ عبر الطاولات إلى الجانب الآخر من الغرفة. "علينا دعم بعضنا البعض الآن. العرض يحتاجُكَ في أفضل حالاتك."

نظرَ إليّ من فوق كتفه، ثم قادَ هوديني المُستاء إلى الخارج. هزّت أنيشا رأسها قائلةً: "ربما ينبغي أن نُطفئ النار. أريدُ قسطًا من الراحة وعليكِ فعل الشيء نفسه." انحنَت نحوي شامّةً شعري. "قد ترغبين في الاستحمام قبل الصباح، فرائحةُ شعرِك تُشبه رائحة الكيروسين قليلًا. سيكون من الصعب إخفاء ذلك عن توماس أو عمّك."

أومأتُ برأسي تلقائيًا وتبعتُ أنيشا إلى دلوٍ من الماء تم إعداده مسبقًا، حيث أطفأتُ هراوتي المُشتعلة فيه. أزعجَني إصرارُ هوديني على البراءة، بدا صادقًا ووجههُ مُنكمشٌ من الألم. إمّا أنهُ كاذبٌ خبير وإمّا كان يقول الحقيقة، أو نسخةً منها. ممّا يعني وجود احتمال قويّ بأن سيّد الحلبة قد صاغَ وهمًا آخر، كذبة أخرى تُضاف إلى قائمةٍ خشيتُ أنها لن تنتهي معه. ربما لم يكن هوديني هو الشخص

الـذي تحتـاج ليـزا للهـروب منـه فـي نهايـة المطـاف.

***

بعـد بضـع سـاعات تسـلّلتُ مـن غرفتـي، علـى أمـل مـرور وقـتٍ كافٍ لأجـد مَـن أبحـث عنـه. لـم يكـن بالقـرب مـن مُقدّمـة السـفينة، مـا يعنـي أنّـهُ فـي واحـدٍ مـن مكانَيـن آخرَيـن فـي هـذه السـاعة. نظـرتُ مـن فـوق كتفـي لأتأكّـد مـن أنّنـي بمُفـردي، ثـم اتجهـتُ نحـو السـلّم. نزلـتُ علـى الـدرج ولسـعَت بـرودة المعـدن باطـن قدمـيّ، لتُذكّرنـي بمـدى نشـاطي ومـدى خطـورة الأوضـاع علـيّ.

اقتحمـتُ مخـزن الحيوانـات وقفـزَ ميفيسـتوفيليس قليـلًا لكنـهُ اتّـزنَ بسُـرعة. تفحّصَنـي مـن الظـلال فأجَبتُـه بالمثـل. كان قناعـهُ ثابتًـا فـي مكانه، رغـمَ كـون قميصـه مُجعّـدًا ورطبًـا. بـدا حالُـه بمثـل فظاعـةِ شـعوري.

"لقـد كذبـتَ علـيّ." راقبتُـه عـن كثـب باحثـةً عـن أيّ صـدع فـي الـدرع الـذي كان يرتديـه مثـل أقنعتـه. "بشـأن رسـالة هودينـي... كان يُراسـل والدتـهُ أليـسَ كذلـك؟"

لـم يجـرؤ مفيسـتوفيليس حتّـى علـى رمـش عينيـه، بينمـا انتقلَـت نظراتـه مـن عينـيّ إلـى فمـي، قبـل أن يبتسـم قليـلًا أمـام عُبوسـي. "أنـا لـم أكـذب يـا عزيزتـي. إن كنـتِ تتذكّريـن تلـك الليلـة، فأنـا لـم أزعـم قـطّ أنـه كان يكتـب إلـى عاشـقةٍ سـريّة. هـل فعلتُهـا؟"

"آه؟ ألـم تفعـل؟" هتفـتُ بسُـخرية. "إذًا أفتـرضُ أنّنـي جلبـتُ الرسـالة المُلطّخـة بنفسـي واختلقـتُ قصّـةً تتماشـى معهـا دون مُسـاعدة."

بقـي ينظـرُ إلـيّ، واختفَـت الفكاهـة مـن وجهـه وهـو يقـول: "اعتبريـه أوّل درس حقيقـيٍّ لـكِ فـي ألعـاب خفّـة اليـد يـا آنسـة وادزورث. خفّـة اليـد أداةٌ قيّمـة لأيّ سـاحر أو رجـل اسـتعراض أيضًـا، والعقـل سـاحرٌ

مُذهِل، قادرٌ على صُنع سحرٍ لا نهاية له. ما قلتُه وعرضتُه لكِ في تلك الليلة كان مجرّد رسالة مُلطّخة، لقد اختلقَ عقلك قصّةً وقفزَ إلى نهايتها. لم أقُل مطلقًا أنّ لديه عاشقةٌ سرّية، ولم أزعُم شيئًا سوى أنه يكتب لشخصٍ ما ويُرسل رسالةً من كل مدينة."

هززتُ رأسي، مُتمنّيةً هزّ الرجل الذي أمامي. "لكنّكَ قُلتَ إنهُ أحبّها."

أومأ مفيستوفيليس. "بلى. أظنّ أنه يُحبّ والدته كثيرًا."

"لقد زعمتَ أنّ ليزا لا تعلم بشأن الرسائل والمرأة، جعلتَني أعتقد أنّ هناك شيئًا آخر يحدث... أنت..." عدتُ ذهنيًا إلى ليلة الصفقة، وغرقَت معدتي مع كل ذكرى جديدة لمُحادثتنا. لم يكذب، لكنهُ لم يقُل الحقيقة كاملة.

سألني: "أنا ماذا؟ لقد عرضتُ عليكِ الحقائق يا آنسة وادزورث، وافترضتِ أنّني أعني الحبيبة، كما افترضتِ أنه غير جدير بالثقة ببساطة بسبب مهنتنا. تعارضَ حُكمكِ المسبق مع قُدرتكِ على الاستفسار أكثر بشأن الأمر، وطرح أسئلة أكثر تحديدًا لفصل الحقيقة عن خيالات عقلك. لقد أُتيحَت لك الفرصة لتوضيح الأمور ولم أكن لأكذبَ عليك. كان هذا اختيارًا قُمتِ به، هل استفدتِ منه؟ بالطبع. لا أنكر حقيقة أنّني استخدمتُ هذه الطريقة على أشخاصٍ من قبل، وسأفعلُ ذلك بالتأكيد في المستقبل. إذا كنتِ غاضبةً من أحد فيجبُ أن تغضبي من نفسِك. لقد خلقتِ وهمًا بالحقيقة التي أردتِ رؤيتها."

"أنتَ شخصٌ فظيع."

"أنا دقيقٌ للغاية في قراءة البشريّة. غيّري سلوك البشر يا آنسة

وادزورث، وسأغيّر تكتيكاتي."

"لقد جعلتَني أحطّم قلب ليزا دون سبب وجيه."

"حقًا؟ ألا يُمكنكِ التفكير في سببٍ واحد إيجابيّ؟" مالَ رأسه. "هل تعتقدينَ حقًا أنّها تنتمي إلى كرنفالٍ مُتنقّل مع فنّان هروب؟ أم أنّها مجرّد نزوة لها عواقبٌ وخيمة؟ لقد أسديتِ معروفًا لابنة عمّتكِ يا آنسة وادزورث، لكن في بعض الأحيان لا يأتي ذلك في باقاتٍ طيّبة الرائحة. من المُمكن أن يكسر هوديني قلبها في النهاية، أو هي تكسرُ له قلبه. الخيار الصحيح ليسَ الخيار السهل دائمًا." قدّمَ انحناءةً خفيفة. "آملُ أن تفهمي ذلك يومًا ما. طابَ مساؤك."

"آه كلّا." قلتُ وأنا أمشي وراءه وأجذبه ليُواجهني. "لا يُمكنكَ فعل هذا."

"فعل ماذا بالضبط؟"

"صبّ الكيروسين وإشعال النار ثم الابتعاد عندما تغدو النيران أكثر سخونةً ممّا تُريد."

اتّكأ على قفص الأسد بتعبيرٍ مُفكّر. كنتُ آمل أن يُقرّر الأسد تناول وجبةً خفيفة في منتصف الليل، وهي فكرةٌ مُقزّزة بعد معرفة أنّ الحيوان قد أكلَ جزءًا على الأقل من أحد الضّحايا، ضحيّةٌ لم نتعرّف عليه بعد. ارتجفتُ فخلعَ مفيستوفيليس معطفه ليلفّهُ على كتفيّ، وذكّرَني المخمل القرمزيّ المطرّز بالدّماء.

"أنا أستخدمُ العلم وأدرسُ العقل البشريّ بنفس طريقتِك." أجابَ بهدوء. "لا تغضبي لأنّكِ سلكتِ الطريق التقليديّ المُملّ. لا يزال بإمكانك تغيير الخَيار، كما تعلمين. إن رغبتِ في إضرام النار في عالمكِ سأعطيكِ علبة الثقاب اللازمة."

"مُملّ؟ سامِحني إن لم أجد مُتعةً في تدمير حياتي لمجرّد نزوة. ربّما يجب عليكَ التركيز على تصميم الأزياء الجميلة."

"إن رغبتِ في الانضمام إلى كرنفال منتصف الليل خاصّتي بشكلٍ دائم لتقديم المزيد من الأفكار الممتازة فلن تحتاجي إلّا إلى السؤال ببساطة."

"أنتَ في منتهى الجنون إذا ظننتَ أنّني سأرغبُ يومًا ما بالانضمام إليكَ في استخدامكَ الفاسد للعلم والهندسة. عروضُك أشياءٌ عنيفة ووحشيّة. كلّ ما تُظهِرهُ لنا هو مدى بشاعة العالم."

رفعتُ يدي باحتجاج عندما ابتسم. "ما المُسلّي في هذا؟"

"أجدُ انفعالاتكِ مُحبَّبة."

قلتُ: "أجدُ افتقاركَ إلى التعاطُف مُروّعًا. هل تكون جادًّا في أيّ وقتٍ من الأوقات؟"

"بالطبع، أنا بجدّية أصدَقُ شخصٍ أعرفُه." قال بهدوءٍ مُستفزّ. "الحقيقة خنجرٌ وحشيّ وباردٌ كالجليد. إنها تجرح، وتترُك ندوبًا في بعض الأحيان عندما يجري التحدّث بها بلا مُبالاة. إنّ عروضنا تكشف هذه الحقيقة ولا تأسف لذلك. أقولها ثانيةً، إن كنتِ منزعجةً من أيّ شخص فهو نفسُك. ما الحقيقة التي اكتشفتِها عندما كُشِفَ عن ذلك الخزّان الليلة؟"

"غير الجثّة؟ اكتشفتُ أنّكُم جميعًا على استعداد لفعل أيّ شيء من أجل كرنفالٍ غبيّ."

"هل هذا كلّ شيء؟" ابتسم. "هل استمتعتِ بالمشهد؟ أراهنُ أنّ قلبَكِ نبضَ بشكلٍ أسرع، وتعرّقَت راحتا يديكِ بالرّهبة والترقّب. نحنُ جميعًا مفتونون بالموت، إنه الشيء الوحيد الذي يشترك فيه كل

واحدٍ منا. مهما كانت مكانتُنا في الحياة فيجبُ أن نموت جميعًا، ولا نعرف أبدًا متى سيحدُث ذلك. رؤية شخصٍ ما على وشك الغرق بحدّ ذاته ليس أمرًا مُخيفًا، بل الحقيقة وإدراكُ ما يُثيرنا حقًا هو ما يُرعبنا أكثر."

"لستُ واثقة من معرفتي لما ترمي إليه."

"فعلًا؟" أمالَ رأسه. "أخبريني يا آنسة وادزورث، تخيّلي هذا: عندما تُسدَل الستارة حول الخزان وتبدأ الساعة في العدّ، وتدقّ تلك الثواني بصوتٍ عالٍ بما يكفي للتسبّب في اضطرابات القلب، ماذا يهمسُ لكِ ذهنكِ بين دقّات قلبك؟ هل تُصلّين سرًّا لكي ينجح هوديني؟ هل تأملين في أن يتغلّب على الموت في مواجهة الصّعاب التي تبدو مُستعصِية؟ أم أنّكِ جالسةٌ هناك، بقبضتَين مشدودتَين تحت الطاولة، في رهبةٍ وتوقُّع احتمال أنّكِ على وشك رؤية شيءٍ نخشاهُ جميعًا؟ ما الأكثر إثارة؟ الأكثر رعبًا؟"

بلعتُ ريقي بصعوبة دون جواب، لم أحتَج إلى ذلك. رغمَ أنّنا لم نحصل على فرصة لمُشاهدة العرض الذي تحدّثَ عنه، كان مفيستوفيليس يعرف بالفعل ما سأقوله على أيّة حال.

قال: "هذه هي الحقيقة التي نُقدّمها. نحن جميعًا في أمسّ الحاجة إلى وسيلةٍ للتغلّب على أكبر تهديد على الإطلاق: الموت. في الوقت نفسه نشعر جميعًا بالجوع إليه عندما يتعلّق الأمر بشخصٍ آخر. قد تكرهينها وتنكرينَها وتلعنينَها، لكنّ الحقيقة تظلّ أنّكِ مفتونةٌ بهِ بنفس القدر. معرفة أنّ اللهب ساخنٌ ليسَت دائمًا رادعًا عن اللّعب بالنار."

عندما لم أقُل شيئًا رفعَ كتفه، لكن كان هُناك ارتعاشٌ حول فمه

يُكذّب لا مُبالاته. "الحياة مثل العروض، تستمرّ سواءٌ اتّفقنا معها أم لا. إذا توقّفنا عن العيش وعن الاحتفال بوجودنا في مُواجهة الموت أو الفَقد، فيجبُ علينا النزول إلى قبورنا."

واتَتني فكرة. "مَن كان صاحب فكرة زنزانة التعذيب الليلة... أنتَ أم هوديني أم القبطان؟"

"دعينا نُسمّيها اتفاقٌ مُشترك." زأر الأسد فجفلَ مفيستوفيليس بعيدًا عن القفص ثمّ قامَ بتعديل سترته. "ماذا عرفتِ فيما يتعلّق بموت السيّدة بريسكوت؟"

أنّ أيّ شخص، بما في ذلك هو، يُمكن أن يكون قد وضعَها في ذلك الصندوق. ارتجفت. تلك امرأتان محشورتان في صندوق وخزّان، كلاهُما مكان استراحةٍ رهيب. "سنقومُ بإجراء تشريح الجثّة في الصباح. طلبَ زوجها ليلةً واحدة ليُودّعها."

"هل أنتِ واثقة من أنّكم ستُحدّدون سبب الوفاة؟" أومأتُ برأسي، غير راغبة في الاعتراف بأنّنا قد اكتشفنا بالفعل أنّها على الأرجح ماتت مخنوقة. "هذا مُثيرٌ للإعجاب."

"الأمر ليس مُثيرًا أو صعبًا حقًا بمجرّد أن تتدرّب بشكلٍ كافٍ."

"قد يقول البعض أنّ العمل الذي تقومون به مستحيل. فكّري في الأمر لِلحظة. تأخذون الجثّة وتفتحونَها لكشف القرائن المتروكة فيها، يبدو مُستحيلًا لأيّ شخصٍ غير مُتدرّب في مجالك. قراءة الموتى، وتحديد سبب الوفاة عن طريق النظر، ومن خلال تحديد العضو الذي لم يعمل بشكلٍ صحيح؟" سارَ في دائرةٍ ويداه خلف ظهره. "عليكِ تلطيخ يديكِ، أليسَ كذلك؟ حينَما تفعلين شيئًا يعتقد الآخرون أنه مستحيل - بغضّ النظر عن المكان أو الظروف - فلا

مفرّ من تلطيخ يديكِ في أثناء العمليّة."

أخذتُ خطوةً غير ثابتة إلى الوراء، وكدتُ أنزلق بالقرب من قفص النمر. كانت هُناك أجواء اعتراف في كلماته، تلك التي تجعل زغاب الشعرات الصغيرة على طول ذراعيّ تقف في حالة تأهّب. لم أعرف شيئًا عن هذا الشابّ، باستثناء قُدرته على التضليل والخداع.

خفقَ قلبي بشدّة. هل كان مفيستوفيليس يستخدمُني كَحيلة طوال هذا الوقت؟ قد تكون لقاءات أنصاف الليالي هذه هي طريقته في تشتيت انتباه توماس، بجعلهِ يعتقد أنّ هُناك شيئًا عاطفيًا يجري بيننا بشكل سرّي، ومن ثمّ دفعه إلى عدم رؤية أيّة أعمالٍ شرّيرة أخرى يُمكن أن يرتكبها. قد يثقُ توماس بي لكن مهما أنكرَ ذلك فهو في النهاية إنسان، ويُمكن العبث بمشاعره مثل مشاعر الآخرين، تمامًا كما حذّرَت ليزا.

وقد أعماني مفيستوفيليس شخصيًا بنفس القدر. كنتُ أفعل بالضبط ما طلبهُ لأنني أردت مُساعدة ابنة عمّتي بأيّ ثمن، حقيقةٌ لاحظَها على الفور. يتمّ تدريب السحرة على قوّة المُلاحظة وسُرعة البديهة، وكان مفيستوفيليس من بين أمهرِهم.

كان يُراقبني من الظلال، وخلفه الأسد في القفص يطوفُ ذهابًا وإيابًا. كان هُناك شيءٌ مُظلم وماكر في مفيستوفيليس، أشبه بقطٍّ شبعان يُقرّر ما إذا كان الفأر الذي أمامه يستحقّ القتل الآن، أم يدّخرهُ ليوم آخر عندما يجوعُ حقًا. لم أعرف مُطلقًا بماذا يرغب أكثر وما الذي أثارَني أكثر... ربّما كنتُ مُنحرفةً ضالّةً من الداخل مثله.

لم يقترب لكنهُ تمكّنَ من ملء الفراغ الفاصل بيننا على أيّة حال. كنتُ أتوق إلى ردٍّ ذكيّ، لإثبات عدم خوفي من مُحاولة الفوز

في ألعابه، لكنهُ نظرَ إلى يديّ وقال: "إذا كنتِ ترغبين في إنجاز أمورٍ عظيمة فيجبُ أحيانًا أن تتّسخ يديكِ خلال الصّعود، لكنّكِ قد فعلتِها حقًا من أجل مساعيك. من الغريب أنّكِ لا تسمحين لي بنفس الشيء."

لاحظتُ لطخة الأوساخ على راحتَيّ، وفركتُ يديّ لكن البقعة رفضَت أن تخفّ. لا بدّ أنّني قد أمسكتُ بقضبان قفصٍ في وقتٍ ما. رغمَ أن شكل الأيادي المُلطّخة يُثير أعصابي لكنّني قد غمستُ يديّ في الدماء لمراتٍ لا يُمكنني عدُّها.

"بفضل اضطراب البحر قالَ القبطان أنّنا لن نصل إلى اليابسة قبل يومٍ واحد من الآن يا آنسة وادزورث." استدارَ مفيستوفيليس ليذهب ثم توقّف، وأصابعه تنقر على دعامة الباب. "أتمنّى بصدق أن تتمكني من حلّ جرائم القتل هذه لصالحنا نحن الاثنان. قد لا ينجو الكرنفال من ضربةٍ أخرى. هُناك أكثر من طريقة لجعل المرء يغرق."



# 35
# ثمانية السيوف

## مقصورة أودري روز - الباخرة إتروريا
## 7 يناير 1889

تسلّلتُ إلى غرفتي وشعرتُ بالارتياح حين وجدتُها شاغرة. لا بدّ أنّ ليزا مع بقيّة الفنّانين للترويح عن نفسها، والسيّدة هارفي على الأرجح نائمة. لن يعرف أحدٌ شيئًا عن لقائي مع الشيطان في منتصف الليل.

"أحمقٌ مُستفزّ." جلستُ على حافة السرير ولمستُ بشرود زهور الأوركيد المُخيّطة على تنّورتي الحريريّة، بينما كانت كلمات مفيستوفيليس تتردّد في ذهني. هُناك بالتأكيد أكثر من طريقة لقتل شخص، ومَن أرهبَ ركّاب السفينة على درايةٍ جيّدة بهذا الأمر.

أخرجتُ أوراق اللعب من منضدتي ووضعتُها على البطّانيات. تمّ العثور على نصفها مع الجثث والنصف الآخر قُربَ مسارح الجرائم. آس السُباتي، ستة الدّيناري، آس البستوني، وخمسةُ الكوبة. مع ذلك فإنّ جرائم القتل نفسها قد جرى عرضُها على غرار بطاقات التاروت ومعانيها.

خمسة الكوبة مُرتبطةٌ بالغيرة، وآس السُباتي بالثروة. كانت السيّدة

كرينشو تشعُر بالغيرة من شابّةٍ مجهولة الهوية. لقد جرى طعن بطاقة آس السُباتي على الآنسة بريسكوت في ليلة الافتتاح، ربّما يكون والدها قد تقاضى رشوة. فركتُ صدغيّ، لا شيء من ذلك منطقيّ. ما لم... ربّما مَن ارتكبَ هذه الجرائم يُشير إلى أنه أو أنها يكشفُ أوراقهُ ليراها الجميع. كانت فكرةً بعيدة لكنّها نقطة انطلاق معقولة.

تصفّحتُ المُلاحظات الأخرى التي دوّنتُها ونشرتُها إلى جانب البطاقات. يعتقدُ عمّي أنهُ أحيانًا قد يظهر نمطٌ أو تستوعبُ أدمغتَنا شيئًا ما بعدَ كتابته. نادرًا ما خذلَتني أساليبُه، وقمتُ بإضافة بعض المُلاحظات الجديدة:

- بطاقة التاروت في عرض جيان: العدالة.
- الجسد مطعونٌ بسبعة سيوف. (ابنة الدكتور آردن، التاروت: سبعة السيوف)

توقفتُ قليلًا، متذكّرةً قول مفيستوفيليس بأن اسمها سبعة السيوف المقلوبة، ومعناها... كان معناها... شيئًا عن شخصٍ يعتقدُ أنه أفلتَ من عقاب، أو هكذا قال. هل هذا يُشير إلى أنّ ابنة الدكتور آردن كانت مُتورّطة؟ ربما ظنّت نفسها بريئةً من أيّة جريمةٍ قد تكون ارتكبَتها؟ لم تكن لديّ فكرة إلى أين أذهب للحصول على الإجابة، فالدكتور آردن ما زال يرفض مُغادرة غُرفته أو الردّ على الباب، وكان عناد القبطان يزداد مع اقترابنا من أميركا. مضيتُ قدمًا بإضافة المعلومات التالية:

- بطاقة التاروت النّجم (الجثة المُحترقة على خشبة المسرح)
- تمّ العثور على خاتم الزمرّد وتأكيد كونها الآنسة كرينشو. معنى التاروت: "التحوُّل"؟

- تـم العثـور علـى سـتة الدّينـاري فـي مقصورتهـا. معناهـا غيـر معـروف لحـد الآن.

- سـبب الوفـاة: البيلّادونـا السـامّة الموجـودة ضمـن محتويـات المعـدة.

- العثـور علـى ذراع مقطوعـة فـي قفـص أسـد، مـا زالـت مجهولـة الهويّـة، علـى الأرجـح ذكـرٌ وفقًـا للفحـص. تُـرِكَ خاتـم الـزواج علـى حالـه.

- وُجِـدَت السـيّدة بريسـكوت مخنوقـةً فـي صنـدوق، بـلا تـاروت. مـا الصلـة؟

- ماتـت السـيّدة كرينشـو فـي خـزّان، وُجِـدَت خمسـة الكوبـة بـدلًا مـن التـاروت. تركـت ملاحظـة توضّـح بالتفصيـل جرائمهـا حسـب تصوّرهـا. مـع ذلـك لا يُمكنهـا وضـع نفسَـها بنفسـها فـي ذلـك الخـزّان. معنـى البطاقـة: الغيـرة.

عدّلـتُ جلسـتي وأدرت رأسـي فـي اتجـاه ثـم الآخـر، مـادّةً عضلاتـي. هنـاك بالتأكيـد نمـطٌ مُشـترك بيـن الجرائـم باسـتثناء الـذراع المقطـوع والجثّـة التـي تـمّ العثـور عليهـا فـي عنبـر الشـحن، لا يبـدوان علـى صلـةٍ بجرائـم القتـل الأخـرى. مـا لـم يكونـوا ضحايـا سـيّئي الحـظّ شـهَدوا الجرائـم وأمكنَهـم الإبـلاغ عنهـا، أو أمكنَهـم التعـرّف علـى القاتـل...

"مـاذا ينقصُنـي؟" سـألتُ نفسـي بصـوتٍ عـال. "مـاذا يربطُكـم جميعًا؟ مـا القصـة التـي ترويهـا هـذه البطاقـات بمعانيها؟"

فكّـرتُ فـي السـلوك الغريـب للدكتـور آردن، وكيـف منعَنـا مـن التحـدّث مـع كبيـر القضـاة بريسـكوت، وكيـف كـذبَ علينـا علانيّـة. مِـمَّ اختبـأ هـو وآل بريسـكوت؟ ولمـاذا لا يـزال غيـر راغـبٍ فـي التحـدّث إلينـا

حتّى بعد مقتل ابنته؟

كبير قضاة وطبيب، سيّدةٌ نبيلة مؤنّبة الضمير، شاهدان مُحتمَلان، مع نمطَين مختلفَين من البطاقات كلاهما يحمل معانٍ سرّية تنتظرُ فكّ شفرتها. قضمتُ شفتي السفلية، مع ازدياد تركيزي على فكرةٍ تشكّلَت ببطء حول حافّات عقلي. إذا كان توماس على صواب فمن المحتمَل أنّ السيّدة كرينشو قد صادفَت فتاةً تبيعُ شيئًا استحقّ اهتمام السيّدة كرينشو. مع ذلك لا تبدو الأشرطة عامل تفاخُر كافٍ في جلسات الشاي. إن كنتُ سأقيمُ حفلةً فخمة - أو رغبتُ في أن تبدو كذلك - كنتُ سأشتري أكبر عدد مُمكن من الزهور. هذا من شأنه إعطاء انطباع قويٍّ بالثروة، خاصةً إذا جاءَت الزهور من دفيئة[1] . تسارعَ نبضي، إنهُ السيناريو الأكثر منطقيّة.

لقد تلقّى كلٌّ من آل كرينشو وآل بريسكوت تذاكر ركوب مجانيّة على الإترووريا، وعرفَ كلٌّ منهما الآخر قبل الإبحار. إذا قامَت السيّدة كرينشو بإزعاج زوجها بدرجةٍ كافية فربّما يكون قد ذهبَ إلى صديقه كبير القضاة لرفع شكوى على فتاة الزهور. ربّما لم يُقدّموا لها مُحاكمةً عادلة، وبدلًا من ذلك أرسلوها إلى الإصلاحيّة، التي كانت ظروفها على الأرجح أكثر بؤسًا من الشوارع التي حاربَت من أجل العيش فيها.

لكن ما دور الدكتور آردن في هذه النظريّة؟ سحبتُ رزمة التاروت التي أعطاني إيّاها مفيستوفيليس، لامسةً الحافّات المُزخرفة لبطاقة الموت، وأفكاري تمتزج. الأطباء يُكلّفون بمُعاينة المرضى، حتّى

1- الدفيئة: أكواخٌ مغلفة من الزجاج لتربية النباتات بدرجة حرارة معتدلة طوال السنة. (المُترجم)

أولئك الذين ارتكبوا جرائم. ربما كان هو طبيب السجن وقامَ بإعطاء سمٍّ قاتل بدلًا من العلاج، وبالتالي لم يكن موت الفتاة حادثًا. ربّما طلبَ أحد أصدقائه الأغنياء ذوي النفوذ منه هذا الجميل فنفّذهُ لهم. هل يُمكن أن يتورّط كلٌّ منهم في مؤامرةٍ أكبر لتغطية جرائمهم؟ ذلك يُفسّر سبب رغبة الدكتور آردن في منع الجميع من التحدّث. كلّما شحّت أقوالهم قلَّت إمكانيّة إثبات تورّطهم في جريمة قتل ارتكبوها بأفعالِهم.

نظرتُ حول المقصورة. بدأ الوقت يتأخر ويجب أن تعود ليزا قريبًا. آخرُ شيء تحتاجهُ أن تواجه المزيد من الصدمات. رتّبتُ فوضى الأدلّة التي جمعتُها ووضعتُها في دُرج منضدتي، تاركةً رُزمة التاروت للنهاية. لقد مرّت ابنة عمّتي بما فيه الكفاية من المتاعب و... بينما كنتُ أُغلقُ الدُرج لفتَ انتباهي صندوقٌ صغير مغلقٌ بشريطٍ معقود.

شعرتُ بدمي يتجمّد عندما لاحظتُ بطاقة التاروت 'ثمانية السيوف' موجودة تحته. كان ردّ فعلي الأوّلي التقاط الصندوق ورميه عبر الغرفة، ثم الصراخ حتى يسمعني أحدهم. لكن عقلي المنطقيّ والفضوليّ لم يستطع تحمّل فكرة تدمير أيّة أدلّة. لقد تركَ شخصٌ ما هذا الصندوق عن قصدٍ داخل منضدتي، ولم يبدُ ذلك بدافع اللُطف.

بنبضٍ شديد مددتُ يدي لأضعَ الصندوق في حضني. لم يكن كبيرًا جدًا، لكنّني ما زلتُ مُترددةً في فتحه. خيّمَ حولي شعورٌ كريهٌ مُظلم. مهما احتوى هذا الصندوق فلن يكون سارًّا. حدّقتُ في بطاقة التاروت للحظات، في سبيل استجماع قوّتي لهذه المهمّة

الجديدة. على البطاقة وقفَت امرأةٌ معصوبة العينين وسط قفصٍ من السيوف، وكان جسدها كلهُ مقيّدًا بالحرير، مُشيرًا إلى استحالة الفرار. بدَت أنّها كنايةٌ جيّدة لوضع هذه السفينة.

عادَ انتباهي إلى الصندوق، وتنفّستُ بصعوبةٍ أكبر. يجب أن أركض إلى مقصورة العمّ وأفتحها هناك، لكن الوقت متأخر، وماذا يُمكن أن يفعل غير تقديم المساعدة المعنوية؟ إذا تلقّى هو أو توماس الصندوق فلن ينتظروا كثيرًا قبل فتحه. مع ذلك، أعطيتُ لنفسي لحظةً أخرى للتركيز على التنفّس بثبات، وببطءٍ وحذر قمتُ بسحب الشريط، وقبل أن أفقدَ أعصابي رفعتُ الغطاء. في الداخل، وعلى سريرٍ من المخمل الناعم، كان هُنالك إصبع.

رمشتُ بعينيّ بينما تضخّمَت الأصوات في الغرفة... فجأةً بتُّ أسمع حركات عقرب الساعة بوضوح، وصوت موجات المُحيط وهي تُداعب بهدوء بدن السفينة. حتى أنّني سمعتُ صريرًا قادمًا من الباب الجانبيّ حيث بدا أنّ السيّدة هارفي قد استيقظَت. كلّ ذلك كان صاخبًا. ركّزتُ على الشهيق والزّفير. رغبتُ حقًا في رمي الصندوق من غرفتي لكنّ في ذلك إهمالًا وتطرّفًا. لا يُمكن لإصبعٍ مقطوع أن يؤذيني.

تمّ تثبيت قطعة مطويّة من الورق أسفل الإصبع، وتناثرَ عليها القليل من الدّم. إذا كان الإصبع قد أزعجَني فقد غمرَتني موجةٌ جديدة من الذعر الآن. رسالةٌ من قاتل لا تعني إلا الشّقاء.

ارتجفَت يداي وأنا أُخرِجها من الصندوق، مع الحرص على تفادي لمس الدليل الجديد. فتحتُ الورقة، وكنتُ ممتنّةً لجلوسي لأنني لو كنتُ واقفةً لانهرتُ على الفور.

"آنسة وادزورث، اعتبري هذا التّحذير الأوّل والأخير لكِ. أوقِفي التحقيق وإلّا ستكون القطعة القادمة التي ستسلمينَها من قريبتكِ هي رأسها. شارفَ عرضي على الانتهاء، وإذا نجحتِ في لعب دوركِ الجديد كشابّةٍ مُطيعة سأُخلي سبيل ليزا في الميناء حيّة. إن لعبتِ دورًا آخر فلن يكون مصيرُكِ لوحده على المحكّ."

أعدتُ قراءة التهديد وقلبي ينبض أسرع من أفكاري.

ليزا... ليزا في خطر.

كانت لدى القاتل، وأنا أعلمُ بكل ذرّةٍ من كياني أنه يعني كلّ كلمةٍ كتبَها. لقد قامَ بالفعل بتشويه يدها البريئة المسكينة. سيقتلها ويُحوّل جسدها إلى مشهدٍ مسرحيّ آخر، وكلّ ذلك بسببي. ضغطتُ بيديّ على عينيّ حتى رأيتُ ومضاتٍ بيضاء خلف أجفاني المغلقة. لم يكن بإمكاني الجلوس وانتظار عودة ليزا سالمة. كان ذلك ضدّ كلّ مبادئي وضميري، لكنّني أيضًا لم أستطِع توضيح بحثي عنها.

وقفتُ أتجوّل في المقصورة الصغيرة، شاعرةً تمامًا بشعور الطائر المحبوس في قفصٍ معدنيّ. كيف يُمكن لهذه السفينة أن تحتوي على هذا العدد من الزوايا والمخابئ والأماكن المُظلمة لارتكاب كل هذه الأفعال الشنيعة! هرعتُ إلى حائط الخدمة واتّصلتُ بإحدى العاملات. كنتُ بحاجةٍ إلى إبلاغ الشخص الوحيد الذي يُمكنه المُساعدة في هذه الحالة. كتبتُ ملاحظةً تحتوي على تعليمات حول مكان اللقاء، بعد أن ارتديتُ معطفي مع قفّازاتٍ سميكة قبل وصول الخادمة.

"خُذي هذا على الفور. أرجو إخباره بأنّ الأمر عاجل."

أومأت برأسها وغادرَت بسرعةٍ كما وصلت. لم أقدر على

الانتظار أكثر فتسللتُ خارجةً إلى الليل، مُسرعةً نحو المكان الوحيد المتبقّي حيث أشعرُ بالخلاص من الجدران المعدنيّة التي حبسَتني.



# 36
# موعد مُنتصف الليل

## ممشى الدرجة الأولى - الباخرة إتروريا
## 8 يناير 1889

حدّقتُ في الامتداد الشاسع للمُحيط، وشاهدتُ العدَم يتحوّل إلى وحشٍ هائلٍ لدرجةٍ محَت أيّ أملٍ عندي في الهروب منه. اشتدّت دقّات قلبي، وباتَ من العسير استيعاب ظنوني في بداية هذا الأسبوع بأنّ هذه الرحلة ستوحي إليّ بأحلام يقظةٍ ورديّة.

الآن خُطِفَت ليزا، وإصبعها في صندوقٍ من المخمل، وهُناك سفينةٌ مليئةٌ بركّابٍ غامضين يملكُ كلٌّ منهم الفُرصة والدّافع. بالتأكيد يجب أن تكون الإجابة موجودة، تتلألأ مثل قطعةٍ من الزجاج المكسور تعكس ضوء القمر، في انتظار مَن يكتشفها. ليتَني فقط استطعتُ إيجادها قبل حدوث شيءٍ لا يُمكنني تصوّره لابنة عمّتي.

شعرتُ بوجوده والتفتُّ إليه قبل أن يتكلّم. في الظلام لم يكن أكثر من شبحٍ قبل أن يخطو مُقتربًا. تلعثمت: "هل... هل اكتشفتُم أيّ شيء؟"

لفّ توماس معطفه حول كتفيّ ونظرَ إلى البحر. "أمرَ القبطان نورُوود الطاقم بأكمله بتفتيش السفينة. إنّهم يُمشّطون كلّ شبرٍ منها.

غضبُ عمّك أكثر تحفيزًا من أيّ شيءٍ آخر على ما أعتقد. بشأن ليزا..." تنفّسَ بحدّة وزفرَ بصوتٍ عال. "لن يكفّوا عن البحث عنها."

أمسكَ بي عن قرب، لكن ذلك لم يمنع الارتجاف الداخلي من اكتساح جسدي. لقد تعرّضَت ليزا للتعذيب، وأنا أقفُ وراء ذلك. ميولي البائسة للانخراط في حلّ الجرائم وضعَها الآن في قلب واحدةٍ منها. كان أبي على حقّ طوال تلك الأشهر الماضية. الأشخاص المُحترمون لا يُعرّضون أنفسهم لحُثالة البشر.

نظرتُ إلى الأمواج السوداء، منطويةً تحت ذراعي توماس. بقينا على هذا الحال لبضع لحظات، رغمَ أنّ داخلي كانَ يصرخ طالبًا التحرّك بسُرعة. أردتُ الركض من غرفةٍ إلى أخرى والصراخ حتى نجد ليزا. إن لم أُسيطر على مشاعري وأصفّي ذهني فلن أنفع ابنة عمّتي. قد يزجّوني في الزنزانة وهذا لن يؤدي إلّا إلى تعقيد الأمور.

آه يا ليزا... انقبضَ قلبي. كنتُ أتوق إلى ضرب نفسي على سياج السفينة والغوص في قاع المحيط. بدلًا من ذلك قلت: "لا يُمكنني التخلّص من شعور أنّ رابطًا قد فاتَنا. ما علاقة البطاقات بكلّ شيء؟"

نظرَ إليّ توماس من زاوية عينه. "في هذه المرحلة لستُ متأكدًا من أهمّية ذلك."

"كلّ شيءٍ مهم وأنتَ تعرف ذلك." تنهّدت. "جاك السفّاح اختارَ النساء اللواتي أُجبرنَ على بيع أنفسهنّ، واستهدفَت قضيّة دراكولا في الغالب أفرادًا من عائلة باسَراب. ماذا عن هؤلاء النساء؟ يجب أن يكون هناك ما يربط بعضهم بالبعض الآخر في عقل القاتل. كيف تتشابه قطع اللغز هذه؟ والأهم من ذلك... مَن كان يعرفهم قبل أن

تطأ أقدامهم الإترورِيا؟ ولماذا أخذَ ليزا؟ ما علاقتُها بما يفعل؟"

"حسنًا، يبدو أنّهم يعرفون بعضهم البعض قبل الصعود إلى هذه السفينة. هذه حقيقةٌ بين الدكتور آردن وآل بريسكوت على الأقلّ. أمّا ابنة عمّتك؟" استنشقَ توماس بعُمق. "إنّها غالبًا مجرّد قطعة مُقايَضة. نحنُ نحقّق تقدّمًا على حساب القاتل وهو غير راضٍ. لقد دُسنا على طرفه وهو يردّ الضربة الآن."

جذبتُ معطف توماس عليّ بينما هبّ هواءٌ جليديّ عبر الممشى. "هُناك شيءٌ يُزعجني بشأن البطاقات ولا يُمكنني معرفة السبب."

رفعَ حاجبه وعيناه تتألّقان. "لديكِ فكرة، أليسَ كذلك؟"

"تعال." قلتُ وأنا أجذبهُ نحو المقصورات، بعد أن استطعتُ أخيرًا استغلال طاقتي. "أعرفُ مَن قد يحمل إجابةً لنا."

***

فتحَ هوديني باب غرفته وألقى نظرةً مُرهقةً علينا. لقد فُوجئتُ بكونه لوحده، لا جيان ولا أندرياس ولا حتى مفيستوفيليس معه. على طاولةٍ صغيرة بالقُرب من سريره رأيتُ كتابًا فيه رسوماتٌ ومخططات، بدا أن معظمها ابتكاراتٌ من شأنها جعل الموت يرتجف.

"هل ستمضي قدُمًا في خدعة زنزانة التعذيب؟" سألتُه وأنا أخطو وسط فضاء الغرفة الكبير بعد أن مدّ ذراعه مُرحّبًا بنا. تمّ تكديس العديد من الصناديق والمناضد في أكوامٍ فوضويّة، انبثقَت منها بطاقاتٌ وأصفادٌ وسلاسل.

"لن أترك هذا العمل. بغضّ النظر عن عدد الجثث التي تظهر هُنا وهُناك، لن يُخيفني أيّ شيء.

" ضاقَت عيناه. "هل أرسلتكِ ليزا إلى هنا؟"

تسبّبَ سماع اسمها في وخزاتٍ سارَت عبر جسدي. لم يكن قد سمعَ بعد أنّها آخر الضحايا. لم أستطع إجبار نفسي على الردّ، فتقدّمَ توماس قائلًا: "كلّا." - كان صوته دافئًا بما يكفي ليبدو تحذيرًا - "لكن الآنسة وادزورث سترمي بك إلى المُحيط بسرور إذا حافظتَ على هذه النبرة." أضافَ بعد ارتباك هوديني: "إنّها صاحبة العضلات، ومن الواضح أنّني صاحب السّحر."

هزّ هوديني رأسه كأنه يُحرّر نفسه من حماقة الفكرة وهو ينتقل إلى السرير. "إن لم تُرسلكِ ليزا فلماذا أنتِ هنا؟"

"لديّ أسئلةٌ حول ورق اللّعب." قاطعتُ توماس قبل أن يتمكّن من تقديم المزيد من سحره. "بصفتكَ ملك البطاقات أظنّكَ الشخص المثاليّ للإجابة عليها."

نظرَ إليّ بحذر لكنه أومأ برأسه في النهاية. "ماذا تريدين أن تعرفي؟"

أخرجتُ البطاقات التي عثرتُ عليها على الضحايا - أو بالقرب منهم - ووضعتُها على الطاولة، دون الشعور بالسّوء لاحتفاظي بها. في العادة لم أفكّر قطّ في العبث بالأدلّة. لم تكن لديّ أدنى فكرة عن أهمّية الترتيب الزمنيّ لظهورها، لكنّني بذلتُ قصارى جهدي لعدّها حسب الفترة الزمنية التي شُوهدَت فيها لأوّل مرة.

"خمسة الكوبة، آس السباتي، آس البستوني، ستّة الديناري." قال وهو ينظر إليها. "أين باقي المجموعة؟"

قلتُ مشيرة إلى البطاقة الأولى: "هذا كل ما لديّ... هل تعني هذه البطاقات بحدّ ذاتها شيئًا؟"

لم يبدُ أنه لاحظَ التردّد الطفيف في كلامي. التقطَ البطاقات وتفحّصَها بعناية من كل جانب. "مبدئيًا هذه مجموعة مفيستوفيليس الشخصيّة."

باتَ توماس في غاية السكون بجانبي. "كيف يُمكنك تأكيد ذلك؟"

حرّك هوديني شيئًا ما على البطاقة بإصبعه. "هل ترَون هذا؟" انحنيتُ لإلقاء نظرة أقرب على الأشواك المنسوجة حول حافّات كلّ بطاقة. "وهذه؟" أظهرَ لنا هوديني كتابةً ممزوجة دقيقة تُشكّل الأشكال الدائرية على ظهر البطاقات، وهي عبارة لاتينيّة تعني...

"انتصِر أو مُت؟" سألتُه شاكرةً بصمت المُدير مولدفانو لإجبارنا على تقوية لغتنا اللاتينيّة.

"ربّما." رفعَ هوديني كتفه. "لا يُهمّني ما يعنيه هذا."

"لماذا يجعلكَ هذا تعتقد بأنّ مفيستوفيليس هو صاحب هذه البطاقات؟"

"إنه يضع هذه الأشواك والعبارة اللاتينيّة على جميع أغراضه. بالتأكيد لاحظتِ ذلك في غرف التدريب." ابتسمَ هوديني. "كما أنهُ منقوشٌ على النافورات التي رأيتِها ليلة رقصكِ مع الجنّية الخضراء. قد لا تتذكّرين ذلك، نظرًا لاشتراككِ في تناول المشروب."

شعرتُ بانتباه توماس عليّ، وأدركتُ أنه كان يعمل ببطء على حلّ لغز معنى هذه الجملة. من الواضح أنني قد أخفيتُ عنه أمورًا ولم يبدُ سعيدًا بذلك، لكن حسب معرفتي به سينزعج أكثر لأنه لم يستنتج ذلك أوّلًا.

سـألتُه: "مـاذا يُمكنـكَ أن تُخبرنـا أيضًـا عـن هـذه البطاقـات؟ مـا أهميّتُهـا المُحتَملـة؟"

حدّق بهـا هودينـي مـرةً أخـرى وهـو يقـول: "سـتّة الديناري معروفـةٌ بالمشـاكل الرومانسـيّة ومُشـاجرات العشّـاق المألوفـة، وفقًـا لابنـة عمّتك."

"ليـزا أخبرتـكَ بذلـك؟" سـألتُه عابسـة. كنـتُ أعلـم أنّ ابنـة عمّتـي تُحبّ جلسـات تحضيـر الأرواح والأمـور الغرائبيّـة لكنني لـم أعـرف بشـأن موهبتهـا فـي قـراءة البطاقـات. كان بإمكانـي طلـب مشـورتها فـي هـذا الجانـب طـوال هـذا الوقـت.

"أخبرتُهـا أنّ هـذا محـض هُـراء، فقالـت: وكذلـك مُغازلـة باقـي الفتيـات، ثـم خرجَـت بغضـب." التقـطَ آس البسـتوني، وقلبَـهُ فـي اتجاهيـن. "هـذا يعنـي سـوء الحـظّ، وفـي بعـض الأحيـان يعنـي نهايـةً صعبـة." قـام بتدويـر بطاقتـي آس السباتي وخمسـة الكوبـة. "لسـتُ متأكـدًا بشـأن هاتَيـن. مـن المُحتَمـل أن يُسـاعدكِ سباسـتيان أو أندريـاس أو حتّـى أنيشـا فـي هـذا، إن لـم تسـتطِع ليـزا ذلـك. لكـن لا ترفعـي سـقف آمالـك، هـذه الأوراق لا تعنـي شـيئًا حقًّـا. إنهـا مجـرّد بطاقـات لعـب."

سـألتُه: "أنيشـا خبيـرةٌ أيضًـا فـي قـراءة الأوراق؟ اعتقـدتُ أنّهـا تعـرف قـراءة التـاروت فقـط."

أعطانـي هودينـي نظـرةً غريبـة. "هـي مَـن أقنـعَ مفيسـتوفيلس بضـرورة تدريـب الجميـع علـى ذلـك، لغـرض توسـيع نطـاق أعمالنـا عبـر توفيـر المزيـد مـن العرّافيـن. لـم يقُـم أندريـاس قبـل مجيئهـا سـوى بعـرض تلـك المـرآة البافاريّـة خاصّتـه، وبصراحـةٍ لـم يكـن ذلـك جيـدًا بمـا يكفـي."

دارَت أفـكاري باحتمـالاتٍ جديـدة. إذا كانـت أنيشـا موهوبـةً فـي قـراءة كلا النّوعيـن مـن البطاقـات فقـد تكـون هـي الشـخص المنشـود.

ربّما لم تكن مشاعرها تجاه مفيستوفيليس كما ظننت. لقد افترضتُ احتمال دخوله في صفقاتٍ مع العائلات التي تمّ استهدافُها لكنّها لم تُوافق.

رفعَ هوديني حاجبيه، ربّما في تساؤلٍ عن مظهر الإثارة الذي ظهرَ على وجهي. قُلت: "شكرًا لك، لقد كنتَ مفيدًا جدًا."

أشارَ إليّ توماس بالخروج من الغرفة، ثم توقّف وأصابعه تنقر على إطار الباب بينما كان يتفحّص هوديني. "لماذا كنتَ تتجادل مع ليزا أصلًا؟"

انحرفَت نظرة هوديني إليّ وتمنّيتُ ألّا يسألني عنها. سأجدُ صعوبة في شرح كيف شاهدتُ شجارهُما في إحدى تدريباتي السرّية، كنتُ أخشى بالفعل تبرير أمر الجنّية الخضراء الذي علمتُ أنه ينتظرني. مرّت اللحظة ورفعَ كتفه قائلًا: "هُناك امرأةٌ ميتة تطفو في خزانتي وكلّ ما تريد معرفتُه هو مَن السيّدة التي أكتبُ إليها في أميركا." زفرَ هوديني بقوّة. "أخبرتُها أنه لا يوجد شيء، ولا حبيبة لديّ في أيّ مكان. المرأة الوحيدة التي أحبّها أو أكتبُ لها في أميركا هي أمّي، لكن ليزا لم تُصدّق ذلك."

صمتَ توماس للحظةٍ وتركيزه يتنقّل في أنحاء الغرفة. لم أعرف ما استنبَطهُ عنها وعن فنّان الهروب الشابّ. "نعم، أعتقدُ أنها لم تُصدّقك. طابَ مساؤك."

تطلّبَ الأمر أقصى جهودي لكيلا أطرح عشرات الأسئلة بينما كنّا نشقّ طريقنا عبر الممرّات الفارغة لصعود السلالم. عندما وصلنا إلى الطابق الثاني توقّفت. لقد توارَينا في مدخل السلم، وأملتُ ألّا يسمعنا أحد.

ربّما لم تكن مشاعرها تجاه مفيستوفيليس كما ظننت. لقد افترضتُ احتمال دخوله في صفقاتٍ مع العائلات التي تمّ استهدافُها لكنّها لم تُوافق.

رفعَ هوديني حاجبيه، ربّما في تساؤلٍ عن مظهر الإثارة الذي ظهرَ على وجهي. قُلت: "شكرًا لك، لقد كنتَ مفيدًا جدًا."

أشارَ إليّ توماس بالخروج من الغرفة، ثم توقّف وأصابعه تنقر على إطار الباب بينما كان يتفحّص هوديني. "لماذا كنتَ تتجادل مع ليزا أصلًا؟"

انحرفَت نظرة هوديني إليّ وتمنّيتُ ألّا يسألني عنها. سأجدُ صعوبة في شرح كيف شاهدتُ شجارهُما في إحدى تدريباتي السرّية، كنتُ أخشى بالفعل تبرير أمر الجنّية الخضراء الذي علمتُ أنه ينتظرني. مرّت اللحظة ورفعَ كتفه قائلًا: "هُناك امرأةٌ ميتة تطفو في خزانتي وكلّ ما تريد معرفتُه هو مَن السيّدة التي أكتبُ إليها في أميركا." زفرَ هوديني بقوّة. "أخبرتُها أنه لا يوجد شيء، ولا حبيبة لديّ في أيّ مكان. المرأة الوحيدة التي أحبّها أو أكتبُ لها في أميركا هي أمّي، لكن ليزا لم تُصدّق ذلك."

صمتَ توماس للحظةٍ وتركيزه يتنقّل في أنحاء الغرفة. لم أعرف ما استنبَطهُ عنها وعن فنّان الهروب الشابّ. "نعم، أعتقدُ أنها لم تُصدّقك. طابَ مساؤك."

تطلّبَ الأمر أقصى جهودي لكيلا أطرح عشرات الأسئلة بينما كنّا نشقّ طريقنا عبر الممرّات الفارغة لصعود السلالم. عندما وصلنا إلى الطابق الثاني توقّفت. لقد توارَينا في مدخل السلم، وأملتُ ألّا يسمعنا أحد.

سألتُه: "حسنًا، هل تُصدّقه؟"

"بلى، لكنّني قد لا أصدّقُ كل كلمةٍ تخرج من فمه." تنفّسَ توماس بعُمق. "أعلمُ أنك لا تريدين رؤية الحقيقة خلف أوهام مفيستوفيليس يا وادزورث، لكن اعتبارًا من هذه اللحظة اعتبريه خطيرًا. إنه يُخفي أسرارًا، وقد ظهرَت أوراق اللعب خاصّته مع كل ضحيّةٍ تقريبًا."

جادلتُه: "وهو أمرٌ واضحٌ أكثر من اللازم فيما يتعلّق بتراكُم الأدلّة. يجب أن تعترف، يبدو الأمر كأنّ شخصًا ما يبذل قُصارى جهده لجعله المشتبه به الأوّل في القضيّة. ماذا عن أنيشا؟ لم نشكّ فيها كثيرًا لكن من الجليّ أنّها خيارٌ وارد."

قال توماس وهو يُخفض صوته: "بلا شك." نظر إلى أسفل عابثًا بأزرار كمّه، وانقبضَت معدتي. "يجب أن نتكلّم."

لم أستطع إنكار معرفتي بقدوم مُحادثة جادّة بيننا، رغمَ أن جزءًا مني تاقَ إلى الهرب والاختباء. هناك بعض الأمور التي أفضّلُ عدم مواجهتها. "حسنًا."

طوى توماس ذراعيه على صدره وراقبَني عن كثب. "هل كنتِ تُقابلين مفيستوفيليس في الليل؟" لم يكن سؤالًا حقًا، لكنه صاغهُ على هيأة سؤال من باب اللباقة. بلعتُ ريقي بصعوبة وأومأت، وقد غمرَني الجُبن. "هل شربتِ الأفسنتين ورقصتِ... معه؟"

أغمضتُ عينيّ آخذةً نفسًا عميقًا. "بلى."

عندما لم يردّ توماس على الفور تمكّنتُ أخيرًا من إلقاء نظرةٍ خاطفة عليه. كنتُ أتوقّع رؤية تعابير الغضب والخيانة بوضوح عبر وجهه، لكن ما وجدتُه كان أسوأ بكثير. قبل أن يتجرّد وجهه من المشاعر رأيتُ لمحةً عن ذلك الفتى الذي لم يُصدّق قطّ إمكانيّة أن

تُحبّه فتاة، الفتى الذي وعدتُه بألّا أؤذيه أبدًا، وعدٌ حنثتُ به لأحطّمَ قلبه الرقيق. كانت عيناه خاليتَين من كلّ شيء عندما التقتا بنظراتي.

قال بصوتٍ أقرب إلى الهمس: "كنتُ أعني ما قلتُه عن كونكِ حرّة. إن كانت هناك فُرصة في... إن كنتِ تعتقدين أنّ قلبكِ -" رمشَ بسرعةٍ لإخفاء أيّة علامةٍ للدموع قبل أن ألاحظَها، ثم تنحنح. "لن أخبركِ أبدًا مَن تختارين أو أيّ طريقٍ يجبُ أن تسلُكيه. لكنّني أطلبُ منكِ أن تُخبريني بشيءٍ واحد: هل لديكِ مشاعرٌ تجاهه؟"

"أنا..." دقّ قلبي على أضلاعي. أردتُ أن أصرخَ أنّ هذا سؤالٌ سخيف، لكن لسببٍ ما فشلَت الكلمات في الخروج من شفتيّ. يُمكن لتوماس اكتشاف الكذبة بسهولة، كما يرى المرء الشمسَ في الأفق، ولم أنوِ الكذب عليه. كانت الحقيقة مُعقدّةٌ وفوضويّة، لكنهُ يستحقّ معرفة كلّ شكٍّ يكمُن بداخلي. رفعتُ يديّ براحتَين مبسوطتَين. "أنا... لستُ متأكّدة ممّا أشعرُ به."

قامَ بفرك يديه على وجهه، ومددتُ يدي، كارهةً نفسي بسبب الصراع الدائر في داخلي. شبكتُ يديه وسحبتُهما بحثًا عن طريقةٍ لتهدئته وتبديد مخاوفه، لكن أيّ شيء أقولهُ الآن سيبدو كذبًا.

الحقيقة التي لم أرغب في مُواجهتها كانت بسيطة. بطريقةٍ ما - لن أسمّيه حبًّا أو أيّ شيءٍ قريب منه فقد كان الوقت مُبكّرًا جدًا لذلك - لكن بطريقةٍ ما أدركتُ أنّ قلبي قد يكون قادرًا على إيجاد الاهتمام بشخصٍ آخر. يُمكنني نُكران ذلك أو التظاهر بعدم وجوده، لكنّني بدأتُ في الاهتمام بمفيستوفيليس. كان شعوري مثل برعمٍ صغير هشّ، إذا أُعطيَ قدرًا كافيًا من العناية والرعاية فقد ينمو إلى شيءٍ جميل. لم أعرف ما يعنيه ذلك لي ولتوماس، وقد استحقّ أن

يكـون هُنـاك مَـن يُحبّـه حبًّـا خالصًـا دون ارتيـاب.

لـم يقُـم أيٌّ منـا بالتـودّد رسـميًا إلـى أيّ شـخصٍ ثـانٍ مـن قبـل، فمـاذا نعـرفُ عـن أنفسـنا وعـن العلاقـات، ناهيـكَ عـن الـزواج؟ لـم أستطِع أن أريحَـهُ مـن شـكوكه حينَمـا لا يُمكنني فهـم شـكوكي. قـد تكون هـذه مجـرد هفـوةٍ مؤقّتـة فـي الحُكـم - ردّ فعـل مبنـي علـى الخـوف - وقـد يكـون مؤشّـرًا علـى أنّنـي لسـتُ مسـتعدة بالكامـل لهـذا النـوع مـن الالتـزام. علـى الأقـل حتـى أتمكّـن مـن التخلّـص مـن الشّـكوك.

"توماس... أنا -"

"رجـاءً، لا." رفـعَ يـده. "لـم أقُـم حقًّـا -" هـزّ رأسـه. "رغـمَ جرأتـي وقُدرتـي علـى قـراءة المواقـف، لـم أسـتطع أبـدًا معرفـة مـا رأيتِـه فـيّ."

"توماس، يجب ألّا - أنا أحبُّك، أنا فقط -"

"إن كنـتِ ترغبيـن فـي الذهـاب فلـن أجعلَـكِ تبقَيـن أبـدًا. قـد لا أفعـل أو أقـول الشـيء المناسـب طـوال الوقـت، لكنّنـي أعلـمُ أنّنـي أحبُّـكِ بمـا يكفـي لكـي أمنحَـكِ الحُرّيـة."

كنـتُ علـى وشـك القـول بأنّنـي لا أريـد الحُرّيـة، لكـن هـذا لـم يكـن صحيحًـا. طـوال حياتـي كنـتُ أتـوق إليهـا، حُرّيـة انتقـاء واختيـار كلّ تفاصيـل حياتـي، حرّيـة اتّخـاذ قـراراتٍ صائبـة وأخـرى فظيعـة، قـراراتٍ مـن شـأنها تحطيـم قلبـي وإعـادة اتّخاذهـا عشـر مـرات. لـم أعلـم مُطلقًـا أنّ وجـود خيـارات قـد يكـون صعبًـا أو مؤلمًـا لهـذه الدرجـة. انزلقَـت دمعـةٌ علـى وجهـي.

"أنـا أحبُّـكِ يـا وادزورث، بغـضّ النظـر عـن مـاذا أو مَـن تختاريـن، سـأحبُّكِ دائمًـا." انحنـى ليضغـطَ شـفتيه علـى خـدّي. "إذا سـمحتِ لـي، يجـب أن أحـاول دراسـة أوراق اللعـب."

قال ذلك واستدارَ ليُسرع في الممرّ. هبّت رياحٌ باردة عندما فتحَ الباب لتُخرجني أخيرًا من دهشتي. اختفَت كلّ القوّة من داخلي فجأةً وجثوتُ على ركبتيّ. وضعتُ رأسي في يديّ وبكيتُ دون اكتراثٍ لإخفاء أصوات يأسي. باتَت حياتي فوضى مُمزّقة. ليزا في خطرٍ مُميت، وتوماس مكسور القلب، والسفينة في يدَي قاتلٍ جعل منها ساحةً لألعابه المُميتة. أما أنا فكنتُ أكثر اضطرابًا من المُحيط الذي سافَرنا عبره.

سمحتُ لنفسي بلحظات بكاءٍ أخرى، لتنزلق الدموع على وجهي ثم تُقطّر على الأرض. شعرتُ كأنّ شيئًا في صدري قد جُرحَ بشكلٍ دائم. كوّرتُ قبضتيّ حتى غمرَني الألم ثم رفعتُ نفسي لأنهض. عدّلتُ ثوبي وأخذتُ نفسًا عميقًا مرتعشًا.

كانت ليزا مفقودة والقاتل يتحدّاني. بغضّ النظر عن مقدار الألم الذي شعرتُ به عند التفكير في الأمر لكن ليس بوسعي التركيز على توماس وعلاقتنا الآن.

لم أرغب في إضاعة لحظةٍ أخرى بسبب مشاعري، فخرجتُ إلى سطح الدرجة الأولى وأسرعتُ عبر الممشى المُظلم على الجانب الأيمن من السفينة الكبيرة. علا عواء الريح، صوتُها أشبه برجلٍ فقدَ كلّ ما يملُك في لعبة ورق. تشبّثتُ بقبّعتي وأبقيتُ وجهي بعكس اتجاه التيّار. كان الشتاء يُذكّرنا بوجود أمورٍ مُخيفة أكثر من رجالٍ لديهم أجندات، أو فتياتٍ تحطّمَت قلوبهنّ على هذا القارب الكبير.

كففتُ عن المشي السريع ورحتُ أركض بكلّ طاقتي. ركّزَ ذهني على وقع أقدامي ودقّات قلبي، بينما شقّ الخوف طريقه عبر أسفل

ظهري. كنتُ بحاجةٍ للإسراع، لنبش السفينة نبشًا حتّى أجد ابنة عمّتي...

لفتَت انتباهي حركةٌ قرب مُقدّمة السفينة فتوقّفتُ خارج باب مقصورتي، لأستمع إلى أيّة أصوات صراع. زحفَت أمام ناظريّ صورٌ لجُثثٍ تُرمى في المُحيط الجائع. حدّقتُ في الظلال، بانتظار أن ترمشَ عيون الظلام بتكاسلٍ لي وهي تُحيي كلّ مخاوفي. شدّت أصوات الأشرعة المُتطايرة في الريح انتباهي إلى الأعلى وتعثّرتُ مُتراجعةً إلى الوراء. كان شخصٌ ما يقف على السياج المُتجمّد، يلبس سترةً رفرفَت خلفه مثل السّوط. كلّ ما يحتاجه الأمر هو زلّةٌ واحدة ليغرق في المياه المُميتة.

اخترقَ ضوء القمر غطاء السّحاب وقدّمَ لي لمحةً عن الشاب الواقف. كان يُحدّق في المُحيط من فوق الحافّة، ووجدتُ نفسي أركضُ إليه. لم أعرف هل كان ذلك لإنقاذه أو جعله يدفع ثمن جريمته المُتمثّلة في إرباك قلبي. ركضتُ بلا وعي حتّى تمكّنتُ من لفّ ذراعيّ حوله لنسقط كلَينا ونرتطمَ بسطح السفينة، بينما أزّ الهواء من فوقنا وأنا ممسكةٌ به على الأرض.



# 37
# بلا قناع

## ممشى الدرجة الأولى - الباخرة إتروريا
## 8 يناير 1889

ابتعدَ مفيستوفيليس عنّي وهو يُمسك بطنه ويئنّ. "أعتقدُ أنّكِ كسرتِ أحد أضلاعي. هل كان ذلك ضروريًا حقًا؟ في المرة القادمة التي تقفزين عليَّ فيها تأكّدي من كوننا في إحدى غُرف النوم."

وقفتُ على قدميّ وجررتُ سيّد الحلبة معي. قبضتُ على ياقة قميصه بقوّة فجفلَ، ويداه تتخبّطان لرفع أصابعي. لم أكترث إذا خنقتُه. "هل أنتَ مجنون؟ كنتَ على وشك السقوط في البحر!"

"كلّا." جثا على ركبتَيه وأبقى تركيزه على سطح السفينة، رافضًا مواجهة نظراتي. "أنا عاقلٌ تمامًا، كنتُ أتحقّق فقط من شيءٍ ما."

"هل لكَ أن تُخبرني؟"

"كلّا، لن أفعل." حدّقَ بي وهو يقف. "هل كنتِ تبكين؟"

تراجعت. "ليزا..." تهدّجَ صوتي وكدتُ أفقد السيطرة على نفسي مرّةً أخرى.

"ليزا... كانت تشرب؟ تحوكُ جوارب للأطفال؟ خنقَت هوديني بسلاسلِه، أو بأصفادِه؟" فركَ ذراعيّ في مواساة. "أخبريني، ليزا...؟"

مسحتُ الدموع التي نجحَت في الفرار من عينيّ. "مخطوفة."

"مـاذا تقصديـن؟ هـل فعـلَ هوديني شيئًا لهـا؟" حـدّقَ في الممشى وهـو يربّـع كتفيـه كأنـه سيذهب إلى المعركـة فـي هـذه اللحظـة.

ارتجفـتُ ولـم يكـن ذلـك بسـبب الهـواء البـارد. كان هوديـني خبيـرًا بقـراءة البطاقـات أيضًـا، مـن المُحتَمـل جـدًا أن يكـون قـد أخـذَ ابنـة عمّتي وعذّبَهـا بسـبب خلافهمـا. ربمـا كان يُمثّـل هُنـاك فـي مقصورتـه. لـم أثِـق بأحـدٍ على متـن هـذه السـفينة الملعونـة. "شـخصٌ مـا أرسـلَ إصبعها إلى غرفتي."

حملـقَ مفيسـتوفيليس فـي وجهـي للحظـة ثـم أطلـقَ مجموعـةً مـن الكلمـات البذيئـة التـي لـم تكـن كلّهـا باللغـة الإنجليزيـة. لـو لـم أكـن فـي تلـك الحالـة لأثـارَ ذلـك إعجابـي. ضغـطَ بيديـه علـى عينيـه ثـم أنزلَهـا قائـلًا: "حسـنًا، لنبـدأ مـن البدايـة. كيـف عرفـتِ أنـه إصبـع ليـزا؟"

"كيـف يُسـاعدنا هـذا؟" لوّحـتُ بيـديّ. "سـواءٌ أكان ذلـك اصبعهـا أم لا فليسَـت هـذه المُشـكلة. المُشـكلة أنّ مَـن قتـلَ عـدّة أشـخاص علـى متـن هـذه السـفينة قـد خطفَهـا."

مـدّ سـيّد الحلبـة يديـه ليلفّنـي بيـن ذراعيـه. كنـتُ مدهوشـةً لدرجـة أنّنـي لـم أعتـرض. "هُنالـك المزيـد، أليـسَ كذلـك؟ وإلّا لمـاذا كُنـتِ تبكيـن؟"

وضعـتُ رأسـي علـى صـدره مُسـتمعةً إلـى إيقـاع قلبـه السـريع قبـل أن أدفعـه للخلـف. "أنـا لا أعـرفُ حتّـى مَـن أنـتَ حقًـا، ومـع ذلـك فأنـتَ تقـرأ أعمـق أفـكاري وتكشـفُها ببسـاطة."

"حسـنًا، أتُريديـن معرفـة حقيقتـي؟" تنهّـدَ ورفـعَ يـده، وبحركـةٍ خاطفة قـامَ بخلـع قناعــه. وقفـتُ هُنـاك فاغـرة الفـاه كاتمـةً شـهقتي... بعـد

كلّ هـذا الوقـت والإصـرار علـى إخفـاء هويّتـه، فـي النهايـة ضـربَ كلّ شـيء عـرضَ الحائـط. كانـت عينـاه الغامِقتـان مُحاطتَيـن برمـوشٍ أغمـق، وحاجبـاه سـميكان وجريئـان مثلـه. تدلّـت خصـلٌ مـن شـعره الأسـود علـى جبهتـه وحـول أذنيـه.

تفحّصـتُ وجهـه باحثـةً عـن أيّ لمحـةٍ لمعرفـةٍ سـابقة. كنـتُ سأُقسِـم أنّنـا عرفنـا بعضنـا البعـض مـن حيـاةٍ أخـرى، لكنـهُ كان مجرّد شـابٍ وسـيم لديـه غمّـازةٌ فـي خـدّه. هـل كانـت هـذه حقيقتَـه أم قناعًـا آخـر يسـتخدمُه لصالحـه؟ عـادَت إلـى ذهنـي كلماتـه السـابقة عـن عـدم امتـلاك رفاهيّـة الثقـة فـي أيّ شـخص، تُطاردنـي مثـل الأشـباح.

"لقد قمتَ بقتل هؤلاء الفتيات، أليسَ كذلك؟"

"ليـسَ هـذا ردّ الفعـل الـذي كنـتُ أتمنّـاه آنسـة وادزورث." تراجـعَ مفيسـتوفيليس هـازًا رأسـه. "أعتقـدُ أنّ هـذا مـا يجعـل الأمـور مُمتعـة." مرّر يـده عبـر شـعره الداكـن ليُبعثـر خُصلاتـه المُضطربـة أصـلًا. "لكـن كلّا. إن كنـتِ تنتظريـن اعترافًـا فأخشـى أنّـكِ لـن تجديـه هنـا. لـم أقتُـل أحـدًا أو شـيئًا، باسـتثناء عـدّة بعوضـات، ولا أشـعر بالأسـف الشـديد حيـال ذلـك، خاصـة بعـد طيرانهـا بكمّيـةٍ جيّـدة مـن الدمـاء تاركـةً حكّـةً شـرّيرة."

"بصراحـة..." توقّفـتُ مُلاحظـةً مـدى قُربنـا مـرةً أخـرى، وانتباهـي يشـردُ إلـى شـفتيه البارزتَيـن وعينيـه المليئتَيـن بالشـوق. "أنـا -"

انحنـى وضغـطَ فمـه بلطـفٍ علـى فمـي، بلمسـةٍ صادمـة لكـن غيـر مُزعجـة. للحظـةٍ لـم أفكّـر فـي كل شـيءٍ لعيـن حـدثَ فـي السـاعة الماضيـة، وركّـزتُ علـى شـفتَيه وهمـا تفترقـان ببـطء. أمسـكَ بـي عـن قُـرب، وتشـبّثَت يـداه بثوبـي كمـا لـو كان يُطمئـن نفسـه بأنّنـي لسـتُ وهمًـا. فكّـرتُ فـي تمريـر يـديّ عبـر شـعره المُجعّـد، كانَ جميـلًا للغايـة،

لكن... رأيتُ فجأةً وجه توماس أمامي فابتعدت. "لقد أقسمتَ أنك لن تُقبّلني!"

"أنتِ مُحقّةٌ جزئيًا." قال مُتنفسًا بصعوبة وهو يرفع كفّيه باستسلام. "قلتُ إذا كنتِ لا تُريدين ذلك مُطلقًا. لكن في بعض الأحيان، الطريقة التي تنظرين بها إليّ... كان يجب ألّا أفعل ذلك يا آنسة وادزورث. لقد أخبرتُكِ منذ البداية أنني لستُ عفيفًا أو صالحًا."

"كاذبٌ، شرّير، ابنٌ ثانٍ، لصّ." حدّقتُ في حذائي. "مَن أنتَ حقًا يا مفيستوفيليس؟" فتحَ فمه وأسكتّه بيدٍ مرفوعة. "لا مزيد من الحيل. أخبِرني مَن أنتَ ولماذا يجب أن أصدّق أيّ شيءٍ تقوله."

تقدّم ببطءٍ للأمام، ويداه مرفوعتان أمامي وتنهّدَ قائلًا: "اسمي آيدن سمير باكستر ثورن، أبي إيرل وأمّي ملاكٌ من القسطنطينية، كما يتّضح من مظهري الرائع." عندما لم أردّ ابتسامته أنزلَ يديه. "كما تفضّلتِ للتو أنا الابن الثاني، الوريث الاحتياطي. يُمكنني البقاء في إنجلترا وإنفاق الأموال بشكلٍ تافه، أو التخلّي عن كل شيء والسعي وراء أحلامي، رغمَ فجورها وتواضعها. ما اخترتُه واضحٌ لكِ. قمتُ باستغلال مهاراتي الهندسيّة وقُدراتي المسرحيّة، وهكذا وُلِدَ كرنفال ضوء القمر، كملاذٍ آمن لغير المرغوب فيهم، أولئك الذين عانوا أكثر بكثير من مُعاناتي."

شيءٌ ما في اسمه استمرّ في جذب انتباهي إليه... ثمّ تذكّرتُ البطاقات في غرفة هوديني. "انتصِر أو مُت."

"'انتصِر أو مُت' هو شعار عائلتنا عبر الأجيال. لقد مُنِحَ أحد أسلافي - أحد أجداد أجدادي لا أعرف قبل كم جيل - وسامَ الفروسيّة من قبل الملك ريتشارد قلب الأسد. من هنا أتى الشعار

والرمز، رغمَ أنني لا أعتقد أنّنا ننتصر على شيءٍ غير القلوب وألعاب الورق هذه الأيام." لمعَت عينا مفيستوفيليس في ذكرياتٍ ما قبل أن يعود للقول: "تبدو قُدراتكِ في التحقيق أفضل بكثير ممّا ظننت."

سارَت قشعريراتٌ مثل الموتى الأحياء في سباقٍ على طول فقراتي. سحبتُ البطاقة التي أخذتُها من هوديني وأنا أراقبُ تعبير سيّد الحلبة بعناية. "هذه من بطاقات العمل خاصّتك على ما أعتقد. إنها فظّةٌ للغاية، لكنّها بالتأكيد طريقةٌ فريدة لترك بصمتكَ الخاصّة في مسرح الجريمة."

بدا مفيستوفيليس مُرتبكًا أكثر من كونه مُذنبًا. "ربّما تُرِكَت هذه البطاقات في مسرح الجريمة يا حبّي، لكنّني لم أفعلها. لقد سُرِقَت في وقتٍ قريبٍ من اختفاء خاتمي." رفعَ حاجبَيه. "بالحديث عن موروثات العائلة التي لا تُقدّر بثمن، أين خاتمي الآن، هل ما زال عند كريسويل؟"

"إنه في مكانٍ آمن حتى أفصل الحقيقة عن الأكاذيب." قلبتُ البطاقة مُتجاهلةً وخزات الذّنب. "هل هُناك شيءٌ مُميّز في هذه البطاقات؟ أيّ شيء قد يحتوي على دليل أو معنى خفيّ؟ مهما كان مدى غموضه، أيّ شيء قد يُساعد."

"دعيني أرى." أخذَ البطاقة. "هل ترَين هذه؟" أومأت. كانت الزخارف الصغيرة جميلة، لكن نظرًا لميلان شفاه سيّد الحلبة فقد كان لها معنى. "هذا رمز اللانهاية."

"ماذا تعني اللانهاية المُزدوجة؟"

"آه، بعض الهراء الرومانسيّ حول قدرَين مُرتبطَين ببعضهما إلى الأبد." هزّ كتفيه ثم نظرَ إلى وجهي وقال بجدّية: "ما الأمر؟"

"أعتقدُ... أعتقدُ أنّ هذا يعني شيئًا للقاتل. ما علاقة هذا بباقي المُعطيات؟" أخذتُ البطاقة منه وقلّبتُها مرارًا بينما كانت أفكاري المُبعثرة تتجمّع ببطء. "لورد وطبيب وقاضٍ، ما الرابط المشترك؟ مصيران مُرتبطان إلى الأبد. كل بطاقة لعب عليها رمز اللانهاية وكل تاروت له معنى أعمق لنفس الأمر." سرتُ بالقرب من السياج مُتجاهلةً صفق الأمواج على جانب السفينة. "آس البستوني وسبعة السيوف المقلوبة، ما الذي يربط بينهما؟ مصيران، قُصّتان، يجتمعان معًا كمصيرٍ واحد؟"

"ربّما تحتاجين إلى الجلوس للحظة." قال مفيستوفيليس دون لمحة مُزاح. "كلّ هذا الحديث عن الرومانسيّة كان له تأثيره." وضعَ يده على جبهته بتعبيرٍ جادّ. "أشعرُ بنفس الشعور."

"في قراءة الطالع، ماذا يعني آس البستوني؟"

تفحّصَ مفيستوفيليس عينيّ، مُعتقدًا أنّني على الأرجح بمثل جنون القاتل. فركَ صدغه مُجيبًا: "ممّا يُمكنني تذكّرهُ من متاهات عقلي، فهو يعني سوء الحظّ أو نهايةٌ صعبة. هل أنتِ متأكدة أنّكِ على ما يُرام؟"

بالضبط ما قالهُ هوديني. لوّحتُ بيدي وأنا أعلم أنني قد توصّلتُ إلى شيءٍ ما، لكنه لا يزال بعيد المنال قليلًا.

"كانت السيّدة كرينشو هي مُحفّز البدء الذي سبّبَ كلّ شيء." نقرتُ على البطاقة. "ستة الدّيناري. قال هوديني أنّ هذه البطاقة تُشير إلى الشّجارات، وقد تشاجرَ اللورد مع السيّدة كرينشو من أجل فتاةٍ جذّابة. البطاقات المُتبقّية تُخبرنا بالضبط ما الخطيئة التي ارتكبَتها الضحيّة. أمّا التاروت فتُمثّل مصائرهم، التي جلبوها على أنفسِهم."

فرك مفيستوفيليس وجهه بيده. "هذا مُبالَغٌ فيه بعض الشيء، بل يكاد يكون ضربًا من الخيال. وإن كنتُ أقولُ ذلك فكُوني على يقين من أنه كذلك حقًا. إذا كان الخلاف حول موضوعٍ عاطفيّ فلماذا أخذَ القاتل ابنتهُما؟"

قلتُ بثقةٍ مُفاجئة: "الدافعُ لا يتعلّق بالرومانسية بل بالانتقام، ومنذُ البداية." قلبتُ البطاقة ولمستُ رمز اللانهاية المزدوج. "طريقان، نوعان مُختلفان من البطاقات، قدَران، وحلقةٌ لا نهائيّة من العدالة."

"مَن يكون القاتل إذَن؟"

فكّرتُ في جيان ومزاجه الحادّ، كما ذكرَ أندرياس أنّ عائلته بأكملها قد قُتِلت. من المستحيل انتزاع تفاصيل تلك الجريمة من أيٍّ منهما. ثم كانت هناك كاسي وسباستيان وأولئكَ الذين يدينونَ لهم بالمال. هل يُمكن أن يكون الدائنون من آل آردن وكرينشو وبريسكوت؟ هل وجدوا وسيلةً لابتزاز المال من الفنّانين فكان عقابُهم خسارة كلّ شيء؟ لا يُمكن كذلك حذف أنيشا وأندرياس من قائمة المُشتبه بهم، إذ لكلٍّ منهما سببٌ للانتقام ويعرفان معاني البطاقات. في النهاية لدى كلّ فنّانٍ تقريبًا معرفةٌ أساسيّة في التاروت. حتّى أنا تلقّيتُ تعليمات وتدرّبتُ على كلٍّ من التاروت وأوراق اللعب. لا يبدو هاري هوديني مُجرمًا لي، لكن القتلة الذين قابلتُهم من قبل لم يبدوا كذلك أيضًا.

ثمّ هناك سيّد الحلبة، الشخص الذي أنشأ كرنفالًا كاملًا يختبئ كل ليلةٍ خلف أقنعةٍ جديدة. الشابّ الذي علّمني كل شيء عن خُدع خفّة اليد وخفّة الكلام، ولا يُمكن الوثوق به مُطلقًا في كشف أوراقه الحقيقيّة.

حدّقتُ في القمر الهلاليّ، بدا كأنهُ منجلٌ جاهزٌ للهجوم أكثر من أيّ شيء آخر، ولم أستطع الكفّ عن رؤيتهِ كنذيرٍ لأهوالٍ جديدة قادمة.

"الليلة هي الليلة الأخيرة." قلتُ أخيرًا، مُحوّلةً انتباهي ثانيةً إلى سيّد الحلبة. كان بلا قناع حاليًّا لكن هذا - مثل سكون البحر المُفاجئ - لن يدوم. خطرَ ببالي إصبع ليزا المُلقى في الصندوق المخمليّ، فأغمضتُ عينيّ ثم فتحتُهما. زحفَت الغيوم ببطء عبر السماء واصطفّت في تشكيل. كانت العاصفة ستندلع بحلول الصباح، لكنني أملتُ أن أستعيد ابنة عمّتي قبل ذلك الوقت. "بقيَ أداءٌ واحد." وتمنّيتُ وجود مُشتبهٍ به واحد قبل العرض الختاميّ.

## هاری هودینی



Hanging from his ankles from the cornice of a building, the escape king strips off a strait-jacket while crowds below cheer him on. From HOUDINI by William L. Gresham. Holt. (This picture is from file of Brown Brothers for use with reviews only.)



# 38
# الختام الكبير

## جناح القبطان - الباخرة إتروريا
## 8 يناير 1889

تململَ القبطان نوروود في كرسيّه الجلديّ المُنتفخ، وبصرهُ ثابتٌ بعناد على كأسه نصف المُمتلئ بمشروبٍ برتقاليّ القابع على مكتبه المصنوع من خشب الماهوغَني. كان الوقت بالكاد قد تجاوزَ شروق الشمس، لكن نظرًا لحال شاربيه المُبعثرَين على وجهه كان من الواضح أنه لم ينَم بعد.

"لم يتواصل كبير القضاة بريسكوت مع الدكتور آردن منذ أيام، وذكرَ أنّهُما تجادلا حول ما إذا كان يجب تقديم بعض... المعلومات التي تلقّوها، لذا طلبتُ من مُرافقه دخول غرفة الطبيب." ارتشفَ نوروود من كأسه وانكمش وجهه. "لم تكن هُنالك دماء، لكن الغرفة كانت في حالة فوضى. لا أعتقدُ أنّ قصّتهُ ستنتهي بشكل جيّد، خاصّةً مع وجود تلك الورقة."

رفعتُ حاجبي باستغراب، فسارَ عمي إلى حيثُ وقفتُ ليُسلّمني الورقة المُجعّدة. تعرّفتُ على خطّ اليد فورًا لأنه نفس خطّ الرسالة التي تلقّيتُها بخصوص ليزا، واشتدّت دقّات قلبي.

"عزيزي الدكتور آردن،

لديّ لغزٌ لا أقدرُ على حلّه. ربّما تكون مهاراتكَ في الجمع أفضل من مهاراتي. لوردٌ دنيء مع قاضٍ فاسد مع طبيب جبان، يساوي سلب حياة بريئة واحدة. مَن مِن بين الثلاثة يتحمّل المسؤولية الأكبر؟

كلّ ليلةٍ تمرّ دون إجابةٍ على هذا السؤال سوف تُسلَب حياة شخصٍ بالمُقابل. إن اخترتَ الإيثار ستنال منّي رحمةً لا تستحقّها. إذا اخترتَ الأنانيّة سترى غضبي.

مُلاحظة: إذا أريتَ هذه الرسالة لأيّ شخص سوف أُطعِمُ أطرافَك للأسود."

ابتلعتُ اللقمة الخياليّة التي في بلعومي وتقلّصَت معدتي خلال تسليمي الورقة بتكتّمٍ إلى توماس. كان الختم البريدي في الأول من يناير، نفس اليوم الذي أبحرنا فيه. لو قامَ الدكتور آردن بإحضار هذه إلى القبطان فربّما كان سيُنقذ حيوات الركّاب الذين قُتِلوا.

تنهّدت. "لو قامَ" و "كان يُمكن" لا مكانَ لهُما الآن. رغمَ أنه إذا تجادلَ بريسكوت وآردن حول هذا الأمر بالذات في اليوم التالي لمقتل الآنسة بريسكوت فعلى الأرجح أنّهما خافا للغاية من قول أيّ شيءٍ آخر، لئلّا ينجح القاتل في تنفيذ تهديداته، وهو ما فعلهُ على أيّة حال.

"من المُمكن للغاية، بالنظر إلى التهديد الوارد في تلك الورقة، أنّ الذراع المقطوع تعود إلى الطبيب." مشى عمّي إلى الكوّة لينظر إلى المياه المتدفّقة على الزجاج في مساراتٍ عريضة مُتسارعة. لقد اندلعَت العاصفة قبل الفجر بقليل، ولن تكون بقيّة رحلتنا سهلة.

"كان رجلًا ولديه خاتم زواج. لكن في ظلّ عدم وجود باقي الجسد فكلّ هذا مجرّد تخمين. قد يكون مُخبّئًا في مقصورةٍ أخرى. هل تحدّثتُم إلى زوجته؟"

لوّح نوروود بكأسه. "إنه أرمل."

تبادلنا أنا وتوماس النظرات من موقعنا القريب من الجدار، بعد أن دفعنا مشاكلنا من الليلة السابقة جانبًا أمام أولويّة عملنا. أرادَ عمّي منا الحضور والبقاء صامتين لغرض دراسة القبطان. الجميع مشبوهٌ في هذه المرحلة.

لفتَ قرع الباب أخيرًا نظر القبطان إلى الأعلى ليقول: "نعم؟"

دخلَ رجلٌ نحيف يرتدي زيّه العسكري وخلع قبّعته على الفور، وهو يومئ إلينا قبل مُخاطبة القبطان. "لقد تفحّصنا جميع الفنّانين وصناديقَهم ولم نجد أيّ شيء غير عاديّ يا كابتن. يبدو أنّ كل شيء جاهزٌ لعرض الليلة."

زمّ توماس شفتَيه، وفهمتُ رأيه دون الحاجة إلى قوله بصوتٍ عال: لن يتمكّن الطاقم من معرفة أسلحة القتل المُحتَملة من غيرها من الأدوات. كان لدى الفنّانين سيوفٌ وخناجر وحبالٌ وأصفاد، وعددٌ لا يحصى من المعدّات الغريبة الأخرى التي يُمكن لقاتلٍ استخدامُها.

نظرَ العم إليّ وإلى توماس، ثم حوّل انتباهه مرةً أخرى إلى القبطان فاتلًا شاربه بالطريقة التي تُثير أعصابي. "مع خالص احترامي لكن يجب أن تقوم بإلغاء العرض الختاميّ. لا يُمكن انتهاء ذلك بشكلٍ جيّد لأيّ شخص."

رفعَ نوروود ما تبقى من شرابه بينما أخذَ وابل المطر الآن يقصف جانب السفينة، بدا مثل البَرَد. "أخشى أنه لا يُمكن أن تزداد

الأمـور سـوءًا يـا دكتـور وادزورث."

تسـارعَت وخـزاتٌ أسـفل ظهـري، عرفـتُ الآن أنـه لـن يُغيّـر أيّ جـدال قـراراتِ القبطـان الكارثيّـة. تمنّيـتُ لـو كانـت لـديّ نفـس مشـاعره، لكنّنـي كنـتُ أعلـم أنّ عـرض الختـام هـو المشـهد الـذي ينتظـره القاتـل بفـارغ الصبـر: النهايـة الملحميّـة لانتقامِـه.

***

عكسَـت خشـبة المسـرح هـذه الليلة الشـعور العـامّ للسـفينة، فالسّـتائر الحبريّـة كانـت مُغطّـاة بشـاشٍ رمـاديّ مُخـرّم ليُعطيهـا مظهـر ضريـحٍ مُتعفّـن. حتّـى الـورود تـم طلاؤهـا باللـون الأسـود، فبـدَت نذيـر خطـرٍ علـى وشـك الذبـول. جلـسَ الـركاب بصمـتٍ علـى طاولاتهـم يُشـبه صمـت الجثـث وهـي تنـزلُ فـي قبورهـا. بقـيَ أغلـب الطعـام علـى حالـه، رغـمَ أنـه بـدا عمـلًا فنّيًـا صالحًـا لـلأكل، بارتفـاع مخالـب الكركنـد نحـو السـماء ووضـع قطـع الفيليـه بطريقـةٍ نموذجيّـة.

دحرجـتُ حبّـات البـازلاء الإنجليزيـة حـول طبقـي، عاجـزةً عـن تناولهـا أنـا أيضًـا. كانـت الليلـة الأخيـرة فـي رحلتنـا الشّـنيعة، وبـدا الجميـع جاثميـنَ علـى إبـر، ينتظـرون بـدء الاحتفـال أو الجنـازة الأخيـرة. سـيكون هـذا نوعًـا آخـر مـن المـوت بطريقـةٍ مـا، لأنـه سـيُحدّد مصيـر كرنفـال ضـوء القمـر. لقـد عـزمَ مفيسـتوفيليس علـى جعـل الليلة لا تُنسـى، رغـمَ أننـي لـم أسـتطِع تجاهُـل شـعور أنّ القاتـل يُشـاركه المشـاعر. هـذه هـي اللحظـة التـي ينتظرهـا: أعظـم عـرضٍ علـى الإطـلاق. لقـد خطّـطَ بعنايـةٍ لانتقامـه وخشـيتُ ألّا يمنعـه شـيء مـن إتمامـه. صلّيـتُ أن تكـون ليـزا بخيـر وألّا تكـون نجمـة هـذا العـرض.

شـعرتُ بنظـرات تومـاس إلـيّ بطريقـةٍ حسـابيّة. لـم يحـاول اسـتكمال

حديثنا منذُ الليلة الماضية، وقد أراحَني ذلك وأقلقَني في الوقت نفسه.

"هل أنتِ بخير يا وادزورث؟"

"بالطبع." وجّهتُ انتباهي إليه ثم أعدتُه إلى الأبواب. سيدخل أطباء الطّاعون في أيّة لحظةٍ الآن، وبعد ذلك بقليل سيتمّ استدعائي إلى المنصّة كمتطوّعةٍ محظوظة، أُختيرت لتواجه مرآة أندرياس السحريّة ثم تقف أمام خناجر جيان. بدا كأنّ جلسات التدريب العشوائيّة خاصّتي ستؤتي ثمارها في النهاية.

"أنتِ لم تُخطّطي لشيءٍ فاضح بدوني، أليسَ كذلك؟" سأل توماس بصوتٍ منخفض بما يكفي لتجنّب أسماع السيّدة هارفي. كان عمّي قد غابَ لقيادة البحث عن ليزا، وتطلّبَ الأمر كل حبّةٍ من ضبط النفس لكيلا أتبعه وأتخلّى عن عرض الختام. "سيكون ذلك غيرَ مُنصف كما تعلمين. أنا بارعٌ جدًا في الارتجال، خاصةً بعد تناول بعض النبيذ."

رفعَ كأسه من النبيذ الأبيض وبانَت ابتسامةٌ مُلتوية على وجهه. مع ذلك بقيَ التفكير واضحًا في عينيه، ليُخبرني أنه لن يُصدّق الكذبة التي ستخرُج من فمي بغضّ النظر عن جودة إخراجها. كانت الأمور لا تزال مُتوتّرة بيننا بعد مُحادثتنا في منتصف الليل، ومن المرجّح أن تظل على هذا النحو حتى نتمكن من التحدّث بإسهاب. لكنّني لم أتوقّع اختلاف الأمور كثيرًا، ربّما لم أكن من النوع الذي يتزوّج في النهاية. ربما سعيتُ دائمًا إلى التحرّر من أيّ قفص - حقيقيّ أو خياليّ - مهما أكّدَ لي توماس خلاف ذلك. إنه يستحقّ فتاةً يُمكنها محو شكوكها. ربّما من المفترض أن نكون شُركاء في العمل فقط.

تنهّدتُ قائلةً: "أنا سأشاركُ في الختام، ولا..." همستُ عندما تفتّحَ وجهه: "لا يُسمَح لك بمُساعدتي. لم أتدخّل عندما تطوّعتَ بقطع جسدكَ إلى نصفَين."

تراجعَ كأنّني قد صفعتُه. "هل هذا ما كنتِ تفعلينه في الليل مع مفيستوفيليس؟"

"توماس!" حذّرتُه. بدا مُتفائلًا للغاية، لكنّ قُبلتي مع سيّد الحلبة ذكّرَتني بمدى تعبي من الأكاذيب. صحيحٌ أنّني لم أبدأ بتلك القُبلة التي دامَت ربّما لثانيةٍ واحدة، لكنّها حدثَت، ولن أخبرهُ بشيءٍ إلّا الحقيقة الكاملة. ابتلع ريقه بصعوبة وحدّق في طبقه، بدا أنه قد فقدَ شهيّته أيضًا.

دخلَت فرقةٌ رباعيّة للعزف الوتريّ إلى المكان، وراحَت الكمانات تعزف لحنًا رقيقًا وخطيرًا. فجأةً سقطت الأضواء على اثنين من عازفي التشيلو، جالسين بآلاتِهم قربَ حافة المسرح، وأقنعتُهم النصفيّة تتلألأ باللون الأزرق الذي انسابَ عليها.

"آه، هذه سداسيّة الأوتار لِبرام، الأولى في ب-مُسطّحة كبرى." أغمضَ توماس عينيه غارقًا في أنغام الأوتار اللذيذة. "المقطوعة الثامنة عشر هي إحدى مُفضّلاتي، وهي خيارٌ جيّد للختام. تبدأ ببطء ثمّ، استمِعي إلى ذلك... اللحنُ يزداد سرعةً وجنونًا، وتتطوّر القطعة إلى الذروة ثمّ تعودُ إلى مستوى التحذير الجميل. الخطرُ يلوح في الأفق."

"بلى، حسنًا،" بدأتُ كلامي عندما فُتِحَت الأبواب ودخلَت صالة الطعام المجموعة المُرعبة والغريبة حقًا. تصاعدَت الشهقات المسموعة في أنحاء الغرفة بينما تقدّمَت صفوفٌ من أطبّاء الطاعون

في موكبٍ صامت، واحدًا تلو الآخر، وأقنعتُهم البيضاء المُحاكية للطيور أكثرُ إرعابًا مع ألحان التشيلو والكمانات الحزينة في الخلفيّة.

تمّ تصميم حركاتِهم بشكلٍ مثاليّ، حيث غزَوا المساحة بين الطاولات ثمّ توقّفوا جميعًا واستداروا ليبدأوا بالتجوّل، ماسكين عباءاتِهم السوداء الأنيقة بإحدى الذراعَين. بدوا أشبه بالطيور ذات الأجنحة المكسورة، وتطايرَت روائح الأعشاب حولهم، دون شكّ من الحبّات العطريّة الموضوعة في أقنعتِهم. لقد اختار مفيستوفيليس طريق الأصالة ولم يُقصّر في التفاصيل الواقعيّة. أملتُ ألّا يعني ذلك أنّنا سنحتاج إلى تلك العطور لتغطية رائحة تعفّن جثّة حقيقيّة.

أخذَت الموسيقى مُنعطفًا أكثر قتامة، وجاءَت نغمات الأوتار أكثر حزنًا وعمقًا لتدفع قشعريرةً في ذراعي.

"سداسيّة الأوتار رقم اثنان." غمغمَ توماس وهو يعقدُ حاجبَيه. "خيارٌ مُناسبٌ آخر، رغمَ أنّها –"

فجأةً بزغَ مفيستوفيليس على المسرح وسط انفجار جدارٍ من الألعاب النارية المُشتعلة، بينما انطلقَت المشاعل البيضاء المتوهّجة من حوله عاليًا إلى السقف وبقيَت لعدّة ثوانٍ. حامَ الدخان أمامه، والتوَت سُحبه الرماديّة قبل اختفائها. فاحت في المكان الآن رائحة الكبريت.

"السيّدات والسادة." مدّ ذراعيه، وكانت عباءته تحتوي على ريشٍ أسود مُخيط، ذا لمعةٍ داكنة حبريّة حتى بدا قُزحيّ الألوان. "أهلًا وسهلًا بكم في الختام الكبير. لقد وعدتُكم بالسحر والشّيطنة والفوضى. وهذا..." تجوّل في دائرةٍ واسعة، والأضواء تنقر لتُضيء أماكن مختلفة تمّ إعدادها بالفعل داخل حلباتٍ على المسرح. "هذا

المساء مُكرّسٌ للفوضى. استعدوا للغرق في فضاء ما بين الأحلام والكوابيس. مرحبًا بكم في الليلة الأخيرة من مهرجان ضوء القمر."

ظهرَت أنيشا في إحدى الحلبات على خشبة المسرح زاهيةً بزيّ التنّين خاصّتها. توهّجَت قشور اللافندر اللؤلؤية عليها وهي تُطلق النار في رشقاتٍ طويلة اللهب. صرخَ الجمهور في المُقدّمة ودفعوا كراسيهم بسرعةٍ للخلف على أمل تجنّب التعرّض للحرق.

أنارَ مصباحٌ ساطعٌ آخر نحو السماء، ليجذب انتباه الجمهور إلى حيث انطلقَت كاسي طائرةً عبر الغرفة مثل شهاب، مُتدحرجةً من أرجوحةٍ إلى أخرى. خفقَ قلبي. تقافزَ مُهرّجون وهُم يتلاعبون بالكرات الملوّنة من جانب إلى آخر، كما شقّت امرأةٌ ذات أوشام تحمل ثعبانًا كبيرًا طريقها عبر الصالة، تتمايلُ في سيرها وثُعبانها يفحّ على أيّ شخصٍ يُحدّق فيه طويلًا. فورَ وصول الجميع إلى مواقعهم يحينُ دوري. أمسكتُ بمنديلي تحت الطاولة وركّزتُ على أنفاسي.

أخيرًا دخلَ أندرياس وجيان الغرفة، رافعَين هوديني رأسًا على عقب على سقّالةٍ خشبيّة كبيرة في طريقهما. كان يرتدي سترةً مُقيّدة، وفوقها تم لفّ السلاسل على جسده بالكامل. لم أرهُ يمارس هذه الخُدعة، وتخيّلتُ أنه سرٌّ آخر احتفظَ به سيّد الحلبة لِنفسه.

جرى تعليق هوديني بجسدٍ مُتلوٍّ مثل سمكةٍ اصطيدَت للتوّ، ثمّ داس مفيستوفيليس بقدميه ثلاث مرات لتتصاعد حلقات من النار حول كلّ حلبة. لقد آن الأوان. نشبتُ أسناني في شفتي السفلية وأنا أراقبُ كلّ فنّانٍ، باحثةً عن أيّة علامةٍ حول مَن قد يُخطّط للقتل في هذه اللحظة بعينِها. بدا الجميع مشبوهين، وتقريبًا لكلٍّ منهم دافع.

تسارعَت نبضات قلبي، في أيّة لحظةٍ الآن...

"مطلوب مُتطوّعٌ من الجمهور هذه الليلة." سارَ مفيستوفيليس من أحد طرفي المسرح إلى الطرف الآخر، رافعًا يده ذات القفّاز ليحمي عينيه من اللهب والأضواء المُتوهّجة. "مَن منكُم شجاعٌ بما يكفي للوقوف أمام سكاكين الغضب لهذا الفارس؟ مَن لديه القوّة للتحديق في مرآة البافاريّ السحريّة ورؤية مُستقبله؟"

بدا أنّ الصالة تحبسُ أنفاسها. لم يتحرّك أحدٌ خشية استدعائه إلى المسرح، وتفجّرَ الفهم ساطعًا في عقلي. كان هذا سببًا آخر لِطلب مفيستوفيليس منّي المُشاركة في العرض الختاميّ، كان يخشى حدوث هذا الشيء بالذات. بعد حدوث جريمة القتل الأولى فكّرَ بشراء بعض التأمين لكرنفاله، لتستمرّ العروض ويضمن مُشاركة الجمهور فيها، حتى لو كانت تلك وهمًا آخر.

وقفتُ ببُطء، وشعرتُ فجأةً أنّ فُستاني المخطّط بالأحمر والأسود قد صغرَ حجمه بقياسَين.

"أودري روز انتظري!" كان صوت توماس مُنخفضًا وعاجلًا. "كلّا، هُنالكَ خطأ... أينَ الذي يطوي جسده؟"

أشرتُ إلى السقف حيث كانت كاسي تقفز بين الأراجيح، لعلمي أنّ سباستيان كان ينتظر الإشارة للانضمام إليها في التحليق.

"أنتِ!" نزل مفيستوفيليس من فوق المنصة وانتشرَ جناحا عباءته بشكلٍ مُرهِب. سُرعان ما نهضَ الزبائن من أقرب مائدةٍ لنا لِيندفعوا نحو الأبواب، مُتفادين أطبّاء الطاعون الذين استمرّوا في التمايُل على نفس الأغنيتَين اللّتَين جرى تكرارهُما. من الواضح أنّ الأزياء كانت مُخيفة أكثر من اللازم، وساعدَت الحركة المُفاجئة لسيّد الحلبة في

تفاقُم مخاوفهم. "تعالي سيّدتي الجميلة،" - قدّم ذراعه - "دعينا نرى ما يُخبّئه لكِ القدر هذا المساء."

ضغطتُ على كتف توماس برفق وأنا آخذُ ذراع سيّد الحلبة. فورَ صعودنا على خشبة المسرح، وفي انتظار وصول لوح الرماية صدمَتني خطورة هذه الليلة أخيرًا. كان شخصٌ ما على وشك الموت، أو جُثّته على وشك الظهور. بتُّ على يقينٍ من هذا، ولن يكون أيٌّ من هذين السيناريوهَين موضعَ ترحيب، خاصّةً إذا تعلّقَ الأمر بابنة عمّتي.

أو إذا كانَ هذا الشخص أنا.

مسحتُ راحتَي يديّ على جانبي ثوبي. كانت أضواء المسرح أكثر سخونةً ممّا تصوّرت، أو ربّما الوقوف أمام الجمهور - رغمَ أنه جزءٌ بسيط ممّا كان عليه في بداية الأسبوع - إلا أنه أكثر إثارةً للقلق ممّا تخيّلت.

انتقلَت نظراتي من شفرات جيان - التي تلألأت في كلّ مرةٍ أرجحَها فيها - إلى أنيشا نافثة النيران، إلى هوديني الذي تحرّرَ بالفعل من نصف قيوده، سيهربُ من هذه القيود الجديدة ويصنع قصّةً أسطورية أخرى لنفسه. وقفَ أندرياس في زيّ طبيب الطاعون الكامل أمام مرآته كأنهُ حامي بوّابة المُستقبل. كل ما احتجتُ إلى فعله هو التقدّم إلى لوح الرماية لتبدأ النهاية الحقيقية، تمنّيتُ ألّا يكون هذا طريقُ حتفي.

صاحَ مفيستوفيليس: "!سيّداتي وسادتي، دعوا الفوضى... تبدأ!"

انفجرَت الألعاب النارية في زوايا الصالة مثل نوافير المياه الفوّارة. ربّما لم تكن أفضل فكرةٍ بالنظر إلى مدى انفعال الجميع

أصلًا. سقطَت امرأةٌ على مائدتها لتسحق الكركند والصلصة تحتها، واندفعَ رجلٌ آخر واقعًا من كرسيّه على الأرض. ساعدَهم أطباء الطاعون القريبون، الأمر الذي قد يكون مُخيفًا أكثر من الضوضاء العالية حولهم.

حتى وسط الجمهور الضاجّ لفتَ توماس انتباهي كما يفعل دائمًا، كانت عاقدًا حاجبيه ونظراته الحادّة عالقةٌ على شيءٍ خلفي. استدرتُ لكنّني لم أرَ غير المرآة السحريّة. لم يكن أحدٌ يتربّص خلفها، ولا جثثٌ مُعلّقة أو مُشتعلة أو مغمورة. كانت بشكلها المُعتاد دائمًا، لكن بدا أنّ سيّد الحلبة قد أقنعَ أندرياس أخيرًا بتنظيفها بعض الشيء.

همسَ مفيستوفيليس: "آنسة وادزورث؟ لقد حانَ الوقت."

سحبتُ نفسًا عميقًا وشققتُ طريقي حول حلقات النار حتى وقفتُ أمام لوح الرماية لِجيان. تمّ رسم صورةٍ ظلّيةٍ جانبيّة لامرأةٍ عليه، مانحًا الجمهور تلميحًا عمّا سيحدُث. ذهبتُ لأخذ عصابة العينَين لكن جيان أعطاني إشارة نَفي برأسه. "ليسَ الليلة، تفضّلي." سلّمَني تفاحة وابتسامتُه الخطيرة تنكمشُ إلى تعبيرٍ يُشبه الاحترام تقريبًا وأنا آخذُها دون هزّةٍ في يدي. "ضَعيها على رأسِك... ولا تتحرّكي."

بلعتُ ريقي بصعوبة وعيناي تندفعان حول الصالة بحثًا عن قليلٍ من القوّة، أو إيماءة من الدعم. ما احتجتُه هو أقرب صديقٍ لي، لكن توماس لم يكن في أيّ مكانٍ أمكنَني رؤيته. "أنا..."

"آنسة وادزورث،" قال مفيستوفيليس مُمسكًا بيدي لفترةٍ وجيزة ضاغطًا عليها برفق. "كوني شُجاعة."

سرتُ مشوّشة الذهن ببُطء إلى لوح الرماية، وعقلي يتحرّك أسرع من المُشاة على المطوالات ذوي الملابس الفضّية الذين دخلوا الصالة للتوّ، وهم يغزلون الفناجين على العصي. مُغادرة توماس تعني...

وصلتُ إلى اللوح ووضعتُ التّفاحة القانِية على قمّة رأسي، دون القلق حول سلامتي إلا قليلًا. ليزا... هل اكتشفَ شيئًا عن ابنة عمّتي، أم أنهُ غضبَ لدرجة رفض الجلوس لمُشاهدتي على المسرح؟ ربّما ظنّ أنّني تدرّبتُ على عرضٍ خاصّ برفقة مفيستوفيليس وأصابَتهُ الفكرة بالغثيان.

هتفَ جيان آمرًا الجمهور عدّة مرّات، لكن كلّ ما شعرتُ به هو حرارة الأضواء، وصوتُ ألسنة اللهب التي كادَت تطغى على السداسيّة الوترية وهي تنتقل إلى اللحن التالي، والضجيج الكامن في أذنيّ وصدري. تدحرجَت حبّةٌ من العرق بين لوحَي أكتافي. هُنالك خطأ!

حدّقتُ بصعوبة في صُدريّة جيان، كانت غير مُعتادة بالنسبة لأزياء كرنفال ضوء القمر، مصنوعةً من قماش عليه منظر غابةٍ جميلةٍ من حكايةٍ خرافيّة، مُتكاملةً بالكُروم والأشجار والنجوم. لقد رأيتُ هذا من قبل...

طارَت سكينٌ في الهواء وهبطَت بالقرب من أذني. سُرعان ما تبعَتها أخرى لتغرق في عُمق الخشب على الجانب الآخر. زأرَ نبضي. لقد فاتَني شيء، شيءٌ لفت انتباه توماس. كان بإمكاني القَسم أنّ مكياجي سيذوب على وجهي تحت الأضواء الحارقة. نشبَت سكينٌ أخرى بالقرب من جمجمتي. كان توماس يُحدّق في المرآة،

لكن أندرياس لا يُمكن أن يكون الشخص الذي خطفَ إبنة عمّتي وقطعَ إصبعها. إنهُ واقفٌ هُناك الآن، يقوم بخُدع ورق اللّعب مع هوديني الذي حرّرَ نفسه منذُ لحظات.

تبعثرَ لُبّ التفاحة عليّ من فوق، وكان عصيره لزجًا وحلوًا وهو يعلقُ في وجهي ورقبتي. وقفَ الجمهور على أقدامه ليُصفّق بيديه. لقد أذهلَهم الفارس بشفراتهِ مرةً أخرى، مع ذلك لم أستطِع التركيز على ما موجود هُنا والآن. رفعَ أندرياس قناع طبيب الطاعون ليسرق رشفةً سريعة من الماء. قدّمَ جيان انحناءةً بطيئة بتعمّدٍ للحضور وعيناه ثابتتان على وجهي. ابتسمَت كاسي من الأعلى وقناعُها يلمع كالشّفرة. بلعتُ ريقي بصعوبة وانحرف انتباهي إلى أنيشا، التي أرجحَت حبلَين من اللهب ثم نفثَتهُما بالقرب مني لدرجةٍ خطيرة. كلّ واحدٍ منهم كان فاتنًا لكنهُ مُميت. ربّما كانوا جميعًا مُذنبين.

تعثّرتُ عبر المنصّة، وأفكاري تدور حول القرائن مثلما تحومُ الغربان حول جثّة، عندما نزلَت ذراعٌ حول كتفي لتجذبَني نحوه.

"هل كلّ شيءٍ على ما يرام آنسة وادزورث؟" سأل مفيستوفيليس. "إن لم تبتسمي وتنحني قليلًا فسوف تُخيفين الجمهور."

هممتُ بالامتثال لطلبه عندما صدمَني الاكتشاف أخيرًا. "القماش المسروق..."

قاطعَني مفيستوفيليس: "لاحقًا، أرجوكِ انحني واجلسي على مقعدِك."

"كلّا!" همست. "جيان هو القاتل... يجب أن نُخرجه من المسرح، الآن!"

"ماذا؟"

"جيان هو القاتل!" كدتُ أصرخ.

عبر المنصة مدّ جيان رأسه، وقام بتدوير سكين بيدٍ واحدة كما يفعل شخصٌ بمُسدّس. "ماذا قلتِ للتوّ؟"

ظهرَ صفٌّ من راقصات الكَنكان من خلفه، يركلنَ أرجلهنّ عاليًا وتنّوراتهنّ بدرجاتٍ متنوّعة من ألوان القرمزيّ والأخضر المُصفرّ والبرونزيّ. كانت تلك البُقع الملوّنة الوحيدة في لوحة كرنفال ضوء القمر، وجعلَ ظهورهنّ في هذه اللحظة تقدُّم جيان نحوي صعبًا. كان يتحرك بين صفوف الراقصات مُتفاديًا ركلاتهنّ، ثم حدّقَ بي بشدّة وهو يقف أمامي.

"لا دليلَ لديكِ على هذا الاتهام، أليسَ كذلك؟" قالَ جيان، قبل أن ينجح مفيستوفيليس بطريقةٍ ما في جرّنا خلف الراقصات وتنانيرهنّ الضخمة، كأنهُ قد توقعَ حدوث ذلك وأراد حجب المشهد عن أنظار الجمهور.

"هذا القماش الذي ترتديه... لقد سُرِقَ منذ أيّام." قلتُ مُشيرةً إلى صدريّته. نعتقدُ أنّ القاتل هو المسؤول. وها أنتَ ذا، تلبسهُ أمام الملأ. الليلة هي ختامُكَ الكبير أليس كذلك؟"

حدّقَ جيان في صدريّته، وبدا كأنهُ لم يُلاحظها إلا الآن. "كانت هذه هديّة."

"هديّة مِن مَن؟" سألتُه بغير اقتناع، رغمَ صعوبة تجاهُل الألم الواضح في عينيه. نظرَ إلى مفيستوفيليس بينما تراجعَت الراقصات خلف الستارة، وقال: "مِن -"

"سيّداتي وسادتي!" هدرَ صوتٌ ذو لكنةٍ أجنبيّة في أرجاء صالة الطعام. "من فضلكم، وجّهوا انتباهكم إلى أفضل عرضٍ لدينا حتى

الآن. هـل لـي أن أقـدّمَ لكـم... الرجـل المشـنوق!"

حدّقنـا أنـا ومفيسـتوفيليس وجيـان فـي بعضنـا البعـض، بتعابيـر مُتماثلـة مـن الرّهبـة والفـزع، قبـل انطفـاء جميـع أضـواء المـكان فـي نفـس اللحظـة.



# 39
# مشهدٌ مُبهر

## صالون العشاء - الباخرة إتروريا
## 8 يناير 1889

ومضَ ضوءٌ كاشف من نهاية المسرح ليُنير زاويةً مُظلمة بنوره الأبيض المُزرقّ. إلى جانب المرآة السحرية العتيقة تأرجحَ الدكتور آردن ببطء من حبلٍ مشنوقًا. انتفخَت عيناه وبرزَ لسانه المُسودّ من شفتيه المفتوحتَين، بينما كانت ذراعه اليسرى مفقودةً عند المرفق. صمتَت جميع الأصوات في الصالة، حتى نغمات آلات الكمان الحزينة توقفَت بغتةً على ذلك المشهد. مع ذلك تعثّرَ انتباهي على شيءٍ أسوأ، وتجمّدَ دمي لرؤية المُستحيل أمامي.

لقد جلسَ توماس في مواجهة المرآة السحريّة، معصوب العينين مع خناقٍ حول رقبته، ويداه مُقيّدتان خلف ظهره. لا بدّ أنّ العرّاف قد استدرجه على خشبة المسرح، وهو إنجازٌ ليسَ صعبًا بالنظر إلى رغبة توماس في الانضمام إليّ في الختام.

قال أندرياس بصوتٍ هادئ أتى عبر جهاز ميكانيكيّ: "إذا تحرّكَ أحدٌ فإنّ هذا الشابّ سيموت."

انتقلَ مفيستوفيليس إلى جانبي لكنه رفعَ يده، مانعًا الفنّانين من

القيام بأيّ حركاتٍ مُفاجئة. نظرتُ مرةً أخرى إلى جيان والسكاكين التي ما زال يحملها. تقلّصَ فكّه وتركيزه مُنصبٌّ على صديقه فقط. لم أعرف ما إذا كان متورّطًا، لكن بالنظر إلى تعابير الخيانة المُطلقة على ملامحه باتَ لديّ شعورٌ أنّ أندرياس هو الشخص الذي أهداه الصدريّة.

"أنتِ،" زعقَ أندرياس في أنيشا. "أطفئي اللهب ببُطء." نظرَت آكلة النار إلى مفيستوفيليس بعينين واسعتَين. "إنه ليس المسؤول! افعلي ما أقول أو سأقتلهُ الآن."

لم تتردّد أنيشا هذه المرّة، فتعثّرَت إلى الأمام لتُغرق شعلتَيها في دلاءٍ من الماء، ليكون هسيس النار بالبخار الصوت الوحيد في المكان، إلى جانب دقّات قلبي.

"السكاكين... ارمِها قرب السيوف، بعيدًا عن المسرح. فورًا!"

فعلَ جيان ذلك بصمت بينما كان أندرياس يقف خلف توماس، بتعبيرٍ حذر وهو يُمسك بالخناق حول رقبة صديقي. رغبتُ في اتّخاذ خطوة في اتجاههم، لكنّني أجبرتُ نفسي على الامتثال لتحذيره. كان عليّ البقاء هادئةً للتفكير. سأُخرِج توماس من هذا الموقف، أو أموت وأنا أحاول. لم يكن هُناك خيارٌ آخر.

"أندرياس..." قلتُ ببطء. "أرجوك اترُك توماس، إنهُ لم يرتكب أيّ ذنب."

أجابَ أندرياس: "نحنُ على وشك بدء التنبّؤ بمستقبل السيّد كريسويل يا آنسة وادزورث. القدر يختارُ بصمتَه. بعض الناس يؤمنون بالمرآة السحرية. سوف تُظهر له عروسه المستقبلية! إنهُ يؤمن بجمال الحبّ الحقيقي المُقدّر، كما فعلتُ أنا من قبل."

حاولـتُ الحفـاظ علـى صوتـي ثابتًـا، لإبقـاء الوضـع هادئًـا قـدر المُسـتطاع. مـن زاويـة عينـي رأيـتُ الـركّاب يحاولـون التحـرّك فـي مقاعدهـم. أملـتُ ألّا تُغضـب حركتهـم أندريـاس. ابيضّـت مفاصـل أصابعـه مـن الضغـط عليهـا. قُلـت: "مسـتقبل تومـاس بالتأكيـد أكثـر إشـراقًا بـدون المـرآة. إذا سـمحتَ لـه بالذهـاب فيُمكننـا مُسـاعدتك. أنـا متأكـدة مـن أنّ لديـك أسـبابًا قويّـة لمـا فعلتَـه. كلّ مـا عليـكَ فعلـه هـو تـرك تومـاس ويُمكننـا بعدهـا مُناقشـة الأمـور."

هـزّ رأسـه بسـرعةٍ واضطـراب. "أخشـى أنّني لا أسـتطيع فعـل ذلـك آنسـة وادزورث. إنـه يُريـد معرفـة مصيـره وسـأعطيه مـا يُريـد."

أصـدرَ تومـاس صوتًـا مخنوقًـا وأصابعـه تشـدّ بـلا فائـدة علـى قيـود معصميـه.

قلـتُ وأنـا علـى وشـك التوسّـل: "أعـرفُ مصيـره بالفعـل. سـنعيش أنـا وهـو فـي سـعادةٍ فـي الريـف. سـيكون لديـه مختبـره ولـديّ مختبـري الخـاصّ. سـوف -" رمشـتُ لحبـس دموعـي مـرةً أخـرى، غاضبـةً مـن نفسـي لأنّني تركـتُ المشـاعر تغمُرنـي. "أندريـاس... أرجـوكَ توقّـف. أنـا- أنـا أحبّـه."

"كلّا." رفـعَ ذراعـه. "أنـتِ لا تسـتحقّينه، بتجوالـكِ مـع سـيّد الحلبـة وتخلّيـكِ عـن حبّـه. سـوف تُظهـر لـه المـرآة مصيـرًا مُختلفًـا خاليًـا مـن الألـم. أنـا أصـرُّ علـى أن تجلسـي وتُشـاهدي العـرض."

"كفـى يـا أندريـاس." صعـدَ مفيسـتوفيليس بجانبـي. تمكّنـتُ مـن قـراءة الذعـر بوضـوح فـي تعبيـره، رغـمَ أنّ صوتـه حمـل نبـرة سُـلطته المُعتـادة. "اتـرُك الخنـاق. القبطـان ورجالـه فـي الطريـق، الصالـة مُغلقـة ولا مفـرّ منهـا.

أفـراد الطاقـم يقفـون لحراسـتِها مـن الخـارج، لقـد قُمنـا بطلبهـم كإجـراءٍ احتـرازيّ."

"مفـرّ؟" سـخرَ أندريـاس وشـدّ قبضتـه علـى رقبـة تومـاس. إن قـامَ بزيـادة القـوّة أكثـر سـيموت تومـاس. شـددتُ قبضتـيّ. "لـم أتخيّـل قـطّ أنّني سـأهرب مـن هـذا يـا سـيّد الحلبـة."

فـي تلـك اللحظـة بـدأت شـفاه تومـاس بالازرقـاق، وقـامَ بحركـةٍ مفاجئـة للوقـوف لكـن أندريـاس دفعـهُ للأسـفل وعينـاه تلمعـان كأنّ بإمكانـه هزيمتنـا جميعًـا مـرةً واحـدة ليفـوز. هممـتُ بالاندفـاع إلـى الأمـام لكـن مفيسـتوفيليس تمسّـكَ بتنّورتـي ليُبقينـي فـي مكانـي، وربّمـا أنقـذَ حيـاة تومـاس بذلـك.

قـال أندريـاس: "لديكُـم خيـاران. إمّـا التعامـل مـع هـذا بطريقـةٍ مُتحضّـرةٍ وبكرامـة، أو سـأضطرّ إلـى جعـل الأمـر أكثـر صعوبـةً وإيلامًـا."

"أينَ ليزا؟" سألتُه على أمل تشتيت انتباهه. "هل ما زالت حيّة؟"

أدارَ نحوي عينين باردتَين بشكلٍ يصعُب استيعابه. "حتّى الآن."

لـم يكـن جوابـه مُريحًـا، لكنـه أفضـل مـن موتهـا. أعـادَ انتباهـه إلـى الخنـاق، وشـدّه أكثـر قليـلًا. بـاتَ تومـاس يختنـق وكـدتُ أفقـد عقلـي. صرخـتُ مُتجاهلـةً شـهقات الجمهـور الذيـن نسـيتُ وجودهـم تقريبًـا: "أنـا أعـرفُ لمـاذا قتلـتَ هـؤلاء النسـاء، للانتقـام، صحيـح؟ قلـتَ أنّ ليزيـل باعَـت الـورود. لقـد أثنـى عليهـا اللـورد كرينشـو واتّهمَتهـا السـيّدة كرينشـو زورًا بالسـرقة، بدافـع الغيـرة لا أكثـر." قصّـة حـبّ بسـيطة تحوّلـت إلـى شـيءٍ قاتـل. "آل كرينشـو وآل بريسـكوت تآمـرا علـى زجّ ليزيـل فـي السـجن، أليـس كذلـك؟"

أغمضـتُ عينـيّ، وفجـأةً ظهـرَت صـورة جديـدة فـي رأسـي. شـعرتُ

كأنّني توماس كريسويل، مُسافرًا إلى عقل قاتلٍ مرةً أخرى. رأيتُ في ذهني فتاةً بابتسامةٍ حلوة وعينين طيّبتين. فتاةٌ لم يكن لديها الكثير لكنّها استغلّت حياتها البسيطة جيّدًا. الفتاة التي استولَت على قلب الشابّ الواقف أمامَنا.

"كان اللورد كرينشو خلف إلقاء القبض على خطيبتِك، أليس كذلك؟" سألتُه مُغامرةً بالتقدّم خطوة. لم يردّ أندرياس. "السيّد بريسكوت هو كبير القُضاة، الذي حكمَ عليها دون مُحاكمةٍ عادلة." هززتُ رأسي. "الأوضاع في السجون مُروّعة. مرضَت خطيبتُك هناك، وكان يُمكن علاجها لكن الدكتور آردن رفضَ الاعتناء بها في الإصلاحيّة."

"بدأ كلّ شيء بتلك المرأة الفظيعة." صكّ أندرياس أسنانه بقوّةٍ لدرجة تلعثُم الكلمات. "لقد اعترفَت قبل أن تشرب السمّ الذي وضعتُه لها. قالت إنها لا تستطيع العيش بعد ما حدثَ لابنتها. لقد دفعَت مالًا كثيرًا مقابل الزهور، رغمَ أن ليزيل حاولَت الرفض." باتَ تعبيره أكثر برودةً من نسيم بحر الشتاء على السفينة. "واجهَها زوجها بفُقدان المال وادّعَت أنّه لا بدّ أن يكون عند فتاة الزهور السارقة تلك، ذات اللكنة المُضحكة. عرفَت السيّدة كرينشو كيف سيكون ردّ فعل زوجها، يبدو أنّ لديه تاريخٌ في حبس الناس."

أدارَ أندرياس نظراته الغاضبة باتجاهي، وارتخَت قبضته. "لقد قتلوها، كلّهم." ارتعشَت عضلةٌ في فكّه. "لقد أخذوا حبيبتي مني، لذا أخذتُ أكثر ما يُحبّونه في المقابل. العين بالعين. لن أتوقّف حتى يتذوقّوا من بئر اليأس الذي غرقتُ فيه خلال الأشهر القليلة الماضية."

عائلـةٌ نبيلـة وطبيـب وكبيـر قضـاة. سـتّة الدينـاري، آس البسـتوني، خمسـة الكوبـة، وآس السُـباتي: توضيـحُ أدوارهـم. سـبعة السـيوف والنجـم: عقوبـاتٌ تُناسـب جرائمهـم. قصّـة غيـرة وحـبّ وفُقـدان وخيانـةٌ وانتقـام.

قـام بلـفّ الخنـاق بإحـكامٍ أكثـر حـول رقبـة تومـاس، وأمكنَنـي الشـعور بفُقـدان أنفاسـي لِلحظـات. بـدا عالمـي علـى شـفا الفنـاء.

"كلّهـم قتلوهـا. كلّ أياديهـم قـذرةٌ ومُلطّخـة بالدمـاء. الجميـع تتّسـخ أياديهـم فـي هـذا العمـل، أليـسَ كذلـك يـا زعيـم؟ أنـتَ علّمتَنـي ذلـك. حتّـى أنـتَ خُنتَنـي. لقـد أرسـلتَني لإحضـار تلـك الزهـور فـي ذلـك اليـوم. لـولاكَ لمـا التقيـتُ بِليزيـل وكانـت سـتبقى علـى قيـد الحيـاة فـي بافاريـا. هـذا الكرنفـال الملعـون يجـب أن يحتـرق. وبعـد هـذه الرحلـة؟ بعـد هـذا لا أعتقـدُ أنـه يُمكنـك التعافـي يـا مفيسـتوفيليس. رغـمَ أنّنـي أشـكرُك علـى هـذا المـال، فلـولاه لـم يكُـن أيٌّ مـن هـذا مُمكنًـا."

"مال؟" سألتُه وأنا أنظر إليهما بالتناوب. "أيّ مال؟"

نظـرَ أندريـاس إلـيّ وضاقـت عينـاه. "لقـد رتّبـتُ لهـم جميعًـا الحصـول علـى تذكـرة سـفر مدفوعـة الأجـر مـن الدرجـة الأولـى علـى هـذه السـفينة. شـعرَ سـيّد الحلبـة الرائـع بالذنـب الشـديد تجـاه ليزيـل، فوافـقَ علـى إعطائـي مبلغًـا رائعًـا مُقابـل علامـة قبرهـا. لكونهـا ميتـة لـم أظنّهـا تُمانـع فـي اسـتخدام المـال للانتقـام لأجلهـا. هـل تـرى؟" قـال رافعًـا يديـه مـن تومـاس لِلحظـات. "يـداي قـذرةٌ الآن يـا زعيـم."

"آه، أندريـاس." هـزّ مفيسـتوفيليس رأسـه ببـطء. "لـم أقصـد أبـدًا... لـم يكـن هـذا هـو الهـدف مـن قصّتـي. كنـتُ أتحـدّث عـن العيـش الكريـم باعتبـاره أفضـل انتقـام. وتلطيـخ اليديـن مجـرّد كنايـة، ليـسَ تعبيـرًا حرفيًـا.

عـادةً تتلطّـخ يـداي بالشـحم الناتـج عـن تصميـم آلاتٍ جديـدة، وليـسَ بدمـاء الأبريـاء."

"أبريـاء؟ ألـم تستمِع؟ لـم يكُـن أيٌّ منهـم بريئًـا!" هـزّ أندرياس رأسـه. "مـا نـوع العالـم الـذي سـأعيشُ فيـه بعـد أن قتلـوا حبّـي؟ الشـيء الوحيـد الـذي يدفعنـي للعيـش هـو التفكيـر فـي الانتقـام وجعـل هـؤلاء الرجـال يدفعـون الثمـن. لـم تعُـد يـداي مُلطّخـة أكثـر مـن أيـادي أولئـك الذيـن يُفتـرض أنهـم فـي مكانـةٍ عاليـة فـي المجتمـع. كـم عـدد القتلـة الآخريـن ومـع ذلـك مـا زالـوا يمشـونَ أحـرارًا؟ كـم مـن الأرواح دُمّـرَت بأهوائهم؟"

جـاءَت همهمـاتٌ مـن الجمهـور. مـع لهـاث تومـاس لالتقـاط أنفاسـه نسـيتُ مـرةً أخـرى أنّ الجمهـور كان يُشـاهد كلّ لحظـةٍ مـن هـذا. كنـتُ أركّـز علـى شـيئين: دقّـات طبـول الحـرب المسـتمرّة فـي قلبـي، وإدراك أنّنـي سـأخوضُ ألـف معركـة وأمـوتُ بألـف طريقـة قبـل السـماح بـأيّ ضـررٍ للّحـاق بحبّـي. سيكشـف أندريـاس عـن عرضـه المُبهـر قريبًـا، خاصّـةً بعـد أن أفصـحَ عـن خطّتـهِ بالكامـل الآن.

"لكنّـكَ... لـم تقتـل هـؤلاء الرجـال." قُلـت وأنـا أقتـربُ منـه أكثـر. "لقـد قتلـتَ بناتهـم والسـيّدة بريسـكوت."

بالـكاد حـرّك أندريـاس نظـره فـي اتجاهـي. "لقـد آذيتُهـم بطريقـةٍ تُسـبّب أكبـر قـدر مـن الضـرر. بمجـرد أن يفقـد هـؤلاء الرجـال كلّ مـا كانـوا يُحبّونـه عندهـا سـيتم تصحيـح الأمـور. إنّ تـرك بريسـكوت واللـورد كرينشـو علـى قيـد الحيـاة هـو أفضـل شـكل مـن أشـكال التعذيـب لهـم. أدعهـم يعيشـون أيامهـم فـي البـؤس، كمـا فعلـوا بـي."

قـال مفيسـتوفيليس: "لا يُمكنـكَ تحقيـق العدالـة بيديـك. كان يجـب أن تُخبـر مفتّشـي التحقيـق."

سخرَ أندرياس. "إذا كنتَ تظنّهم سيُحقّقون في وفاة فتاةٍ مريضة تبيع الزهور من الأحياء الفقيرة لوضع الأثرياء الذين قتلوها خلف القضبان فأنتَ بنفس سوئهم. العدالة لا تُمنَح إلا للأقوياء، وهذه ليسَت عدالة حقّة، أليسَ كذلك؟"

انقلبَت عينا توماس وبدأ جسده يرتخي. شهقَ الجمهور وخطوتُ خطوةً إلى الأمام لا إراديًا ثم توقّفتُ عند أمر أندرياس، مليئةً بالآلام والإحباط.

صرختُ عندما تركَ أندرياس الخناق، لكن ارتياحي لم يدُم طويلًا عند لمعان نصل سكّينه في الأضواء الساطعة. صرخَ أحدُهم خلفنا لكنّني أهملتُ كلّ المُشتّتات، وركّزتُ على النصل فقط. سُرعان ما رفعَ السلاح الجديد من حذائه وعيناهُ على توماس الذي كان يُكافح لالتقاط أنفاسه. كان سيقتل توماس، ثم يفعل الشيء ذاته لي ولمفيستوفيليس في ختامه الكبير.

جذبَ انتباهي صفيرٌ خافِت من العوارض الخشبية فوقنا. نظرتُ إلى ما وراء جسد الدكتور آردن المشوه المُعلّق على الحبل، إلى حيث وقفَت كاسي وسباستيان بالقُرب من الأراجيح خاصّتهما. أشارا نحو أندرياس ورفعا كيسًا كبيرًا كان بحوزتِهما، في تلميحٍ واضح إلى الخطّة المقصودة. أنا ومفيستوفيليس لن نكون لِوحدنا في الهجوم. قد نطرح أندرياس أرضًا قبل أن يلحق بنا أيّ أذى حقيقيّ، وقد يُسقِط كاسي وسباستيان الكيس عليه لإفقادِه الوعي، لكن توماس...

تلاشت أصوات بكاء الجمهور أمام نبضي الخافق، دقّات قلبي أعطَتني الإيقاع الوحيد الذي حثّني على الصمود. سيقتل أندرياس توماس أمام عينيّ.

لقد رآه على أنهُ أحد أفراد النخبة الثريّة، مشكلةٌ أخرى في نظام فاسد.

لن أدَع كريسويل يُصبح آخر صورةٍ فنّية في هذا الختام المُختلّ. للحظةٍ تجمّدنا جميعًا في لوحةٍ مُرعبة، ثمّ سحبَ أندرياس ساقه إلى الوراء ليركل توماس إلى مُنتصف المسافة عبر المسرح. كنتُ أعلم أنه يمنح نفسه مساحةً لإظهار مهاراته في السكاكين. شعرتُ كأنّ جسدي كله قد غُمِرَ في الجليد ثم اشتعلَت فيه النيران على الفور. في تلك اللحظة، عندما شاهدتُ توماس يترنّح ويسقط على ركبتيه، فهمتُ بوضوح مُذهل ما مرّ به أندرياس خلال مُشاهدته ليزيل تموت بلا سبب.

لا أريدُ العيش في عالم لم يكن توماس كريسويل جزءًا منه. مهما تآزرَت الاحتمالاتُ ضدّنا سأقاتلُ من أجله حتى ألفظُ آخر أنفاسي المُرتجفة. حتّى إن مُتّ فلن أكفّ عن مُلاحقة أولئك الذين هدّدوا عائلتي، لأنّ هذا ما أصبحَ عليه توماس. كان مُلكي، لقد اخترتُه تمامًا كما اختارني، وسأدافعُ عنه بكلّ ما أملك. لقد كبرَت صداقتنا واشتعلَت فيها النيران لتغدو شيئًا قويًّا جامحًا، شيءٌ كان من الغباء أن أشكّ فيه للحظةٍ واحدة.

"كلّا!" تعالَت الصرخات من حولي، وبإمكاني أن أُقسِم أنّني سمعتُ الفنّانين يحثّون صديقهم. أخطأ كيسٌ من الراتينج هدفه ليتحطّم على خشبة المسرح، وينطلقُ منه المسحوق مثل أحد دخولات مفيستوفيليس الدُخانية. تجاهلتُ كل شيء، وبقيَ تركيزي حادًّا مثل منشار العظام.

رفعَ أندرياس سكينه وعرفتُ أنه سيقذفُها في صدر توماس.

لقد كان يتدرّب مع جيان طوال الأسبوع، وتطوّرَت قُدرته التصويبيّة بشكلٍ مُخيف.

لم أفكّر، إذ لم أكن بحاجةٍ إلى ذلك. احتجتُ للتنفيذ فقط. كنتُ أتدرّب على خفّة اليد طوال الأسبوع، ولم أُدرِك مُطلقًا أنّني سأطبّق هذه التكتيكات في لحظةٍ كهذه. راحَ جسدي يتحرّك دون تردّد.

أدخلتُ يدي تحت تنّورتي وأمسكتُ بالمشرط المربوط هناك، ورميتُه بكلّ ما أوتيتُ من قوّةٍ وسُرعة. لم أكلّف نفسي عناء التصويب لعدم وجود جدوى. لم أكن هدّافة، ولم أمتلك مهارات جيان لذا لن أصيب هدفًا متحرّكًا. لكن تحطيم المرآة الثمينة سيُوجّه له ضربةً عميقة في كل الأحوال، تمامًا كالآلام التي نتجَت من قتل زوجات وبنات أعدائه.

أدّى صوت تحطّم الزجاج إلى لحظة تشتّت كما آملت، لحظةٌ ضغطتُ فيها لِمصلحتي مثل أيّ ساحرٍ متمرّسٍ في حيله.

صرخَ أندرياس صرخةً أجشّة مُختَلّة. لقد محوتُ آخر آثار ليزيل من هذه الأرض. صاحَ مفيستوفيليس باسمي، ربّما في تحذير لكنني كنتُ مُدركةً بالفعل للخطر، وهو يركض نحو العرّاف ليُطيح به. لم أصرخ وأنا أصطدمُ بتوماس لافّةً ذراعيّ حوله خلال سقوطنا على الأرض، ولم يخرُج منّي صوتٌ عندما غاصَت سكّين أندرياس عميقًا في جسدي.

لقد أصابَتني بالضبط حيث تخيّلتُها، وفي تلك اللحظة شعرتُ بانتصارٍ حزين.

لقد واجهتُ الوحش وقمتُ بحماية الشخص الذي أحببتُه

بعد أن قضيتُ على شكوكي. في البداية لم يكن هُنالك أيّ ألم، واعتقدتُ بحماقة أنه لم يُصِب أيّ شيءٍ حيويّ. سنخرج أنا وتوماس من هذا الكابوس كلّه دون أذى، لنعيش أيّامنا في الريف تمامًا كما قُلت، وسأفعل كل ما يتطلّبه الأمر لإصلاح العلاقة بيننا، لاستعادة حبّه وإثبات حبّي.

لكن تلك الأوهام البهيجة لم تدُم طويلًا... بعد لحظاتٍ اجتاحَني إحساسٌ بالغ الحرارة والحدّة فصرختُ من أعماقي. كان الصوت حيوانيًّا ولم أعلم أنّ بإمكاني إطلاق مثل هذه الصرخة الرّهيبة الوحشيّة. نزلَت الدموع على وجهي وسالَت في فمي بملوحتِها ودفئها.

"توماس!" باتَ كلّ شيء ساخنًا ولزجًا رغمَ الارتعاش الذي أصابَ جسدي في نفس الوقت. أمسكَت أصابعي أصابعٌ عليها دماء. "توماس..." قلتُ ثانيةً بهدوءٍ أكبر.

"وادزورث." - كان صوت توماس مُتوتّرًا - "ابقي هُنا. ابقي معي."

"لن أذهب... إلى أيّ... مكان." لم يكن هُناك مكانٌ في العالم فضّلتُ أن أكون فيه. رغمَ أنّ حرارة الألم الحارق في ساقي دفعَتني للظنّ بأنّني قد قلتُ كذبةً أخرى للتوّ... سواءٌ رغبتُ في ذلك أم لا فربّما أتركُ توماس كريسويل. رغبتُ في البكاء أو الضحك لكن الألم كان غامرًا. لحُسن الحظ تسلّلَت إليّ أجزاءٌ من الظلام لتُخفّف بعض مُعاناتي.

كانت استنتاجاتي الطبّية بطيئةً في المجيء، لكن في خضمّ دخولي وخروجي من الظُلمة المُتقطّعة في داخلي أدركتُ أنّني كنتُ أحتضر. ذلك الإحساس الدافئ الذي اندفعَ إلى أسفل جواربي هو

الـدّم، وكان هُنالـك الكثيـر منـه، كثيـرٌ لدرجـةٍ تفـوق قُـدرة الإنسـان علـى العيـش بعـده.

"تومـاس..." كان صوتـي همسًـا خافتًـا لكنـهُ سـمعَني، فأمسـكَ بيـديّ بقـوّةٍ وانحنـى. "لا تترُكنـي."

"أبـدًا." قطّـرَ شـيءٌ مـا علـى وجهـي لكـنّ التعـب منعَنـي مـن فتـح عينـيّ. بـدا رأسـي ثقيـلًا كأنّنـي تناولـتُ الكثيـر مـن الشـمبانيا بسـرعةٍ كبيـرة، وتجمّعَـت نجـومٌ بيضـاء صغيـرة حـول حافّـات إدراكـي. كلّمـا زادَ الـدفء أصبـحَ جسـدي أكثـر بـرودة. بـدا الأمـر إحقاقًـا لعدالـةٍ جميلـة، أنّ تكـون نهايتـي بواسـطة نصـل.

"وادزورث..." جـاء صـوت تومـاس كأنّ شـخصًا علـى وشـك ذبحـه بسـكّين، لكـن ذلـك الخطـر قـد زال. طمأنَتنـي الفكـرة وأنـا أنجـرفُ للنوم. صفقَـت يـدٌ علـى خـدّي ببُـطءٍ فـي البدايـة، ثـم بثبـاتٍ أكثـر. كان يجـب أن أنهـض لكنّنـي شـعرتُ أنّنـي بعيـدةٌ جـدًا. بـدأ حلـمٌ جميـل، حلـمٌ كنـتُ فيـه مـع تومـاس، نتجـوّل فـي قاعـة احتفـالاتٍ ذكّرَتنـي بالنجـوم. كان كلّ شـيءٍ أبيضًـا نقيًّـا وفاحَـت فيـه رائحـة الفاوانيـا والسـحر.

"أودري روز! انظُـري إلـيّ." ظهـر وجـه تومـاس وهـو يحـوم فـوق وجهـي. كان يشـتمُ مثـل الشـيطان لكـن فـي هـذه اللحظـة ربّمـا يكـون مـلاكًا أُرسِـلَ ليُرشـدني إلـى مـكانٍ مـا. كانـت شـفتاه - اللّتـان لـم تعـودا مُزرقّتيـن - تتحـرّكان، لكـن الأصـوات غابَـت بينمـا غمـرَت موجـاتٌ مـن البيـاض والسـواد رؤيتـي. حدّقـتُ فـي عينيـه الواسـعتَين. لقـد كان حيًّـا وسـالمًا... لـم ينتصـر المـوت عليـه. حملَتنـي الفكـرة أكثـر إلـى عـدَمٍ آمِـن.

ذابَـت الكلمـات فـي بعضهـا البعـض وعجـزتُ عـن سـماع تومـاس

مثلما عجزتُ عن إيقاف نزيف جرحي. باتَ نبض قلبي لازمةً هادئة مع تباطؤ إيقاعه. أخذَ الدفء يتدفق بحُرّية حول جسدي، ليجرّني أكثر فأكثر نحو الوعد براحةٍ سعيدة. لدي الآن نبضان يقاتلُ كلٌّ منهما الآخر، واحدٌ في ساقي والآخر في صدري. بدا كلاهما في تلاشٍ كلّما قاتلا أكثر، وكان ذلك حسنًا بالنسبة لي. رغبتُ في الانجراف والاستسلام للظلام، فهو أكثر سلامًا من الألم الوحشيّ الذي سيطرَ عليّ. أردتُ العودة إلى ذلك الحلم الرائع حيث يُمكننا الرقص بين النجوم.

سمعتُ ثلاث ارتطامات. في لحظةٍ سادَ هدوءٌ بهيج وقبولٌ بالتحرّر من كلّ شيء، وفي اللحظة التالية شعرتُ بضغطٍ ثقيل ومُزعج على رجلي قامَ بانتزاعي من ذلك الصفاء. أردتُ الصراخ مرةً أخرى للتخلّص من المُعاناة، لكنّني كنتُ مُتعبةً للغاية. من بين الآلام حاولتُ فتح عينيّ على مَن كان يُطيل عذابي، لكنّ أجفاني ازدادَت ثقلًا وقاومَت الانصياع حتّى مع اجتياح وحش الألم لِجسدي مرارًا وتكرارًا.

تفاقمَ الضغط وتمكّنتُ أخيرًا من الصراخ حتّى ذقتُ الدماء في أسفل حلقي. كان جزءٌ مني يعلمُ أنّني يجب أن أقاتلَ بوحشيّة وأن أحاول العيش، حتى لو كان ذلك فقط لركل الشخص الذي يُسبّب الألم في ساقي. لملمتُ شتات تركيزي وأخذتُ أحدّق في عتمة الظلام. كانت يدا توماس تُمسِك بوقاحةٍ فُخذي المكشوف، والدموع تنهمرُ على وجهه لتسقطَ على وجهي. شعرتُ أنه يصرُخ آمرًا أحد القريبين منه، رغمَ أنني لم أستطِع سماعه أو التأكّد من ذلك. كنتُ شديدة التركيز على دموعه... في ذهني مددتُ يدي لمسحِها برفق،

لكن ذلك حلمٌ آخر بالتأكيد.

'أحبُّك.' فكّرتُ وأنا أصارعُ السّواد. 'أكثر من كلّ نجوم الكون... في هذه الحياة وما بعدها... أحبُّك.'

تكرّرَت الارتطامات، وقاتلتُ بكلّ ما عندي لإلقاء نظرةٍ أخيرة على توماس كريسويل خاصّتي، لكنّ الظلام غزاني كجيشٍ مُنتقِم يعتزمُ أخذي إلى الأبد.



# 40
# الوداع

## المشفى - الباخرة إترويا
## 9 يناير 1889

تدفّقَ الضوء من النافذة ليسحبَني من النوم. كانت النوارس تُنادي بعضها البعض وانضمّت إليها أصواتٌ مكتومة من مكانٍ ما في الخارج. انقبضَت معدتي بفعل رائحة المُطهّرات الحادّة، لتأخذَ ما تبقّى من سَكينتي. رمشَت عيناي حتى انجلَت الضبابيّة، لأرى أسرّةً وطاولاتٍ صغيرة: كنتُ في مشفى.

شهقتُ عندما انحنى توماس إلى الأمام، وكرسيّه يئنّ تحت وطأة تغيير ثُقله. لم أرهُ جالسًا هناك، والآن بعد أن نظرتُ فقد بدا بائسًا حقًا. شوّهَت الهالات السوداء بشرته تحت عينيه، ووجههُ شاحبٌ أكثر مما رأيتُه من قبل. كانت هُناك هالةٌ من العدَم فيه دفعَت قشعريرةً على ذراعي. تساءلتُ عمّا إذا كان قد رأى شبحًا.

مدّ يده ليشبكَها بيدي وكانت عيناه مُحمرّتَين. "ظننتُ..." أمسكَ بيدي بقوّة. "ظننتُ أنّني قد فقدتُك للأبد يا وادزورث. ما الذي كنتِ تفكّرين فيه بحقّ الجحيم؟"

عادَت بعض القطع والأجزاء من ذاكرتي، رغمَ أنّ كل شيء بدا

ضبابيًا لدرجةٍ صعبة التصديق. "ماذا حدث؟"

سحبَ توماس نفسًا عميقًا. "عدا اندفاعكِ لإنقاذي من موتٍ مُحقّق؟ وتلقّيكِ سكينًا عشوائيّة بالقُرب من شريان فُخذك؟" هزّ رأسه وأردفَ متألّمًا: "لقد دخلَ النصل بعُمق لدرجة التصاقه بالعظم يا أودري روز. كان عمُّكِ قادرًا على إزالته، بينما قمتُ مع مفيستوفيليس بالضغط على الجرح، لكن لا يُمكننا التأكّد من احتمال كسر العظم. حتّى الآن لا نعتقدُ أنه مكسور."

توجّعتُ فجأةً كأنّ قصته سمحَت لجرحي بالصُراخ مرةً أخرى. "يبدو أنّكم كنتُم مشغولون جميعًا. أيّ يومٍ هذا؟"

"لقد فقدتِ الوعي لليلةٍ واحدة فقط. نحنُ في ميناء نيويورك."

رسمَ توماس دوائر على ظهر يدي، وكان صوته أشبه بالهمس. "اعترفَ أندرياس بكلّ شيء."

"حتّى الجثّة التي وُجِدَت في الصندوق؟" سألتُه. "هل شرحَ سبب اختلاف تلك الضحية عن الأخرَيات؟" عبثَ توماس بكمّ ثوبي مُتظاهرًا بأنه لم يسمعني. "توماس؟ أنا بخير. ليسَ عليكَ أن تُعاملني كما لو كنتُ آنيةً من البورسلين[1] الآن."

"لستِ السبب." تنهّد. "عندما سألنا أندرياس عن تلك الجريمة ادّعى أنّ لا علمَ له بها. إنه في الزنزانة حتى يأتي مُفتشو المباحث لأخذه. لا نعلم أين ومتى ستجري مُحاكمته، نظرًا لأن مُعظم جرائمه وقعَت في البحر. قد نحتاجُ إلى العودة إلى إنجلترا."

"لكن لماذا لم يعترف بـ –"

قال توماس: "أنا وعمّكِ نعتقد أنه من المحتَمل وجود قاتلٍ ثانٍ

---

1 - كناية عن كونها هشّة سريعة الكسر. (المُترجم)

على متن السفينة. لقد بدأ الركّاب بالفعل بالنزول، لذا إن لم يرتكب أندرياس تلك الجريمة -"

"فقد قُمنا للتوّ بإيصال قاتل يُقلّد السفّاح إلى أميركا."

جلسَ كلانا في صمت، مُحاولين استيعاب خطورة ذلك الاحتمال. قال توماس أخيرًا: "في الوقت الراهن دعينا نأمل أن نكون مُخطئين وأنّ أندرياس قرّرَ ببساطة بعدم التعاون."

التقيتُ بنظراته وأومأتُ برأسي. يبدو أنّنا قد نسمح لأنفسنا بنصف حقيقةٍ واحدة في نهاية هذه الرحلة.

"هل هو مَن سرق القماش؟" سألتُه وأنا أتذكّر صدريّة جيان. "أم أنّها جريمةٌ غير ذات صلة؟"

"لقد اعترفَ بسرقته. يبدو أنه لصٌ تافه عندما لا يقتُل لأجل الانتقام. إنها عادةٌ قديمة جلبَها معه من بافاريا، اعتادَ على سرقة الملابس من الناس الذين كان يقرأ لهم الحظّ. تعرّفَت امرأةٌ على ثوبها المفقود لديه وأبلغَت الشرطة بذلك، لذا غادرَ لينضمّ إلى الكرنفال."

"بالحديث عن ذلك، ماذا عن كرنفال ضوء القمر؟ كيف حال مفيستوفيليس وهوديني؟"

"لقد ودّعكِ كلاهُما." قال توماس واستطعتُ رؤية أنه كان يُراقبني بعناية. "يُرسل مفيستوفيليس اعتذاره، مع تذكرتَين مجانيّتَين لعرضهم التالي. قال هو وهوديني أنّنا لن نرغب في تفويت ما يعملان عليه، سيكون -"

"مُبهرًا؟"

زفرَ توماس. "آملُ ذلك من أجلهم. عليهم إيجاد شيء لصرف

الانتباه عن جرائم القتل المتعدّدة التي ارتكبَها عرّافُهم الشهير. لكن حسب معرفتي بمفيستو فسوف يجد طريقةً لاستغلال ذلك. الفضائح عامل جذب للكثيرين. نحنُ جميعًا مفتونونَ بالمصائب، لا بدّ أن السبب يكمُن في أرواحنا البشريّة المُظلمة المُنحرفة."

قُلت: "أنا سعيدةٌ لانتهاء الأمر. آملُ بصدق أن تكون العائلات في سلام."

دارَ شيءٌ مهمّ آخر حول أطراف أفكاري، لكنّ ذهني كان لا يزال ضبابيًّا للغاية.

"ليزا!" انتزعتُ نفسي لأنهض لكنني انهرت. غمزَني الألم مُذكّرًا بمدى إصابتي. "أين هي؟ هل هي بخير؟ رجاءً أخبِرني أنّها حيّة... لا أستطيع تحمّل خلاف ذلك."

قام توماس بتعديل الوسائد وعدّل وضعي برفق مرةً أخرى. "إنّها بخير. قامَ أندرياس بتخديرها وتقييدها بالسلاسل في غرفته، لكنّها تتعافى أسرعُ منكِ بكثير."

تنهّدت. "لستُ قلقةً بشأني."

"لكن أنا كذلك. هُنالكَ شيءٌ آخر يجب أن تعرفيه... عن إصابتك." قال وهو يتحرّك ببطء في مقعده وعيناه تنظران للأسفل. "ستكونين قادرةً على المشي، لكن من المُمكن أن يكون لديكِ عرجٌ دائم. لا توجد طريقة لتحديد كيفيّة شفائك."

عادَ الألم الحارق للاشتعال في ساقي عند التذكير بإصابتي. عرَج. قد يشعر البعض بتحطّم عالمهم بمثل هذه الأخبار، إلا أنّني لم أفعل. في المستقبل لن أخطو عبرَ قاعة رقص بل داخل مُختبرٍ صغير، ولن تهتمّ الجثث إن لم أتحرّك برشاقة.

كنتُ بحاجةٍ لتخفيف حالة مزاجي لمصلحتي. كانت الأمور كئيبةً للغاية، وبغضّ النظر عن مدى الضرر الذي أصابني فقد احتجتُ إلى شيءٍ إيجابي أتمسّكُ به. كنتُ على قيد الحياة، وجميع التفاصيل الأخرى تأتي لاحقًا. ابتسمتُ لنفسي، بدوتُ حقًا مثل مفيستوفيليس.

قلت: "ثمن الحبّ لا يُمكن أن يكون بخسًا، لكن كُلفته تستحقّ."

وقفَ توماس فجأةً تاركًا يدي تتوقُ إلى دفئه. أعدتُ النظر في كلامي، مُتسائلةً أيّ جزءٍ منه قد أزعجه. قال مُتجنّبًا نظراتي: "يجب أن ترتاحي الآن. عمّكِ سيأتي قريبًا لمُناقشة ترتيبات السفر. وأعلمُ أنّ ليزا قلقةٌ في الخارج أيضًا."

"توماس... ماذا -"

"ارتاحي يا وادزورث. سأعودُ مرةً أخرى قريبًا."

زممتُ شفتيّ ولم أثق في صوتي لإخفاء ما أصابَني من أذى. شاهدتُ توماس يأخذ قبعته ومعطفه ليُسرع خارجًا من الغرفة، كأنّ رؤيتي الآن تُزعجه. حاولتُ ألّا آخذ الأمر على محملٍ شخصي لكن بعض الدموع تمكّنَت من التسلّل عبر السدّ الذي شيّدتُه. بدا أنّ توماس كريسويل كان سيختفي من حياتي بعد الكرنفال.

***

أيقظَني من النوم وجود شخصٍ في الغرفة. فركتُ عينيّ ولم أكلّف نفسي عناء مُحاولة الجلوس. "توماس؟"

"لا يا حبّي، أنا الشخصُ الأكثر وسامةً بكثير. ألومُ دماءكِ المفقودة على هذه الهفوة."

ابتسمتُ رغمَ مقدار الألم الذي عانيتُ منه. "توماس قال أنّكَ قد غادرتَ مع هوديني بالفعل."

"بلى، حسنًا، لقد وصلتُ إلى منتصف الطريق عبر الأرصفة ثم خشيتُ أنّ رغبتَكِ فيّ ستدفعُكِ إلى الجنون." قامَ مفيستوفيليس بشبك يديّ في يده. كانت خشنةً في بعض الأماكن، في دليل على اعتيادها على العمل الشاقّ. مرّر إبهامهُ على مفاصل يديّ وهدّأتني الحركة. "لم أرغب بأن يؤثّر اشتياقُكِ البالغ لي على شفائك."

هززتُ رأسي. "ساحرٌ كالعادة." اتّكأتُ على جانب السرير في ألم. "هلّا فتحتَ هذا الدرج؟"

"ليس هُناك ثعبان فيه ينتظر غرس أنيابه في بدني، أليسَ كذلك؟"

قلبتُ عينيّ. "حسنًا، لا أمانعُ من الاحتفاظ بخاتمِك. سوف يجلبُ الياقوت مبلغًا جيّدًا."

لم أرَ مفيستوفيليس يتحرّك بهذه السرعة قطّ، حتّى في أثناء أداء حيلهِ السحريّة. رفعَ الخاتم وترقرقَت عيناه بدموعٍ قبل أن يرمش لكبتِها. "شكرًا لك."

"لم أستطِع تركَكَ بدونه، وإلّا كيف سيبتزّكَ الناس؟"

ابتسم قائلًا: "صحيح. هل تَعِدين بأنّكِ لن تفتقديني كثيرًا؟"

"قد أفكّرُ فيكَ في إحدى ليالي ديسمبر الباردة الكئيبة، بعد سنواتٍ عديدة من الآن."

"ثمّ؟" سألَ بتعبيرٍ مُتفائل.

"ثمّ أتساءل عمّا إذا كنتَ تستحمّ مُرتديًا قناعَك."

كانت ضحكتُه ماكرةً وعميقة. "لا داعٍ للتساؤل يا عزيزتي، أنا أكثر من راغبٍ في أن أريكِ ذلك بشكلٍ مباشر. هل نذهب إلى غرفتي أم غرفتك؟" نظر إلى ضمّاداتي. "ربّما يتعيّن علينا تأجيل الأمر. لا أريدُك أن تنزفي على جميع أجزاء بدلتي، إنه مُسيءٌ لأعمالي."

"سأفتقدُك." قلتُ الحقيقة ببساطة، وهو شيءٌ لم أفعلهُ منذ فترةٍ طويلة. كانت خفّة اليد ممتعةً للتعلّم، لكنني لم أكن ماهرةً في لعب هذا الدور على المدى الطويل. لم أرغب في قول شيء غير الحقيقة في المستقبل. التظاهُر والأكاذيب لم يُربكاني فحسب، بل كادا يؤذيان توماس بشكلٍ لا عودة فيه.

"أعرف. إنه قدَري المحتوم تحمُّل كوني لا أُقاوَم بشكلٍ فظيع." تركَت المُتعة عينيه واستبدلها شيءٌ من الشكّ. "أخبريني... هل سنحَت لي الفرصة حقًا للفوز بكِ؟ أم كان كل شيءٍ بيننا كذبة؟ الرقص، الضحك... بالتأكيد لم يكونا كذلك."

حدّقتُ في نظراته المُظلمة، ونبضي يتصاعدُ مع تخيُّلي نوعًا مُختلفًا من المستقبل. مستقبلٌ يشمل العلم والحُرّية مع الشغف والمسرح. في ذلك المستقبل يُمكن أن أكون سعيدة، وأكثر من سعيدة. سنستخدمُ العلم لبناء آلاتٍ إعجازيّة وساحرة، وإبهار الجماهير وكسب الثناء. يُمكنني السفر حول العالم وعدم الاستقرار في الدور الذي يراه المجتمع مناسبًا. سيكون مفيستوفيليس زوجًا رائعًا، ولن يُقيّدني أبدًا ما لم يكن ذلك على خشبة المسرح. يُمكن أن أكون في منتهى الرّضا في ذلك الخيال، سأكون أكثر حرّيةً من البهلوانيّين الذين يُحلّقون بين الأراجيح.

لكن قلبي وروحي سيَنتميان دائمًا إلى شخصٍ آخر تمامًا. كنّا أنا وتوماس شركاء في كل شيء. تخيُّل الحياة بدون السحر وابتسامات مفيستوفيليس اللّعوبة أمرٌ حزين بعض الشيء، لكن التفكير في عالمٍ بدون توماس كريسويل أمرٌ لا يُطاق. لم أستطِع الابتعاد عنه أكثر ممّا استطعتُ العيش إن تخلّيتُ عن قلبي.

انحنيتُ وضغطتُ شفتيّ على خدّ مفيستوفيليس قبل أن أقول: "في عالمٍ آخر، أو حياة أخرى، أعتقدُ أنه بإمكاننا القيام بأمورٍ مُذهلة معًا. ستجعلُ فتاةً ما في غاية السعادة يومًا ما... لكن هذه الفتاة ليستُ أنا. أنا آسفة."

"أنا آسفٌ أيضًا." راقبتُ حُنجرته تتحرّك وأنا أضغطُ على يده بقدر استطاعتي من القوّة. أمسكَ بي لحظةً أخرى ثم وقف قائلًا: "سأعملُ على شيءٍ من الهندسة العبقريّة وسأُطلِقُ عليها اسمك، يا حبّي الضائع."

لم أستطِع منع نفسي من الضحك بصوتٍ عالٍ. "وداعًا يا مفيستو فيليس."

"قولي آيدن من فضلِك." ذهبَ إلى الباب وتوقّف. "حتى نلتقي ثانيةً."

***

كان توماس يقفُ إلى جانبي بصلابة، ويداه ذات القفّازات تُمسك بالسور المُتجمّد ونحن نُشاهد الركّاب ينزلون من السفينة. سيكون لديهم جميعًا بالتأكيد قصصًا يروونها عن هذه الرحلة المنكوبة. حتّى هوديني لن يتمكن من الهرب من الفضيحة، رغمَ أنني واثقةٌ من أنه سيكون على ما يرام في النهاية. شقّت مجموعةٌ من رجال الشرطة طريقهم عبر الحشود، مُتّجهين إلى الزنزانة لنقل المُجرم الذي سمّتهُ الصحف السفّاح البافاري. لن يطول الأمر الآن. توقّفت أنفاسي وشعرتُ برغبةٍ مُفاجئة في إسناد نفسي. لم أرغب في توديعه، لقد خشيتُ ذلك.

"سأكونُ معكِ مرةً أخرى قريبًا جدًا يا وادزورث. لن تشعُري حتّى أنّني ذهبت."

حدّقتُ فيه من الجانب وقلبي يخفق بشدّة. لم ينظُر مُباشرةً إلى وجهي منذُ أن تلقّيتُ السكين بدلًا عنه. كنتُ أعلم أنّ كلامي الخادع معهُ قد نجحَ أكثر من اللازم وكنتُ أستحقّ غضبه، لكن هذا باردٌ لدرجةٍ تفوقُ التحمّل. "هذا كلّ شيء؟ أهذا كل ما تُريد قوله؟"

"تبقى الحقيقة أنّني مطلوبٌ هنا، في نيويورك، كمُمثّل لعمّك."

أخذَ نفسًا عميقًا وركّزَت عيناه على الناس الذين ما زالوا يخرجون من السفينة. أردتُ مسك معطفه وهزّه لأجبره على النظر إليّ، لكنّني أبقيتُ يدي إلى جانبي والأخرى على عكّازتي المُستعارة. كان دائمًا يمنحني حرّية الاختيار، لذا لن أسلبه إيّاها. إذا أرادَ البقاء هنا فلن أتوسّل إليه بأنانيّة. "سوف أنضمّ إليكُم في أقرب وقتٍ مُمكن."

تجاهلتُ الدمعة التي نزلَت على خدّي. لم أرغب في أن نفترق هكذا، وهو باردٌ وبعيد مثل شواطئ إنجلترا. لقد مررنا بالكثير حقًا. لكنني لن أتصرّف على هذا الأساس، من الممكن أنه لم يستطِع تحمّل رؤيتي بعد إصابتي هذه. ربّما كانت ساقي المكسورة بمثابة تذكير بمدى اقترابنا من فُقدان حيواتنا. ربما أدركتُ ما كنتُ على استعدادٍ للتخلّي عنه، لكن هذا لا يعني أنه قد توصّلَ إلى نفس النتيجة.

استجمعتُ مشاعري، فخورةً بمدى تحكّمي بها الآن. "أليسَ من المفترض أن تقول شيئًا مثل 'سأفتقدُكِ بشدّة يا وادزورث. أنا متأكدٌ من أنّ الأسابيع القليلة القادمة ستكون نوعًا من التعذيب البطيء.' أو بعض تلميحات كريسويل الماكرة الأخرى؟"

استدارَ نحوي أخيرًا وعيناه تفتقِران إلى البصيص المعتاد من الوقاحة. "بالطبع سأفتقدُك. أشعرُ كأنّ قلبي يُرفَع من صدري جراحيًا رغمًا عني." استنشقَ بعمق. "أفضّلُ أن يطعنني كلّ سيف في ترسانة جيان على هذا. لكن هذا هو الأفضل للقضيّة."

لقد كان مُحقًا بالطبع. يجب أن تأتي القضيّة أولًا، لكن لم أحب ذلك. أمسكتُ عكّازي بقوةٍ أكبر. طوال حياتي كنتُ أتمنى أن تختفي قضبان القفص الذهبي، وكلّ ما رغبتُ فيه هو التحرّر واختيار طريقي الخاصّ. في البداية حرّرَني والدي، والآن بدا أنّ توماس يفعل الشيء نفسه. الحرّية جميلةٌ ومُرعبة في نفس الوقت. الآن بعد أن باتَت بين يديّ رغبتُ في رميها مرةً أخرى. لم تكن لديّ فكرة عمّا قد أفعلهُ بها أو بنفسي.

"إذًا أتمنى لك التوفيق يا سيّد كريسويل." قلتُ مُتجاهلةً لسعة كلماتي الرسمية. "أنتَ على حق. الشعور بالضيق أمرٌ سخيف عندما يكون اللقاء قريبًا للغاية."

انتظرتُ منه الخروج من هذه الشخصية الباردة ليرتدي دفء عاطفته لي، لكنهُ ظلّ ثابتًا. تنحنحَ مُحققٌ من ورائنا ليُدمّر آخر لحظاتنا معًا. لم أعرف ما إذا كنتُ أريدُ الضحك أم البكاء. قبل ثمانية ليالٍ قصيرة فقط كنّا نقف على هذا الممشى بالذات، ملفوفين بين ذراعَي بعضنا البعض ونتبادل القُبلات تحت النجوم.

"سيّد كريسويل؟ نحن نأخذُ الجثث إلى الشاطئ الآن، ونطلبُ وجودك في الطريق إلى المستشفى."

أومأ توماس باقتضاب. "بالطبع، أنا تحت تصرّفك."

رفعَ المحقق قبعته لي قبل أن يختفي ثانيةً في السفينة. هدرَ

نبضي وآلمَتني ساقي. لقد حانت اللحظة التي كنتُ أخافُها منذ قضيّة السفّاح. أخيرًا سأودّع السيّد توماس كريسويل. شعرتُ كأنه لم يتبقّ ما يكفي من الأوكسجين على الأرض لأعيش. جررتُ أنفاسي بصعوبة، وشتمتُ مشدّي لكونه ضيّقًا بشكلٍ عصريّ. كنتُ بخير، كلّ هذا على ما يُرام.

لا أزالُ كاذبةً قذرة. لا شيء جيّد في هذا الموقف.

حدّق توماس في الباب الذي سيقوده إلى طريقٍ مُختلف عن طريقي. لأوّل مرة منذ شهور، لن نُغامرَ معًا. شعرتُ بغيابه كأنّ جزءًا منّي قد اقتُطع، ولا زال جسدي يتوقُ إلى قطعته المفقودة. كنتُ كاملةً لوحدي، ولم أحتَج إلى شخصٍ آخر يُكملني، لكن الطريقة التي افترقنا بها جعلَتني أشعرُ بالمرض. لم يكن الأمر صحيحًا لكنني لم أعرف ماذا أفعل لتصحيحه. ربما كان هذا هو الدرس الأهمّ في التخلّي: قبول ما هو خارجٌ عن سيطرتنا. كان بإمكاني فقط بذل قُصارى جهدي ولعب دوري، ويبقى الأمر متروكًا لتوماس ليُقابلني في منتصف الطريق أو عدم مُقابلتي على الإطلاق.

استدارَ ببُطء وواجهَني بفكٍّ مشدود. "الوداع يا آنسة وادزورث. كان ذلك من دواعي سروري المُطلق. حتّى نلتقي ثانيةً."

تجاهلتُ تشابُه ذلك مع وداع مفيستوفيليس، رغمَ أن وداعهُ لم يجعلني أشعر كأنّ العالم قد توقفَ عن الدوران. رفعَ توماس قبعته وبدأ بالمُغادرة.

في ذهني، هرعتُ وراءه وأمسكتُ معطفه وتوسّلتُ إليه بأن يبقى، أو يأخذني معه. للتخلّي عن أمر عمّي بالبقاء والتحقيق في قضيّة نيويورك، والزواج منّي في الكنيسة في هذه اللحظة. لقد

عاشَت جدّتي بالقرب من هنا - رغمَ حقيقة عدم ردّها على أيٍّ من رسائلي فقد تكون في سفرٍ عبر أوربا - ويُمكن أن تكون شاهدةً على زواجنا، حتى لو كان ذلك فقط نكايةً بوالدي.

في الواقع زممتُ شفتيّ وأومأتُ برأسي ببساطة، وشاهدتُه يبتعد عني، ربّما لبضعة أسابيع وربّما إلى الأبد. أيًّا كان ما يختار سأعيشُ مع قراره. رغمَ صعوبة ذلك لكنني سأجدُ طريقة. توقّفَ مؤقتًا وظهرهُ نحوي، ونقرَت أصابعه على إطار الباب. انتظرتُ حابسةً أنفاسي، حتى يُلقي نكتةً أو يركض عائدًا ليضمّني بين ذراعيه، لكن بعد لحظةٍ أخرى دفعَ نفسه للأمام واختفى داخل السفينة.

شقّ نحيبٌ طريقه عبر صدري قبل أن أحبسهُ ثانيةً. وقفتُ هناك لبضعة أنفاس بقلبٍ نابض. لم أعرف لماذا بدا هذا الوداع دائميًّا. لكنّني عرفتُ بطريقةٍ ما، في أعماق عظامي المُرهقة، أنّني إن لم أوقفه فإنّ السيد توماس كريسويل سيخرُج من هذه السفينة ومن حياتي إلى الأبد. لففتُ يدي الحرّة حول السياج، سامحةً للسعة الجليد بتشتيت أفكاري. سأحتاجُ إلى الحصول على الدفء قريبًا، فقد ازدادَ الألم الخفيف في ساقي شراسةً.

ركّزتُ على الألم الجسدي بدلاً من الألم الجديد الأقوى في صدري.

سويةً اندمَجنا أنا وتوماس واشتعَلنا مثل شهاب، ثم افترَقنا عن بعضنا بنفس السرعة. لقد أوقَفنا السفّاح البافاري، وبرّأنا بقيّة مهرجان ضوء القمر من الإثم. كان توماس ببساطة يُقدّم المُساعدة فيما يتعلّق بالطبّ الجنائيّ هنا، بينما نسافرُ أنا وعمّي إلى وجهتِنا التالية، حيث سينضمّ إلينا بالتأكيد لاحقًا. سيكون كل شيء بخير قريبًا بما يكفي.

كنتُ ببساطة أضخّمُ أمر وداعنا أكثر من اللازم. بعد كل الموت الذي واجهتُه، ليس من الصعب أن أجد تفسيرًا منطقيًا لتردّدي في توديع شخص أحببتُه. ذكّرتُ نفسي بمشاعرٍ سابقة: العلمُ مذبحٌ أُصلّي له، وهو يُقدّم لي السّلوان.

بقيتُ أردّدُ تلك الكلمات بصمتٍ مثل تهويدة، مُحدّقةً في البحر بعد فترةٍ طويلة من مُغادرة توماس.



# الخاتمة

سارَت ليزا على ممشى السفينة، وقلنسوتها مشدودة فوق جبينها لمنع الرياح الهابّة على نهر هدسون من تخريب تسريحة شعرها الأنيقة. صعدَت بجانبي وحدّقَت في صناديق السيرك التي جرى إنزالُها. لقد أعجبَتني الأقمار المرسومة عليها: دوائر سوداء مع هلال فضّي على الجانب.

كان مهرجان ضوء القمر خارجًا للترفيه عن جمهورٍ جديد في مدينةٍ جديدة. لم يوجد لديّ أدنى شك في أن مفيستوفيليس قد يسرق قلوب وعقول كلّ مَن يُقابله. كان لهوديني مستقبلٌ مُشرق بشكلٍ مُذهل أيضًا، وفي طريقه إلى أن يُصبح أسطورة. شعرتُ بأنّها لن تكون آخر مرّةٍ نسمعُ فيها عنهما، ولم أكن متأكّدة أنه أمرٌ جيّد.

قالت ليزا وهي تنظر إلى الصناديق في الأسفل: "بعد كلّ ما فعلتِه، ظننتُكِ ستكونين شجاعةً بما يكفي لإخباره بالحقيقة."

سألتُها: "مَن؟ مفيستوفيليس؟"

صفعَتني على ذراعي: "لا تتعمّدي الحماقة."

لقد أعطاها أندرياس مُخدّرًا أفقدَها الوعي، وبعد ساعاتٍ قليلة من عملي البطوليّ عادَت مُتعثّرةً إلى الغرفة دون أن تُصاب بأذى. بدا أنه قد أحبّ ليزا، بعد أن ذكّرَتهُ روحُها الشغوفة بحبيبته ليزيل، وقد

حماها ذلك من المزيد من التعذيب أو القتل.

تغضّنَ جبيني وتنهّدَت ليزا قائلةً: "حقًا؟ أنتِ تُشرّحين الموتى للبحث عن الحقيقة وراء وفاتهم، وتتوقين إلى تشريح الأمور لحلّ الألغاز. مع ذلك فأنتِ بائسةٌ يا ابنة خالي العزيزة عندما يتعلّق الأمر بالصدق، وعلى وجه الخصوص مع نفسك." واجهَتني ويداها على وركها. "هل أخبرتِ السيّد كريسويل أنّكِ تحبّينه؟ وأنّهُ لا يُمكنكِ الانتظار لرؤيته مرة أخرى؟ وأنّكِ تخشَين أن يلوم نفسه في كل مرةٍ يرى إصابتك؟" تفحّصَتني وهزّت رأسها. "كلّا، لم تفعلي. لقد قُمتِ بحشو كلّ شيء داخلكِ والتظاهُر أنّ الأمور على ما يرام. لكن هذه ليسَت الحقيقة، أليسَ كذلك؟ أنتِ قلقة."

"أنا... إنه - كلّ شيءٍ مُعقّدٌ للغاية."

شخرَت ليزا ساخرة. "الأمرُ ليسَ بهذا التعقيد على الإطلاق يا ابنة خالي. توماس برغمِ دهائه يُصدّق كلّ نصف حقيقةٍ تُخبرينه بها ويُصدّقكِ بالكامل. إنه لا يستطيع الرؤية عبر قناعكِ هذا. ربما يكون هذا الشيء الوحيد الذي لا يستطيع حلّ لُغزه، وأنا أراهنُ أنّ سبب ذلك هو مشاعره الجيّاشة تجاهك. أنا واثقةٌ من اعتقادهِ بأنهُ يفعل الصواب من خلال المُغادرة، فهو يمنحُكِ خيارًا للّحاق بمفيستوفيليس حتى لو حطّمهُ ذلك. هل لاحظتِ احمرار عينيه؟ لم ينَم منذُ أن أُصِبت. عندما حاولَ عمّك إخراجه من غُرفتك جُنّ جنون السيّد كريسويل بفكرة تركِك. كلاكُما ذكيٌّ جدًا في أمور العقل، لكن فيما يخصّ القلب؟ تبدوان ككائناتٍ من مجرّاتٍ أخرى تُحاول فهم البطاطا المقليّة."

"هو... ماذا؟" لم أستطِع استيعاب عبثيّة تلك الفكرة. "لماذا

يظنّني سأختار أيّ شخصٍ آخر؟ لقد قفزتُ على سكينٍ أمامه. أنا متأكدةٌ من أنّ هذا يُشير بوضوح إلى مَن أُحبّ. مُغادرته لا علاقةَ لها بذلك."

"هل أنتِ واثقة؟" أعطَتني ليزا نظرةً غاضبة. "كيف افترقتُما؟ اسمحي لي برمي سكّيني[1]... آه، آسفة." تراجعَت مُشيرةً نحو ساقي. "ربما يجب تجنّب هذا المُصطلح لبعض الوقت."

ضحكتُ. "ماذا سأفعل بكِ؟"

لفّت ليزا ذراعَها حولي وأمسكَت بي عن قُرب. "ستُحبّينني عبر الاستماع إلى نصائحي الرومانسيّة. أراهنُ أن توماس قد ودّعكِ بطريقةٍ رسميّة باردة، خالية من أيّة كلمة غزل. أراهنُ حتّى أنه قد أمالَ قُبعته بدلًا من تقبيل يدك ذات القفّاز." ابتسمَت لي عندما تجهّمت. "ارفعي قناعكِ يا أودري روز. أخبريه بمخاوفِك. أعدُك أنه لا يهتم بالعصا أو ساقكِ المكسورة، إنّها روحُكِ التي وقعَ في غرامها. إنه يمنحُك فرصة تقرير مصيرك لكن ثقي بي، إنه يُحبّكِ بجنون."

التفتُّ بعيدًا لكيلا ترى ليزا الدموع التي أوشكَت على النزول على خدّي، وسألتُها مُغيّرةً الموضوع: "ماذا عنكِ أنتِ وهوديني؟ إنهُ لم يكذب عليكِ كما تعلمين."

حوّلَت ليزا انتباهها إلى صناديق السيرك. "أعلمُ ذلك. نحن فقط... أنا أعشقُه، لكنّني أريدُ مستقبلًا من نوعٍ مختلف. كان الكرنفال مُثيرًا، لكنني أفتقدُ ماما، رغمَ صعوبة تصديق ذلك." شخرتُ ساخرةً فدفعَتني باستنكار. "سيجد هاري امرأةً تجعله سعيدًا، وسوف أجدُ

---

1- (رمي السكين) تعبير إنكليزي يقصد به تجربة الحظ أو التخمين. (المُترجم)

شخصًا أنا أيضًا. الآن، كُفّي عن مُحاولة الاختباء من حقيقتِك، واخبري توماس أنّكِ تُحبّينه، أو ستقضين بقيّة أيّامكِ نادمةً عليه."

"لكن ماذا لو غادرَ بسبب الحادث؟ ماذا لو -"

"اعذريني." تنحنحَت ليزا وأشارَت برأسها نحو الطرف المقابل من الممشى. "أعتقدُ أنني أرى السيّدة هارفي تلوّح لي من هناك. يجبُ أن أذهب إليها في الحال."

"حقًا؟" مسحتُ رطوبة أجفاني واستدرتُ مُنزعجةً من رحيل ابنة عمّتي السريع، لكن توبيخي ماتَ على شفتيّ عندما قابلتُ نظرة توماس. لقد تمكّن من التسلّل بجانبي كساحرٍ ماهر. هززتُ رأسي بينما كانت ليزا تغمز لي من فوق كتفها وهي تُسرع بعيدًا. عادَت الدموع لتنزلقَ بحُرّية على خدّي بينما كان ينظر إليّ. مسحتُها من وجهي بغضب، كارهةً حقيقة فُقداني السيطرة على مشاعري خارج مختبر التشريح ومُعظم التحقيقات.

قلتُ رافعةً ذقني: "كريسويل، اعتقدتُ أنّ لديكَ عملًا ينتظرُك."

قال ببساطة "لقد فعلتُه. كما ترَين لقد سألتُ اللورد كرينشو من أين جلبَ تلك العصا الرائعة التي حملها عندما أجرَينا أنا وعمّكِ مُقابلتنا الأخيرة معه. تخيّلي دهشتي عندما قال إنه اشتراها من هنا، من نيويورك. هُناك متجرٌ أسفل ذلك الشارع في الواقع." اقتربَ أكثر مُشيرًا إلى اتجاه المتجر. "أعتقدُ أنّ هذه الوردة تتفوّق على تلك التي حاولَ مفيستوفيليس تقديمها لك."

"ماذا؟"

رمى توماس عصا في الهواء بإحدى يديه ثمّ أمسكَها باليد الأخرى، قبل أن يُقدّمها إليّ جاثيًا على ركبة واحدة. كانت عصا

جميلـة مـن خشـب الأبنـوس مـع مقبـض منحـوت علـى شـكل وردة. بـدت مثـل سـاق زهـرةٍ مـع أشـواك، وحدّقـتُ فيـه عاجـزةً عـن صياغـة الكلمـات. كانـت مُذهلـةً، تحفـةً فنّيـة.

"توماس، إنها..."

"تقريبًا بمثل وسامتي؟"

ضحكتُ رغم انسياب المزيد من الدموع الخائنة. "بالضّبط."

بانَـت الجدّيـة فـي عينيـه واضطـربَ قلبـي. "سـيكون عملُنـا دائمًـا مُهمًـا لكلينـا، لكـن قلبـي لديـكِ بكاملـهِ يـا وادزورث، مهمـا حصـل. الشـيء الوحيـد الـذي يُمكـن أن يأخـذه منكِ هـو المـوت. وحتـى ذلـك الحيـن سـأقاتلُ بـكلّ مـا أوتيـت مـن قـوّة لأتمسّـك بحُبّـك، الآن وإلـى الأبـد."

كانـت لـديّ نفـس الأفـكار تقريبًـا قبـل أن يتحـوّل ذلـك المسـرح إلـى جحيـم. مـرّرتُ أصابعـي فـي شـعره لاويـةً إحـدى خصلاتـه بينمـا كنـتُ أحـدّق فـي عينيـه. كانتـا غارقتَيـن بالعشـق الحقيقـي الخالـص. مـا كانَ بيننـا سـحرٌ لكنـهُ ليـسَ وهمًـا. رفعـتُ يـدي عنـه لأُمسـك بعكّازتـي الجديـدة مُختبـرةً وزنهـا. "هـل تعـرف؟ أعتقـدُ أنّ هـذه أثمـن وردةٍ تلقّيتُهـا علـى الإطـلاق."

أعطانـي ابتسـامةً بطيئـةً مرحـة. "كانـت خُدعتـي السـحرية رائعـةً إلـى حـدٍّ مـا أيضًـا، هـل تعتقديـن أن مفيسـتوفيلس سـيَقبلُني؟ يُمكننـي التـدرّب. فـي الواقـع،" قـال مُمسـكًا بذراعـي وهـو يُعـدّل مشـيته بينمـا كنـتُ أتحـرّك بـلا ثبـاتٍ بجانبـه. "يجـب علينـا القيـام بعـرضٍ معًـا. مـا رأيُـكِ فـي 'الكريسـوورث المُذهِليـن'؟ لـه وقـعٌ لطيـف."

"كريسـوورث؟ هـل دمجـتَ أسـماءنا حقًـا؟ ولمـاذا يأتـي اسـمُك

أوّلًا؟" نظرتُ إليه من زاوية عيني وفمي مقوّسٌ للأعلى رغمًا عني. "أعتقدُ أنّ الجزء المُذهل الوحيد في عرضنا سيكون عدم تنويم الجمهور خلال تباهيكَ بذكائِك."

قال: "امرأةٌ شيطانة. ما الإسم الذي تقترحينه؟"

"ممم." استندتُ على عصاي وتظاهرتُ بالتفكير الطويل والجادّ. "أعتقد أنه سيكون لدينا متسعٌ من الوقت لمعرفة ذلك."

"ممم، بالحديث عن ذلك كنتُ أفكّر..."

"وهو دومًا أمرٌ مُزعج."

"بالضّبط." تمكّن توماس من تمرير يديه حول خصري. "لقد تسكّعنا بالفعل في أزقّة لندن المُظلمة، واستكشَفنا دهاليز قلعةٍ مليئة بالعناكب، ونجونا من كرنفالٍ مُميت..." قرّبَ شفتَيه فرفعتُ وجهي إليها بقلب خافقٍ مُنتظر. كانت قُبلاته شكلاً من أشكال الشعوذة المُسكِرة. "ربّما يُمكننا الآن تجربة إحدى اقتراحاتي؟ قد أعرض -"

"فقط قبّلني يا كريسويل."

أشعلَت ابتسامتهُ الملتوية النيران بداخلي، وامتثلَ لطلبي دون النطق بكلمةٍ أخرى.



# مُلاحظات المؤلفة

كان في الباخرة إترووريا العديد من الغرف الفخمة لركّاب الدرجة الأولى، لكن صالة الطعام المذكورة من مخيّلتي. لقد استعملتُ عناصر حقيقيّة وأضفتُ إليها العديد من العناصر الخاصّة بي، لإنشاء خلفيّة لكرنفالٍ مُتنقل بمسرحٍ وأرضيّة باللونين الأبيض والأسود. (رغمَ أنّ السفينة كان فيها بالفعل تبريدٌ وكهرباء).

كعكة القمح: أول وصفةٍ وجدتُها لكعكة القمح جاءت من كتاب طبخ ألماني نُشر عام 1879. استوحيتُ منها الوصف الذي قدّمه توماس عن المعجّنات المقلية بالزبدة، رغمَ عدم ذكرها بالاسم.

كان هاري هوديني في الخامسة عشرة من عمره في عام 1889، وهو صغيرٌ جدًا بالنسبة للقصّة، لذا اتّخذتُ الحرّية الفنّية في جعله في السابعة عشرة. بدأ هوديني أداء السحر علنًا في عام 1891، وليس عام 1889، رغمَ أدائه كفنّان أرجوحة في سن التاسعة. والتقى بزوجته بيس عام 1893 وكانت بينهما قصّة حب رائعة.

آملُ ألّا يمانع عشاق ومؤرّخو هوديني من استخدامي لحيله الشهيرة في الهروب، رغمَ أنها حدثَت لاحقًا في حياته المهنية. تمت تسمية "زنزانة التعذيب" في الواقع باسم "زنزانة التعذيب المائي الصينيّة" وتم عرضها علنًا لأول مرة في عام 1912.

تم عرض "الهروب من علبة الحليب" في عام 1901، وقول

مفيستوفيليس "... الفشل يعني الموت غرقًا..." مقتبس من الشعار الحقيقي في ملصق هوديني الترويجيّ. تم تنفيذ خدعة "التحوّل" من قبل سحرة آخرين، لكن عرض هوديني لفت الانتباه في عام 1894 لأنه وزوجته قاما بها على خشبة المسرح. (الأعمال الأخرى شملَت رجالًا فقط.) كان هوديني رائعًا في تسويق نفسه وحيله، التي حاولتُ إظهار لمحةٍ عنها عندما تحدثَت ليزا إلى أودري روز في المقصورة بالقول "إنه يدّعي أن هناك قوّة في كيفيّة بيع الأشياء".

امتدّت مهنة هوديني السحرية من المتاحف والعروض المسرحية المصغّرة إلى كونه جزءًا من عرضٍ جانبي في سيرك مُتنقّل. بعد تغيير عروضه لجذب حشود أكبر وخلق خطورةٍ أعلى باتَ معروفًا بألقاب ملك البطاقات وملك الأصفاد، وفنّان الهروب الساحر الذي نحبّه حتى اليوم. هناك شائعاتٌ أنه التقى بشخصٍ ما في وقت مبكر ساعده في تهذيب قواعده اللغوية، وتخيّلتُه غامضًا مثل مفيستوفيليس. في وقتٍ لاحق من حياته كافحَ هاري لفضح الاحتيال عندما راجَت الروحانيّة. كانت تفاصيل ممتعة أضفتُها عندما حلمَت ليزا بالتحدّث إلى الموتى وهو يصرخ من المسرح "الروحانيّات خُدعة."

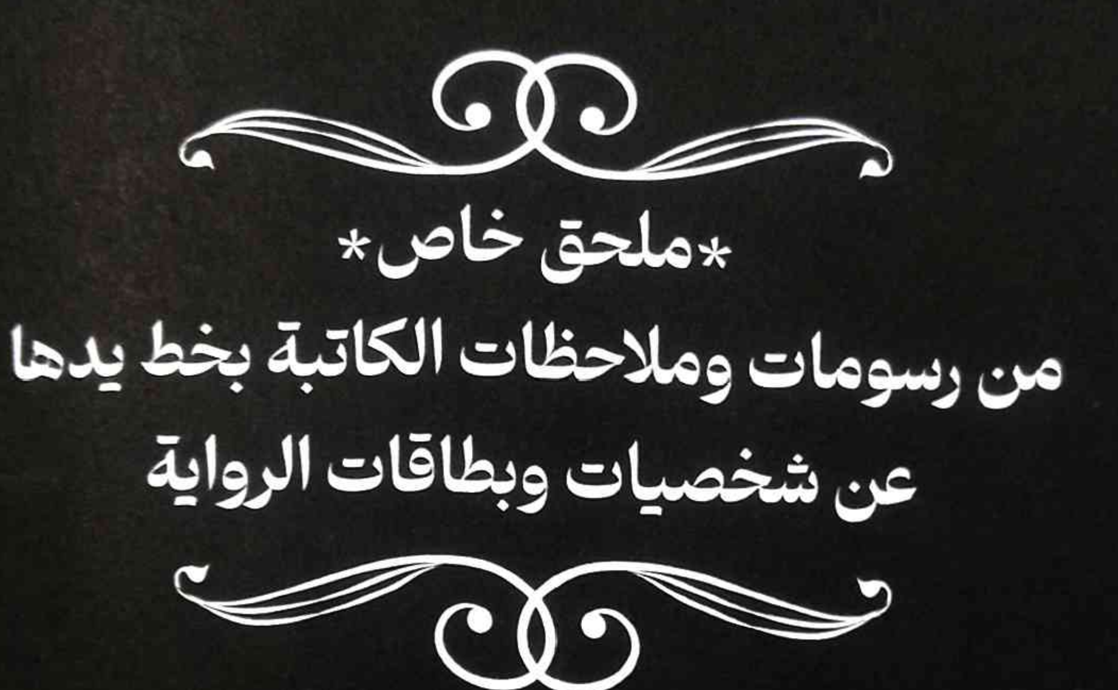
لمزيد من المعلومات حول حياة هوديني أوصي بقراءة كتاب "الهروب! قصة هوديني العظيم" لِسيد فليشمان.

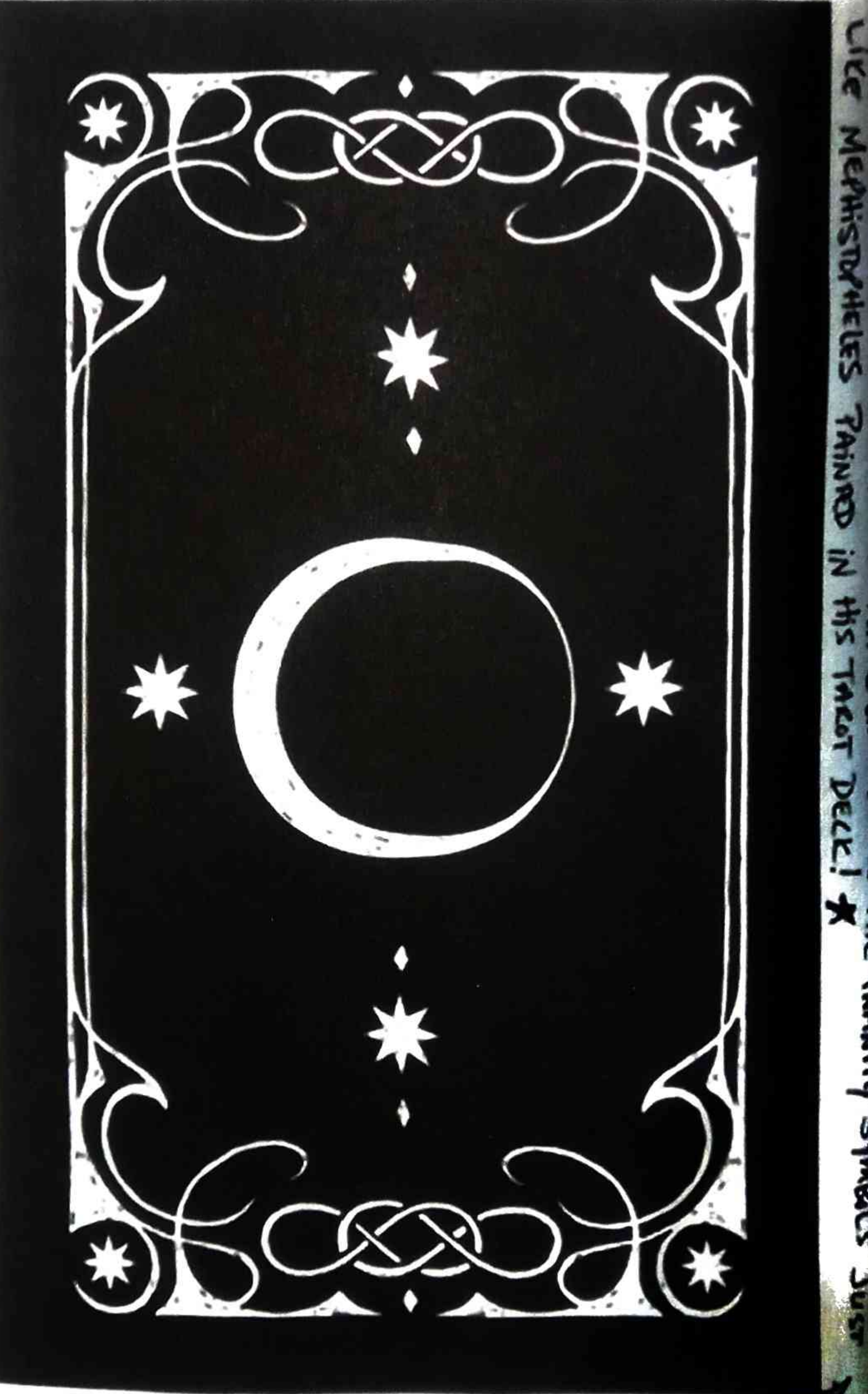
كان أندرياس بيشيل المعروف أيضًا باسم "السفاح البافاريّ"، مصدر إلهامي للقاتل. أعدتُ تصوّره باستخدام 'مواهبه' كعرّاف في جزءٍ من سيرك متنقل، وغيّرتُ جرائمه لتعكس معاني بطاقات التاروت. بحلول الوقت الذي حدثَت فيه هذه الرواية كان بيشيل الحقيقي قد أُعدِم بالفعل. طريقة القتل: كان يستدرج الشابّات إلى

منزلـه، واعـدًا بـأن يُريهـنّ مسـتقبلهنّ بمرآتـه العجيبـة، ويُقيّـد أيديهـنّ خلـف ظهورهـنّ ويعصـب أعينهـنّ ثـم يقتلهـنّ. تمامًـا مثـل أندريـاس فـي هـذه القصـة، وكان يسـرق القمـاش مـن ضحايـاه ومـن خـلال ذلـك تـم القبـض عليـه فـي النهايـة. ذهبَـت شـقيقة امـرأة مفقـودة إلـى المدينـة وسـألت أصحـاب المحـلات عمـا إذا كانـوا قـد رأوا شـقيقها، عندمـا رأت خيّاطًـا يصنـع صدريّـة مـن ثـوب أختهـا. أعطاهـا اسـم الرجـل الـذي أعطـاه القمـاش وحجـز الطلـب، وبالتالـي تـم اسـتدعاء الشـرطة ليعثـروا فـي وقـت لاحـق علـى جثـث النسـاء المفقـودات، مدفونـات فـي مخـزن بيشـل للحطـب.

أحـد أصدقـاء والـدي ضابـط أمـن فـي مدينـة نيويـورك، تحـدّث مـرةً عـن مخاطـر الانجـراف فـي تقمّـص الشـخصية خـلال العمليـات السـرية. أثنـاء صياغتـي لأداء أودري روز، قمـتُ بتشـكيلها بطريقـةٍ لـم تبـدُ خارجـةً عـن المألـوف بالنسـبة لهـا فحسـب، بـل جعلتُهـا تستسـلم لهـذا الخطـر الشـديد. لقـد أبدعَـت أودري روز فـي صياغـة الوهـم، لدرجـة أنـه أصبـح واقعيًـا تقريبًـا. شـكرًا لِصديـق والـدي لإلهامـه فيمـا يتعلّـق بالعمـل السـرّي.

أي خطـأ تاريخـيّ آخـر أو حرّيـة إبداعيـة غيـر مذكـورة تـمّ عملـه علـى أمـل تعزيـز وإثـراء تجربـة قـراءة قصّـة هـذه الباخـرة الفخمـة، ذات القـدَر التعيـس فـي روايتـي الخياليّـة.


*ملحق خاص*
من رسومات وملاحظات الكاتبة بخط يدها
عن شخصيات وبطاقات الرواية




THESE ARE DESCRIBED IN CHAPTER 18. ♡

PHANTOM RIN ADDED CRESCENT MOONS TO THE RINGMASTER'S GLOVES, AND I LOVED IT SO MUCH I CHANGED THE DESCRIPTION DURING COPYEDITS!

I

CAN YOU SPOT ALL THE MOONLIGHT CARNIVAL DETAILS?

IN THE FAUST LEGEND, "MEPHISTOPHELES" WAS A DEMON WHO WORKED FOR THE DEVIL, MAKING BARGAINS. I BASED HIS STAGE PERSONA ON IT.

HIS MASK ALSO FEATURES A MOON.

The Magician

(HINT: CHECK HIS SUIT, TOP HAT, & THE BORDER :) )

Audrey Rose's outfit was inspired by a vintage costume I found on Pinterest. She wore it the night she drank the Green Fairy.




I love that her Mother's locket was included!!

If you look carefully, you'll spot the dragon on his waistcoat. A fun nod to his family!

This is my favorite card

Thomas is also wearing a rose because he clearly can't help himself :)

CASSIE (CASSIOPEIA)

III

The Empress

I'M SUCH A HUGE FAN OF HER POSE & HER MASK. THE BODICE IS ALSO ANOTHER FAVORITE!

HER NAME, ROLE, PERSONALITY, AND COSTUME WERE ALL INSPIRED BY THE CONSTELLATION.

I TOOK A BIT OF THE GREEK MYTH AND INCORPORATED IT INTO HER PERSONALITY TOO.

MOONLIGHT CARNIVAL SYMBOL

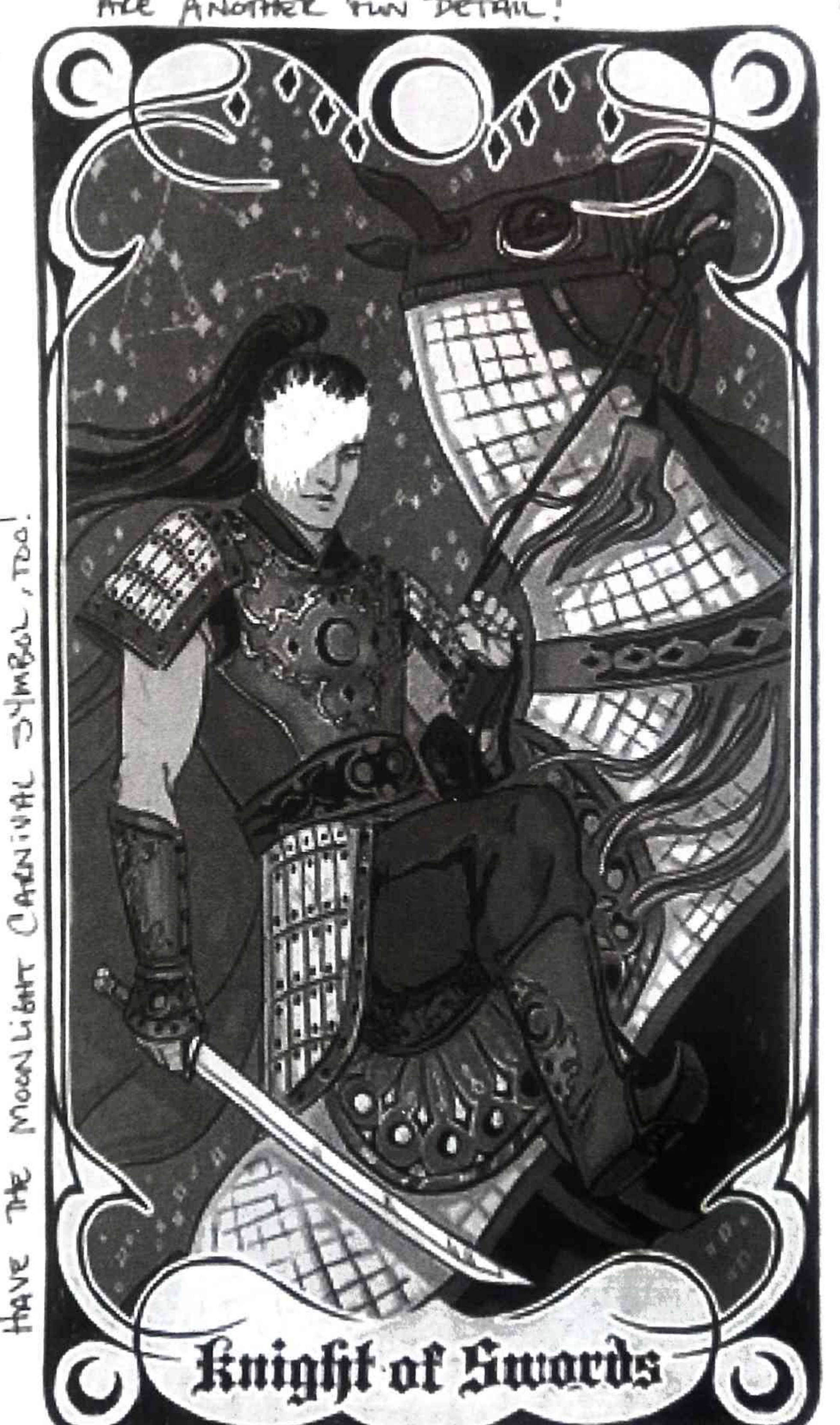
★ ONE OF MY FAVORITE DETAILS ARE THE FLAMES SWIRLING INTO THE BORDER.




★ ANISHAA SWALLOWING FLAMES, I COULDN'T STOP THINKING ABOUT HIS POEM "FIRE & ICE." IT WAS THE INSPIRATION BEHIND HER COSTUME.

♡ HER JEWELRY REMINDS ME OF PIECES I'VE GOTTEN FROM MY SISTER'S BOUTIQUE ♡

THE CONSTELLATIONS IN THE BACKGROUND ARE ANOTHER FUN DETAIL!




JIAN'S ARMOR - BREASTPLATE, BELT, BOOTS, & GAUNTLETS ALL HAVE THE MOONLIGHT CARNIVAL SYMBOL, TOO!

FUN FACT: I CHOSE "JIAN" AS THE KNIGHT OF SWORDS'S NAME FOR TWO REASONS. 1.) IT MEANS "STRONG" (WHICH IS HOW I PICTURED THIS CHARACTER.) AND 2.) IT'S ALSO THE NAME OF A DOUBLE-EDGED STRAIGHT SWORD.

THE SADDLE HAS HIDDEN CRESCENT MOONS.

SEBASTIAN CRUZ: THE CONTORTIONIST.




ONE OF MY FAVORITE THINGS TO WRITE WAS AUDREY ROSE'S REACTION WHEN SHE FIRST SAW SEBASTIAN. HER SCIENCE-FOCUSED MIND COULDN'T STOP WORRYING OVER THE (SEEMINGLY) ANATOMICAL IMPOSSIBILITY OF IT.

RIN ALSO MANAGED TO SNEAK THE MOONLIGHT CARNIVAL SYMBOLS ONTO HIS COSTUME, TOO.

HIS COSTUME WAS ALSO INSPIRED BY A VINTAGE CIRCUS PHOTO I FOUND.

HIS CONSTELLATION SUIT IS EXACTLY HOW I PICTURED IT IN THE BOOK!

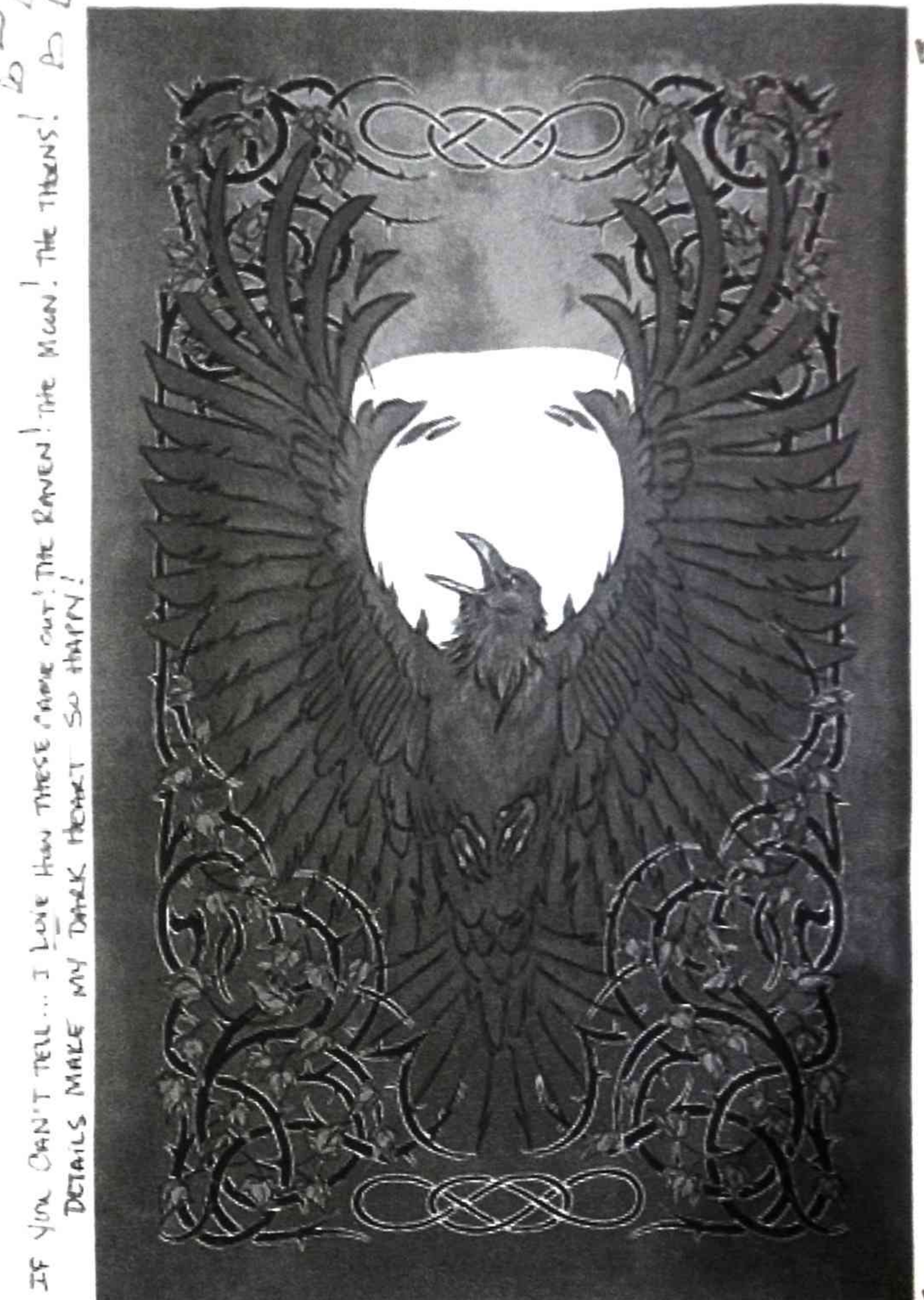
I LOVE EVERYTHING ABOUT THIS CARD! ONE OF MY FAVORITE DETAILS IS THE TAROT CARDS SPREAD ACROSS THE TABLE. THEY MATCH THIS CUSTOM DECK AND REALLY BROUGHT THE SCENE FROM CHAPTER 18 TO LIFE.

THE RINGS, MASK, CANDLES AND SMOKE CURLING AROUND THE BORDER ARE SO MAGICAL!!

The Fool

EVERY TIME I LOOK AT THIS CARD I SPY ANOTHER COSMIC DETAIL - LIKE THE STAR TABLE!

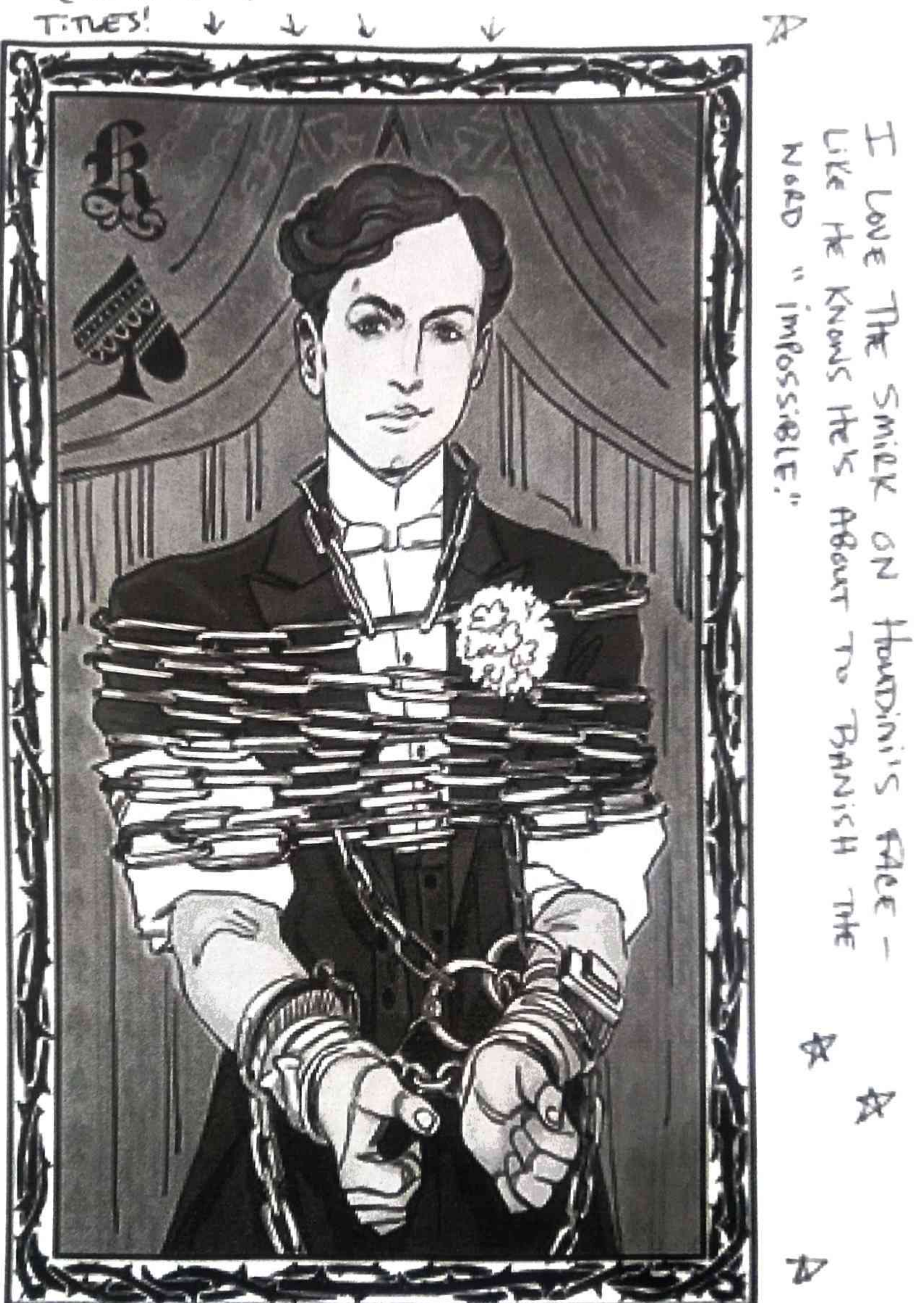
♡ ♡ ♡ THESE CUSTOM PLAYING CARDS ARE DESCRIBED IN CHAPTER 3.



IF YOU CAN'T TELL... I LOVE HOW THESE CAME OUT! THE RAVEN! THE MOON! THE THORNS! DETAILS MAKE MY DARK HEART SO HAPPY! ♡ ♡ ♡

♡ ♡ IN COLOR, RIN MADE THE RAVEN'S FEATHERS LOOK IRIDESCENT

CHAINS & CARD SYMBOLS – A NOD TO HOUDINI'S TITLES!




DESIGN. (THE RAVEN + MOON CARD.)

I LOVE THE SMIRK ON HOUDINI'S FACE – LIKE HE KNOWS HE'S ABOUT TO BANISH THE WORD "IMPOSSIBLE".

FUN FACT: THE BORDER ON THIS CARD IS FROM THE ORIGINAL ART. IT WAS LATER CHANGED TO BECOME A TAROT CARD.

LIZA'S COSTUME IS SAVED ON MY PINTEREST BOARD.



ONCE AGAIN, RIN ADDED THE MOONLIGHT CARNIVAL SYMBOL. SPY IT IN THE FAN??
SHE ALSO ADDED SO MANY HEARTS IN THE CURTAINS

LIZA AND HARLOWN'S CARDS ARE THE ONLY TWO PLAYING CARDS - A CHANGE
I MADE TO CELEBRATE THIS EARLY TITLE OF "THE KING OF CARDS."

HER CARD IS THE QUEEN OF HEARTS, WHICH
IS WHY SHE HAS A THORN BORDER. (TO MATCH THE RAVEN

# الفهرست